رسائل العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج الأنصاري الخزرجي
الجزء الثاني



دراسة وتحقيق
الأستاذ محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي

رقم الإيداع القانوني	97/1326
ردمك	9981 - 153 - 02 - 8

مطبعة
المؤلف	محمد الراضي كنون
الهاتف	01 39 21 98
	07 65 14 00

الجوهر المنظوم
في ختم مقدمة ابن أجروم

تأليف
العلامة القاضي العارف بالله سيدي الحاج أحمد سكيرج
الأنصاري الخزرجي

تــحــقــيــق
الأســتــاذ مــحــمــد الــراضــي كــنــون

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

حمدا لمن ختم بالسعادة على أهلها فضلا منه ومنة، وجزاهم بما عملوا بتوفيقه إياهم لطاعته بالنعيم المقيم في الجنة، وجعل بينهم وبين المهالك في الدارين وقاية وجنة، والصلاة والسلام على الخاتم لما سبق تقدير وجوده في الأزل، والفاتح لما أغلق من أبواب الرحمة التي بدوام ملك المولى لم تزل. وعلى آله وأصحابه الجامعين لأشتات الفضائل والمكارم، والمشتتين جمع أهل الضلال والمظالم، من جعلهم الله نجوم اهتداء ليهتدى بهم في سبيل الهدى، مادامت الأفلاك بقدرة المولى تدور، واطمأنت بذكر الله القلوب في الصدور.

وبعد : فإنه لما من الله علينا بإقراء مقدمة الشيخ أجروم(1)، وختمناها تدريسا بالقرويين، أردت أن أقيد ما أمليناه ختما في التمام، قصدا للنفع به إن شاء الله تعالى، فإن التأليف يرى من بث العلم، لبقاء تحصيله بالكتابة والرسم، جعله الله من صالح الأعمال، ومما ينتفع به في الحال والإستقبال، آمين.

هو العلامة النحرير، ذو التوفيق والتحرير، العارف بالله، العابد الأواه، أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن داود المعروف بابن أجروم الصنهاجي، نسبة إلى صنهاجة، بضم الصاد، لايجوز غيره عند ابن دريد، وأجاز غيره الكسر، وأما الفتح فهو تحريف، وهي قبيلة بالمغرب نسب إليها رحمه الله.

وأجروم بهمزة مفتوحة ممدودة، فجيم مضمومة، ثم راء مشددة مضمومة بواو، معناه بلسان البربر الفقير الصوفي، وهو المرابط عندهم، وحرفت لغتهم الآن، فيقولون أكرام. وكان رحمه الله إماما جليلا، متفننا حافظا نبيلا، متقنا عالما عاملا، وصالحا كاملا، ومما يدلك على صلاحه أن الله جعل الإقبال على تأليفه، فصار عند غالب الناس شرقا وغربا أن أول ما يقرأ بعد القرآن العظيم هذه المقدمة، فيحصل له النفع في أقرب مدة، ومما نسب له قوله، وقيل للمكودي رحمهما الله :

إذا عرضت لي في زماني حاجة	وقد أشكلت فيها علي المقاصد
وقفت بباب الله وقفة سائل	وقلت إلاهي إنني لك قاصد
ولست تراني واقفا عند باب من	يقول فتاه سيدي اليوم راقد

---

(1) أبو عبد ا محمد بن محمد بن داوود بن أجروم الصنهاجي، عالم نحوي، له شهرة واسعة، ولد بفاس عام 672هـ، وبها توفي بعد زوال يوم الأحد 10 صفر الخير عام 723هـ، ودفن داخل باب الجيزيين، وله مؤلفات منها : مقدمته المشهورة بالأجرومية، وفرائد المعاني في شرح حرز الأماني، للشاطبي، ونظم في علم القراءات سماه : البارع في قراءة نافع، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 2 ص 112، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 221 رقم الترجمة 189، وفي النبوغ المغربي لعبد ا كنون ج 1 ص 210، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 217 رقم الترجمة 762، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 33.

ولد في السنة التي فيها توفي ابن مالك رحمه الله وهي سنة 672هـ، وتوفي يوم الاثنين بعد الزوال لعشر بقيت من صفر سنة 723هـ، وهي السنة التي ولد فيها ابن عرفة، فعمره 51 سنة، ودفن بباب الحمراء من مدينة فاس. وكان كثيرا ما يتبع الكوفيين في التعبير، وإلى الله المصير.

نبذة في مدح النحو :

اعلم أن علم النحو من أجل العلوم قدرا، وأعظمها وسيلة في إصلاح الألسنة، وفهم السنة، لأن الوارد منها من عربي مبين، ولا يفهم مقصوده إلا بمعرفة قواعد هذا الفن، لأنه سبيل للكشف عن وجه معاني الكلام على الصواب، وكذلك هو وسيلة لمعرفة كلام العرب مطلقا، ويصير به صاحبه للعلوم محققا، كما قيل :

النحو قنطرة إلى العلوم فهل … يجاز بحر على غير القناطير
إن النحاة أناس بان مجدهم … فوق العباد جميعا بالمقادير
أصل الفصاحة لا يخشون من أحد … عند القراءة في أعلى المنابر
فهل علمت بذيب خاف من غنم … أو أجود الأسد ذلت للخنازير
لو يعلم الطير ما في النحو من شرف … غنت ورنت إليه بالمناقير

فكل مغلق من المعاني فهو مفتوح أقفاله، وكل عويص من المباني فهو مبين أشكاله، وقد قيل :

إن علم الإعراب شيء عجيب … ينتقيه من العلوم اللبيب
فبه يرتقي سماء المعاني … ويحل المعنى العويص الغريب

ومما ينسب لسيدنا علي كرم الله وجهه :

النحو يصلح من لسان الألكن … والمرء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها … فأجلها منه مقيم الألسن

فهو لسان من أراد فصاحة الخطاب، والجمال الذي يتزين به المرء لا ما يلبس من الثياب، حكى الشيخ الدميري(2) وغيره أن الرشيد قال للأصمعي(3) ما أحسن ما مر بك من

(2) أبو البقاء محمد بن موسى الدميري، باحث، أديب، من فقهاء الشافعية، ولد بالقاهرة عام 742 هـ، وبها توفي سنة 808هـ، من مصنفاته : حياة الحيوان، مجلدان، واختصره في مصنف سماه : حاوي الحسان من حياة الحيوان، والديباجة في شرح كتاب ابن ماجة، في الحديث، خمس مجلدات، ومختصر شرح لامية العجم، للصفدي، والنجم الوهاج في شرح المنهاج، للنووي، وأرجوزة في الفقه، وغيرهم، أنظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك ج 11 ص 59، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 10 ص 59، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 118، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 4 ص 67.

(3) عبد المالك بن قريب بن علي الأصمعي، أديب، شاعر، لغوي، مؤرخ، ولد بالبصرة عام 122 هـ، وبها توفي عام 216هـ، من مصنفاته : الأضداد، وخلق الإنسان، والإبل، والفرق، والشاء، والخيل، والوحوش وصفاتها، والمترادف، وغيرهم، أنظر ترجمته في جمهرة الأنساب لابن حزم ص 234، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 288، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 1 ص 393-397، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 162.

تقويم اللسان، فقال أوصى رجل بعض بنيه فقال : يا بني اصلحوا من ألسنتكم، فإن الرحل تنوبه النائبة فيتحمل فيها، فيستعير من أخيه وأبيه ومن صديقه ثوبه، ولا يجد من يعيره لسانه، وأنشد في ذلك :

رأيت العز في أدب وعقل وفي الجهل المذلة والهوان
وما حسن الرجال لهم بزين إذا لم يسعد الحسن اللسان
كفى بالمرء عيبا أن تراه له وجه وليس له لسان

وقد أجاد علي بن بشار في قوله في المعنى :

رأيت لسان المرء آية عقله وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تحد إصلاح اللسان فإنه يخبر عما عنده ويبين
ويعجبني زي الفتى وجماله فيسقط من عيني ساعة يلحن

وقد أجاد القائل :

النحو زين للفتى يكرمه حيث أتى
من لم يكن يحسنه فحقه أن يسكتا

ومما ينسب لسيدنا علي كرم الله وجهه قوله :

لحن الشريف يحطه عن قدره فتراه يسقط من لحاظ الأعين
وترى الذكي إذا تكلم معربا حاز النباهة بالبيان المعلن

ويروى عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه قال : تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل والمروءة، ومر بقوم وقد أخطأوا في الرمي فقال : سووا رميكم، فقالوا : نحن متعلمين بالياء، فقال : لحنكم علي أشد من سوء رميكم، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : رحم الله امرئ أصلح من لسانه(4).

ويحكى أن أعرابيا دخل سوقا فوجدهم يلحنون، فقال : سبحان الله يلحنون ويربحون، وعنه (ﷺ) أنه قال : إن الله لا يسمع دعاء ملحونا، وقد اتفق العلماء على أن جميع العلوم تحتاج إلى هذا الفن، لا سيما التفسير والحديث، فإنه لا يجوز لأحد أن يتكلم في كتاب الله ولا سنة رسول الله (ﷺ) إلا بعد معرفته، فعن أبي هريرة مرفوعا : أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه(5). وفي رواية عن سيدنا علي كرم الله وجهه أيضا : أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن(6)، وفي رواية عن

(4) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 23، وعزاه لابن عدي في الكامل، وللخطيب البغدادي في تاريخه، ولابن الأنباري في الوقف، والمرهبي في العلم.
(5) أنظر الجامع الصغير للسيوطي ج 1 ص 46، وعزاه فيه للحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان، ولابن أبي شيبة في مصنفه.
(6) أنظر الجامع الصغير للسيوطي ج 1 ص 46، وعزاه فيه لابن الأنباري في الوقف، والمرهبي في فضل العلم عن أبي جعفر معضلا.

ابن عمر أيضا : أعربوا القرآن يدلكم على تأويله، وقال الإمام مالك رضي الله عنه : لو صرت من العلوم في غاية، ومن الفهوم في نهاية، لرجع ذلك إلى أصلين، كتاب الله، وسنة رسوله (ﷺ)، ولا سبيل إليهما إلا بمعرفة اللسان العربي، ورحم الله أثير الدين ابن حيان(7) حيث قال :

هو العلم لا كالعلم شيء تراوده	لقد فاز باغيه وأنجح قاصده
وما فضل الإنسان إلا بعلمه	ومافاز إلا ثاقب الذهن واقره
وقد قصرت أعمارنا وعلومنا	يطول علينا حصرها ونكابده
وفي كلها خير ولكن أصلها	هو النحو فاحذر من جهول يعانده
به يعرف القرآن والسنة اللذا	هما أصل دين الله من أنت عابده

وقد نصوا على أن اللاحن يحرم عليه أن يقرأ الأحاديث، قال الأصمعي : إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قول النبي (ﷺ) : من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار، لأنه لم يكن (ﷺ) يلحن. فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه، وذلك لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب. ولا تفهم المعنى الأصوب إلا به من غير ارتياب. أخرج البيهقي في شعب الإيمان عن شعبة أنه قال : إذا كان المحدث لا يعرف النحو فهو كالحمار، تكون على رأسه مخلات ليس فيها شعير، ونظمه بعضهم في قوله :

إن من يطلب الحديث ولا يعـــــرف نحوا ولا له ألاته

كحمار قد علقت ليس فيها من شعير برأسه مخلاته

وأخرج أيضا عن أبي الزناد عن أبيه أنه قال : ما تزندق من تزندق بالمشرق إلا جهلا بكلام العرب وعجمة قلوبهم، وأخرج البخاري في تاريخه عن الحسن قال : إنما أهلكتكم العجمة، وقال الكسائي(8) في مدحه :

---

(7) أثير الدين محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي، محدث، مفسر، لغوي، أديب، ولد بغرناطة عام 654هـ، وتوفي بالقاهرة سنة 745هـ، من مصنفاته البحر المحيط في تفسير القرآن، في ثمان مجلدات، وطبقات نحاة الأندلس، ونور الغبش في لسان الحبش، ومنطق الخرس في لسان الفرس، والإدراك للسان الأتراك، وغيرهم. أنظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 302، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 121، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 282، وفي غاية النهاية للجزري ج 2 ص 285، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 6 ص 145، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 152.

(8) علي بن حمزة الأسدي الكسائي، أحد القراء السبعة، كان عالما بالنحو واللغة والقراءة، من كتبه : معاني القرآن، والنوادر، والمتشابه في القرآن، والمصادر، والحروف، وغيرهم. توفي رحمه ا بالري عام 189هـ، أنظر ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري ج 1 ص 535، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 330، وفي إنباء الرواة للقفطي ج 2 ص 256، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 283، وفي طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص 138.

النحو علم شريف — وفضل معناه باد
فربه في أمان — من زيغة في اعتقاد

وقال أيضا :

إنما النحو قياس يتبع — وبه في كل علم ينتفع
وإذا ما أتقن النحو الفتى — مر في المنطق مرا فاتسع
وإذا لم يعرف النحو الفتى — هاب أن ينطق حينا فانقمع
فتراه ينصب الرفع وما — كان من نصب ومن خفض رفع

وقيل :

إذا ركب الفقيه جواد نحو — يكون له الفخار على الرجال
يقول مقالة من غير لحن — وتكمل عنده جل الخصال

ومما يحكى في فضله أن القاضي ابن خلكان(9) ذكر في ترجمة : تعلب، أحد أئمة هذا الفن، أن أبا بكر بن مجاهد المقري قال : قال لي ثعلب(10) : يا أبا بكر، اشتغل أصحاب الفقه بالفقه ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو فليت شعري ماذا يكون حالي في الآخرة، فانصرفت من عنده، فرأيت النبي (ﷺ) تلك الليلة في المنام، فقال لي: اقرأ أبا العباس عني السلام، وقل له أنت صاحب العلم المستطيل إهـ ...

ثم إنه يجب على العاقل بعد إصلاح لسانه، أن يسعى في إصلاح جنانه، وذلك بتصفيته من الرذائل، وتحليته بأنواع الفضائل، ليتأهل بذلك قلبه لإشراق أنوار حقائق التوحيد والعرفان، وأسرار التفريد التي توصل العبد إلى الرضوان، وأما من لم يتخلق بما يطهر قلبه من الأدناس، واشتغل بإصلاح لسانه ليتصدر بين الناس، فذلك الذي استحوذ الشيطان على قلبه، وجلس على رأسه إبليس حتى صيره من حزبه، فيصير يتبجح على الناس بلسانه، ويظن بذلك أنه هو أفضل

---

(9) أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي، مؤرخ، أديب، ولد في إربل بالقرب من الموصل على شاطئ الدجلة الشرقي عام 608هـ، وكانت وفاته بدمشق عام 681 هـ، ومن مصنفاته : وفيات الأعيان وأنباء الزمان، في علم التراجم، أنظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 7 ص 353، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 1 ص 55، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 220.

(10) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني المعروف بثعلب، إمام أهل الكوفة في النحو واللغة والشعر، وهو فقيه محدث، ولد ببغداد عام 200هـ، وبها توفي عام 291هـ، من مصنفاته : قواعد الشعر، وشرح ديوان زهير، وشرح ديوان الأعشى، والفصيح، والمجالس، في مجلدان، ومعاني الشعر، والشواذ، ومعاني القرآن، وإعراب القرآن، وغيرهم. أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 30، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 172، وفي إنباء الرواة للقفطي ج 1 ص 138، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 267، وفي دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي ج 2 ص 752.

أهل زمانه، فيتمكن من قلبه عضال الفخر والتكبر، بما قصد من الرياسة والتصدر، وقد أجاد القائل :

ومعتقد أن الرياسة في الكبر فأصبح منحطا بها وهو لا يدري
يجر ذيول الفخر طالب رفعة ألا فاعجبوا من طالب الرفع بالجر

فإصلاح اللسان دون إصلاح الجنان فسق وضلال، وإصلاح الجنان دون إصلاح اللسان كمال دون كمال، وإصلاحهما معا كمال الكمال. ورحم الله الإمام سيبويه(11) حيث يقول :

لساني فصيح معرب في كلامه فيا ليته في موقف الحشر يسلم
وما ينفع الإعراب لو لم تكن تقى وما ضر ذا التقوى لسان معجم

فإصلاح القلب باتباع السنة والكتاب، أفضل من إفراد إصلاح اللسان في الخطاب، قيل للولي الكبير العارف الشهير سيدي أحمد بن موسى(12)، هل قرأت شيئا من النحو، فقال : قرأت بيتين من الألفية، قوله :

فما لنا إلا اتباع أحمدا

وقوله :

فما أبيح افعل ودع ما لم يبح(13)

ومما يحكى أن الشيخ محي الدين اللقاني جاء ليأخذ الطريق عن سيدي أبي السعود الجارحي(14) فقال :

---

(11) عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، الملقب بسيبويه، إمام النحاة، ولد بإحدى قرى شيراز عام 148هـ، ودخل البصرة فأخذ عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن مصنفاته : كتاب سيبويه في علم النحو، لم يصنع قبله ولا بعده مثله، وكانت وفاته رحمه ا عام 180هـ، وله من العمر 32 سنة، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 385، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 176، وفي طبقات النحويين للزبيدي ص 66-74، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 81.

(12) الشيخ أبو العباس أحمد بن موسى الجزولي السملالي، من أكابر المشايخ الصوفية بالمغرب خلال القرن العاشر الهجري، وهو من تلامذة الشيخ سيدي عبد العزيز التباع، وعلى يديه فتح له، وكانت وفاته رحمه ا عام 971هـ، وضريحه ببلاد سوس مشهور يتبرك به، قال في مرآة المحاسن : وثبت بخط الثقاة من فقهاء حضرته وغيرهم أنه لم يكن يحفظ من الشعر إلا قول القائل:

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملأ الأعلى إليك رسائل
ولا تلتفت للغير فالكل هالك ألا كل شيء ما خلا ا باطل

أنظر ترجمته في ممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي ص 76، وفي رجالات العلم العربي في سوس للمختار السوسي ص 24.

(13) أنظر ممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي ص 77.

(14) الشيخ العارف با تعالى أبو السعود الجارحي، من مشاهير الصوفية بمصر خلال القرن العاشر الهجري، وهو من أجل تلامذة الشيخ شهاب الدين المرحومي، توفي رحمه ا في حدود عام 930هـ، ودفن بزاويته بالكوم الخارج بالقرب من جامع عمرو، في السرداب الذي كان يعتكف فيه، وهو من جملة المشايخ الذين أخذ عنهم القطب سيدي عبد الوهاب الشعراني، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 129 رقم الترجمة 14.

يظن الناس بي خيرا وإني أشر الناس إن لم تعف عني

بنصب الناس، ففارقه الشيخ اللقاني ساكتا، وفي نفسه قال : هذا لا يفرق بين الفاعل من المفعول، ثم إنه رأى رؤيا تدل على رفعة مقام الشيخ أبي السعود، فجاءه، فلما رآه الشيخ قال : الصواب رفع الناس، فقال اللقاني الله أكبر، فقال الشيخ : كيف تطلب الطريق وأنت تفر من نصبة وتاتي برفعة، فتاب واستغفر.

ويحكى أن بعض النحويين دخل مجلس الحسن بن سمعون رضي الله عنه ليسمع كلامه، فوجده يلحن، فانصرف عنه، فصرف عنه آماله، فبلغ ذلك ابن سمعون، فكتب له : إنك من كثرة الإعجاب، رضيت بالوقوف دون الباب، فاعتمدت على ضبط أقوالك مع لحن أفعالك، وإنك قد تهت بين رفع وخفض وجزم ونصب، فانقطعت عن المقصود، هلا رفعت إلى الله جميع الحاجات، وخفضت المنكرات، وجزمت نفسك عن الشهوات، ونصبت بين عينيك الممات، والله يا أخي لا يقال للعبد غدا : لم لم تكن معربا، وإنما يقال له كنت مذنبا، ولم تكن تائبا، ليس المراد من العبد فصاحة المقال، وإنما المراد فصاحة الفعال، ولو كان الفضل في فصاحة اللسان لكان هارون أولى بالرسالة من موسى عليهما السلام، حيث قال : وأخي هارون هو أفصح مني لسانا، الله أعلم حيث يجعل رسالاته.

الـــخـــاتـــمـــــــــــة

ختم الله لنا بالسعادة، وجعلنا من أهل الحسنى والزيادة، إن المصنف رحمه الله قد ختم هذه المقدمة بالمخفوضات، إشارة إلى أنه ينبغي لمن أهله الله للتعليم والتأليف أن لا ينظر لعلمه وعمله بعين الرضا والكمال، بل ينبغي له وإن بلغ ما بلغ التواضع وترك الدعوى في الفعل والمقال، فإن الدعوى سبب للهلاك في الحال والمآل، وقد أهلك الله ثلاثة أشخاص بسبب الدعوى، بعدما نالوا الرياسة الكبرى.

فأولهم إبليس لعنه الله حيث قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين(15)

والثاني فرعون قبحه الله حيث قال : أنا ربكم الأعلى(16)

والثالث قارون حيث قال : إنما أوتيته على علم عندي(17)

فلذلك حذر ساداتنا الصوفية رضوان الله عليهم من إضافة شيء إلى أنفسهم كما قيل :

ثلاثة مهلكة للعبد وهي لي ثم أنا وعندي

(15) سورة الأعراف، الآية : 12.
(16) سورة النازعات، الآية : 24.
(17) سورة القصص، الآية ك 78.

قال الإمام ابن عربي قدس سره : مقام ساداتنا الصوفية الاجتماع على قلب واحد، أسقطوا الياءات الثلاث، فلا يقولون لي ولا عندي ولا متاعي، أي لا يضيفون إلى أنفسهم أي ملك لهم دون خلق الله. وقال أيضا : قال أهل طريق الله رضي الله عنهم : التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف، وأنشد :

إن الحديد إذا ما الصنع يدخله — في غير قر له يرده ذهبا

كذلك الخلق المذموم يرجع محمودا إذا هو للرحمان قد نسبا

إن التصوف أخلاق مطهرة — مع الإلاه فلا تعدل بها نسبا

ولا شك أن التواضع من مكارم الأخلاق، التي بها تنال المراتب العلى عند الخلاق، فقد قال عليه الصلاة والسلام : من تواضع لله رفعه(18)، وفي الحديث القدسي : أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.

وانظروا إلى الباء من حرف الخفض، فإنها لما كانت لازمة الكسر قدمها المولى على حروف البسملة الشريفة، إشارة إلى أنه لا يتقدم لحضرته إلا أهل الإنكسار، ورضي الله عن سلطان العاشقين ابن الفارض(19) حيث قال مشيرا إلى ذلك :

ولو كنت بي من نقطة الباء خفضة — رفعت إلى ما لم تنله بحيلة

قال الإمام مالك رضي الله عنه : ينبغي للعالم إذا أعطاه الله علما وكان يشار إليه بالأصابع أن يضع التراب على رأسه إذا خلا بنفسه، ولا يفرح بالرياسة فإنه إذا اضطجع في قبره ساءه ذلك.

هذا وفي قول المصنف : وخاتم حديد، براعة الختام، وهي عند علماء البديع أن يوتي في الكلام بما يوذن بانتهائه، وإضافة حديد إلى خاتم على معنى من، فهي إضافة بيانية، وضابط هذه الإضافة أن يكون المضاف بعضا من المضاف إليه، ويصح الإخبار بالمضاف إليه عن المضاف، ولاشك أن خاتم في هذا المثال بعض من الحديد المضاف إليه، ويصح فيه الإخبار بالمضاف إليه عن المضاف فتقول : هذا الخاتم حديد، ومثله أيضا : ثوب خر، وباب ساج، والحديد معروف، ومنافعه كثيرة، قال تعالى : وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس(20)، وهو في عبارة المصنف إشارة إلى أن قلبه كان حادا، أي قاطعا وجازما بأن هذه المقدمة خالصة لوجه الله الكريم، لا رياء فيه ولا سمعة، وهو رحمه الله صادق في مقالته هذه، والله أعلم.

---

(18) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 169، وعزاه لأبي نعيم في الحلية.

(19) عمر بن علي بن مرشد المشهور بشرف الدين ابن الفارض، أشعر المتصوفين، يلقب بسلطان العاشقين، ولد بمصر عام 576هـ، وبها توفي سنة 632هـ، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 383، وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 2 ص 266، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 317، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 55، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 59، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 5 ص 149-153.

(20) سورة الحديد، الآية : 25.

ويذلك على صدقه أن الله جعل الإقبال عليه والنفع به عاما كما تقدم، وقد علمت أن العمل إذا كان غير خالص لوجه الله لا يقبل من صاحبه، وإن كان خالصا قبله الله فيضع الإقبال عليه في عباده.

والخاتم عند الإطلاق تنصرف إلى حلقة تستعمل في الأصبع ذات فص من غيرها، فإن لم يكن لها فص فهي بتخة، بباء ومتناة وخاء معجمة، بوزن قصبة ولفظ الخاتم بفتح المتناة وبكسرها، وفيه لغات جمعها العراقي(21) رحمه الله بقوله :

خذ عد نظم لغات الخاتم انتظمت ثمانيا ما حواها قبل نظام

خاتام خاتم ختم خاتم وختام خاتيام وخيتوم وخيتام

وهمز مفتوح تاء تاسع وإذا ساغ القياس أتم العشر خاتام

وزيد عليه خاتم وختم محركة، كما ذكره القاموس وابن سيده(22) وغيرهما، ويطلق الخاتم على معان، فيطلق على الآلة التي تجعل في الأصبع وهو المراد هنا.

ثم اعلم أن التختم بالحديد كالنحاس قد كرهه بعض الأئمة، لما ورد عن النبي (ﷺ) في الحديث : ما طهر الله كفا فيها خاتم من حديد(23)، وورد أيضا عن النبي (ﷺ)، أنه رأى بيد رجل خاتما من صفر فقال : ما لي أجد منك ريح الأصنام، فطرحه، ثم جاء وعليه خاتم من حديد، فقال : ما لي أرى عليك حلية أهل النار، وفي رواية أنه (ﷺ) أراد أن يكتب كتابا إلى الأعاجم يدعوهم إلى الله تعالى، فقال له رجل يا رسول الله : إنهم لا يقبلون إلا كتابا مختوما، فأمر أن يعمل له خاتم من حديد، فجعله في أصبعه، فأتاه جبريل فقال له : انبذه من أصبعك، فنبذه من أصبعه، وأمر بخاتم آخر يصاغ له، فعمل له خاتم من نحاس، فجعله في أصبعه، فقال له جبريل : انبذه فنبذه، وأمر بخاتم آخر يصاغ له من ورق، فجعله في أصبعه، فأمره جبريل إلى آخر الحديث.

---

(21) عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمان المعروف بالحافظ العراقي، من أكابر علماء الحديث، أصله من بلاد الأكراد بالعراق، قدم لمصر وبها أخذ العلم، وكانت وفاته بالقاهرة عام 806هـ، ومصنفاته كثيرة منها : المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، ألفه في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين للغزالي، والألفية في مصطلح الحديث، وشرحها في مجلد واحد سماه فتح المغيث، وغير ذلك من التآليف الأخرى، أنظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي ج 4 ص 171، وفي غاية النهاية للجزري ج 1 ص 382، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1317، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 344، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 814-818 رقم الترجمة 458، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 414 رقم الترجمة 898.

(22) علي بن إسماعيل المشهور بابن سيده، أحد أئمة الأدب واللغة، ولد بمرسية بالأندلس عام 398 هـ، من مصنفاته : المخصص، في علم اللغة، في 17 جزءا، والمحكم والمحيط الأعظم، في أربعة مجلدات، والأنيق، في شرح حماسة أبي تمام، وغيرهم، وتوفي رحمه ا بالأندلس عام 458هـ، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 342، وفي إنباء الرواة للقفطي ج 2 ص 225، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 205، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 263.

(23) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 146، وعزاه للبخاري في التاريخ، وللطبراني في المعجم الكبير.

ولكن اختار النووي أنه لا يكره لخبر الشيخين : التمس ولو خاتما من حديد(24)، ولو كان مكروها لم يؤذن فيه، ولخبر أبي داود : كان خاتم النبي (ﷺ) من حديد ملويا عليه فضة، قال: وخبر النهي عنه ضعيف.

وفي الحديقة الندية : وأجمع المسلمون على أن السنة جعل خاتم الرجل في الخنصر، وأما المرأة فإنها تتخذ خواتيم في أصابع، قالوا : والحكمة في كونه في الخنصر أنه أبعد من الإمتهان فيما يتعاطى باليد كونه طرفا، وكونه لا يشغل اليد عما تتناوله من أشغالها، بخلاف الخنصر.

قال الإمام ابن العربي : والخاتم عادة في الأمم ماضية، وسنة في الإسلام قائمة، وقال ابن جماعة(25) وغيره : وما زال الناس يتخذون الخواتيم سلفا وخلفا من غير نكير، يعني ما لم يطرأ عليه مانع، بحيث لا يستعمل للمباهات ونحوها، ولم يزد وزنه على درهمين شرعيين، ولم يكن فيه ذهب وإلا حرم استعماله.

قال الشيخ خليل رحمه الله عاطفا على ما يجوز اتخاذه واستعماله : وخاتم فضة لا ما بعضه ذهب ولو قل، يعني أنه يجوز استعمال خاتم الفضة بل يسن ما لم يكن مختلطا بذهب، ولو كان الذهب أقل من الفضة، وإلا حرم استعماله في حق الذكور، وحمل النهي في المختلط على الكراهة، ولم يحكي الإمام ابن رشد(26) غيرها.

وحمل عليه أيضا المطلى بالذهب فأحرى المغشى به، ولا يجوز تعدد الخواتيم في حق الذكر، ولو كان وزن الجميع المتعدد درهمين، ويستحب كون التختم باليسرى، لا فرق بين الأعسر وغيره، وكره مالك جعله باليمنى.

وإنما استحب جعله باليسرى لأنه آخر الأمرين من فعله (ﷺ) كما ورد الحديث بذلك، ولأن لبسه في اليسرى في الغالب أبعد لقصد التزيين، وإنما قلنا لا فرق بين الأعسر وغيره لسؤال ورد في الجامع من نوازل ابن رشد، ففيها: ومنها أنك سألت عن وجه كراهة مالك التختم في اليمنى مع ما روي عن النبي (ﷺ) أنه كان يحب التيمن في أموره كلها، وهل يسامح في ذلك الأعسر أم لا؟ وهل بين قريش وغيرهم في ذلك فرق؟ فأجاب: ما ذهب إليه مالك من استحباب التختم في اليسار هو الصواب، أما في اليمين فإنه مكروه.

---

(24) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب اللباس، باب خاتم الحديد رقم الحديث 5533.

(25) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني، من أكابر حفاظ الحديث، ولد بدمشق عام 694هـ، وكانت وفاته بمكة سنة 767هـ، من مصنفاته : نزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب، وأنس المحاضرة بما يستحسن في المذاكرة، وهداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك، وغيرهم. أنظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 378، وفي كشف الظنون لحاجي خليفة 1940، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 26، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 306 رقم الترجمة 127.

(26) سبق التعريف به في ج 1 ص 50 من هذا المؤلف.

ولقد أحسن بعضهم في الإعتزاز بالتختم باليمين :

قالوا تختم باليمين وإنما مارست ذاك تشبها بمحمد
وتقربا مني لآل محمد وتباعدا مني لكل منافق
الماسحين فروجهم بخواتم اسم النبي بها واسم الخالق

وأنشد جمال الدين ابن مالك(27) في شرحه في التختم في الشمال قول القائل :

لئن كان ما حدثته اليوم صادقا أصم في نهار القيض للشمس باديا
وأركب حمارا بين سرج وفروة وأعري من الخاتام صغرى شماليا

وفي الحديث أن وزنه درهمان فضة وفصه منه، وجعله مما يلي كفه، والحديث الذي ذكرته حجة له لا عليه، وذلك لأن الإنسان إنما يتناول باليمين على ما جاءت به السنة، فهو إذا أراد التختم تناول الخاتم بيمينه فجعله في يساره. وإذا أراد أن يطبع على مال أو كتابة أو شيء تناوله بيمينه من شماله فطبع به ثم رده في شماله، ثم قال : ولا فرق بين الأعسر وغيره، ولا بين القرشي وغيره.

وعن أنس رضي الله عنه قال : كان خاتم النبي (ﷺ) في هذه وأشار إلى الخنصر من يده اليسرى، وعن علي رضي الله عنه : نهانا رسول الله (ﷺ) عن التختم في هذه وأومأ إلى الوسطى والمسبحة، وعن أنس كان النبي (ﷺ) إذا دخل الخلاء نزع خاتمه من يده.

ولا بأس أن يجعل الخاتم في اليمنى للحاجة يتذكرها كالرتيمة المستعملة في الأصبع لاستذكار الحاجة، قال الشاعر :

إذا لم تكن حاجاتنا في نفوسكم فليس بمغن عنك عقد الرتائم

وقد فعله النبي (ﷺ)، فعن سيدنا عمر رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) كان إذا أشفق من حاجة أن ينساها جعل في أصبعه خيطا ليذكرها، ويحصل بجعل الخاتم في اليمنى للتذكر فضل السنة، وإذا جعله في اليمنى لغير التذكر فلا يحصل للكراهة المتقدمة، ولم يأخذ الإمام مالك رضي الله عنه بالأحاديث الواردة في التختم في اليمين، ورجح الإمام الترمذي وغيره روايات تختم النبي (ﷺ) باليمين على روايات تختمه في يساره، حتى قال الترمذي في جامعه : روي عن أنس أن النبي (ﷺ) تختم في يساره وهو لايصح.

---

(27) محمد بن محمد بن عبد ا بن مالك الطائي، ابن ناظم الألفية، ولد بدمشق وبها توفي عام 686هـ، من مصنفاته : شرح ألفية ابن مالك، ويعرف بشرح ابن الناظم، وشرح لامية الأفعال، وروض الأذهان، في علم المعاني، والمصباح، في علمي المعاني والبيان، وغيرهم. أنظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 7 ص 373، وفي شذرات الذهب لابن عماد ج 5 ص 398، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 96، وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 234، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 31.

ونقل عن البخاري أن التختم في اليمين أصح شيء في هذا الباب عن النبي (ﷺ).

قالوا ويجمع بين روايات اليمين وروايات اليسار بأن كلا منهما وقع في بعض الأحوال، أو أنه (ﷺ) كان له خاتمان كل واحد في يد، أو كان تارة يستعمله في اليمين وتارة في اليسار، كما جمع بين ما فصه منه وبين ما كان فصه من جزع، وهو خرز فيه بياض وسواد، أو من عقيق، ومعدنهما بالحبشة.

قال البيهقي : الأشبه بسائر الروايات أن الذي كان فصه حبشيا هو الخاتم الذي اتخذه من ذهب ثم طرحه، والذي فصه منه هو الذي اتخذه من فضة، وذكر نحوه الإمام ابن العربي وجرى على ذلك القرطبي ثم النووي.

وقد ورد في حديث غريب كراهة كون فص الخاتم من غيره، وهو ما روي عن علي بن زيد عن أنس بن مالك عنه (ﷺ) أنه كره أن يلبس خاتما ويجعل فصه من غيره، فالمستحب أن يكون فص الخاتم منه لا من غيره، وإلى جمع ما تقدم مع زيادة فائدة في كونه يستعمل في الخنصر أشار الحافظ العراقي بقوله :

يلبسه كما روى البخاري ... في خنصر يمين أو يسار
كلاهما في مسلم ويجمع ... بأن ذا في حالتين يقع
أو خاتمين كل واحد بيد ... كما بفص حبشي قد ورد

وينبغي ألا يستعمل بالفص، ولا سيما ما كان ذا قيمة، لأنه يقصد به المباهات من غير شك، وأما خبر : تختموا بالزبرجد فإنه يسر لا عسر فيه، فهو موضوع، ومثله في الوضع الأمر بالتختم بالياقوت والعقيق كما نصوا على ذلك، ويجوز نقش الخواتم ونقش أسماء أصحابها وأسماء الله تعالى فيها، وهو قول إمامنا مالك، وكان نقش خاتمه (ﷺ) محمد رسول الله في ثلاثة أسطر، محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر أسفل، وقيل بالعكس ليكون اسم الله فوق الكل، ومحمد أسفل، ورسول أوسط، وقيل كان سطرا واحدا، والأول أصح. وذكر الإمام فخر الدين الرازي(28) في تفسيره أن النبي (ﷺ) دفع خاتمه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال : اكتب فيه لا إله إلا الله، فدفعه إلى النقاش، وقال له : اكتب لا إله إلا الله محمد رسول الله، فكتب النقاش فيه ذلك. فأتى أبو بكر بالخاتم إلى النبي (ﷺ)، فرأى النبي (ﷺ) فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله، أبو بكر، فقال يا أبا بكر ما هذه الزوائد، فقال أبو بكر : يا رسول الله ما رضيت أن أفرق اسمك عن اسم الله، وأما الباقي فما قلته، وخجل أبو بكر، فجاء جبريل عليه السلام وقال : يا رسول الله أما إسم أبي بكر فأنا كتبته لأنه ما رضي أن يفرق اسمك عن اسم الله، فما رضي الله أن يفرق اسمه عن اسمك.

---

(28) أبو عبد ا محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري - فخر الدين الرازي - فقيه، مفسر، أصولي، له مؤلفات كثيرة منها : مفاتيح الغيب، في تفسير القرآن في ثمان مجلدات، ولوامع البينات في شرح أسماء ا تعالى والصفات، ومعالم أصول الدين، والمسائل الخمسون في أصول الكلام، وغير ذلك من التصانيف الكثيرة.
ولد بالري وإليها نسبته وذلك عام 544هـ، وكانت وفاته رحمه ا سنة 606هـ، أنظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 5 ص 33، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 426، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 313.

وورد النهي عن نقش الخواتم بالجملة الأخيرة من الشهادة للإلتباس، فعن ابن عمر أن النبي (ﷺ) اتخذ خاتما من فضة وجعل فصه مما يلي كفه، ونقش فيه محمد رسول الله، ونهى أن ينقش أحد عليه، أي مثل نقشه.

وفي رواية البخاري عن أنس : اتخذ رسول الله (ﷺ) خاتما من فضة ونقش فيه محمد رسول الله، وقال إني اتخذت خاتما من ورق ونقشت فيه محمد رسول الله فلا ينقش أحد على نقشه.

وفي الحديقة الندية لسيدي عبد الغني النابلسي(29)، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي (ﷺ) اتخذ خاتما من ذهب، أي قبل تحريمه على الرجال، ثم ألقاه، ثم اتخذ خاتما من ورق نقش فيه محمد رسول الله، ونقش الحسن بن علي رضي الله عنهما : العزة لله، ونقش خاتم معاوية رضي الله عنه : رب اغفر لي، ونقش خاتم ابن أبي ليلى(30) رحمه الله : الدنيا غرور، ونقش خاتم الإمام الأعظم رحمه الله تعالى : قل الخير وإلا فاسكت، ونقش خاتم أبي يوسف(31) رحمه الله : من عمل برأيه ندم، ونقش خاتم محمد(32) رحمه الله تعالى : من صبر ظفر، ونقش خاتم الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : البركة في القناعة، وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير أنه وجد تحت وسادة الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى قوله :

---

(29) عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي، فقيه محدث أديب صوفي، ولد بدمشق عام 1050هـ، له مصنفات كثيرة منها : تعطير الأنام في تعبير المنام، والحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، وذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث، وجواهر النصوص في شرح الفصوص، لابن عربي الحاتمي، وحلة الذهب الإبريز في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز، وغيرهم. وكانت وفاته رحمه ا بدمشق عام 1143هـ، أنظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 756 رقم الترجمة 415، وفي سلك الدرر للمرادي ج 3 ص 30، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1832، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 32، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 219 رقم الترجمة 535.

(30) محمد بن عبد الرحمان بن أبي ليلى، قاض فقيه، من أصحاب الرأي، ولي القضاء والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس، واستمر في ذلك 33 سنة، له أخبار مع الإمام أبي حنيفة وغيره، توفي بالكوفة عام 148هـ، أنظر ترجمته في الوافي بالوفيات لابن شاكر الكتبي ج 3 ص 221، وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 3 ص 87، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 452، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 189.

(31) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، عرف بأبي يوسف، تلميذ الإمام أبي حنيفة، فقيه محدث، تولى القضاء ببغداد في عهد ثلاثة خلفاء وهم : المهدي، والهادي، والرشيد، وهو أول من ألف في أصول فقه مذهب الإمام أبي حنيفة، ومصنفاته كثيرة منها : الخراج، والآثار، واختلاف الأمصار، والأمالي في الفقه والنوادر، والرد على مالك بن أنس، وأدب القاضي، والبيوع، والجوامع، وغيرهم. وكانت وفاته رحمه ا عام 182هـ، أنظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 2 ص 107، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 180، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 2 ص 303، وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 193.

(32) محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني، تلميذ الإمام أبي حنيفة، وهو الذي نشر علمه ومذهبه، ولد بواسط عام 131هـ، ونشأ بالكوفة، له مصنفات مفيدة منها : المبسوط، والزيادات، والآثار، والسير، والجامع الكبير، والجامع الصغير، والأمالي، والموطأ، والأصل، والمخارج في الحيل، وغيرهم. توفي رحمه ا في الري عام 189هـ، أنظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 202، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 2 ص 130، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 5 ص 121، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 80.

ما في اختلاط الناس شيء ولا	ذو الجهل بالأشياء كالعالم
يا لائمي في تركهم جاهلا	عذري منقوش على خاتمي

فوجدوا نقش خاتمه وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين(33).

قال ابن عرفة : ونقش الخواتم تارة يكون كتابة وتارة يكون غيرها، فإن لم يكن كتابة بل بمجرد التحسين فهو مقصد مباح، إذا لم يقارنه ما يحرمه كنقش نحو صورة شخص، وإن كانت كتابة فتارة ينقش من الألفاظ الحكمية ما يفيد تذكر الموت فهو جائز، كما روى أن نقش خاتم عمر رضي الله عنه : كفى بالموت واعظا.

وتارة ينقش اسم صاحبه للختم به أو مثل ذلك، فقد كان نقش خاتم علي : الله الملك، وابن الجراح : الحمد لله، وأبي جعفر الباقر : العزة لله، وإبراهيم النخعي : الثقة بالله، ومسروق : بسم الله.

وقد قال (ﷺ) : اتخذ آدم خاتما، ونقش به لا إله إلا الله محمد رسول الله، قال في نوادر الأصول : إن نقش خاتم موسى عليه السلام : لكل أجل كتاب، وفي معجم الطبراني مرفوعا : كان فص خاتم سليمان بن داود سماويا ألقاه الله من السماء، فأخذه فوضعه في خاتم، فكان نقشه : أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي.

وما يروى من أن خاتمه (ﷺ) كان فيه صورة من الصور فهو معارض بالأحاديث الصحيحة في منع التصوير، وقد سقط خاتم النبي (ﷺ) في أثناء خلافة عثمان في بير بحديقة قريبة من مسجد قباء، يعرف ببير أريس.

فعن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : اتخذ رسول الله (ﷺ) خاتما من ورق، فكان في يده، ثم كان في يد أبي بكر، ثم كان في يد عمر، ثم كان في يد عثمان، حتى وقع في بير أريس، نقشه محمد رسول الله(34).

وقد بالغ سيدنا عثمان رضي الله عنه في التفتيش عليه فلم يجده، قالوا : وفي وقوعه إشارة إلى أن أمر الخلافة كان منوطا به، فقد تواصلت الفتن، وتفرقت الكلمة وحصل الهرج حتى قال بعضهم : إنه كان في خاتمه (ﷺ) ما في خاتم سليمان من الأسرار، لأن خاتم سليمان لما فقد ذهب ملكه، وخاتمه (ﷺ) لما فقد من عثمان انتقض عليه الأمر، وحصلت الفتن التي أفضت إلى قتله، واتصلت إلى آخر الزمان.

---

(33) سورة الأعراف، الآية : 102.
(34) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب اللباس، باب نقش الخاتم، رقم الحديث 5535.

ويجب نزع الخاتم من اليد اليسرى عند قضاء الحاجة، ولا سيما عند الإستنجاء، لئلا يقع الإسم على النجاسة، وذلك حرام، وربما أدى إلى الكفر والعياذ بالله، وقد كان (ﷺ) ينزعه عند قضاء الحاجة، فعن سيدنا أنس رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) كان إذا دخل الخلاء نزع خاتمه.

كما يجب غسل ما تحته إذا أزاله ونزعه وكان ضيقا، وأما مادام في الأصبع فلا يجب إجالته وتحريكه في الوضوء، كما قال الشيخ خليل بتخليل أصابعه لا إجالة خاتمه، وأما في الغسل فيجب تحريكه، قال ناظم مقدمة ابن رشد :

وحرك الخاتم في اغتسالك　　　والخرص والسوار مثل ذلك

ويطلق الخاتم أيضا على الطبع على الشيء، وهو المقصود من الخاتم الذي يستعمل في الأصبع، لما ثبت في الصحيحين أن النبي (ﷺ) أراد أن يكتب إلى قيصر فقيل له : إن العجم لا يقبلون كتابا إلا مختوما، فاتخذ خاتما، الحديث(35).

ومنه قوله (ﷺ) : كرامة للكتاب ختمه(36)، أي كرامة الرسائل ختمها بالطبع عليها، ومنه أيضا قوله (ﷺ) : آمين خاتم رب العالمين على لسان عباده المومنين، ومنه قوله تعالى : ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم(37).

ويطلق الخاتم أيضا على ما بين كتفي النبي (ﷺ) التي نعت بها في الكتب القديمة، وإليها أشار سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه يمدح النبي (ﷺ) :

أغر عليه للنبوة خاتم　　　من الله مشهود يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى إسمه　　　إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله　　　فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال الصحابي الجليل عمرو بن العاص في خطابه لسيدنا معاوية رضي الله عنهما :

وألبستها فيك لما عجزت　　　كلبس الخواتم في الأنمل

ومن اللطائف ما ورد في الحديث : الدراهم والدنانير خواتم الله في أرضه، فمن أتى بخاتم ربه قضيت حاجته، ثم اعلم أنه اختلفت الروايات في كون الخاتم الشريف بين كتفيه (ﷺ)، هل مقره بين الكتفين تحديدا ؟ أو هو عند كتفه الأيمن ؟ أو كان إلى اليسار أقرب ؟ وهو أرفع وأشهر.

والسر في كونه إلى اليسار أقرب لأن القلب في تلك الجهة كما قيل :

إذا طبع الزمان على اعوجاج　　　فلا تطمع لنفسك في اعتدال
فلولا أن يكون الزيغ طبعا　　　لما مال الفؤاد مع الشمال

---

(35) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم، رقم الحديث 5537.
(36) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 90، وعزاه للطبراني في الكبير.
(37) سورة البقرة، الآية : 7.

فجعل الخاتم في المحل المحاذي للقلب، وفي مستدرك الحاكم عن وهب بن منبه رضي الله عنه : لم يبعث الله نبيا إلا وعليه شامة النبوة في يده اليمنى، إلا نبينا (ﷺ) فإن شامة النبوة كانت بين كتفيه خصوصية له (ﷺ)، وهل ولد به (ﷺ)، أو وضع حين ولد، أو عند شق صدره، أو حين نبئ (ﷺ) ؟ أقوال.

واختلفت الروايات أيضا في صفته وقدره، قيل أنه غدة حمراء، وفي رواية سوداء، وفي رواية خضراء، وفي رواية كلون جسده (ﷺ)، والغدة بضم العين المعجمة وتشديد الدال المهملة لحم يحدث بين الجلد واللحم مثل بيضة الحمامة، وفي رواية كبيضة نعامة، وفي رواية كالتفاحة، وفي رواية كالبندقة، وفي رواية مثل الجمع حولها خيلان كأنها تآليل، والجمع بضم الجيم وسكون الميم، أي مثل جمع الكف، وهو هيئته بعد جمع الأصابع، وفي رواية شعر مجتمع.

وهذه الروايات لا تعارض بينها، لأنها ترجع إلى اختلاف الأحوال، قال الإمام القرطبي : إنه كان يكبر ويصغر، فكل شبه بما سنح له، وبالجملة فالأحاديث الثابتة تدل على أن الخاتم كان بارزا، وأما رواية : كأثر المحجم، أو كركبة عنزاء، أو كشامة خضراء، أو سوداء، ومكتوب فيها محمد رسول الله لم يثبت منها شيء، كما قاله العسقلاني، وتصحيح ابن حبان لذلك وهم، وقال بعض الحفاظ : من روى أنه كان على خاتم النبوة كتابة محمد رسول الله فقد اشتبه عليه خاتم النبوة بخاتم اليد، إذ الكتابة المذكورة إنما كانت على الثاني دون الأول.

ويطلق أيضا الخاتم على النهاية والتمام، ومنه ختمت الأمر إذا بلغت آخره، وختمت الكتاب أي قرأته كله، ومنه قوله (ﷺ) كرامة الكتاب ختمه، أي كرامة الكتاب قراءته إلى التمام، فلهذا الحديث معنيان، والمعنى الأخير تقدم، وهو من جهة الرواية فيه السدي(38)، وهو متروك.

(38) إسماعيل بن عبد الرحمان السدي، تابعي، قال فيه ابن تغري بردي : صاحب التفسير والمغازي والسير، وكان إماما عارفا بالوقائع وأيام الناس إهـ ... توفي عام 128هـ، أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 1 ص 317، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 1 ص 308.

ومن إطلاقه على التمام خاتم النبيئين، وهو سيد الوجود (ﷺ)، قال تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين(39) وقال العباس بن مرادس(40) يمدح النبي (ﷺ) :

يا خاتم النبئاء إنك مرسل	بالخير كل هدى السبيل هداك
إن الإله نبا عليك محبة	في خلقه ومحمد سماك

فهو (ﷺ) خاتم الأنبياء لأنه آخرهم : فلا نبي من بعده (ﷺ)، كما قال (ﷺ) : لا نبي من بعدي، وقال (ﷺ) : لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب(41).

والمراد بنفي النبوة من بعده (ﷺ) نبوة التشريع والرسالة كالتي وجدت من قبله (ﷺ)، فلا يرد على ذلك نزول سيدنا عيسى عليه السلام في آخر الزمان، لأنه كان موجودا بالذات قبل وجود ذات النبي (ﷺ)، ثم رفعه الله إليه، وسينزل في آخر الزمان مؤيدا لشريعة نبينا (ﷺ) وحاكما بها، وهو الخاتم للولاية العامة التي تقع للأولياء بالإرث من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وذلك أن الولاية المنصبية بحسب الإرث المخصوص بوساطة النبي (ﷺ) على تحقيق ما ذكره السادة الصوفية رضي الله عنهم تنقسم إلى عامة وإلى خاصة، وكل منهما إما من باطن النبوة، أو باطن الرسالة، أو من الذات المحمدية، وكل منها تقع للأولياء ، لكن تختلف بحسب الإستتار والظهور، وبحسب كمال الظهور. وهذا الأخير هو معنى ختمها، فالختم في عبارتهم إطلاقات، فتارة يطلقون الختمية ويريدون بها خاتم الخلافة العظمى التي ظهر مبدؤها أولا في آدم بقوله تعالى : إني جاعل في الأرض خليفة(42)، وختم هذا المقام مقدم على ختم جميع المناصب، وهو لواحد قدمه على قدم أدم عليه السلام، وهو لسيدنا ومولانا علي كرم الله وجهه، لأن كمال الخلافة فيه انحصر، فلا يدرك مرتبته أحد من الأولياء بعده، وهو معنى كونه خاتما، لا أن المقصود لا ولي بعده يوجد، بل توجد الخلافة بعده في غيره دون مرتبته، فلذلك يوصف صاحب هذا المقام الأخير بالملك.

---

(39) سورة الأحزاب، الآية : 40.

(40) العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، من خيرة شعراء الإسلام، أمه تماضر بنت عمرو المعروفة بالخنساء، أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة، توفي في خلافة عمر بن الخطاب عام 18هـ، أنظر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني ت 4502، وفي تهذيب التهذيب لنفس المؤلف ج 5 ص 130، وفي الروض الأنف للسهيلي ج 2 ص 283، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 267.

(41) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 131 وعزاه لأحمد في المسند وللترمذي والحاكم في المستدرك.

(42) سورة البقرة، الآية : 30.

وتارة يقصدون بالختمية ختم الإمامة، وهذا على أولاد سيدنا علي كرم الله وجهه، فهم الخاتمون لها، بمعنى أن كمال ظهور الإمامة تحقق بالإختصاص فيهم، بحيث لا يظهر مثله في غيرهم.

وتارة يقصدون بها ختم المقام الذي ما فوقه إلا درجة النبوة والصحبة المحمدية، وهو أعلى مقام في درجة القطبانية، وهذا لا يلحقه إلا أفذاذ من الأقطاب المحمديين، وهو لواحد في كل وقت، كالمجدد الذي يأتي على رأس كل مائة سنة، وهذا المقام ليس مخصوصا بمعين.

وقد وصل إليه غير واحد كسيدي علي بن وفا(43) نسبها لوالده سيدي محمد(44)، وكالإمام القشاشي(45) وغيرهما رضي الله عن الجميع، وشرط صاحب هذا المقام أنه لو قدر محو الشرائع كلها لأملى رسومها من حفظه من غير مطالعة، ويعرف اسم كل واحد بعينه من جميع الحيوان والنبات والمعادن وغير ذلك، ولذلك قال سيدي علي بن وفا رضي الله عنه : أكمل المظاهر في كل زمان هو الذي يظهر بكشفه وبيانه لأهل زمانه مما لم يكونوا يحتسبون، وهو غيب الله الذي لا يظهر عليه إلا من ارتضى له.

وكل واحد ممن وصل إلى هذا المقام له فيه تجل مخصوص بقدر ترقيه بما حواه، فهم وإن اشتركوا في إدراك هذا المقام والوصول إليه فهم متفاوتون في ذلك.

وقد ختم هذا المقام بالخاتم الأكبر، والعارف الأشهر، الكوكب النوراني، مولانا أحمد التجاني(46)، رضي الله عنه وسقاني من كأسه الحقاني، ومعنى ختمه لهذا المقام أنه لا يظهر أحد فيه بمثل الظهور الذي ظهر به هو، فهو خاتم لكمال الظهور في ذلك المنصب، لا لنفس

---

(43) علي بن محمد بن وفا، من أكابر أعلام الصوفية بمصر، ولد بالقاهرة عام 759هـ، وبها توفي عام 807هـ، من مصنفاته : الباعث على الخلاص في أحوال الخواص، والكوثر المترع من الأبحر الأربع، ومفاتيح الخزائن العلية، وغيرهم. أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 22 رقم الترجمة 315، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 6 ص 21، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 142، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 7.

(44) محمد وفا بن محمد بن محمد، من أكابر أعلام الصوفية بمصر، أصله من بلاد المغرب، له عدة مصنفات في التصوف منها : نفائس العرفان من أنفاس الرحمان، وشعائر العرفان في ألواح الكتمان، والأزل، والمقامات السنية المخصوص بها السادة الصوفية، والعروش، والصور، وغيرهم. وكانت وفاته رحمه ا عام 765هـ، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 21 رقم الترجمة 314، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 141، وفي الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 279، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 6 ص 206، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 37.

(45) أحمد بن محمد بن يونس الدجاني القشاشي، صوفي جليل، أصله من القدس من آل الدجاني، نزل جده يونس بالمدينة المنورة واتخذها موطنا له، وبها ولد حفيده صاحب الترجمة سيدي أحمد القشاشي، ومصنفاته تزيد على 70 تصنيفا، أغلبها في علم التصوف، منها : كلمة الجود في القول بوحدة الوجود، والدرة الثمينة فيما لزائر النبي (ﷺ) إلى المدينة، وكانت وفاته رحمه ا عام 1071هـ. أنظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 970 رقم الترجمة 547، وفي الرحلة العياشية ج 1 ص 407-429، وفي صفوة من انتشر للإفراني ص 119، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 1 ص 343، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 239.

(46) أنظر التعريف به في ج 2 ص 298-319 من هذا المؤلف.

الظهور، وليس المراد بالختم في هذا المقام ألا يظهر أحد بمنصب الولاية بعده كما قد يتوهم، وهذا المقام هو الذي ادعاه ابن عربي الحاتمي قدس سره إذ قال :

بنا ختم الولاية دون شك   بورث الهاشمي مع المسيح

تم رجع عنه لما علم أن كمال الظهور فيه لغيره، ولم يطلع على صاحب كمال هذا الظهور، فلذلك سماه كغيره بالمكتوم.

وتارة يقصدون بها خاتم الوراثة النبوية، بحيث لا يوجد بعده ولي ذو تصريف، كما يتصرف من على قدم نبي من الأنبياء قبل وجود هذا الخاتم، وهو الإمام العدل سيدي المهدي المنتظر، وأما الولاية من غير تصريف فلا تنقطع بعده، وأما خاتم الولاية على الإطلاق الذي لا يوجد بعده ولي فهو سيدنا عيسى على نبينا وعليه السلام.

وتارة يقصدون بها خاتم وجود الولادة، بمعنى أنه هو آخر مولود يوجد في النوع الإنساني، وهو مخصص بواحد قدمه على قدم سيدنا شيت عليه السلام، وهو حامل أسراره، وليس بعده ولد في هذا النوع، فهو خاتم الأولاد، وتولد معه أخت له، فتخرج قبله، ويخرج بعدها، ويكون رأسه رجليها، ويكون مولده في الصين، ولغته لغة بلده، ويسري العقم في الرجال والنساء، فيكثر النكاح من غير ولادة، ويدعوهم إلى الله فلا يجاب، فإذا قبضه الله وقبض مومني زمانه بقي من بقي مثل البهائم، لا يحلون حلالا ولا يحرمون حراما، يتصرفون بحكم الطبيعة شهوة مجردة عن العقل والشرع، فعليهم تقوم الساعة.

فعن سيدنا أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله(47)، وفي رواية لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله، وعنه (ﷺ) : إن الله عز وجل يقول لإسرافيل : إذا سمعت قائلا يقول الله الله فأخر النفخة أربعين سنة إكراما لقائلها، وعنه (ﷺ) : لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس(48)، من لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، يتهارجون تهارج الحمر، الحديث، ومعنى يتهارجون تهارج الحمر، أي يتدابرون، يقال بات فلان يهارج زوجته أي يجامعها، قال الأصمعي ومن إطلاق الخاتم أيضا على النهاية، والتمام الختم بالسعادة أو الشقاء على من قدر الله تعالى عليه ذلك وقضاه.

والخاتمة بذلك أخفاها الله على عباده ليكونوا بين خوف ورجاء غير آمنين من مكر الله، وإن بلغوا ما بلغوا في العبادة والطاعة، لأنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. وما قطع أكباد العارفين بالله إلا خوف سوء الخاتمة والعياذ بالله. ممن قدر الله عليه الشقاوة وختم عليه بها وإن استغرق عمره في الطاعة، ومن كتب عليه بالسعادة ختم له بها وإن عمل ما عمل من الزلات والعاهات، قضاء من الملك الفعال لما يشاء، سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

---

(47) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 202، وعزاه لأحمد في المسند، ولمسلم في صحيحه وللترمذي.

(48) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 202، وعزاه لمسلم في صحيحه ولأحمد في المسند.

أخرج الإمام البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : حدثنا رسول الله (ﷺ) وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويومر بأربع كلمات، بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد، فالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها(49).

وفي البخاري موفوعا إن العبد ليعمل بعمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل بعمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم(50).

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال : إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة.

والسر في إخفاء الخاتمة هو تخويف العبد وترهيبه لئلا يتكل على عمله أو يحقر غيره، أو يرى لنفسه المزية على غيره، ورضي الله عن الشريشي حيث قال في رائيته :

ولا ترين في الأرض دونك مومنا ولا كافرا حتى تغيب في القبر
فإن ختام الأمر عنك مغيب ومن ليس ذا أمن يخاف من المكر

لكن بحكم قدر الله تعالى وقضائه أن من سبقت له السعادة صرف الله قلبه إلى الخير بحكم الكتابة له به، ومن سبقت له الشقاوة والعياذ بالله كان بعكسه، ففي الحديث : اعملوا فكل ميسر لما خلق له(51).

وأكثر ما يمكر عند الموت بأرباب البدع وأصحاب الآفات الباطنية، والظلمة المجاهرين بالمعاصي، فتصيبهم عند الموت المصائب والمحن، وما ينتفي به ثبات القلوب من الأهوال والفتن، والعياذ بالله، ومن أرد الله به خيرا ألهمه إلى التوبة قبل الفوات، فتناله السعادة عند الممات، وقد قال عليه الصلاة والسلام : التائب من الذنب كمن لا ذنب له، فينبغي للعاقل أن يتوب إلى الله في كل وقت، وأن يحسن ظنه به عند الموت، ففي الحديث القدسي : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء، فهو سبحانه كريم يقبل توبة التائبين، ويعفو عن سيئات العاصين، لأن رحمته واسعة، ولازالت نفس إبليس اللعين فيها طامعة، تمسكا بقوله : ورحمتي وسعت كل شيء(52)، وهو من الأشياء، فما بالك بغيره ممن خلقه الله على الإسلام، وأسبل عليه موائد الإكرام، فكيف لا يغفر لمن استغفر من ارتكاب الخطايا والزلل، مع أنه كريم، ورحم الله بعض العارفين حيث يقول مخاطبا المولى جل علاه :

---

(49) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب بدء الخلق، ذكر الملائكة، رقم الحديث 3036.

(50) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، رقم الحديث 6128.

(51) أنظر صحيح الإمام البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى فأما من أعطى واتقى، رقم الحديث 4661.

(52) سورة الأعراف، الآية : 156.

أطمعتني بالجود حين برأتني	أفلا ختمت نعمة الإتمام
حاشا الكريم إذا تفضل منعما	مما يشين محاسن الإنعام

وأقول :

بالفضل منك خلقتني بك مومنا	وجعلت ديني أفضل الأديان
فبما استترت بعلمه يا سيدي	إلا ختمت علي بالإيمان

يا من لا تضره الذنوب ولا تنفعه الطاعة، هب ما لا ينفعك، واغفر لي ما لا يضرك، فإنك أكرم مسؤول، وأعظم مأمول، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

هذا ولنختم ختمنا ببعض فضائل العلم الشريف وأهله، رجاء أن يحشرنا الله في زمرتهم بمحض كرمه وفضله، فعنه (ﷺ) أنه قال : من سلك طريقا يطلب به علما سلك الله به طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه فقد أخذ بحظ وافر، قال (ﷺ) : من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يرده العلم إلى الله، ولباب من أبواب العلم يتعلمه الرجل خير له من جبل أبي قبيس ذهبا ينفقه في سبيل الله. وقال عليه الصلاة والسلام : من أكرم عالما كمن أكرم سبعين نبيا، ومن أكرم متعلما كمن أكرم سبعين شهيدا، ومن أحب العلم والعلماء لم تكتب عليه خطيئة أيام حياته.

وقال عليه الصلاة والسلام : من زار عالما فكأنما زارني، ومن صافح عالما فكأنما صافحني، ومن جالس عالما فكأنما جالسني، وأجلسه الله معي يوم القيامة، وقال عليه الصلاة والسلام : من عظم عالما فإنما عظم الله ورسوله، ومن تهاون بعالم فإنما ذلك استخفاف بالله ورسوله، وقال عليه الصلاة والسلام : من وقر عالما فقد وقر ربه، إلى غير ذلك مما ورد في فضله.

وكل ما ورد في فضل العلماء يدخل فيه المتعلم والمستمع والمحب، قال عليه الصلاة والسلام : العالم والمتعلم شريكان في الخير، وسائر الناس همج لا خير فيهم، وقال عليه الصلاة والسلام : الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما.

وقال عليه الصلاة والسلام : كن عالما أو متعلما أو مستمعا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك، وقال عليه الصلاة والسلام : حضور مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو.

ومجالس اللهو التي يلهو بها الإنسان فسيحة المجال، لا سيما والإنسان دائما مشتغل بالقيل والقال، وقد ورد في غفران مجالس اللهو أيضا ما ينبغي للعاقل أن يجعله في حقه فرضا، فمن ذلك ما رواه الإمام الترمذي وغيره أن رسول (ﷺ) قال : ما جلس أحد في مجلس فكثر به لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه : سبحانك ربي ظلمت نفسي وعملت سوءا فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، إلا غفر الله له ما فعل في مجلسه.

وعن سيدنا علي كرم الله وجهه : من أراد أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر، فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

كملت بحمد الله في يوم الخميس 13 رمضان المعظم عام 1321 من هجرة ذي الجناب الأفخم، (ﷺ) وعلى آله وصحبه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم.

رسالة الثناء الأحمدي التجاني

على مظهر الفتح مولانا الشيخ فتح الله البناني

(لمؤلفها)

الفقيه العلامة الأجل السيد الحاج أحمد بن الحاج العياشي سكيرج

التجاني رعاه الله

تحقيق

ذ. محمد الراضي كنون

باسمك اللهم أفتح، فقد تعودت منك الفتح اللدني بلطفك الخفي في فتح باب كل صرح، فلا يتوقف فيما انغلق من سره على شرح. والصلاة الجامعة لجميع صلات الحق، على سيد الخلق، مع السلام الدائم عليه. وعلى كل من منه وإليه، وأخص من روح حضراته تحية زكية، على ذوي النفوس الذكية، الذين شربوا من عين صفاء التصوف، ورتعوا لما ذاقوا المعنى في روض مغنى التعرف، وبالأخص منهم شيخ الطريقة الفتحية، أخانا في الله المنطوي صدره على خالص الود. في القرب والبعد، الحائز لسر الخصوصية، فتح الله الرباني، القطب (سيدي فتح الله البناني(1)) رضي الله عنه وعن شيخي الختم الأكبر التجاني، الذي بحبه ربطت حبلي بحبل الحب في جميع أهل الله. وبصدق الحب فيه انكشفت لي الحجب عن خصوصية من عرفته من أهل الله، فأنا منهم وإليهم بحمد الله، وأعوذ بالله من قول أنا إلا تحدثا بنعمة الحب في الله لله. لأكون ممن أعاذه مولاه الذي عرفني بمقامكم يا سيدي فتح الله.

وإني لأكتب إليكم في هذه السويعة الضيقة جوابا عن رقيمكم الكريم، ويدي ترتعش خجلا من مخاطبة مقامكم الرفيع، ولولا الوارد الذي أزعجني لكتب ما أنا أخطه بيدي إليكم لوقفت أمام مكاتبتكم موقف الحيران، الذي لم يفصح عما يختلج في صدره من الأسرار التي توجب عليه الكتمان، ولكنني أفشي لكم ما تجدونه من نفسكم من صدق محبتي في جانبكم الذي أعترف فيه لكم بالمزية الكبرى والكرامة العظمى، التي أثارت إخلاص المودة بيننا، فانكشف الغطاء عنا باحترام الجانبين، اللذين اتصلت وصلتهما في الله بين القلبين بلا مين ولا بين. بل اتصلت ولا تزال متصلة بيننا إن شاء الله حتى يقر الله بها أعيننا، فإنكم غرفتم من بحر المعرفة ما غرفتم، وعرفتم من الأسرار الخاصة بكم ما به طأطأ الجلة لكم رؤوسهم إجلالا لما عرفتم، وما أنا بجاحد لخصوصية خصكم الله بها من أخلاق سنية، وشمائل سنية، ومقامات عالية، ومناقب غالية، حملتكم على التنزل مع أمثالي، ولم يمنعكم تنزلكم من زرع حب المودة بين ربعي النازل وربعكم العالي، فحركتم منا البواعث للجواب عما بدأتمونا به من خطابكم المعسول، مصحوبا بهديتكم التي هي بعض تآليفكم التي بهرت بما فيها العقول، فهي للمعتقد أكبر غنيمة يذخرها. وللمنتقد أوضح كرامة لا ينكرها، جزاكم الله خيرا.

---

(1) فتح ا بن أبي بكر بن محمد بن عبد ا بن محمد بن عبد السلام بناني، صوفي جليل، ولد بمدينة الرباط عام 1281هـ، وبها توفي في 11 محرم الحرام عام 1353هـ، موافق عام 1933م، ودفن بزاويته بالسويقة بالرباط، وقد أخذ الطريقة الشاذلية الدرقاوية الدباغية عن أصحاب والده العلامة الصوفي أبي بكر بن محمد بناني، فنبغ فيها حتى أصبح واحدا من خيرة شيوخها، وله مؤلفات قيمة منها : المجد الشامخ فيمن اجتمعت بهم من أعيان المشايخ، وتحفة أهل الفتوحات والأذواق في اتخاذ السبحة وجعلها في الأعناق، وإتحاف أهل العناية الربانية في اتحاد طرق أهل ا وإن تعددت مظاهرها الحقانية، وخلاصة الوفا في مقدمة الشفا، وفتح ا في مولد خير خلق ا ، وتحفة الأحباب فيمن تكلم في المهد بالأمر العجاب، والنصيحة الوفية، وتحفة الأصفياء في بيان القول بعصمة الأنبياء، وغيرهم.

ومدح الشيخ فتح ا بناني بقصائد كثيرة منها قصيدة لتلميذه سيدي أحمد الزعيمي قال في مطلعها :

إن شئت أن تحضى بفتح ا   فاسلك سبيل الشيخ فتح ا

ومنها قصيدة لمصطفى ملين قال في مطلعها :

مواهب فتح ا أهدت لنا البشرى   هنيئا لمن قد جاء يسمع أو يقرا

ولتلميذه محمد بن أحمد سباطة تصنيف في ترجمته سماه : الفتح الرباني في التعريف بالشيخ فتح ا بن أبي بكر البناني، أنظر ترجمته في أعلام الفكر المعاصر لعبد ا الجراري ج 2 ص 377، وفي معجم المطبوعات لسركيس 589، وفي طبقات الشاذلية للكوهن الفاسي 174-188، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 134.

وإني لا ألوم من جحد سر الخصوصية بعد الكشف له عنها، ولا من أنكر اللطائف العرفانية إن لم يذق منها(2)، على أنه ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي حسدا، فلا يهمكم المنكرون على الطرق، وإن صعدوا لأعلى الأفق، فقد تحققتم بمقامكم فلا يضركم مقال، وجليتم على أبهج المجالي فلا يغر محبيكم من جال بالإنكار على الصوفية في أفسح مجال. فبأمثالكم في هذا العصر يحق الإقتداء، لطالبي الاهتداء، وبأمثالكم يؤيد الله طريقة القوم، في اليقظة وفي النوم، فقد ظهرتم في أبدع مظهر قصمتم(3) فيه ظهر كل منكر. يحسب المعروف من المنكر، ولعله مشغوف بأن يكون له مثل ما أنكر. وقد حيل بينه وبين ما اشتهاه من ذلك، فهو ينكر ما هنالك، وما هو بمدرك لمناه، حتى ينهض من درك حضيض(4) النفس المنحط به في مهواة رداه، وما دام لم يتب من سوء ظنه لم يوفق للإعتقاد في أمثالكم الذين يأخذون بأيدي المريدين لنيل المراد، فإنكم ممن تضرب لكم أكباد الإبل من أقصى البلاد، لطلب الرشاد المصلح للعباد، ترشدونهم بالحال والهمة، وتعرفونهم من الله بحق النعمة، ومثلكم من يرقي بالنظرة الأولى، ويمد محبيه من المدد الخاص والعام باليد الطولى.

وقد شاهدت من مكارم أخلاقكم ما أوجب علي أن أشكركم عليه ليكون لكم إعلامي به عونا على أداء حق شكر من منحكم بذلك (وقليل من عبادي الشكور)(5) فالحمد لله الذي وفقنا لذلك من غير تعمل، ولا مداهنة في التذكير بنعمة الله في أيام الله، ولقد كنت حدثتكم بما كان حدثني به مفتي الحضرة الفاسية، مؤلف المعيار الجديد، أبو عيسى الشريف العمراني سيدي المهدي الوزاني(6)، عمته الرحمة، مما يدل على علو المكانة التي تمكنتم فيها منذ أعوام، في المشهد العظيم

---

(2) الإشارة هنا لأبي عبد ا محمد بن محمد بن المؤقت المراكشي، حيث كان من تلامذة الشيخ فتح ا البناني المواضبين على محبته والملازمين لورده وأذكاره، لدرجة أنه صنف في ذلك كتبا منها : معارج المنى والأماني في التعريف بشيخنا القطب مولانا فتح ا البناني، ونتائج الأفكار الحقية في مدح الطريقة الفتحية، وغيرهما من التآليف الأخرى المتعلقة بالتصوف.
لكنه سرعان ما انقلب ضده، وأنكر عليه، ونسبه للبدعة في كتابه الأخير المسمى : الرحلة المراكشية ومرآة المساوي الوقتية، ولم يكتفي بالإنكار على شيخه المذكور بل تمادى في الإنكار فيه على مجموعة من الطرق الصوفية بالمغرب، ولهذا رد عليه العلامة سكيرج مفندا ادعاءاته الباطلة، وترهاته الزائفة، بتأليف سماه : الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوي الوقتية.

(3) قصمتم : كسرتم.

(4) حضيض : القرار من الأرض عند أسفل الجبل، وهو مفرد أحضة وحضيض، وعند أهل الهيئة هو النقطة المقابلة للأوج.

(5) سورة سبأ، الآية : 13.

(6) سبق التعريف به في هذا الكتاب ج 1 ص 40.

الذي شاهده في رؤيا صالحة(7)، والرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له، وقد رآها لكم وهو صالح، وهي في حقكم سر واضح، وقد ضمنتها في الأبيات التي واعدتكم بإنشائها في حقكم، فجاءت على قدر، من غير إتعاب نظر، بتحريك همتكم لهمتنا، وتذكيركم لنا بالوفاء بالعهد، فبرزت بكر فكر، تجر ذيول الفخر بثنائها على محاسنكم، راجيا أن تحل لديكم محل قبول، مسلما عليكم نجلنا عبد الكريم بأتمه، وسأكتب للأخ(8) بطنجة بما حملتمونا من سلامكم عليه، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وعلى كل من هو منكم وإليكم، من محبكم المخلص خديم الحضرة التجانية أحمد سكيرج التجاني، عامله الله باللطف، وأحيا قلبه يوم تموت القلوب، محفوفا برداء العافية دنيا وأخرى مع أحبائه آمين، ونص الأبيات :

لي الله إني في الورى أفقر الخلق ... ومن كان مثلي لا يعاند في الحق

أنا في العلى توجت تاج عناية ... بحبي أهل الله والله بالصدق

وعن مبدئي ما حدت(10) في حبهم إلى ... معاداتهم لم لا وهم سادة الخلق

وقد نلت مقصودي بصدق ولائهم ... ومدحي لهم في الخلق قد صار من خلقي

وإني لتجاني الطريق حقيقة ... بقلبي ثوى الحب الحقيقي في الطرق

أدافع عن أهل الولاية بالتي ... بها صار لي صيت لدى الغرب والشرق

لقد علم القوم الذين اعتنوا بهم ... بأني في ميدانهم فزت بالسبق

وقد علم القوم الذين تحزبوا ... عليهم بأني كالشجا قام في الحلق

وكم من جسور(11) بينهم قد أذقته ... مرارة إنكار به صار كالزق(9)

قد انتفخت أوداجه وتوترت(13) ... دواخله وانفش من علة الخرق(12)

ولست أوالي المنكرين لهم ولو ... على يدهم قد كان قدر لي رزقي

فيا أهل ودي والولاية شأنها ... عظيم برغم المنكرين على الطرق

هلموا بنا نسعى لربط قلوبنا ... بحبل إخاء دام بالحق في الحق

---

(7) قال العلامة سكيرج في كتابه الحجارة المقتية لكسر مرآة المساوى الوقتية ج 2 ص 75 ما نصه : ولقد كان أخبرني مجيزنا مفتي الحضرة الفاسية العلامة الشهير أبو عيسى الشيخ سيدي المهدي الوزاني رحمه ا برؤيا كان رآها في حق الشيخ سيدي فتح ا البناني في مشهد حفيل بمكة المشرفة، وكان الحاضرون في تلك الرؤيا يتفاوضون فيمن يتفقون على انتصابه في منصب القطب الذي خيل له أن توفي في وقته، وبينما هم في المفاوضة وهو يرى ويسمع في تلك الواقعة إذ دخل عليهم الشيخ فتح ا البناني المذكور، فقالوا هذا هو القطب، واتفقت كلمتهم على توليته بختم الفاتحة عليه، فاستيقظ مجيزنا المذكور فكان من المعتقدين فيه منذ رأى تلك الرؤيا، ولم يخبره بها، فأخبرته بها، ففرح بذلك فرحا تاما، واقترح علي تضمين ذلك في أبيات عسى أن يحقق ا رجاءه بتلك البشارة.

(8) المراد به سيدي محمد بن العياشي سكيرج، وقد سبق التعريف به في ج 1 ص 33 من هذا المؤلف.

(9) الزق : يقال كبش مزقوق، أي سلخ من رأسه إلى رجله.

(10) حدت : ملت.

(11) جسور : متطاول.

(12) الخرق : هو أن لا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور.

(13) توترت : انفزعت.

ونرمي وراء الكل حقدا أثاره ... هوى لم يزل يعمي ويصمي ذوي المذق(14)

فإن تختلف منا المشارب نتفق ... على نشر علم الدين فهو لنا المرقي

ونربط بالحبل المتين قلوبنا ... وندخل حصننا دائما غير منشق

وننظر للأشياخ من أهل عصرنا ... بعين الرضى إن الرضى مظهر الحق

فإنا نرى فيهم محاسن ما محا ... سناها مرور الدهر بالألسن الذلق(15)

وقد غير الإنكار منكم قلوبهم ... وتغييرها مازال متسع الخرق(16)

متى خارق العادات يرقيه منكم ... جميل اعتقاد يذهب الفتق(17) بالرفق(18)

فما اتحدت يوما قلوب تنافرت ... بسوء اعتقادات تصد عن الحق

وما اتخذت للحق قوم وسيلة ... لدى الحق إلا أحرزوا قصب السبق

فأما أناس عاندوا الحق جهرة ... فإن الذي حازوا يرى خلب(19) البرق

وعما قريب يفقدون سناءه ... ولا يبصرون الحق في سائر الطرق

لعمري لقد سار الشيوخ على هدى ... وكلهم يهدي إلى الحق بالحق

وإن تكن الأغراض منهم لواحد ... فإعراض بعض الناس عنهم من الحمق

ووالله فتح الله ما ناله امرؤ ... غدا بانتقاد غرسه بالهوى مسقي

ولكن فتح الله يحظى به امرؤ ... يسالم أهل الله في الناس بالرفق

ويعطي لفتح الله بالحق حقه ... فقد جاء بالفتح المبين لذي الصدق

هو الشيخ بناني الذي في العلا بنى ... منار هدى قد شاده في ذرى الطرق

أجل فهو فتح الله في العصر منقذ ... لأصحابه في المجد أضحى لهم يرقي

تآليفه تنبيك عن حسن نية ... لها همة ترقي وللجهل لا تبقي

ومجلسه لو أنت يوما حضرته ... سكرت به في حضرة الجمع والفرق

يسليك عما أنت تلقاه من أسى(22) ... بما لك يلقي من فنون بها مسقي

معارفه تشفي الكروب وإنها ... لمن عاندوه من جحودهم(20) تشقي

أنا لي اعتقاد فيه مع حسن نية ... أنال بها سرا على رمقي(21) مبقي

ولي حسن ظن دام في كل ما ولي ... لكوني تجانيا أحب ذوي الحق

وقد حضني شيخي على حب مثله ... وحبل كمال الحب لازال في عنقي

---

(14) المذق : المماذق هو غير المخاص.

(15) الذلق : لسان ذلق أي طلق.

(16) الخرق : الممزق.

(17) الفتق : الشق بمعنى التفرقة، وشق عصا الجماعة ووقوع الحرب بين أهلها.

(18) الرفق : اللطف ولين الجانب.

(19) خلب : البرق الخلب بمعنى المطمع المخاف.

(20) جحودهم : إنكارهم مع العلم.

(21) رمقي : بقية حياتي.

(22) الأسى : الحزن.

وفي فتح الله عندي شواهد ومنها مزايا لا تسطر في رق(23)
وإني إذا كلفت نفسي حصرها انقضت دون إحصائي بعدي لها ورق
فقد حدثتني سادة بمقامه وما كان منهم واحد نافخ الشدق(24)
وحدثني المفتي بفاس أبو الهدى المؤلف للمعيار عن سره المرقي

فقال لقد شاهدت نفسي بمكة وجمعا يرى من سادة الغرب والشرق
قد اجتمعوا والنور يعلو وجوههم لأمر عظيم نوره ضاء في الأفق
وقالوا من المختار منا نخصه بميراث قطب الوقت بين ذوي السبق
فقد مات قطب الوقت والقطب سره عظيم عديم المثل بين ذوي الطرق
فقالوا جميعا نحن نختار بيننا لذلك فتح الله في طرق الحق
وأقبل فتح الله حينا عليهم وقاموا له مستبشرين ذوي رفق
وقالوا له بشراك نلت مزية فأنت بها ترقى وأنت بها ترقي
لتحي طريق القوم ما طلب الهدى مريد وحاز الفتح في الناس ذو صدق
ولا زال فتح الله بالسر فاتحا خزائن أسرار بها نافع الخلق
ويهدي لهم ما صار يهدي به إلى رضا الله في الدارين في الغرب والشرق
وها بكر فكري طبق وعدي زففتها(25) له وفق ما يرضى مطوقة العنق
تجر ذيول الفخر لما تجردت(26) بحق عن الأغراض في الحب بالصدق
وما لي ما أهدي إليه سوى الدعا وغير الثنا مما إليه أنا ملقي
ليحيا رفيع القدر بين ذوي الهدى فيحيا به نهج التصوف بالحق
ومني سلام عم أهل وداده بكامل سر لا يعبر بالنطق

فهذه نفثة مصدور صدرت، لا عن روية، ولكن عن حب خالص، من محب مخلص في محبتكم بين أهل الله، وأرجو أن تدوم خالصة غير ناقصة، ونحن على العهد نرعى الذمام، وعلى الأخوة في الله والمحبة والسلام(27).

عبد ربه أحمد سكيرج التجاني أمنه الله

---

(23) رق : جلد رقيق يكتب فيه.
(24) الشدق : طفطفة الفم من باطن الخدين.
(25) زففتها : أهديتها.
(26) تجردت : تعرت.
(27) طبعت هذه الرسالة على نفقة المبعوث بها إليه، الولي الصالح العلامة الشيخ سيدي فتح ا البناني، وكان ذلك بالمطبعة الوطنية لصاحبها عباس التناني، بدرب الفاسي بمدينة الرباط، عام 1349هـ - 1930م.

ƷǉǏة المǈƬود بǄƥحǂة مƯ ƨǏدǎ محمود

ƜǀǏƹ ƦƴǺمة الحاƚ ǈحمد ƨǀǏƥƚ

تحƾǏƽ ذ. محمد الƥǀƮي اǼوǽǅ

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

نحمدك يا من لا جميل إلا جميله، ولا منة لأحد سواه، فكان هو المتفضل على عبده، وهو وكيله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة والسلام على من جعله الله واسطة في كل نعمة، فكان بين الخلائق عين الرحمة.

لولاه ما خلق المولى خلائقه ... ولا أتته بحال منه نعماه

وعلى آله أهل الكمال، وأصحابه أولي الجمال والجلال، وعلى التابعين لهم بإحسان، ما تعاقب الملوان، مدى الأزمان، ورضي الله عنه شيخنا معدن الفضل والجود، وبحر السر الساري في الوجود، القطب الرباني، خاتم الأولياء، خليفة ختم الأنبياء، سيدنا ومولانا أحمد التجاني.

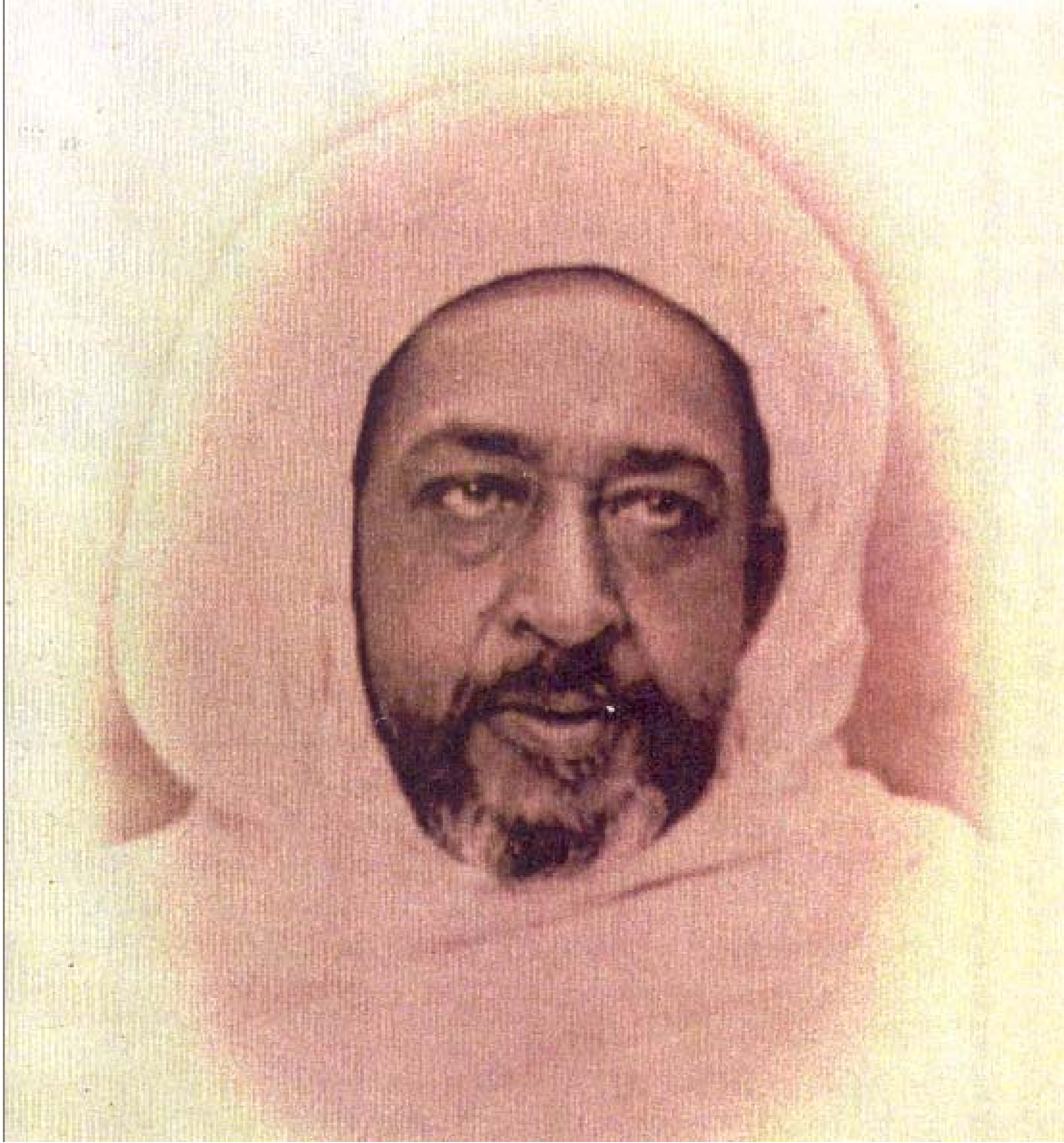
من نوره عم الوجود فأشرقت ... بسناه كل دجنة وظـــــلام

وغدا بإرث الهاشمي محمـد ... فردا تسامى فوق كل مقام

ورضي الله عن أصحابه وأحبابه، وكل من تعلق بأذياله، أو تمرغ بأعتابه، ونسأل الله تعالى أن يجعلنا في زمرته، ويمنحنا بكامل عطفته، وأن يقبل علينا، على أي حال كنا، وأن يسبل علينا ستره الجميل، ويمدنا بسر من أسراره، فنكون من الذين ظفروا بربح الدنيا والأخرى، ونالوا أجرا لم يرى مثله من العمل الصالح ذخرا، طالبين من المولى جل اسمه وجلت قدرته، أن يحف برداء الحفظ والسلامة، ويمد بموائد الإكرام والكرامة، حضرة من أسمى الله مقامه، ونشر في أفق السعادة أعلامه، حفيد سيدنا، وارث سره، مجمع شتات الفضل والجود، من بين الوجود، برزخ بحري العلم والولاية، من فاق سواه في البداية، من فضله بين الورى مشهود، سيدنا ومولانا محمود(1)، بن سيدنا ومولانا البشير بن سيدنا ومولانا الحبيب بن سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله وجميع المحبين منهم بأعظم الأواني، وهو على ذلك قدير، وبالإجابة جدير، وبعد : فيقول العبد الذي لا زال على فضل ربه يعرج، أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، غفر الله ذنبه، وستر عيبه، مع أحبابه وإخوانه، ورفقائه وأعوانه.

---

(1) البركة الشريف سيدي محمود بن سيدي محمد البشير بن سيدي محمد الحبيب بن الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا تعالى عنه، ولد بعين ماضي عام 1297هـ، وتوفي بالأغواط في 14 محرم الحرام عام 1353هـ، وكان عمره عند وفاته 56 سنة، ونقل من الغد إلى عين ماضي حيث دفن داخل ضريح جده سيدي محمد الحبيب رضي ا عنه، انظر ترجمته في قدم الرسوخ، للعلامة سكيرج رقم الترجمة 56، وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1 ص 90.



صورة للشريف البركة سيدي محمود نجل سيدي محمد البشير بن سيدي محمد الحبيب بن القطب الرباني الشيخ أبي العباس التجاني رضي الله تعالى عنه

بمهجته، شاكرين لرفيقه الأسعد، الراقي للمقام الأصعد، خديم سيدنا وخديم أولاده، من فضله بين الخلائق ظاهر وبادي، حبيبنا وصفينا، ورفيع المكانة من قلوبنا، سيدنا الحاج محمد دادي، فقد أتانا بهذه الذخيرة التي لم يأتنا بها غيره، من حيث أنه عمنا بسببها خيره.

ولو أننا قمنا بشكر جنابــه   على ما لنا أسداه لم نوفه شكرا
أتانا بمحمود المساعي وإنه   حميد خصال دام في أفقه بـدرا

ذكر قدوم سيدنا محمود للحضرة الفاسية(1)

وكان قدومه لهذه الحضرة الفاسية في يوم السبت 17 شعبان عام 1329هـ، فازدهت فاس بقدومه ووصوله، وبلغ كل واحد من أهل الفضل من سكانها بطلبه وسوله، فكانت هذه الأيام التي قضاها في هذه الحضرة مواسم خيرات، لم تمضي مثلها منذ حياة جده سيدنا قطب الأقطاب إلى هذه الأوقات، فكانت الناس ترد لزيارته أفواجا أفواجا، وسلكوا منها سبلا فجابا، فيعود كل واحد منهم قرير العين، ظافرا بالمقصود من غير مين، وقد كنت استعملت صباح يوم قدومه بزاوية سيدنا رضي الله عنه حين كنا ننتظر دخوله بها، واستحضرته داخلا للضريح الشريف، فقلت مخاطبا سيدنا رضي الله عنه هذين البيتين :

أتيت بسبطك مستشفعـا   وها هو قدمته للشفاعـــــة
لتشفع لي عند ربي في   بلوغ الأماني ونيل الشفاعة

وقلت هذين البيتين أيضا في تلك الساعة :

يا رب بالقطب التجاني الرضى   وبأصله وبنسله الأطهـــــــار
كن لي وللأحباب في الدنيا وفي   الأخرى منيلا سائر الأوطار

ذكر قصيدتين في الترحيب بقدوم سيدنا محمود

وقد كنت هيأت قصيدتين قبل دخوله بيومين، أنشدهما عشية اليوم الثاني من الدخول صاحب السماع المطرب، والصوت اللذيذ المعجب، الشريف سيدي علال المنصوري، أحد مسمعي الزاوية، نذكرهما هنا بمناسبة الموضوع، نص الأولى :

---

(1) يوافق التاريخ الهجري المذكور لقدوم سيدنا محمود لمدينة فاس شهر أكتوبر 1911م، وكان المغرب يعيش في تلك الفترة ظروفا قاسية على الكثير من الأصعدة، خصوصا الصعيد الأمني، حيث كثرت الفتن والإنشقاقات بين القبائل المجاورة لفاس، وحما وطيس النزاع بين المغرب وفرنسا التي كانت أطماعها الإستعمارية تزداد يوما عن آخر رغبة في بسط سيطرتها على ربوع المملكة، وعرفت هذه السنة أهوالا كبيرة، ووقائع دامية شهيرة، كأحداث الدار البيضاء ووجدة والعرائش وغير ذلك.

أخلاي هذا اليوم يوم سعـيـــــــــــد يحق لنا فيه الهناء المزيـــــــد
ولم لا وفيه قد أتى لـبـلادنـــــــــا حميد فعال من علاه يـزيـــــد
سليل التجاني الختم حامي مريـــــده ومانحه بين الورى ما يـريـــد
متوج من تيجانه تاجـه الـــــــــذي تنظم فيه در سر نضـيـــــــد
فأصبح في أولي المراتب سـيـــــــدا له طأطأت(2) أهل العلا والعبيد
فأعظم بمحمود سمي مقامــــــــــه بأوج العلا بين الأنام مـجيـــد
يكاد له القطب التجاني يقوم مـــــن ضريح له لما أتــى يستعـيـــد
أتى يستفيد بالزيارة منــــه مـــــا به حصنه في الأولياء مـشيد(3)
ولولا فإن الناس يفتنـون مـــــــن خوارق عادات لـقام يـفيـــد
يميد دلالا في بساط احتفالـــــــــه له بالذي منه عداه تـبـيـــد(4)
ولا عجب إن قام من قبـره لــــــه ففي قبره لا شك حـي شهيـــد
وهذا ابنه قد جاءه لـــيـــــــــزوره ومنـه لـه نـور عليـه مـديـد(5)
يمد له من سره مددا ســـــــــــرى لمن عنه في الإمداد ليس يحيـد
وعم بأسرار تسر محـبــــــــــــه وخص بسر الحق عنه المريـــد
فيصبح ميمون الطليعة عـنــــــــــده يلقن وردا لم يحزه طـريـــــد
ولكنه ما حازه غيـــر مجتـبـــــــي وما ناله إلا مريد رشـيـــــــد
فطوبى لمن أضحـــى به متـمسكـــا فيغدو بحفظ الله وهـو سـعيـد
فيا ابن إمام الأوليـــــاء وختمهــــم ومن سره في العالمين وحيـــد
ليهنك يا مولاي منـــــه زيـــــــارة بها يومنا المشهود في الناس عيد
ويهنك طول الدهر منـه وراثـــــــة بها أنت محمود وأنت حمـيـــد
فلا زلت يا مولاي ملحوظ جانـــــب وأنت لنا مولى ونحن عبـيـــد
وتمنحنا منك الدعـــاء بعطـفــــــة بها نورك المقصود منا نـريـــد
فنحظى بما فيه رضا الله دائمـــــا ونحرز في الدارين خيرا يزيـــد

ونص الثانية

أتى السرور الذي كنا نراقبـــــه أهلا بمن هو بين الناس جالبـــه
فأذهب الغمة(6) التي بها ذهلـت عقولنا والحبيب زال حاجبـــــه
فلا ترى اليوم إلا فارحا جذلا(7) من كل ورد له صفت مشاربـــه
وقد أقامت له الأفراح نوبتـهـــا والدين بين الورى ضاعت مذاهبه
واستبشر الكل بالنجاح حين أتــى لغربنا ابن بشير عـز جانـبـــه

(2) طأطأت : خفضت رأسها.
(3) مشيد : مرفوع
(4) تبيد : تهلك
(5) مديد : طويل
(6) الغمة : الحزن والكرب
(7) جذلا : فرح فرحا كثيرا

نجل التجاني الذي تجاه روضته   اتجاهه فأتت له مواهبه
فكان محمود سعي والرباح له   في قصده وبه تقضى مطالبه
يكاد لما أتاه أن يقوم له   من أجل إجلاله لما يقاربه
أعظم به سيدا تعنو الرؤوس له   مهابة وبه يجل صاحبه
يرقى مراقي عز من يبر به   ومن يعانده المولى يعاقبه
ومن له قد عنا(8) يحظى بكل هنا   ومن يحاربه المولى يحاربه
فإنه الجامع لكل مفخرة   وكل حمد ومدح فهو كاسبه
فمنذ شب كبدر وهو في شرف   تزاحم الرتبة العليا مناكبه(9)
حتى تجلى على كرسي جلالته   بين الورى وعلت فيهم مراتبه
لولا تنزله من بينهم أدبا   ما كان يقدر أن يراد طالبه
ألقى الجمال عليه والبها حللا   وبالجلالة قد حفت مراكبه
بدا بأوج العلا بدرا تضيء به   في الدين من كل منهاج غياهبه(10)
يا ابن الذي لعلاه الأولياء عنت   ولا ترى رتبة منهم تقاربه
فكان منفردا في رتبة صعدت   في أوج مجد ولا ينهد(11) جانبه
له كمال ظهور في ولايته   والفوز أضحى يرى لمن يصاحبه
من نوره غدت الأنوار مشرقة   وقد أحاطت بأسرار مناقبه
فلا تعد لمن يريد يحصرها   وكيف تحصر في الدنيا عجائبه
أنت ابنه وحباك منه نظرته   فأنت وارثه حقا ونائبه
لا شك أن المحب أنت مانحه   سرا وكل حسود أنت سالبه
ورثت لما أتيت منه سر هدى   ما ناله قبلك امرؤ يراقبه
فأنت كهف أمان جئت تأمننا   من الزمان الذي عمت مصائبه
لو لم تكن أنت محمودا لما سعدت   فاس بفتح قريب أنت جالبه
فدم وقدرك محفوظ وفعلك محمود   وورد قد لذت مشاربه
والدهر يخدمكم والسعد يلحظكم   وكل من جاءكم تنفى معايبه
ونسأل الله أن يحف(12) مجمعنا   بجاهكم بقبول عز جانبه
وأن يديم علينا ستركم فنرى   كمال فضلكم تعلو مراتبه

---

(8) عنا : خضع
(9) مناكبه : مجمتع رأس الكتف
(10) غياهبه : جمع غيهب وهو الظلام الشديد السواد
(11) ينهد : ينكسر وينحط
(12) يحف : يحدق

قصيدة الأديب السيد الحسن بنونة
في تهنئة سيدنا محمود بالقدوم

وقد استعمل الأديب الأريب، السيد الحسن بنونة قصيدة تائية في تهنئة سيدنا محمود رضي الله عنه بالقدوم، وتهنئة الإخوان بالنظر لوجهه الشريف، نذكر منها بعض ما اتزن لمناسبة الموضوع، يقول في مطلعها :

إلى بابكم يأوي الفقير أسادتـــــي	ومنكم ينال المرء كل سعـــادة
فأنتم كرام لا يخيب نزيلكـــــــم	وأنتم ذوو الإحسان أهل سيادة
وأنتم شموس الكون أنجم الإهتدا	بنور هداكم يهتدى من جهالـة
أيا آل بيت المصطفى جل ذكركم	منحتم من المنان كل كرامـــة

ثم قال :

على ودكم حضت أحاديـث جدكم	وفي حبكم فوز بكل سـعــــــادة
محبتكم آل النبي غنـيـمـــــــة	وخدمتكم آل النبي خير طـاعـــة
موالاتكم آل النبي كـرامـــــــة	من الخزي والخسران يوم القيامـة
فيا سعد من أضحى خديم جنابكم	يحوز بفضل الله أعلى مكـانـــــة
ولا سيما من رام خدمة من عـلا	على كل ذي قدر بمحض عنـايـــة
ممد جميع العارفين ومن رقــــى	مقاما رفيعا لا يـحـد بـغـايــــة
وخاتم رتب الأوليا فهو خـاتـــم	لأعلى مقام لا لختـم الـولايــــة
وذلك فضل الله يؤتيه من يشـــا	برغم على أنف لأهل الـغـوايــــة
ملاذي وأستاذي التجاني ابن سالم	فذاك أبو العباس كهف السماحــــة

إلى أن تخلص لمدح سيدنا محمود وقال :

به الكون يسمو والعوالم تزدهي	به تفخر الأيام في كل ساعــــــة
تلقى له الأصحاب يوم قدومـه	فما مثله عيد لأهل العنـايـــــــة
ترائ لنا يوم اللقاء كـأنــــه	هلال له نور عظيم الإضــــاءة
له طلعة غر تلألأ نـورهـــا	تفوق على شمس الضحى بوضاءة

إلى أن قال :

أسيدنا المحمود حق لك الهنــــا	توالت لك الأفراح يا نجل سادة
جمعت صفات الحسن خلقا وخلقة	بحلم وإحسان وحسن بشاشـــة

إلى آخرها وهي طويلة، وقد انتقيت بعض ما هو موزون منها، ولصاحبها الباع العريض في عمل القصائد الملحونة، وفيه نجابة تامة، غير أنه لو أتم ذلك بقراءة علم العروض لكان جامعا لفن الموزون والملحون، ونسأل الله لنا وله بجاه هذا السيد العظيم المقدار، أن يفتح لنا باب الفتح الموصل لذخائر الأسرار.

تزوج سيدنا محمود بأخت رفيقه الحاج محمد دادي

ثم إن سيدنا محمودا رضي الله عنه بعد استراحته استعمل العرس بالوردة المكنونة، الياقوتة المصونة، سليلة العلم والأدب، الحسيبة الأصل والنسب، الفاضلة المجيدة، مليكة أقرانها كالدرة الفريدة، أخت المحب الصادق، والرفيق الموافق، التاجر الأبر، سيدي الحاج محمد دادي، وقد عقدنا الصداق عليها مع الفقيه الوجيه السيد الحسن مزور(13)، الذاهب للحج في هذه السنة المباركة، وقد أنعم الله على المحب الصادق سيدي الحاج محمد دادي، بأن كمل الله مقصوده بالمصاهرة مع سيدنا محمود، وذلك سعي محمود، وهذا السيد له أدب فائق، وخلق رائق، يعاشر الناس كلا بما يليق به، وما خالط أحدا إلا وأحبه، وكفاك في مزيته التي اختص بها عن غيره، وهي إكرام أهل القطر المغربي عموما، والإخوان التجانيين خصوصا، بإتيانه بسيدنا ومولانا محمود، سبط سيدنا قطب الوجود، وهو أول قادم من أولاد سيدنا رضي الله عنهم لهذا القطر، منذ سفرهم منه بعد وفاة سيدنا رضي الله عنه.

ولا شك أنه من خاصة أحباء سيدنا رضي الله عنه، وأحباء أولاده، حتى اختاره سيدنا محمود رضي الله عنه رفيقا له دون غيره من سائر الإخوان، لما انطوى فيه من صادق الحب والمودة التامة لهذا الجناب، طبق ما هو معروف لدى العموم، من إخوان الوطن وغيرهم، وقد اختاره لرفقته معه والده المقدس، صاحب المقام الأنفس، خليفة جده التجاني في إرشاد العباد، والوارث سره من بين أهل الرشاد، العارف الكبير، سيدنا ومولانا محمد البشير، حسبما وصفه بذلك في الكتاب الموجه لفقراء زاوية فاس، المؤرخ قبل وفاته بنحو تسعة أيام، معلما فيه بقدومه لهذا القطر، وموصيا على البرور بابنه المذكور، ومودعا لهم، كأنه يخبرهم بانتقاله لدار البقاء، ولم يصل هذا الكتاب حتى ورد الخبر بوفاته رضي الله عنه وأرضاه. ونصه :

---

(13) العلامة الفقيه المقدم سيدي الحسن بن عمر بن الحاج إدريس مزور، ولد بمدينة فاس في شهر جمادى الثانية عام 1286هـ، وبعد حفظه للقرآن الكريم دخل لجامعة القرويين عام 1302هـ، فأخذ بها عن مجموعة من أكابر العلماء، في مقدمتهم العلامة الشريف سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، والعلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، والفقيه سيدي محمد بن التهامي الوزاني، والعلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي، والعلامة سيدي التهامي كنون وغيرهم.

وتلقد رحمه ا بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد الفقيه سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون، وهو الذي أجازه فيها أولا، ثم أجازه فيها بعد ذلك العلامة الولي الصالح سيدي العربي بن إدريس العلمي اللحياني الموساوي.

وله رحمه ا مواقف وطنية كبيرة، منها أنه كان من جملة الموقعين على عريضة طلب الإستقلال عام 1944م، وعند حصول المغرب على استقلاله عين رئيسا للمجلس العلمي لجامعة القرويين، لكنه توفي بعد ذلك بقليل ليلة الخميس فاتح شوال عام 1376هـ، وصلي عليه بعد صلاة العصر من يوم الخميس بالمدرسة العنانية الشهيرة بالمتوكلية، ودفن بزاوية سيدي المكتفي العلوي بدرب مولاي عبد المالك بالطالعة الكبرى بفاس.

ومن مصنفاته رحمه ا : السيوف المهندة السنان لمستعمل التبغ من الإخوان، فقها وطبا، والحلل الزنجفورية على البردة البوصيرية، في جزءين، وحاشية على تأليف الشيخ الطيب بن كيران في حرف لو، وشرح منظومة الشيخ الطيب بن كيران في المجاز والإستعارة، وتقييد في النهي عن إغلاق المتاجر يوم الجمعة إلا وقت النداء، وفهرسة جامعة لشيوخه سماها : إتحاف الأعيان بأسانيد العرفان، وشفاء السقيم بمولد النبي الكريم، وغير ذلك من الختمات والتقاييد الكثيرة، انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 130، وفي دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة المري ص 192 رقم الترجمة 1149، وفي إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين لابن الحاج ص 100، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 209.

نص الكتاب الذي وجهه سيدنا محمد البشير للفقراء التجانيين بفاس

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، من العبد الفقير الفاني، البشير(14) بن محمد الحبيب بن أحمد التجاني، الراجي من ربه بلوغ الأماني، في الدنيا ودار التهاني، إلى كافة الفقراء والإخوان من أهل فاس، الحاملين لواء طريقتنا الأحمدية، كل واحد باسمه وعينه، خصوصا منهم المقدم البركة سيدي الطيب السفياني(15)، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وخيراته وإحسانه.

أما بعد : فالذي ننبه شريف علمكم أني أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون(16) يفعل في ملكه ما يشاء، هذا والذي أوصيكم به هو تقوى الله في السر والعلانية، وتصفية قلوبكم من مخالفة أمره، والتعويل عليه بقلبكم، والرضا بحكمه، والصبر لمجاري الأقدار في جميع أحوالكم، وأوصيكم بما أوصى الله به، قال جل من قائل : "ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا(17) الله" وقال تعالى : "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"(18) وقال سبحانه : "ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا"(19) وقد أنزل الله في كتابه العزيز نيفا وسبعين آية من آيات الصبر، ولو لم ينزل سوى قوله عز وجل : "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب"(20)، لكفى. واعلموا أن هذا الزمن كثرت فيه المصائب والمحن، نسأل الله اللطف فيما جرت به المقادير، وذلك لما طبعت عليه النفوس من الإدبار عن الله وعن أمره ونهيه، وبسبب ذلك هاج بحر الأهوال والفتن، وطما بحر المصائب والمحن، وغرق الناس فيه كل الغرق، نسأل الله تعالى أن يصحبنا

---

(14) سيدي محمد البشير بن سيدي محمد الحبيب بن الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا تعالى عنه، كان مقيما بعين ماضي مقر أسلافه الكرام، توفي ليلة السبت 3 جمادى الثانية عام 1329هـ، بكردان، ونقل لعين ماضي حيث دفن بها بجانب قبر والده سيدي محمد الحبيب.

(15) سبق التعريف به في ج 1 ص 42 من هذا المجموع.

(16) سورة يس، الآية 82.

(17) سورة النساء، الآية 130.

(18) سورة آل عمران، الآية 103

(19) سورة الأنفال الآية 47.

(20) سورة الزمر، الآية 11.

وإياكم باللطف الخاص، المخصوص به أهل هذه الطريقة الأحمدية، وأن يقبل علينا وعليكم بمحض فضله ورضاه، وأن يمنحنا وإياكم وقفة بين يديه تضاهي وقفة أكابر الصديقين، إنه ولي ذلك، والقادر عليه.

وقد سمعنا ما كدركم من المزعجات التي تراكمت على ربوعكم، بسبب ما تسعرت به نيران الثائرين، فساءنا ما أزعجكم، وما وسعنا إلا التضرع لله عز وجل أن يرفع عنكم جميع الشرور، وأن يهدن روعكم، فترانا مشفقين عليكم، داعين الله لكم أن يؤيدكم بنصره المبين، وأن يحول بينكم وبين من يروم إذايتكم، وقد قال عليه الصلاة والسلام (لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموه فاصبروا)(21) الحديث. أما قوله (ﷺ) (لا تتمنوا لقاء العدو) فقد ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفار، ففي هذه الأزمنة تقلب في الصفح عن شرور الناس، وعلى العبد أن يسأل الله العافية من تحريك شر الناس وفتنتهم، فإن تحرك عليه من غير سبب فالوجه الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان عن إساءتهم، فإن لم يقدر فبالصفح والعفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة، فإن لم يقدر فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار، ونسأل الله لكافتكم وخاصتكم أن يفيض عليكم بحور العناية، والرضا منه سبحانه على طبق ما منح به أكابر العارفين من عباده، من أهل الخصوصية، حتى تكون عنده جميع مساويكم ممحوة غير مؤاخذين بها، وجميع ذنوبكم وآثار سهوكم مقابلة بالصفح والتجاوز غير مؤاخذين بها، ونسأله جلت عظمته أن يكتبكم جميعا في ديوان أهل السعادة الذي ما كتب فيه إلا أكابر أوليائه، وأهل خصوصيته، بوجه لا يمكن فيه لا المحو ولا التبديل، وأن يكحل بصائركم بنوره الذي رشه على الأرواح في الأزل، وأن ينظر فيكم بعين رحمته التي من نظر إليه بها صرف عنه مكاره الدنيا والآخرة.

هذا وقد اقتضت الحكمة القديمة الأزلية أن يقدم عليكم ولدنا محمود، إن قدر الله، ليزور ضريح جدنا القطب المكتوم، ويزور بلادكم المطهرة، التي هي بالعلوم والأسرار والمعارف منورة، فنوصيكم بما يعود عليكم نفعه العميم، اقبلوه ضيف إكرام، أخذ الله بيدكم، فما تنظرون فيه، إلا أن الله هو الذي سخره لكم، كي يجعل على يديه فرجكم، فأكرموا مثواه، واعتقدوا أن إحسانكم له في الحقيقة هو إحسانكم لنا، وإحسانكم لنا هو إحسانكم لشيخكم، لأنه عزيز علينا، وما سمحت نفسنا به إلا لحكمة اقتضاها علام الغيوب، ترانا أمرناه أن ينظر فيكم بعين الوالد لولده، وبيده كتاب بمجرد وصوله يدفعه للمقدم، وعليه فإنه يصحبه حبيبنا وصديقنا وصفينا. المحسوب والمنسوب علينا، السيد الحاج محمد دادي، وأمرناه أن يراقبه في سفره، ولا يفارقه حتى يرجع معه بالسلامة، فامتثل لأمرنا جزاه الله عنا خيرا.

ولا شك أنه داخل في الضمان بسبب إحسانه السابق، وجميله الفائق، جزاه الله عنا خيرا، وأن يعطيه على قدر كرمه مع اللطف والسلامة، وأمرناه هو المتصرف والناظر عليه، لما نعلم من صدق محبته في جانبنا، ولا شك أنه سبقت له العناية الربانية، فعليكم بتعظيمه واحترامه، لأن منزلته عندنا لا يدركها أحد في هذا الزمان، وهو بذلك جدير، لأننا رأينا منه لا شيء له معنا، ولو

(21) انظر صحيح الإمام البخاري كتاب الجهاد رقم الحديث 2966.

نفسه، فقد جاد بها، فالله يقبل عليه بمحض فضله ورضاه، ولا زال الدعاء لكم نصب العين، وأستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه، من الداعي لكم بخير الدارين، سيدنا المذكور حوله، بتاريخ فاتح جمادى الثانية 1329هـ.

قصيدة للمؤلف رحمه الله يرثي بها سيدنا البشير

وقد كنت رثيته بهذه القصيدة وأنا وقتئذ بثغر طنجة ونصها :

علام دموع العين تذرفها ذرفـــــا	ولم تك معتادا على جزع رجـفـــا
وفي اليوم قد أصبحت مضطرب الحشا	ومزقت ثوب الصبر من حيث لا يرفى(22)
أمن سوء أحوال الزمـان وفتـكـــه	بأهل الهدى والدين إن سلكوا العرفـا
وصار يرى للمهتدين معـانــــدا	وللمعتدين المسرفين غدا إلــفـــا
فساد به أهل الفساد علـــى ذوي	صلاح ومنه واحد يزن الألــفــــا
وضاقت بأهل الخير فيه صدورهــم	بما شاهدوه من بلاء بـهـم حـــفـــا
زمان يسوء المهتدي ويـسـوقـــه	إلى يد من يوليه من مكره حتـفـــا
زمان وما أدراك ما زمــن بـــه	يعد أخو الإدارك في قومه جـلــفـــا(23)
زمان به أضحى المنافق مـحــرزا	مناه وذو الإيمان حازبه الـقـذفـــا
فإن دام هذا الحال والحـال زائـــد	فلا شك أن الدين آثاره تـعـفـــى
إلى الله أشكو من زمان تكاثـــرت	بأهوائه الأهوال من حيث لا تطفـــى
ويذهب فيه الصالحون جماعــــة	فأخرى إلى الأخرى إلى حضرة الزلفى
نهنيهم بالموت أم نكثر الـبــكـــا	عليهم وفينا خلفوا بعدهم خـلـفــــا
فعم البلا منا الجميع بفقـد مـــن	مضى نسأل الله اللطيف بنا اللطـفـــا
وإنا لنبكيهم وحق لـنـا الـبـكـــا	عليهم وأيدي الموت تقطفهم قطـفـــا
فلو كان يرضى أن نكون لهم فـــدا	لكنا فديناهم ولا نطلب استـعـفــــا(24)
ولكنهم جدوا المسير ليلـحـقـــوا	بمن قد مضى منهم وحملهم خـفـــا
وقد ثقلت أحمالنا بعد بـعـدهـــم	وقد سقطت والدهر ينسفنا(25) نـسـفـا
لنبك علينا ثم نـبـك عـلـيـهــم	ونبكي ونستبكي إذا دمعنا جـفـــا
أأحبابنا والدهر يضـحــك للعـــدا	ويشمتهم فينا وأنفسهم تـشـفـــا
وقد ذهبت ساداتنا وسراتـنـــا(26)	وصرنا سكارى بل أسارى نرى الخسفا
لقد خاننا فيهم زمان يسـومـنـــا	بسوء عذاب من فراقهم عـنـفـــا
ولا يطمئن الصدر منا بسيــــد	بدا منهم إلا ويخطفه خـطـفـــا
فنشكو إلى المولى مكايده بـنـــا	وما قد لقينا من مصاب بنا احـتـفـــا

(22) يرفى : رفأ الثوب أي لأم خرقه وخاطه.
(23) جلفا : غليضا جافيا.
(24) استعفا : استبراء
(25) ينسفنا : يدكنا ويقلعنا
(26) سراتنا : أفاضلنا

أصبنا بفقد الصالحين ولم يـــــزل يحوزهم الدهر الخئون وما استوفــى
فقدنا رسول الله من قبل شيخنـــا ومن بعد هذا قد فقدنا ابنه الأوفــى
فكان لنا فقد الثلاثة عــبـــــرة بها عبرات العين قد ذرفـــت ذرفـــا
فأما رسول الله لو دام لانجلـــت عموما غموم لا أطيق لها وصــفـــا
وفي موته في فقد من مات أســوة نسلي بها قلبا بحزن قــد الـتـفـــا
وفي فقدنا الشيخ التجاني مصيبـــة وأي مصاب قد رجفنا بــه رجـفـــا
وكنا بمولانا البشير سليلــــه نسلي نفوسا نارها بعد لا تطــفـــى
فكان وحق الله قطب زمانــــه وأنواره بين العوالم لا تــخـفـــى
وكنا نباهي في الزمان به علـــى عداة به كنا جذعنا لـهــم أنــفـــا
لأن العلا أضحت به مستنيــــرة وليس له في الفضل في عصره أكفـــا(27)
فيا فوز من قد كان منه حوى المنــى ويا سعد من في وجهه متع الطرفـــا
وكنت أمني النفس مـنــــي أزوره فيا لهف نفسي في الذي فاتها لـهـفـــا
أعللها أني أزور مــقـــامــــه فأحرز منه القصد والفتح والـعـطـفـــا
وكنت قرير العين طول حياتـــه أأمل أن ألقاه أستمنح الــزلـــفــى
إلى أن رمانا الدهر عن غرة(28) بما به الشمس صارت فيه مكسوفة كسفـــا
فأصبحت الآفاق مظلمــــة بـــه وأمست قلوب الناس من أجله غلفـــا
فلست ترى إلا كئيبا وواجــــدا عليه ولا صبر لدينا ولا إغـــفـــا
فلله ما أعطى ولـلـــه أخـــــذه ولله ما أبدى ولله مــا أخـفـــى
فنسأله سبحانه أن يـحـــفـــه برضوانه حتى نقول قد استكفـــى
ويمنحنا مما حباه كـــرامـــة ويولينا من وروده المورد الأصــفـــى(29)

وكانت وفاة سيدنا ومولانا محمد البشير قدس سره بتاريخ ليلة السبت 3 جمادى الثانية في الساعة 11 بكردان(30)، وبمجرد وفاته نقل لعين ماضي، بعدما كان استودعه سيدنا محمود رضي الله عنه، فبلغه نعيه وهو بالجزائر، فرجع لحضور جنازته، فوجده قد دفن بحذاء أبيه سيدنا محمد الحبيب رضي الله عنه بزاوية عين ماضي.

وقد كنت قبل هذا الوقت استعملت قصيدة في مدحه لا بأس بذكرها في هذا المحل ونصها :

---

(27) أكفا : من الكفؤ وهو المماثل
(28) عن غرة : عن غفلة
(29) انظر هذه القصيدة في كتاب النفحات الربانية في الأمداح التجانية للعلامة سكيرج ص 100.
(30) كردان : قرية صغيرة بجوار عين ماضي

حر الصبابة في الأحشاء موقـود … والصبر من خلدي بالشوق مفقود

لولا انسكاب دموع بالدما مزجت … لذاب قلبي الذي بالبين مقـــدود(31)

ترعى النجوم جفوني في مطالعها … وما جفاني مدى الأيام تسـهيـــد(32)

وكل كل رقيب كاشـــح ورثـــى … لحالتي عاذل في اللوم مجـهـــود

ما ضرني لوم عذالي إذا سمحت لي بالوصال فتاة جندها الغيـــــد(33)

جادت علي بوصل عندما علمـت … بأنني عبدها بالحب مصـفـــــود(34)

هي الفريدة في حسن كما انفرد المـــــولى البشير بفضل فيه مـوجـــود

كنز الفضائل مقصود الأفاضل فـي … كل المهمات من بالخير مشهـــود

خليفة الختم بل سليل وارثـــــه … فحبذا والد ونـــعـــم مـولــــود

سبط التجاني الذي سمت مكانتـــه … في المجد وهو لكل الخير معــدود

هو الهمام الذي طابت سريرتـــه … بحسن سيرته للدين تـشـيـيـــد

قطب العلا كوثر العرفان من نبعت … منه المعارف وهو الحوض مورود

شمس الضحى كوكب الأكوان من سطعت دجى الغموم به والشك مطـــرود

غوث الخلائق من بفضله شهـــدت … له الأعادي وهل في الحق ترديـــد

غيث الندى العابد الأواه من خضعت … له الرقاب وفيه الخير محـشـــــود(35)

قد استبد(36) ببذل الوفر منـشـرحـا … فكان منه لجيش الفقر تـبـديـــــد

يا سيدي عطفة أرجو أفوز بـهـــا … دنيا وأخرى فحبل الحب معـقـــود

حاشا يخيب الذي قد أم بابـــك أن … يغدو بلا وطر ودأبك الـــجــــود

لا زلت كوكب سعد في سماء هدى … وكوثرا لنوال السر مــقــصــــود(37)

وكنت قلت في مدح سيدنا محمد الحبيب قدس سره هذه الأبيات :

فوادي بالصبابة فيك عــــان … فداركني فإني فيـك فـــــان

وقصر من جفاك ولا تزدنــي … عذابا ليس يحصله جنـــانـــي

أما يكفيك ما كابدت فيــــه … من الشوق الذي فيه امتحـانـــي

أما والله ما لسواك ميلـــي … يكون سوى لمدح ابن التجانـــي

محمد الحبيب أخو المعالـــي … ومن هو في العلا قطب الزمـــان

ومن هو مفرد بين البرايـــا … تفرد في الكمال برفـع شـــان

---

(31) مقدود : مقطوع

(32) تسهيد : الأرق

(33) الغيد : اسم بمعنى النعومة

(34) مصفود : مقيد وموثوق

(35) محشود : مجموع

(36) استبد : انفرد

(37) انظر هذه القصيدة في كتاب النفحات الربانية للعلامة سكيرج ص 48 وفي كشف الحجاب لنفس العلامة ص 67.

ومن هو معدن للخير حقـــا وليس له يرى في الفضل ثـــان
ومن هو ملجئ في كل خطب ومن هو في الورى كهف الأماني
هو القطب الذي دارت عليـه دوائر كل خير وامــتـنـــــان
هو الغوث الذي تنمى إليـــه جميع المكرمات بـــلا تـــوان
لقد نال الخلافة من أبيــــه كما حاز التصرف بالـعـيـــان
ونال مكانة في العز تعلـــو فصار مقامه أعلــى مكـــــان
فإن ناديته في نيل قـصـــد فإنك منه تحظى بـالأمـــانـــي
إليك بجاهه يارب أدعـــو أجرني من زمان قد دهـانـــي
وخذ بيدي واستر لي عيوبي ولا تجعل رجائي في امتهـــان
وجاه المصطفى خير البرايا وجاه ذويه أصحاب التــدانـــي
عليه مع الجميع بلا انتهـــاء صلاة الله تـتــــرا كـــل آن(38)

وقد ذكرتها مع ما قبلها في كشف الحجاب عمن تلاقى مع القطب التجاني من الأصحاب، وذكرتهما هنا لمناسبة الموضوع.

وقد كنت وجهت لسيدنا محمود رضي الله عنه قصيدة في مدحه ومدح والده وجده قدس الله أرواحهم، نذكرها في هذا المحل، ونصها :

بمهجتي الشوق للأحبة اتقــــدا والصبر مني على مدى النوى(39) فقدا
يا هل ترى زمني يوما يساعدنـــي بقربهم فأرى من جملة السعـــــدا
خلعت ثوب اصطباري في غرامهم وبعده بالنحول قد لبـســــــت ردا
تركت غيرهم من أجل غيرتهـــم حتى بهم قد سلوت الأهل والـولـــدا
جعلت حبهم ذخري ومدحهـــــم تجرا به اليوم ربحي قد غدا وغـــدا
هم سادتي وأنا في الناس عبدهـــم عليهم في أموري صرت معتمــدا
قد عظم الله في الوجود قدرهـــم حتى غدا مثلهم في الجود مـا وجـدا
وتوجوا في العلا تيجان مكرمـــة وفي معالي العلا مقامهم صـعـــدا
كل الورى بكمال فضلهم شـهـــدوا حتى العدا قد عدوا لهم به شـهـــدا
من ذا الذي في الأنام لا يقر(40) لهم بالفضل قل لي فمن بفضلهم جـحـــدا
من يجحد الشمس يوما وهي طالعة أو ينكر النور منها وهو قد شـهـــدا
الله أكبر ما في الكـون مـثـلـهـم بعد النبي وبعد صحـبـه أبـــــدا
فما أحبهم إلا السعيـــد ومــــا في الناس يبغضهم إلا الذي طــــردا
لا أحرم الله نفسي من لقائـهـــم قبل الممات عسى بهم أنـال هـــدى
كل الذي لا يرى عليـه طابعهـــم فإنه لم يزل رسمـــا بـغـيــــر أدا

---

(38) انظر هذه القصيدة في كتاب النفحات الربانية للعلامة سكيرج ص 87.
(39) النوى : البعد
(40) يقر : يعترف

إني بنفسي أفديهـم وأسـألـهـــــم قبول نفسي لهم في العالمـيــن فـــــدا

يا قوم إن تسألوا عن سادتي فهــم من فضلهم في جميع الكائنات بـــــدا

من نسل شيخي التجاني من له اشتهـــرت فضائل كملت وبالعــلا انـفـــــردا

فهو الولي الذي أوراده عظمــــت مريدها في ضمانة الـنـبــي غــــدا

طريقة من رسول الله جاء بـهـــا من سار فيها ينال في الــورى رشـــدا

يا فوز من صار من أصحابه الفضلا أو من مـوارده الـتــي صـفــــت وردا

قد كان للأوليا ختما به فـتـحــت باب النجاة التي من أمهـا سـعــــدا

يا قوم إن التجاني حل مـرتـبـــة في المجد لستم ترون مـثلــه أحـــدا

أولاده في الورى أحكامهم نفـــدت وفضلهم للذي يـحصـيـه مــا نـفـــدا

لو أن كل الورى عدوا مناقبـهـــم لم يبلغوا حصر ما قـد أحـرزوا أبـــدا

فكلهم سادة فاقوا الورى شرفــــا يا حبذا والــد ونــعـــم مـــا ولــــدا

إذا البشير أتى من الحبيـب فقـــد أتى بمحمود سعي في الـورى حـمــدا

أما محمد الحـبـيــب سـيــدنــــا فكان في حومة الوغى(41) يرى أســـدا

ونال أعلى مقام في الولاية فــــي زمانه وغدا للأولـيـــا ســنــــــدا

وبعده جاءنا البشير ســيـــدنــــا قطب الزمان الذي ما فضله جـحـــدا

خليفة المصطفى ونـجـل وارثــه ومن بسر التجاني صار منـفـــــردا

أعظم به سيدا الله صــرفــــــه في الكون رغما لأنف من له حـســـدا

إذا اعتقدنا بأن اللــه شــرفــــه على سواه فلا تخشى الذي انـتـقـــدا

ونجله المرتقى المحمود سيـدنـــا محمود في الناس كل الخير منه بـــدا

قد جل مقداره في العالمين عـــلا وفضله قد جلا مذ صار بـحـر نـــدى

وحل مرتبة لمجدها خضـعـــــت أسد الشرى ولها رأس العلا سـجـــدا

والله توجه تاج الخلافــة فــــي زماننا وغدا غــوثـا لـكــل نــــدا

أضاء نهج الهدى للمقتديـــن بـــه وكل من أمه ينال مـنـــــه هــــدى

قد شب في طاعة المولى وخدمـتـه ولم يزل في اتباع الحق مجتـهــــدا

يرى حريصا على فعل الجميل وفي دنياه بين الورى لله قـــد زهـــــدا

لا زال سيدنا بالحفظ مهتـديـــــا وهاديا لطريق أهلـهـا سـعـــــدا

لا زال محمود سعي راقيا رتبــــا ترقى به في العلا أوج العلا أبــــدا

ونسأل الله أن يزيده شــرفـــا حتى يرى في الورى بالفضل منفـــردا

مولاي مولاي يا محمود يا أملـــي يا من يجود لمن إليــــه مد يـــدا

إني مددت يدي في الناس مفتقـــرا إليك خذ بيدي في دفـع كـــــل ردى

فانظر إلي بعطفة أنـال بــهـــا من بحركم سادتي بين الورى مـــددا

ولتسألوا الله لي بجاه جـدكــــم إصلاح نفسي فقلبي بالهوى فـســـدا

ولتعطفوا سادتي على عبيدكــــم ولترحموا من على حماكم اسـتـنـــدا

---

(41) الوغى : الحرب

فأنتم سادتي محل مـكــرمـــــــة   وحاشاكم أن يخيب من له قــصــــــدا
عليكم وعلى من انتمى لـكـــــــم   أزكى التحية ما حاد حـــــدا وشـــــدا(42)

وقد كنت وجهت لسيدنا محمود رضي الله عنه هذه القصيدة قبل هذا الإبان بزمان، فحلت عنده محل القبول، ودعا لنا ببلوغ السول، وقد كانت سبب معرفته بي، حتى أنه لما قرأها ودخل لمحله، وخطرت القصيدة بباله، إلا أنه نسي ناظمها ما اسمه، فسمع قائلا في أذنه يقول له : ناظمها سكيرج، حسبما أخبرني بذلك من كان وجهها له على يده، ففرحت بذلك أتم فرح، وقلت لنفسي مبشرا لها بكشف الحرج، متمثلا بقول بعض الأكابر ممن رقى أعلى الدرج :

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد   ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ثم إن المولى جل اسمه، أنعم علينا بقدومه لهذا القطر السعيد، وكان يوم قدومه يوم عيد، فرأيناه والحمد لله من غير تعب ولا مشقة، بعد أن انكسر خاطري من عدم زيارته، حيث شددت الرحلة بقصد الذهاب إلى عين ماضي من طنجة في رحلتنا الوهرانية، ولم يقدر المولى الوصول لتلك البقعة الشريفة، لموانع اقتضاها الوقت والحال، فرجعت من حيث أتيت إلى أن وصلت لفاس، منكسر القلب، مطأطئ الرأس، وكنت أتمنى الوصول لذلك المقام، لنزوره ونزور بقية أولاد سيدنا رضي الله عنهم، ونطالع هناك نسخة جواهر المعاني التي هي بخط مؤلفها الخليفة الأفخم سيدي الحاج علي حرازم قدس سره، المكتوب على أولها وآخرها بخط سيدنا الشيخ رضي الله عنه تصحيحه لها، وأن العمل عليها لا على غيرها مما خالفها من النسخ(43)، وعزمت على أن أقابل إحدى النسخ بها، لما أنا متشوف إليه بهمة الشيخ رضي الله عنه وأرضاه من شرحها بشرح يكون حافظا لها بحول الله وقوته من التدليس، ويبين ما انطوت عليه من خبايا الأسرار، ورفع ما يشكل على مطالعها في بعض المواضع من التلبيس، لأن جل النسخ الموجودة بيد الإخوان فيها بعض مخالفة في مواضع بزيادة أو نقصان.

ولا شك أن الشرح يضبط المشروح في الغالب، خصوصا إذا حفت العناية الشارح بنظرة خصوصية من ذي قلب مفتوح. ولم تحملني على الإقدام على ذلك إلا نظرة تجانية ونفحة عرفانية، هبت علينا من شيخنا العارف بالله، الدال على الله، سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه وأرضاه وعنا به، فإنه بشرني في بعض مبشراته بأني سأشرح هذه الجواهر، وما ذلك على الله بعزيز، سائلا منه أن يصلح لنا الباطن والظاهر، وحين حركتني الأريحية لشرحها صممت على أن لا أشرع في ذلك إلا إذا اطلعت على النسخة المشار لها(44)، ولما لم يتيسر لي في الرحلة المذكورة

---

(42) أنظر هذه القصيدة كذلك في كتاب النفحات الربانية في الأمداح التجانية للعلامة سكيرج ص 54.

(43) ذكر العلامة سكيرج في كتابه تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني ما نصه : ووجدت مكتوبا بخط سيدنا رضي ا عنه في آخر ورقة من كتاب جواهر المعاني المكتوب بخط مؤلفه الواسطة المعظم سيدي الحاج علي حرازم ما نصه : يقول العبد الفقير إلى ا أحمد بن محمد التجاني : قد كمل تهذيب هذا الكتاب وتنقيحه، وانفتحت بعون ا عز وجل مساره وتفريحه، برواية عنا وسماع منا، فلا جرم أن العمل فيه على هذه النسخة المكتوب على آخرها هذا الرسم، وأن ما سواها من النسخ راجعة إلى هذه، وكل ما فيها مما يخالف هذه النسخة يجب تركه، وأجزت في جميع ما فيها راويها عنا سيدي الحاج علي حرازم جامعها، إذ كل ما فيها أمليناه عليه، وصلى ا على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(44) كانت هذه النسخة أولا في ملكية أبناء المؤلف العارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة، ثم نهبت مع متاع آخر بتاريخ عام 1232هـ، وفي نفس هذه السنة وجدها الشريف المقدم سيدي عبد الواحد بن محمد بوغالب الجوطي عند بعض علماء فاس أثناء موسم الحج، فاشتراها منه بأربعة

الظفر بها تحققت بأن الإذن لم يحصل في ذلك، وأن من علامة الإذن التيسير، حتى يسر الله قدوم سيدنا ومولانا محمود رضي الله عنه، ومعه هذه النسخة التي بمجرد اجتماعنا به أطلعنا عليها، وكأنه ما أتى بها إلا لنا، فذهبت بالجزء الأول منها، وبقي عندي أياما، فقابلت نسختي بها مع بعض النسخ، وكان مجمع المقابلة بالزاوية المباركة بفاس، بالسارية الميمونة، قبالة ضريح سيدنا رضي الله عنه، بحضور فئة من خاصة الأعيان منهم شيخنا العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس(45)، وهو السارد لها، ونحن الناظرون لنسخنا، مع حضور العلامة الذي انتفع به أهل الحواضر والبوادي، سيدي محمد الفاطمي الشرادي(46)، وجماعة من الإخوان، أصلح الله لي ولهم الشان، إلى أن كملت المقابلة، وإني أسأل الله تعالى الهداية للصواب فيما رمته من ذلك، مع التوفيق لما فيه رضاه في كل معاملة.

أمر سيدنا محمود لنا بالرحيل معه للجولان
في نواحي القطر المغربي

ولما قضى سيدنا محمود رضي الله عنه حق الزيارة، التي هي لقطرنا المغربي بالفلاح بشارة، أمرني بالرحيل معه للجولان في نواحي هذا القطر المغربي لينتفع به الخاص والعام، حرصا منه رضي الله عنه على نفع الإخوان، وإيصال الخير إليهم على أي وجه كان، فإن بنظرته تنكشف الأحزان، بما له من كمال النظرة الموروثة من الحضرة المحمدية بين ذوي العرفان، مع ما ناله من بلوغ المقام المضمون لأولاد سيدنا ومولانا العارف الرباني، القطب التجاني، من النبي صلى الله عليه وسلم، كما أشار له صاحب المنية :

وكان من أدرك من ذريته   يعطى مقاما ساميا كبغيته

وقد انشرح والحمد لله صدري بهذا الأمر الذي هو من كمال النظرة التجانية ولا فخر، غير أني صرت أقدم رجلا وأؤخر أخرى، خوفا من الوقوع فيما لا تحمد عاقبته من إساءة الأدب على هذه الحضرة الكبرى، لما أنا مقيد فيه من الحظوظ النفسانية، وتشوقي لما لا أستحقه من إدراك المقامات العرفانية، ولو أنني تحريت غاية التحري لخشيت على نفسي من المرتبة التي لا تسامح من أساء الأدب عليها، فاخترت المقام مع أهلي دون السفر، وبقيت من عدم امتثال أمره على حذر، فصرت أبدي له الأعذار، وكلما فتحت بابا سده، ولم يقبل مني أن أتخلف بعده، بعدما كفانا المئونة، بما جعلت للأهل من الضروريات معونة، مع أن غيري لو وجد ذلك لأنفق نفسه وماله لمرافقة هذا السيد الجليل في ترحاله، لإصلاح نفسه وحاله، فلم يسعني إلا امتثال أمره، منشدا لنفسي بلسان الحال :

وعشرين مثقالا، ولما عاد بها لمدينة فاس حبسها على الزاوية الميمونة عام 1234هـ، وذلك بعدما أعطى للمقدم الجليل سيدي بوعزة برادة مبلغا قدره 34 مثقالا دراهم مقابل تنازله له عنها.

(45) سبق التعريف به في ج 1 ص 40 من هذا المؤلف.

(46) سبق التعريف في ج 1 ص 35 من هذا المؤلف.

قد رشحوك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

غير أني قد أخذت الإحتياط لنفسي بواسطة المحب الصادق، الرفيق الموافق، صهر سيدنا وحبيبه، ومحبه بين كل حاضر وبادي، سيدي الحاج محمد دادي، بأن أكون مأمون الجانب عند سيدنا محمود ما دمت في رفقته، ولا يؤاخذني بما يصدر مني من سوء الأدب مع حضرته، فحل هذا المطلب منه محل القبول، وذلك من كمال المرام وبلوغ السول. وبعد هذا كله قمت على ساق الجد، في الوفاء بالعهد، وأنشدت هذه الأبيات :

قفولا مع ابن الشيخ كي تفتح القفلا فما الفتح إلا في يديه متى احتلا
وشد مطايا الحزم واشدد ركابه وسر حيث سار فهو قد أوضح السبلا
ولا تتراخى في اختدام جنابه برعي احترام حفه حيث ما حلا
وإياك والإمهال فيما يرومه فما أمره يعصيه كل امرئ جلا
ولو أنه يدعو الجبال التي رست أجابت دعاه كلما سار أو ولى
فبادر إلى شد المطايا مسارعا إلى فعل ما يرضيه ترضي به المولى
وسافر مع الخدام تحسب منهم فخدمته فيها السعادة للمولى
كفاك بأن الله يغفر ذنبه ويوليه من إنعامه المنصب الأعلى
ويستغفر الحيتان في بحرها له وتسأل مولاه يبلغه السؤلا

ولما عزمت على الرحيل معه صرت أودع كل من لقيته من الأصحاب والإخوان، وأستشير معهم، مع طلب دعائهم بالتوفيق، للسلوك على أقوم طريق، فكان كل واحد منهم يبدي لي رأيه على حسب ما يظهر له، إلا أن غالبهم يحضني على هذا الرحيل، ويعده من السعي الجميل الجليل، وممن استودعته يوم السفر شيخنا البركة المسن العلامة الفاضل، سيدي أبو بكر بن العربي بناني(47) أمنه الله، اجتمعت به في الزاوية المباركة، مقابلا لضريح سيدنا رضي الله عنه، حيث كان يزوره، وهو ممن يحب أهل الله قاطبة، خصوصا الحضرة التجانية، منذ جاور الزاوية بالسكنى، فقد حدثني أنه رأى سيدنا رضي الله عنه في بعض مرائيه قرب مجاورته فقال له : أنت ضيف عندنا، ثم أنشدني شيخنا المذكور مخاطبا لسيدنا رضي الله عنه :

أنا جاركم يا آل بيت محمد وعلى الكرام إجارة الأضياف

(47) سبق التعريف به في ج 1 ص 42 من هذا المؤلف.

فقلت له : أبشر، فإن سيدنا يقول فيما ثبت لدينا من كلامه : جيراني لا نجوزهم في الدنيا ولا في الآخرة، ثم طلب مني أن أبني هذا البيت ببيتين أضمنهما مدح سيدنا رضي الله عنه، مع مطلب خصوصي فقلت :

يا أيها القطب الجليل ومن له	فضل به يحظى ذووا الإنصاف
أنا جاركم يا آل بيت محمد	وعلى الكرام إجارة الأضياف
فلتمنحوني عطفة أحظى بها	بمناي والرزق الوفي الكافي

ثم دعا لنا بما نرجو من الله قبوله، وحث علي في السفر مع هذا السيد الجليل، وقد استودعني بعد موادعته بالزاوية المباركة ذو الأخلاق العذبة المذاق، الدالة على طيب الأصول والأعراق، الشريف الماجد، والجامع لمفاخر المحامد، أبو المواهب، سيدنا العربي المحب العلوي(48)، قبالة ضريح سيدنا رضي الله عنه، بمحله المعد له بها في المواجهة، زاد الله في أسراره، وأشرق غياهب الهموم بأنواره، وكذلك استودعني العدل الزكي، الفقيه الذكي، الجامع للأدب الرائق، مع التواضع الفائق، سيدي عبد الوهاب السراج، وأنشدني :

يا مزمعا بالرحيل عنا	أسعدك الله في المسالك
كان الله خير واق	أمنك الله من مهالك

---

(48) العلامة الشريف البركة مولاي العربي المحب بن مولاي عبد السلام بن عبد ا بن محمد الحبيب بن محمد زين العابدين بن السلطان العلوي الشهير مولانا إسماعيل رحمه ا ، ولد في ربيع الأول عام 1276هـ بمكناسة الزيتون، وبها تربى ونشأ في حفظ وديانة، وسنده في العلم عن شيوخ أجلاء، أذكر منهم العلامة مولاي عبد المالك الضرير العلوي، والعلامة مولاي عبد ا بن إدريس البدراوي، والعلامة مولاي عبد ا الكامل الأمراني، والعلامة مولاي إدريس بن عبد الهادي العلوي، والعلامة المحقق سيدي عبد السلام الهواري، وأجازه في القراءة العلامة القاضي مولاي محمد فتحا العلوي، أما الطريقة التجانية فقد أخذها على يد المقدم سيدي محمد البوكيلي، وعن شيخ الجماعة سيدي أحمد بن أحمد بناني كلا، ثم أجازه فيها الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي ا عنه، وهو الذي سماه بالمحب، وقد استفاد منه أسرارا وعلوما كثيرة، ثم أجازه فيها كذلك الشريف البركة سيدي أحمد محمود دفين البحيرة بقبيلة الرحامنة، ثم أجازه فيها العلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون وذلك بالإذن المطلق العام.

وفي حق مولاي العربي المحب قال الفقيه سيدي محمد الحجوجي في كتابه فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام : وبالجملة فالرجل جهينة أخبار طريق أهل ا ، وله معرفة كبيرة بدقائق علم التوحيد والتصوف، وخصوصا الفتوحات المكية، فله دراية بمسائلها العويصة والأجوبة عنها، وهو ممن منحه ا تعالى معرفة نكات غريبة في التصوف، فتراه يبدي من ذلك العجب العجاب، مما لم يتفطن له إلا أكابر العارفين الأنجاب، إلخ ...

توفي رحمه ا ورضي عنه صبيحة يوم الأربعاء 26 محرم الحرام عام 1351هـ، وصلي عليه بعد صلاة الظهر بالزاوية الأحمدية التجانية الكبرى، ودفن في روضة سيدي ابن عمرو داخل باب عجيسة أحد أبواب مدينة فاس. انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 169 وفي نيل المراد لنفس المؤلف ج 2 ص 44-52.

قائلا أن هذين البيتين بلغه فيهما أن سيدنا جبريل عليه السلام كان يستودع بهما النبي (ﷺ) عند سفره، وما استودع أحد بهما إلا ورده الله سالما، فجازيته بدعاء الخير، وقلت : إني أحفظهما عن شيخنا العلامة الوحيد، سيدي الحبيب الداودي(49) رحمه الله، إلا أني لا أعرف صاحبهما، غير أني أحفظ من بعض التقاييد أن سيدنا جبريل كان يستودع النبي (ﷺ) بهذا البيت :

وحيث اتجهتم صاحبتكم سلامة ويرعاكم الرحمان من كل جانب

ثم إني استودعت أهلي بعد صلاة العصر من يوم الإثنين الرابع عشر من ذي القعدة الحرام، وهو يوم السفر، بعدما كتبت بمحلي الآية الشريفة التي جربها كل واحد، في كونه إذا كتبها في المحل الذي خرج منه أنه لا بد أن يرجع إليه سالما بحول الله، وهي قوله تعالى : (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد)(50) وذلك من خواص هذه الآيات المودعة فيها، ولا ينكر مثل هذه الخاصية إلا من نفسه عن الأسرار قاصية، وقد جربناها غير ما مرة، فرجعنا إلى المحل الذي كتبناها فيه، حتى تعود أهلنا بركتها، فيؤكدون علي في كتابتها عند موادعتهم، وكذلك جربها غيرنا فوجدوا بركتها، ولا بدع في ذلك، فإن أسرار الآيات القرآنية من اللطائف الربانية، مع ما اشتملت عليه الآية الشريفة من الفأل الحسن بالعود إلى المعاد، وقد ورد في الأحاديث النبوية أنه صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن، وقد قيل :

تفاءل بمن تهوى يكن فلعلما يقال لشيء كان إلا تحققا

والظن في الله جميل، أن يردنا إلى الأهل سالمين وهو بنا وبهم كفيل، وأقول متمثلا :

أستودع الله أولادي وأمهم والنفس والأهل والأصحاب كلهم
وكل ما أنعم الله الكريم به وفي جوار الإله تحفظ الذمم

ثم ذهبت إلى سيدنا محمود رضي الله عنه للرياض النازل به، وبقيت معه لاستوداع الإخوان، وبين العشائين ذهبت معه لزيارة ضريح جده سيدنا رضي الله عنه، فدخلت معه للمقام الشريف وزرناه كما ينبغي، وذلك من أكمل المقصود، حيث أني أزور مقاما شريفا، مع إمام شريف، ولا شك أن النفحة التي هبت علينا ذلك الوقت تكون خاصة، حيث أني لم أظفر مدة عمري بذلك المشهد الذي يغبطني فيه أكابر الطريقة، ولله الحمد على هذه المكرمة الفائقة، التي هي من كرامات سيدنا رضي الله عنه على الحقيقة، ثم خرجنا بعد أداء الزيارة، وموادعة المقام الذي تركنا قلوبنا فيه، وقصدنا وادي الجواهر المضروب عليه الخزانات المعدة لنا، فبتنا ليلتنا في أمن وأمان.

وكان في رفقتنا هذه الفقيه النزيه، الأريب النبيه، كاتب سيدنا محمود، القادم صحبته من عين ماضي، بعد قدومه من تونس، أبو حفص سيدي عمر بن سعد الريعي الواسطي، وقد أحسن إليه سيدنا محمود رضي اله عنه، ولم يقصر معه، من الإنعام المناسب لحاله، فكان لإحسانه شاكرا، وهذا الفقيه له توجه تام لتلقي العلم والأدب، وقريحة وقادة تبلغه غاية الأرب، ومن شدة حزمه في طلب العلم والحرص على أخذه وتلقيه، حتى لا يفوته وقت لا يستفيد فيه فائدة، طلب مني أن أجعل درسا خصوصيا في هذه الرحلة، فاتفقنا على أن نسرد الألفية بتقييد عليها، ومتن الكافي في علم العروض، فشرعت في ذلك تطييبا لخاطره، واغتناما لدعاءه الصالح، طالبا من المولى أن يصلح أعيالنا، ويوفقنا لما فيه رضاه.

---

(49) سبق التعريف به في ج 1 ص 29 من هذا المؤلف.
(50) سورة القصص، الآية 85.

إجازة سيدي محمود للمؤلف

وقد كان كتب لنا هذا الفقيه الإجازة بالتقديم من سيدنا محمود، ووجهها لي، مطبوع عليها بطابعه الشريف، وبداخله مكتوب : محمود بن محمد البشير التجاني سنة 1329هـ، وبدائرته مطوقا (يا عالما بالخفايا، يا رازق البرايا من العطايا، اغفر لنا الخطايا) ونص الإجازة.

بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، الحمد لله، حمدا لمن ألهم الإنسان وفهم، وعلمه بما لم يكن يعلم، وأهل أقواما بمحض كرمه ومنته، بحمل أمانته وشريعته، ورفعهم بذلك درجات، إذ فتحوا أبوابا متبرجات، فنهجوا للعباد طريق الهدى والرشاد، وسلكوا بهم ما هو في الشرع معروف ومعتاد، والصلاة والسلام المضمخان بعبير التعظيم، المتوجان بتاج المبرة والتكريم، على عروس المملكة الربانية، وواسطة السلوك إلى الحضرة القدسية الرحمانية، وعلى آله السراة، وأصحابه الصالحين الهداة، ما أجيب داع، وأجيز في سماع، ورضي الله تعالى عن ساداتنا الأولياء الكرام، خصوصا القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله وجميع المحبين من بحره الرباني، آمين.

وبعد : فيقول أفقر الورى وأحوجهم إلى عفوه، محمود بن البشير بن محمد الحبيب بن أحمد التجاني، بلغه الله من الخير كله الأماني : إن ممن شمر في طلب العلم عن ساعد اجتهاده حتى بلغ منه بيمن الله نهاية مراده، وصدق عليه المثل السائر، "كم ترك الأول للآخر"، سند الأفاضل الأعلام، وبدر العلماء الكرام، من حوى جميع الفضائل، وحاز من حسن الشيخ ما لم تحزه الأواخر والأوائل، الفقيه الوجيه، المدرس النزيه، صاحب الفهم الغواص، الذي يعجز عنه كثير من الخواص، حبيبنا وصفينا، رفيع القدر والمكانة عندنا، الشيخ سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، أدام الله وجوده، وأرقى في سماء المعالي صعوده، طلب من العبد الحقير، المعترف بالقصور والتقصير، أن يجيزه فيما عنده من أصول وفروع، في طريقه التجانية الأحمدية، حمله ما جبل عليه من حسن النية، وخلوص الطوية، ظنا منه أني أهل لذلك، ولست كذلك، فأجبته إلى ذلك، جبرا لخاطره، ورعيا لما عسى أن يكون له فيه من النفع الحاضر، إذ ليس سلوك هذا السبيل سهلا، ولكن لي قصد جميل، في سلوك هذا السبيل، وهو ضمانة النبي (ﷺ) المختار لشيخنا وأولاده، ولحسن ظننا عولنا، وعليه توكلنا، فأقول، وعلى قدم الشكر أجول : قد أجزت له جميع ما في جواهر المعاني، وأذنت له إذنا مطلقا من الأوراد اللازمة وغيرها، كما أجازني شيخي ووالدي سيدي البشير، رحمه الله رحمة واسعة.

والله أسأل أن يمنحنا وإياكم الرضا والقبول، فإنه أكرم مسئول، وندعو لكم في سائر الأسحار، أدعية خالصة بدوام المجد والوقار، وبدوام بقائك، وعلو ارتقائك، وأن يقر عينيك بما يرتاح له الفكر، وينظر إليك بعين عنايته الربانية، ويجعلك في زمرة نبيه المصطفى، ووليه المرتضى دنيا وأخرى، والله يجعلنا وإياكم ووالدينا ووالديكم وأشياخنا وأشياخكم في أعلى عليين مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين آمين، إن شاء الله مطمئنين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ودمتم محفوظين بالتكريم، مخصوصين بأفضل التحية والتسليم. كتب في 13 شوال عام 1329هـ.

إجازة سيدنا محمد البشير لولده سيدي محمود

ولا بأس بذكر إجازة سيدنا ومولانا محمد البشير المشار لها في هذه الإجازة، تبركا بها، وحفظا لها من الضياع ونصها :

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، بعد حمد الله جل ثناؤه، وعز كبرياؤه، وتقدست أسماؤه وصفاته، فإني أذنت في تلقين ورد جدنا الأكبر، والعلم الأخضر. والكبريت الأحمر، القطب المكتوم، والخاتم المحمدي الأشهر، مولانا أبي العباس أحمد ابن محمد التجاني الحسني، أدامنا الله في حماه في الدارين، قد أجزت بعد الإستخارة بعلم الله، والإستقدار بقدرة الله، مستعينا به سبحانه، مستندا إلى حوله وقوته، لولدنا البار سيدي محمود أن يلقنه لكل من طلبه منه، ورغبه إليه فيه، وقبل شروطه قبولا تاما. آنس صدقه من المسلمين والمسلمات أيا كان، وعلى أي حالة كان، جاعلا له في هذا الإذن وهذه الإجازة أن يقدم من ظهر له لإعطائه وتلقينه، سواء طلب منه التقديم أو لم يطلبه، إن دعت الحاجة إلى ذلك، كبلد فيها بعض الفقراء، وليس فيهم مقدم، أو كبعد المسافة على البلد الذي فيها المقدم، أو نحو ذلك، لكن لا بد في التقديم من مراعاة الأهلية المعتبرة، بنعوتها المقررة، وهي مسطرة في كتب طريقتنا، مفصلة تفصيلا كافيا شافيا، وأقل مراتبها، الواجب اعتبارها، معرفة حقيقة الورد اللازم، وأركانه وأحكامه، ومعرفة شروطه المعتبرة فيه صحة وكمالا، ومعرفة الأذكار اللازمة بلزومه، وما يقضى وما لا يقضى إذا خرج وقته، وما ينجبر به السهو، إن وقع شكا أو تحقيقا. فهذا أقل ما يعتبر فيمن يراد للتقديم، وليأمر من قدمه أن لا يباشر كفه كف امرأة ليست بذات محرم منه عند التلقين، بل يلقنها بواسطة محرم منها، ولو لم يكن من أهل هذه الطريقة(51)، وإن كانت متجالة أو أمة فلا بأس أن يلقنها بنفسه، لكن باللفظ فقط، من غير مصافحة، فلا يظن ظان أننا نستنبط في الطريق شيئا قل أو جل مما لم يبلغنا نص فيه عن الشيخ رضي الله عنه، عياذا بجلال الله من ذلك، وعليك يا ولدي بتقوى الله في السر والعلانية بقدر الإستطاعة، كما قال تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم)(52).

---

(51) للتوسع جيدا في هذا الموضوع انظر بغية المستفيد للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح ص 367.

(52) سورة التغابن، الآية 16.

وعليك أن تعامل إخوانك في الله بالرفق واللين والتسهيل والتيسير ما أمكنك، مراعيا فيهم كونهم عبيد الله، وسره سبحانه خفي علينا، وأن تلاحظ فيهم أيضا حرمة الشيخ المضافين إليه، فرب إضافة بأدنى ملابسة تلحق العبد بأعلى مراتب أهل الله، إذا وقعت عليه المحبوبية، وكان ممن سبقت له العناية بفضل الله، وعليه أن يأمر من يقدمه أو يلقنه الورد بذلك، وبالتباعد من الرئاسة وأسبابها، فإن حب الرياسة كعبة تطوف بها الشرور، ومن ابتلي بها لا يفلح أبدا، نطلب الله العظيم أن يجعل ذلك طهارة لآبائنا ومحوا لسيئاتنا، وأجارنا بفضله، والحمد لله رب العالمين. وقع بتاريخ 8 ذي الحجة الحرام سنة 1324هـ، البشير بن محمد بن أحمد التجاني، ثم طابعه الشريف بداخله محمد البشير بن محمد الحبيب التجاني سنة 1301هـ، وبدائرته مطوقا : يا منفردا بالقدرة ليس لك ثاني كن لعبدك.

الخروج من فاس والتوجه لمكناس وما جرى أثناء الإستعداد لذلك

ثم إننا بتنا هذه الليلة ومعنا الفقيه الأمجد، المقدم الأسعد، سيدنا أحمد بن العياشي السلامي القادم مع إخوان شراكة(53)، بقصد ذهاب سيدنا محمود إلى قراهم، عند المقدم ابن سلطان(54)، المشهور بهذه الكنية عند الإخوان، وقد كانوا تهيئوا لقدومه عليهم، واستعدوا لملاقاته، إلا أن سيدنا رضي الله عنه ظهر له أن يذهب على طريق مكناس، وذلك من لطف الله بذلك المقدم مع أولئك الناس، مع ما شملنا من العناية بنا في المسير على طريق بني مطير، وقد قلت بعد الإستراحة :

---

(53) شراكة منطقة جبلية مشهورة، تقع على بعد 70 كيلومتر شمال مدينة فاس، وهي آهلة بالفقراء التجانيين، وبه عدة زويا، أكبرها الزاوية التي كانت مقرا للمقدم العارف با المربي سيدي محمد بن سلطان الشركي.

(54) المقدم البركة العارف با سيدي محمد بن الحاج أحمد بن علي بن سلطان، مقدم الزاوية التجانية بشراكة، وهو من مواليد عام 1234هـ، أخذ الطريقة الأحمدية التجانية عن المقدم سيدي سحنون عام 1255هـ، وكان عمره وقتذاك 21 سنة، ثم التقى بعد ذلك بجماعة من أكابر رجالات الطريقة، منهم لسانها العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، والمقدم الفقيه سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، والعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، فانتفع بصحبتهم غاية الانتفاع، حتى صار من أهل الكشف التام، المأذون لهم بالتصريف بين الخاص والعام، وكانت وفاته رحمه ا في الساعة السابعة من صباح يوم الجمعة 13 شعبان الأبرك عام 1336هـ، انظر ترجمته في إتحاف أهل المراتب العرفانية للفقيه الحجوجي ج 7، وفي نيل المراد لنفس المؤلف ج 2 ص 52.

يا ليلة وصفت بكل محمود	لما اجتمعت بها بالقطب محمود
نلنا المبيت على حسن الوفا معه	حتى ظفرنا به بكل مقصود
فالله يحفظه لنا ويحفظنا	بين الورى معه بالفضل والجود

وبمجرد كتب هذه الأبيات، جاء لخزانتنا سيدنا محمود بقصد تفقد أحوالنا في المبيت، وذلك من شدة اعتنائه رضي الله عنه وعنا به، فقمت لملاقاته، وأنشدتها عليه، فنشط لذلك، ودعا لنا بما نرجو من الله قبوله، وبعد صلاتنا لصلاة الصبح أنشأت هذه الأبيات في وصف هذه الليلة، التي تجر ذيلها فخرا على كل من يجر ذيله :

بتنا على وادي الجواهر	وبساطنا زاه وزاهر
فكأننا في جنة	فيها علينا الخير ظاهر
عن كل مكروه خلت	والقلب بالأفراح عامر
ما مثلها من ليلة	فيما مضى عند المفاخر
من حيث كون إمامنا	قطب عليه الفضل دائر
نجل التجاني من سمت	رتب له بين الأكابر
بدر العلا محمودنا	بين الأوائل والأواخر
لازال محمودا يرى	ملحوظ قدر منه باهر

ثم لما طلع النهار، خرج الإخوان أفواجا أفواجا لوداع سيدنا ووداع رفقائه، حتى كاد أن يضيق البساط بكثرتهم، من جملتهم المقدم الأجل الشريف سيدي الطيب السفياني، وناظر الزاوية الأبر السيد العربي بن السيد محمد بن العربي برادة، وحاجب الضريح الأغر سيدي محمد الزيزي(55)، مع المسمعين، وما انضاف إليهم من المحبين، وبقي الكل هناك في انتظار زيارة سيدنا محمود ووداعه، وكل قلب كاد أن ينصدع لفراقه بعد اجتماعه، ولم يقدروا على الفراق، والكل يود أن لو بقي بفاس من شدة الأشواق، حتى كاد الجميع أن لا يفارقه، ولسان حال كل واحد ينشد :

---

(55) المقدم البركة سيدي محمد بن محمد بن محمد بن الحاج علي بن الحاج عبد الكريم الزيزي، فقيه، صوفي، كان رحمه ا ملتزما بالزاوية التجانية الكبرى بفاس، مكلفا بصيانة ضريح سيدنا الشيخ التجاني رضي ا عنه، وبناء على ذلك كان يتولى بنفسه تجمير الضريح كل جمعة بالعود والطيب، وهو من مواليد فاس عام 1270هـ، حفظ القرآن الكريم على يد الفقيه المدرر بمكتب الصاغة الأستاذ العربي العيساوي، وأخذ نصيبا من الفقه عن جماعة من علماء فاس منهم : الفقيه السيد الحاج محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام كنون، والفقيه سيدي محمد فتحا القادري، وسيدي محمد الصائغ، وسيدي أحمد بن المامون البلغيثي، وسيدي محمد بن الحاج التهامي بناني، وسيدي أحمد بناني كلا، وغيرهم.
وأخذ الطريقة الأحمدية التجانية عن المقدم الجليل سيدي محمد بن العربي العلوي الزرهوني، وهو الذي أجازه فيه، ثم أجيز بعد ذلك من طرف مجموعة من الأكابر منهم : سيدي محمود التجاني حفيد الشيخ رضي ا عنه، وسيدي محمد العيد بن محمد الصغير بن القطب الحاج علي التماسيني رضي ا عنه، وأجازه كذلك العلامة السيد ألفا هاشم الفوتي، كتابة من المدينة المنورة.
وكانت وفاته رحمه ا في الساعة الثالثة والنصف من ليلة الأحد 13 جمادى الثانية عام 1345هـ، وكان قد أخبر بموته قبل ذلك، وصلي عليه بالزاوية الأحمدية التجانية عقب صلاة الظهر، ودفن بزاوية سيدي علي الجمل من حومة الرميلة بفاس. انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 181، وفي نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 2 ص 65-77، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 7.

فلو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا اختيار مع الزمان

وما زالوا في تلك الساعة منتظرين، وأهل السماع ينشدون مطربين، وعند الإفتراق أنشد الشريف المنيف، أحد مسمعي الزاوية بصوت لطيف، سيدي علال المنصوري التلمساني، بترجيع الصوت مع المنشدين السيد الطيب عمور وأخيه هذين البيتين لبعضهم :

استودع الله قوما ما ذكرتهم إلا تحذر من عيني ما سكنا
اشتاقهم كاشتياق الأرض وابلها والأم واحدها والغائب الوطنا

ثم أنشد أيضا باتصال :

لاغرو إن جعلوني من تفضلهم سلمان بعدهم من بعد سلمان
أو شرفوا قدر مدحي وهو شيمتهم أو بشروني بالحسنى كحسان

ثم أذنهم سيدنا رضي الله عنه بالإجتماع به والدخول عليه، بقصد الموادعة، وهو بداخل القبة العجيبة، ذات الإتقان العجيب، التي أتحفه بها الوزير الأفخم، السيد المدني الكلاوي(56)، وهي من أحسن القباب التي لا تكون إلا للملوك، أو لمن له مالية وافرة، وقد أخبرنا أنها صنعت بثمن قدره خمس عشرة مائة دورو، فدخل الإخوان إليها فكادت أن تسعهم، واستودعوه واستودعهم، وأمرهم بالرجوع لمحالهم، فرجعوا وقلوبهم من ألم الفراق، تكاد أن تنصدع بانشقاق. ثم ركب سيدنا وركبنا، وكان من جملة المسافرين مع سيدنا محمود في هذه الرحلة المباركة، صهره الأبر سيدي الحاج محمد دادي، وأخوه لأبيه سيدي محمد دادي، وأخوه للأب شقيق زوجة سيدنا محمود السيد الطاهر دادي، وخديم سيدنا محمود السيد سعد، مع بقية الأصحاب، ثم شرعنا في المسير في الساعة الثانية نهارا من يوم الثلاثاء، إلى أن وصلنا لوادي النجاة، وبه نزلنا في الساعة الخامسة عشية، وفيه أنشأت هذين البيتين :

بوادي النجاة أتانا النجا ح بنيل النجاة ونيل الأماني
وصاحبنا في الطريق الهنا وفزنا به ببلوغ الأمان

فبتنا فيه ليلة هنية، بعدما تأخرت القبة عن القدوم، لكون الأصحاب الذين معها ظنوا أن النزول برأس الماء، فذهبوا مع طريقه حتى وصلوا إلى خيام مضروبة على الطريق النافذة للمحل المعروف بالحاجب، فسألوهم عنا فلم يجدوا أثرا، إلا أنهم استيقظوا عن غفلتهم وأننا ذهبنا لوادي النجاة، فسألوهم عن الطريق إليه، فأرشدوهم إليها، فساروا مع الوادي إلى أن وصلوا للمحل الذي نزلنا به، بعد أن فات وقت العشاء، فنصبت القبة لسيدنا محمود، وبلغنا بالمبيت معه غاية المقصود، وفي صباح يوم الأربعاء أنشأت هذه الأبيات :

---

(56) التهامي بن محمد المزواري المراكشي الكلاوي، باشا مدينة مراكش وقتذاك، توفي أوائل عام 1375هـ - 1956م، وهي السنة التي نال فيها المغرب حريته واستقلاله. انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 2 ص 89.

بوادي النجا فزنا بنيل النجاة	ولم نرا سوءا من جميع الجهات
ولم لا ومحمود المساعي مجيرنا	يدافع عنا سوء كل العداة
يدافع بالسر الإلهي كل من	يروم وقوع الشر دون افتيات
له همة فعالة في عداه ما	يهدهم أو يرجعوا من هداة
فلا زال يرعانا ويرعاه ربنا	ويمنحه من فضله المكرمات

ولما طلع النهار وقع الإذن بالتهيء للرحيل، فخرجنا من قبتنا التي كنا تحت ظلها نستظل ونقيل، فحمي الوطيس علينا، ولكن خفف الحرارة جلوسنا على بساط هذا الوادي الزاهر، الذي هو نسخة من بساط وادي الجواهر، وأنشأت فيه هذه الأبيات :

أقمنا بواد لو أقمنا بغيره	مللنا ولكنا انبسطنا ببسطه
كأنه من وادي الجواهر قد أتى	يجر ذيول الفخر من حسن سمطه
ولا عجب إن كان من أصله جرى	ولكنه يجري على غير شرطه

ولا زلنا كذلك إلى الزوال، وبعد ذلك خرج الإذن بأن نتباعد عن محل النزول، ليركب حريم سيدنا بالمحفة، فقمت مع القائمين، إلا أني كتبت مباسطا لرفيق سيدنا، صهره الأبر سيدي الحاج محمد دادي ما نصه : حفظك الله بعد تحية الأدب أقول :

هل نرى من ورا إذا ما قربنا	أو بعدنا بالله قل لي ماذا
حسبنا إن ترد كمال احترام	أن نغض العيون في مثل هذا

عملا بقوله تعالى : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)(57) الآية، ونعوذ بالله أن تتشوف أنفس العبيد للنظر لحريم سيدهم، والسلام، وقد استحسن هذا، إلا أننا لما أطلعنا على بعض أخلاق سيدنا محمود رضي الله عنه، وما فيه من الحزم التام، خصوصا ما فيه من الغيرة على حريمه، واعتنائه بإبعاد أنفاس الرجال عن النساء، وراثة أحمدية تجانية، عذرنا صهره عن الأمور التي كنا نظن أنها من تلقاء نفسه، ولو كان اطلع على ذلك إخواننا الفاسيين لأقروا له بالفضيلة التامة، وشكروه على صبره الجميل، وصدق خدمته لصاحب هذا المنصب الجليل، وذلك أن سيدنا محمودا آخذ بالحزم في جميع أموره، مع علو همته، لا يرضى بسفاسف الأمور، بل يحب معالي الأمور، والإسراع بتنفيذ ما يأمر به، من غير رد ولا مراجعة، ولا شك أن صهره المذكور، هو القائم بمثل هذه الأمور، والمتكفل بكل ما يجلب له الرضا به، فيرضيه بعد السخط، ويسليه بعد القنط، وقد قلت : إن من وراثته الأحمدية أنه يحب مباعدة أنفاس الرجال عن النسوان، خصوصا فيما له من الحريم والخدام، لأن سيدنا ومولانا الشيخ جده التجاني قد كان كذلك، حتى أنه كان لا ينام حتى يسد أبواب البيوت على الخدام والعبيد، ويجعل المفاتيح عنده، وهكذا دأب سيدنا محمود رضي الله عنه، لا يحب أحدا أن يحوم حول المحل الذي هو به مع أهله، ولو من أقاربها إلا مع حضوره، ومن أعجب هذا أنه لا يحبنا أن نمر حول المحفة، ولو مرورا بها، وقد كنا في هذا اليوم مارين من أحد جهات المحفة، فأشار بيده إلي أن نباعد عنها، ونذهب من الجهة الأخرى، حتى لا تقع منا التفاتة، فهاجت القريحة ونظمت هذين البيتين:

(57) سورة النور، الآية 30.

وقائلة جنب بجنب محفتي — لكي لا ترى ما تحتوي من تزاويق
فقلت بعيني الكهربا تنظر الذي — تواري عن الأبصار طي الصناديق

وقولنا (بعين الكهرباء) على حذف همزة الإستفهام، مشيا إلى الآلة المخترعة التي يستطلع بها على ما في داخل الظروف، ثم خرج الإذن بالرحيل بعد أن ركب سيدنا وركب الأهل، فشرعنا في المسير في الساعة الثانية من هذا النهار، فوصلنا للمهدومة في الساعة الخامسة، فحططنا بها، بعد مرورنا على قنطرتها الجديدة التي وجدنا بها الجم الغفير من الخدمة الفرنسيين المشتغلين بإصلاح الطريق، أحاطوا حولها لإتمام عملها، والطريق مخطوطة على وتيرة واحدة، واتساع واحد، تارة تذهب على الطريق القديمة، والسلك ممدود على أعمدته من دار الدبيبغ(58) من قرب فاس إلى مكناسة، وتارة ينعطف منها.

وقد وقع الإصلاح في قنطرة وادي النجاة التي كنا عهدناها في رحلتنا الزيدانية(59) التي كنا سافرناها قبل هذه الرحلة، قد كادت أن تنهدم، وهكذا غالب القناطر الممدودة على المقاطع والخنادق المارة على الطريق، كلها قد دخلها الإصلاح في الجملة، وعما قريب على ما رأيناه من اعتناء الخدام بالإصلاح سيتم أمرها، فتكون على وتيرة واحدة، لا يرى سالكها تعبا ولا مشقة، وكأني بها وسكة الحديد ممدودة على الطريق إلى فاس، لما شاهدناه من تمهيدها وبسطها، كأنها في القديم كانت ممرا للسكة الحديدية، ولا يبعد أن يكون في القديم كانت هناك سكة، ولا عجب في ذلك، فقد اكتشف أهل الإختراعات الوقتية على أن السلك وبابور البر قد كان منذ زمان، ولم يشتهر أمره إلا في هذه الأعصار القريبة العهد، ولا زالوا يكتشفون، على أن هذه العجائب المخترعة قد كانت في القديم، إلا أن تهذيبها قد حصل على يد المتأخرين، وقد صدق القائل :

لم يدع من مضى للذي قد غبر — فضل علم سوى أخذه بالأثر

ثم إننا بتنا هذه الليلة مطمئنين، لا نخشى من طوارئ الليالي حادثا، من الأمن الواقع في هذه الطريق التي كانت يمر عليها المارون، وقلوبهم ترتعد من الفرق عند المسير، مما يحصل من الفساد من الساكنين بسائس من البربر وبني مطير، وما ذاك إلا لما ضربوا به من عصر الذل والهون، بعدما كانوا في تعصبهم وجهالتهم يهرعون، حتى جلبوا لنفسهم ما جلبوه، وجلبوا لغيرهم ما كانوا قد ارتقبوه.

---

(58) درا دبيبغ : موضع معروف أصبح اليوم من الأحياء الراقية بضواحي مدينة فاس.
(59) الرحلة الزيدانية : باستدعاء من نقيب السادة الشرفاء العلويين، العلامة المؤرخ مولاي عبد الرحمان بن زيدان العلوي الإسماعيلي، وذلك بمناسبة حفلات زفافه، وقد جمع العلامة سكيرج جميع جوانب هذه الرحلة في تأليف له سماه : الرحلة الزيدانية.

الوصول لمكناس

ولما طلع الفجر ذهب صهر سيدنا محمود مع أحد الإخوان إلى مكناسة ليعلم الإخوان بالقدوم، وكان الوقت صاحيا، إلا أن الريح قد كان قويا، وفي الساعة الثانية عشرة من نهار الخميس، أمر سيدنا بالرحيل، فتقدمنا للمسير، والمطر يسيل، إلى أن توغلنا، والسماء تبكي على الأرض التي نمشي عليها من سرعة ذهابنا عليها، حتى كاد دمعها أن يغمرنا، ولم نرى مثل هذا اليوم المطير، أصاب مثلنا ممن سلك في بلاد بني مطير، ولم تشفق إلا على سيدنا، مما حصل لنا من التعب، وما صبته علينا السماء بالقرب، ولكن قد أحسن سيدنا رضي الله عنه بالركوب مع أهله في المحفة من أول الأمر.

ومما يدل على كمال حذاقة سيدنا محمود رضي الله عنه مما تفطنت له، أنه في اليوم الأول أركب مع حريمه أمة صهره الأديب الوحيد سيدي الحاج محمد دادي، حتى تحقق بأن المحفة تحمل اثنين ليركب مع أهله في مثل هذا اليوم، ثم إننا تقدمنا أمامه في المسير، فوصلنا لمكناسة قبل وصوله، قرب الساعة الرابعة، فوجدنا المحلة الفرنسية المشتملة على الجم الغفير من أعراب الواسطة والعبيد ضاربين خزائنهم خارج المدينة بزيتون حمرية، وهناك محل خصوصي لحاكم الجيش، وقد بنوا جملة من البيوت حوله من الخشب، وبعضها بالبناء المستعمل بالآجر الطيني على أحسن ما يكون. وقد انتشرت تلك المحلة، وامتدت بامتداد الزيتون، وهناك بحمرية من وراء سيدي على مكراز أبنية لهم على نسق واحد، وكأنه محل معد لوقوف القطار المعروف في اللسان (لكار) ولما وصلنا لباب أبي العمائر(60)، وجدناهم قد بنوا على العين التي هناك وأصلحوها وأعدوا منها مواضع للسفر والورود، وصانوها عن الخبث الذي كانت ملطخة به من غسل الثياب والصوف بها، ومنعوا نساء البلد من استعمال مثل هذا بها، غير أنه لم يصونوها من غسل ثياب عبيد المحلة بالماء الجاري من ساقيتها، ويا حبذا لو كان منع الجميع من ذلك، أو أبقوا الأمر على ما كان عليه، حتى لا يقع امتياز على أهل البلدة، ولا ينافي التمدن الذي قرب إبانه، وأقبل بأعوانه زمانه، ولكن المستقبل قاض بالتفطن لمثل هذا، وتكون الأمور جارية على القانون الذي يتمشى عليه الخاص والعام، ولو بعد هذا العام، خصوصا في هذه المدينة التي اتسعت طرقها اتساعا يقضي بعمارتها في الغابر، وكأنها أعدت من قديم لمرور الكروسات، والآلات المخترعة للركوب مثل السيارة، ومثل (الطران) القطار وغير ذلك، مما اقتضت قرائن الأحوال باستعماله، ولو بعد زمان له أهل الاعتبار يستعدون، وربك يخلق ما لا تعلمون.

---

(60) قال العلامة المؤرخ عبد الرحمان بن زيدان : وإلى وادي أبي العمائر المذكور تنسب باب أبي العمائر من أبواب المدينة، وهو واقع في شمال غربي مستقبل حمرية إهـ... وقال المؤرخ ابن زيدان في موضع آخر ما نصه : وباب أبي العمائر المذكورة قد هدته الدولة الحامية عند حلولها بالعاصمة المكناسية، ولم تبق له عينا ولا أثرا، والقصد من ذلك إزالة الحاجز بين العاصمة القديمة والمدينة الجديدة، حتى لا تسد باب الأولى في وجه الثانية، ويتيسر سير العربات والسيارات بين المدينتين بدون أدنى حرج، ولإمكان المواصلة بينهما في سائر الأوقات، إلخ ... انظر إتحاف أعلام الناس للعلامة ابن زيدان ج 1 ص 50-51.

ذكر بعض ما يتعلق بتاريخ مدينة مكناس (61)

ولنذكر هنا بعض ما يتعلق بهذه المدينة من التاريخ، حتى لا يفوتنا في هذه الرحلة الكلام عليها، مع ما اشتملت عليه من المآثر العجيبة، والآثار الغريبة، ووقوعها موقعا لم تقع مدينة في المغرب مثلها فنقول : ذكر المؤرخون، خصوصا من تأخر منهم أن مكناسة الزيتون من الأمصار القديمة بأرض المغرب، بناها البربر قبل الإسلام، وكانت قبل فتحها ديار كفر من مجوس ونصارى، وحاضرتها إذ ذاك مدينة يقال لها (وليلي)(62) سميت باسم ملكها، وآثارها عظيمة، باقية لهذا العهد بأرض خيبر(63) من ناحية جبل زرهون، ولم تكن مكناسة في القديم متمدنة، وكانت الحارات مفترقة(64)، لمن كانوا قاطنين بها، منها تاورا(65)، وهي أقرب الحارات إلى المدينة، وورزيغة، ويذكر أن أصل أهلها روم، وكانت ورزيغة مخصوصة بالأمن، يسكن أهلها الخيمات بالجنات، فلا يلحقهم خوف ولا ضرر، إلا ما يتوقعونه من الأسد الضارية المتوحشة في الغابات القريبة منها.

وقد كانت كل حارة من الحارات قائمة بنفسها، وكان أهلها مطمئنين بعد الإسلام، منذ ملك أمراء المسلمين بنو تاشفين(66) بلاد المغرب، وأخمد الله تعالى بسيرتهم نيران الفتنة البربرية، قيل ولم يكن لهذه الحارات قديما بمكناس مدينة مسورة، وكان واليها يسكن قصرا أدركه القدماء خرابا، يعرف بقصر (ترزجين)(67) جوفا من المدينة الآن، فلما ظهر أمر الموحدين(68) أحدث المرابطون على الوادي الموجود بها حصنا سموه تكرارت بالقاف المعقودة، فلما أخذوا في بنائها اجتهدوا فيه، وأعجلهم الأمر حتى احتاجوا على ما يحكى إلى إقامة شقة من سوره بالأهرية المتخذة لادخار الأطعمة، وملئوها ترابا، وقاتلوا دونها حتى أكملوا البناء بعد ذلك.

---

(61) مكناس : من أهم الحواضر المغربية الحديثة، تبتعد عن مدينة فاس غربا بـ 60 كيلومتر، وعن مدينة الرباط شرقا بـ 140 كيلومتر، ولهذه المدينة تاريخ حافل وعريق، انظر إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس للعلامة عبد الرحمان بن زيدان العلوي الإسماعيلي، وفي الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون للعلامة سيدي محمد بن غازي العثماني.

(62) انظر التعريف بوليلي في ج 2 ص 127 من هذا المؤلف.

(63) يطلق لفظ خيبر اليوم فقط على الجهة الشرقية العليا لمدينة زرهون، وهي الجهة المواجهة للداخل من باب الحجر أحد أبواب المدينة المذكورة.

(64) انظر الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون لابن غازي ص 13.

(65) تاورا : حارة كبيرة تقع شرق مدينة مكناس، عن يمين الخارج من باب البراذعيين الذاهب إلى زرهون، وتشتمل هذه الحارة على مجموعة من الحوائر، لكن لم يعد اليوم معروفا باسمه القديم من حوائرها سوى حارة بني موسى، كما لم يبق اليوم من نسل سكانها بمدينة مكناس غير فخدتين وهما بنو حموش وبنو زغبوش، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 58، وفي الروض الهتون لابن غازي ص 16.

(66) المراد بهم ملوك الدولة المرابطية، وهي الدولة العظيمة المشهورة التي حكمت المغرب العربي الكبير مع بلاد الأندلس زهاء مائة سنة، ومن أهم ملوكها الخليفة المجاهد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني، باني مدينة مراكش، وقائد معركة الزلاقة الشهيرة.

(67) ترزجين : ينطبق وصف هذا القصر حاليا في هذا الوقت على المكان المعروف ببرج العريفة، الكائن بحارة بني موسى، قريبا من الجنان المشهور بجنان العريفة، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 84، وفي الروض الهتون لابن غازي ص 17.

(68) نسبة للدولة الموحدية، وهي من أعظم الدول الإسلامية المتعاقبة على الحكم بالمغرب، اتسعت حدودها الشرقية إلى برقة بليبيا، والجنوبية لأقصى نهر سينغال، بالإضافة لبلاد الأندلس التي عرفت أيام هذه الدولة استقرارا كبيرا، ومن أشهر ملوك هذه الدولة الخليفة عبد المومن بن علي الكومي، وابنه يوسف، وحفيده يعقوب المنصور مؤسس مدينة الرباط.

وكان الموحدون حينئذ يسمون الناس المجسمين ويقاتلونهم قتال كفر، وكان الناس يسمونهم خوارج(69)، ولم تزل الغارات تشن عليهم، ولا زال الجيش محاصرا للمدينة، وصاحب المدينة يبالغ في نكايتهم بالأخذ منهم، والخنادق لا تغني عن محلتهم شيئا، قيل أنهم حفروا أول خندق قريبا من المدينة، فضيق عليهم المرابطون ومن معهم في المدينة حتى رجعوا وراءهم، ويخندقون حتى أكملوا سبعة خنادق، وقيل : إنهم كانوا يحرثون وراءها ولا يخشون المحاصرة التي كانت قريبة من سبع سنين، حتى استعجل أمر الموحدين وافتتحوها وخربوها، حتى جاء بنو مرين(70) بعدهم، فبنوا قصبتها(71)، وشيدوا لها المساجد والمدارس والزوايا(72)، وكانت هي كرسي الوزارة، كما أن حضرة فاس الجديد هي كرسي الإمارة.

وكان أمير المؤمنين المولى إسماعيل(73) رحمه الله لا يبغي بها بدلا، فلما فرغ من أمر فاس رجع إليها، وشرع في بناء قصوره بها، بعد أن هدم ما يلي القصبة من الدور، وأمر أربابها بحمل أنقاضها، وبنى لهم سورا على الجانب الغربي، وأمر ببناء دورهم به، وهدم الجانب الشرقي كله من المدينة، وزاده في القصبة القديمة، ولم يبق أمامه إلا الفضاء، فجعل ذلك كله قصبة، وبنى سور المدينة، وأفردها عن القصبة، وأطلق أيدي الصناع في البناء ومداومة العمل، وجلبهم من جميع حواضر المغرب، ولما لم يقنعه ذلك فرض العملة على القبائل مناوبة، فصارت كل قبيلة من قبائل المغرب تبعث عددا معلوما من الرجال والبهائم كل شهر، وفرض الصناع وأهل الحرف على الحواضر، واستمر المولى إسماعيل مقيما بمكناسة، قائما على بناء حضرته بنفسه، وكلما أكمل قصرا أسس غيره، واعتنى كل الإعتناء بما يلي القصبة، وجعل لها عشرين بابا عادية في غاية السعة والإرتفاع، مقبوة من أعلاها، وجعل في هذه القصبة بركة ماء عظيمة تسير فيها الفلك والزوارق المتخذة للنزهة والإنبساط، وهي المعروفة بصهريج السواني(74).

---

(69) انظر الروض الهتون لابن غازي ص 19، وفي إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 87.

(70) نسبة للدولة المرينية التي حكمت المغرب العربي الكبير مع بلاد الأندلس مدة قرنين من الزمان، ومن أهم ملوكها السلطان يعقوب بن عبد الحق، وأبو الحسن المريني، وولده أبو عنان، وغيرهم.

(71) القصبة : بناها السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني الزناتي في شهر شوال عام 671هـ، وتقع هذه القصبة اليوم وراء سورها المقابل للهديم وظهر السمن، وكان مسجد للا عودة الموجود داخلها يدعى سابقا بمسجد القصبة، ويصعب في الوقت الراهن ضبط حدود هذه القصبة نظرا للتغييرات الكثيرة التي أحدثها بها السلطان المشهور مولاي إسماعيل.

(72) انظر الورض الهتون لابن غازي ص 36-37.

(73) إسماعيل بن محمد بن علي الشريف المراكشي العلوي، من خيرة ملوك الدولة العلوية الشريفة، اتخذ مدينة مكناس عاصمة لحكمه، بويع له بعد وفاة أخيه المولى رشيد عام 1082هـ، وكانت أيامه أيام ظفر وفتوحات، ومن أهم منجزاته تحرير الكثير من المدن الشاطئية من الإحتلال البرتغالي والإسباني، وكانت وفاته رحمه ا بعاصمته مكناس، عام 1139هـ، ومدة حكمه 57 سنة، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 2 ص 50-76، وفي الدرر الفاخرة لنفس المؤلف ص 29، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 324.

(74) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 138.

وجعل بها هريا عظيما لاختزان الطعام من قمح وغيره، مقبو القنانيط، يسع زرع أهل المغرب(75)، وجعل بجواره سواقي للماء في غاية العمق، مقبوا عليها، وجعل في أعلاها برجا عظيما مستدير الشكل لوضع المدافع الموجهة إلى كل جهة، وجعل بها اصطبلا(76) عظيما لربط خيله وبغاله، مسيرة فرسخ في مثله، مسقف الجوانب على أساطين وأقواس عظيمة، في كل قوس مربط فرس، وبين الفرس والفرس عشرون شبرا، يقال : إنه كان مربوطا بهذا الإسطبل اثني عشر ألف فرس، مع كل فرس سائس من المسلمين، وخادم من الأسرى يتولى خدمته، وفي هذا الإسطبل ساقية من الماء دائرة عليها مقبوة الظهر، وأمام كل فرس منها ثقب كالمعدة لشربه، وفي وسطه قباب معدة لوضع سروج الخيل على أشكال مختلفة.

وفيه أيضا هري عظيم مربع الشكل، مقبوا لأعلى على أساطين عظيمة، وأقواس هائلة، لوضع سلاح الفرسان(77)، وينفذ إليه الضوء من شبابيك في جوانبه الأربع، وفوق هذا الهري من أعلاه قصر يقال له : المنصور(78)، ولا يقصر ارتفاعه من مائة ذراع، خمسون في الأسفل وخمسون في الأعلى، وفيه عشرون قبة، في كل قبة طاق عليه شباك من حديد يشرف منه أهل

(75) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 137.

(76) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 142.

(77) قال العلامة المؤرخ ابن زيدان : ومن المباني الهائلة بهذا الإسطبل أيضا هيكل الهري الماثل الآن فيه، وهو هيكل عظيم هائل اشتمل على أهرية منها : هري سبع قبب، وقد دخلنا هري سبع قبب هذا فوجدناه انتصب من بناء مهول مدهش، يمثل عظمة بانيه، وكمال اقتداره، وبه ست قبب محيطة بالقبة الوسطى التي هي سابعة القبب، يقال إن هذا الهري كان معدا لوضع السلاح الحربي فيه حتى يحتاج إليه، وقد كان السلطان العظيم الشان المولى الحسن عين هذا الهري لخزن البارود، ثم بعد مدة طرأ عليه ما أوجب نقل البارود منه، وذلك الطارئ هو حدوث بلل بأرضه لم يعهد فيه قبل، فنقل منه ووضع بهري آخر حذوه، ولم يزل مصونا به إلى أن حلت الدولة الحامية وألقته في صهريج السواني، حيث التقمته أفواه قنوات مجاري مياهه أيام امتلائه، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 142.

(78) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 143.

القبة على بسيط مكناسة من الجبل إلى الجبل(79)، ويجاور هذا الإسطبل بستان على قدر طوله، فيه من شجر الزيتون وأنواع الفواكه كل غريب، طوله فرسخ، وعرضه ميلان، ويتخلل هذه القصور التي في داخل القلعة شوارع مستطيلة متسعة، وأبواب عظيمة، فاصلة بين كل ناحية وبين الأخرى، ورحاب عظيمة، مربعة معدة لعمارة المشور في كل جانب إلى غير ذلك، ولم تزل تلك البناءات على طول الدهر قائمة كالجبال، لم تسقطها عواصف الرياح، ولا كثرة الأمطار والثلوج، ولا آفات الزلازل، وكأن هذه البناءات نسخة من الأهرام، لتشييدها وعرضها واتساعها، وبالجملة إن مآثر هذا الملك العظيم، لو اجتمعت آثار دول جميع ملوك الإسلام لرجح بها ما أسسه في مملكته، وقد كان رضي الله عنه من أهل التصرف الظاهري والباطني، لم يزل في مقارعة أعدائه إلى أن دوخ بلاد المغرب كلها واستولى على سهلها ووعرها حتى تخوم السودان، وما وراء النيل، وانتشرت دولته في عمائرها، وبلغ في ضخامة الملك ما لم يبلغه غيره من ملوك الإسلام.

وقد فتح ثغورا ومراسي عديدة، وامتدت مملكته في جهة الشرق إلى بسكرة من بلاد الجريد ونواحي تلمسان، (والله أعلم حيث يجعل رسالاته(80)) وكل ما في هذه البلاد العجيبة الوضع من الآثار الهائلة فهي له أو لأحد بنيه، وكانت ولادته رحمه الله سنة 1056هـ، وتولى الخلافة وهو ابن ست وعشرين سنة، وتوفي سنة 1139هـ، فكانت مدة جلوسه على كرسي مملكته سبعة وخمسين سنة، وضريحه مشهور لدى الخاص والعام، مقصود للزيارة، وقد اشتهرت هذه البلدة التي أسسها على تقوى من الله ورضوان بالإسماعيلية، نسبة إليه قدس الله ثراه، ومن اليوم الذي توفي المولى إسماعيل، والملوك من بنيه وحفدته يخربون تلك القصور على قدر وسعهم، وبحسب طاقتهم، ويبنون بأنقاضها من خشب وزليج ورخام وقرمود ومعدن وغير ذلك إلى وقتنا هذا، فلم يبق في غالبها إلا الجدارات التي هي كالجبال الشامخة، مع ذهاب رونقها بمرور الأزمنة، وقد زالت سقفها، وذهبت أبوابها، ولم يبق منها إلا بعض المآثر من وجود سواري الرخام وقواعده التي أضحت على الطرق مرمية، وكل من شاهد تلك الآثار يعجب من عظمتها ويقول : ليس هذا من عمل بني آدم، ولا يقوم به مال، وغالب الناس من سكان المغرب، خصوصا أهل مكناس يعتقدون بأن ذلك من عمل الجن المستخدم، وصفة هذه المدينة على الحالة التي عليها الآن فيما رأيناه وشاهدناه أنها بلدة في فضاء متسع، حاطت بها أسوار من خارج، دائرة عليها بمن حولها متينة جدا، إلا أن لطولها دخلها التلاشي في بعض المواضع للمارة.

---

(79) في حق فخامة هذا القصر قال الوزير الإسماعيلي العلامة الأديب أبو حفص عمر الحراق هذه الأبيات :

أنا قصر العتاق من الجـيـ ـ ـاد   بناني ا في نـحـر الأعـ ـ ـ ـ ـادي
على يد عبده المنصور حقـ ـا   وصلت على القصور بكل نادي
وكيف لا أصول على المباني   وإسماعيل قـد أسـمى عمادي
وشيدني بـتـوفـيق ويـمن   وعـمـرني بآلات الجهـ ـاد
وروع بي الصليب وعابديـه   فـنال العز من رب العبـ ـاد
أدام ا ملكه فـ ـي هـنـاء   وأعقاب إلى يوم التنـ ـ ـ ـ ـاد

(80) سورة الأنعام، الآية 124.

وقد دارت المدينة بسور متين، اتصلت به أبنيتها مصونة بأبراج لا تحصى كثرة، معدة لدفع ما يطرأ من الحوادث، وفي هذه البلدة جنات بهيجة داخل البلدة وخارجها، ولها أبواب وحومات وحارات، وهي أحد عشر بابا مشهورا، منها باب أبي العمائر(81)، وهو الباب الذي يدخل منه لمكناس من فاس على زيتون حمرية، وبجواره حومة أروى مزين، وقد وجدنا الإصلاح يستعمل في عقبة هذا الباب التي كانت مرتفعة، بقلع ترصيفه وتهيئته لترصيف جديد، وتوطئة القنطرة قبله، ثم باب تيزيمي(82)، وبجوارها حومة قاع وردة(83) والحبول(84)، وهو المحل المعد لربط دواب البقر، ومنه يخرج لجنات ورزيغة(85)، ثم باب البراذعيين(86)، بجواره قصبة تيزيمي(87)، ومرس جناح الأمان(88)، ومنه يذهب إلى جنات تاورا، وتقرب منه من خارج قصبة حرطان(89)، يسكنها الخلط(90)، ثم باب السيبة(91) بجوارها رحبة الزرع، وبالساحة المتصلة بها تباع الدواب يوم الخميس، ومنه تخرج الطوائف العيساوية لضريح الشيخ الكامل سيدي محمد بن عيسى(92)

---

(81) سبق التعريف به ج 2 ص 56 من هذا المجموع

(82) قال المؤرخ ابن زيدان : وموقع باب تزيمي في الجانب الغربي الشمالي من المدينة، تنفتح دفتاه بين قوسين يسترهما سقف أعلاه غرفة معدة للقيم بحراسته، وخارج هذا الباب كانت سقاية السبيل المعروفة بسقاية الذهب، ولا زال إلى الآن سور صدر هذه السقاية شاخصا للعيان وكذلك غارباها، إلخ ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 227.

(83) قال المؤرخ ابن زيدان : ومن تأسيسات السلطان مولانا إسماعيل قصبة قعر وردة إلتي لازالت قائمة العين والإسم إلى الحين الحالي، وكان تأسيسه إياها عام 1101هـ، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 158.

(84) قال المؤرخ ابن زيدان حول موقع الحبول : كان فيما سلف مربضا لبقر الأهالي المتجرين في بيع اللبن، الذي هو من أهم حاجيات تموين العاصمة ومن ضروريات مستشفياتها، وقد اختار الأقدمون من أهاليها مكان الحبول المذكور لاستقرار بقرهم، لما فيه من الجمع بين منفعة القرب والتحصين بسور العاصمة وبابها، ودفع مضرة عفوناتها باتصاله بالباب وانفصاله عن غالب المنازل، إلخ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 51.

(85) ورزيغة : من حوائر مدينة مكناس، انظر روض الهتون لابن غازي ص 14، وفي إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 80.

(86) باب البراذعيين : باب واقع في غرب المدينة معروف بهذا الإسم إلى اليوم، وهو مقابل لجهة زرهون، ومنه يخرج القاصدون لها، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 226، وفي الروض الهتون لابن غازي ص 31.

(87) قصبة تزيمي الكبيرة : تقع داخل باب البراذعيين، ولازالت هذه القصبة مأهولة بالسكان إلى الآن، وسميت بتزيمي لكون ساكنيها من قبيلة تزيمي إحدى قبائل سجلماسة، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 170.

(88) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 158.

(89) قصبة حرطان : تقع بالجهة الغربية من مدينة مكناس، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 170.

(90) نسبة لقبيلة الخلوط القريبة من مدينة القصر الكبير، وهم عرب نقلهم للقصبة المذكورة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، في شهر ذي القعدة الحرام من عام 1270هـ، بهدف تدعيم وتعزيز الجيش البخاري، وعددهم على حسب رواية المؤرخ ابن زيدان 1500 رجل، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 171.

(91) باب السيبة : قال المؤرخ ابن زيدان : موقعه في الجانب الغربي الجنوبي خارج باب الجديد، بني على عهد السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، وذلك لما أضرمت نار الفتن البربرية، وتفاحش عبث أهل الزيغ والبغي، وصارت لصوصهم توالي النهب لكل ما وجدت إليه سبيلا خارج باب الجديد وبريمة، وتفاحش الضرر بالأهالي من سكان البلد وضاقوا ذرعا من ذلك، فبني هذا الباب إذاك على يد الباشا القائد محمد بن العواد الكبير، وهذا وجه إضافته للسيبة، إلخ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 228.

(92) الشيخ سيدي محمد فتحا بن عيسى الفهدي السفياني المختاري المكناسي، من أكابر مشائخ الصوفية في القرن العاشر الهجري، ولد بفرقة مختار من قبيلة بني حسن بمنطقة الغرب بالمغرب عام 872 هـ، أخذ عن جماعة من الشيوخ منهم : الشيخ أبو العباس أحمد الحارثي السفياني، والشيخ الكبير

رضي الله عنه، ولجنات بني موسى، ثم باب سيدي سعيد(93)، ومنه تخرج الطوائف العيساوية للولي الصالح سيدي سعيد(94) فيزورونه، ويذهبون قاصدين للشيخ الكامل من خارج البلد، على طريق المحل المعروف (بوجه العروس)(95) يجاور هذا الباب اتصالا من داخل ملاح اليهود(96)، والصاكة، وقصبة بريمة(97)، ومن خارج قصبتا سيدي سعيد(98)، وقصبة تولال(99)، ثم باب زين العابدين(100)، ويجاورها المحل المعروف بالهديم، وفيه يعمر سوق البقر والغنم والمعز يوم الأربعاء.

سيدي عبد العزيز التباع، وعلى يده فتح له، والشيخ سيدي الصغير السهلي، وأخذ هؤلاء الثلاثة مباشرة عن الشيخ سيدي محمد بن سليمان الجزولي.

وكانت وفاته رحمه ا بمقر سكناه بمدينة مكناس عام 933هـ، ودفن بمقبرة شيخه أبي العباس الحارثي خارج باب السيبة، وقبره مقصود يتبرك به، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 4 ص 11، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 186، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 264 رقم الترجمة 971، وفي ممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي ص 80 رقم الترجمة 32.

(93) باب سيدي سعيد : قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب سيدي سعيد، ويقال له باب الملاح، وباب وجه العروس، وموقع هذا الباب في الربع الغربي الجنوبي، وهو من تأسيس السلطان المولى عبد الرحمان بن هشام، أنشأه عند شق البرابر عصا الطاعة، وامتداد تمردهم وإضرارهم بأهل الذمة بنهب أمتعتهم، حيث كانت حارتهم خارج سور البلد عن يسار الخارج من باب بريمة، إلخ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 229.

(94) الشيخ الجليل أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشنزائي، صوفي جليل، قال في حقه صاحب مرآة المحاسن : وكان من أكابر الأولياء، ومشاهير المشايخ، من ذوي الهمم الغالية، وقال في محل آخر : وشهرته بالولاية والبركة بلغت الغاية إهـ... وهو من تلامذة الشيخ الشهير سيدي سعيد الداعي الدغوغي، أنظر ترجمته في ممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي ص 124-127 رقم الترجمة 73، وفي الإعلام بمن حل مراكش للعباس بن إبراهيم ج 10 ص 141.

(95) وجه العروس : هو باب الملاح، ويسمى كذلك بباب سيدي سعيد، وفي تسميته بباب وجه العروس إشارة للمكان الذي يطل عليه هذا الباب، وهي حقول وبساتين خضراء، ذات بهجة ونضارة، ومعظم الخضر والفواكه التي تجبى للمدينة إنما تزرع في هذا الموضع.

(96) قال المؤرخ ابن زيدان : ومن تأسيساته (يعني السلطان مولانا إسماعيل) حارة اليهود التي بها سكناهم الآن، أسسها عام 1093هـ، كما بتآليف الضعيف وغيره، وأمر بإخراج أهل الذمة من المدينة وإسكانهم بالمحل المؤسس لأجلهم، فسكنوه، وأخليت دروهم التي كانت وسط دور المسلمين بالمدينة، ثم سكنها أهل تافيلالت الذين بفاس بأمر من السلطان، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 157.

(97) قال المؤرخ ابن زيدان : ومن تأسيسات مولانا إسماعيل قصبة بريمة التي لازالت قائمة العين والإسم إلى الحين الحالي، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 157.

(98) قصبة سيدي سعيد : تقع خارج باب وجه العروس، ولازالت إلى يومنا هذا قائمة آهلة بالسكان، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 170.

(99) قصبة تولال : بناها السلطان مولانا الحسن الأول، وأصل ساكنيها من تافيلالت بالصحراء، أتي بهم بعد تمردهم بالمنطقة المذكورة، فسكنوا أولا بدار دبيبغ بضاحية فاس، ثم نقلهم السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان لمدينة مكناس عام 1282هـ، وأدرجهم في الجيش البخاري، وكانت سكناهم إذاك في الخيام، ثم بنى لهم السلطان مولانا الحسن الأول القصبة المذكورة التي هي مستقرهم الآن، وموقع هذه القصبة غربا من المدينة، وقد أحدثت بها اليوم عدة دور ومسجد للصلاة، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 217.

(100) قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب زين العابدين، وموقع هذا الباب في الجانب الغربي الجنوبي، على يسار الخارج من باب منصور العلج لبطحاء الهديم، بنى هذا الباب المولى زين العابدين بن السلطان الأعظم المولى إسماعيل أيام إمارته، تنفتح دفتاه بين قوسين يعلوهما سقف فوقه غرفة، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 229.

وفيه باب منصور العلج(101) الذي كان قديما باب دار المخزن، وعلى دكاكينه يحكم عامل البلد الآن، ومنه ينفد للمحل الخاص بالشرفاء العلويين، المعروف بالستينية(102)، والدار الكبرى التي كانت دار الملك المولى إسماعيل قدس الله روحه، والستينية قصر من جملة قصورها، ويجاور الباب المذكور من داخل المدينة جامع الأنوار(103)، وقد صار اليوم محلا لمأوى المساكين المخزنية، واتخذ قشلة لهم، وبجواره قبة الخياطين، وهي قبة عظيمة مرتفعة، معدة لوضع آلة الحرب، وبساحتها حبس قارة(104) المبني تحت الأرض ببناء عجيب متقن الوضع بالبلاطات، مفصول بعضها من بعض، وأقواسها مرتفعة تحت الأرض، يمر عليها المارة ولا شعور لهم بما تحتهم من هذا البناء الذي اتسع وامتد، ولم يقفوا له على حد لكونه تحت الأرض.

وهناك باب يقال له باب البوصلي، يفضي لضريح المولى إسماعيل، ومنه لأسراك(105) الممتد إلى المحنشة(106)، ثم باب ابن القاري(107)، وتجاورها قصبة بني محمد، وقصبة تواركة، وقصبة سيدي عياد، ومن هذا الباب يخرج لصهريج السواني، وهناك الهريان العجيبان، وهذا الصهريج مع الهريين يدهش الناظرين من اتساع أركانها، وإحكام بنائها، المضروبة كلها في قالب

---

(101) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 190.

(102) من أعظم وأفخم القصور الإسماعيلية بمكناس، يزيد طوله على 100 متر وعرضه على 50 مترا، وفيه من الروعة والجمال ودقة الصنع ما ليس في غيره، ووجه تسمية هذا القصر بالستينية وجود قبب به لها مزيد أبهة وبهاء، ومن جملته كونها مسقفة بالعمل المعروف عند أهل حرفة النجارة بالستيني، فأعطيت التسمية للقصر كله من باب تسمية الكل باسم الجزء الأعظم إلخ ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 124.

(103) جامع الأنوار : لا زال يعرف بهذا الاسم إلى يومنا هذا، وهو عن يمين الداخل إلى القصبة الإسماعيلية من باب منصور العلج، شيده السلطان مولاي إسماعيل، وكان في غاية الجمال والسعة لما احتوى عليه من قبب بديعة، وقوائم رخامية، مع الزخرفة الأندلسية الرفيعة الطابع، أنظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 159-164.

(104) قال المؤرخ ابن زيدان : ومن تأسيساته السرداب الهائل الكائن تحت أرض فسيح قبة الخياطين، ذو الأساطين المحكمة البناء، والأقواس الضخمة الشاهقة، تمر فوقه الركبان، وتجر الدواب عليه الصخور العظيمة، وتسير عليه السيارات البخارية المشحونة بالأثقال ذات بال، آناء الليل وأطراف النهار، بل جعلت فوقه جنات ذات أشجار وبقول، وصارت تسقى بالماء كل آونة فلم يؤثر عليه شيء مما ذكر.
يعرف هذا البناء اليوم بحبس قارة، ويقال أنه كان من جملة السجون المعدة للأسارى وغيرهم من أصحاب الجرائم العظيمة، يبيتون به ليلا ويخرجون نهارا للخدمة، قال أبو القاسم الزياني : وكان في سجونه من أسارى الكفار خمسة وعشرون ألف أسير ونيف، وكان يخدمون في قصوره، منهم الرخامون والنقاشون، والحجارون، والحدادون، والبناءون، والنجارون، والزواقون، والمهندسون، والمنجمون، والأطباء، ولم تسمح نفسه بفداء أسير بمال قط، وإنما كان يفدي ببعضهم من أسر من المسلمين، وكان في سجونه من أهل الجرائم العظيمة كالسارق والقاطع والقاتل نحو 30000، كلها تقيل بالخدمة مع أسارى الكفار، ويبيتون بالسجون والدهاليز تحت الأرض، إلخ... انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 135.

(105) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 216.

(106) المحنشة : من أفخر قصور السلطان مولاي إسماعيل بمدينة مكناس.

(107) قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب ابن القاري، موقعه في الجانب الغربي من المدينة، وهو باب محكم البناء، يعلوه برج هائل، يشتمل هذا الباب على بابين، إحداهما يدخل منه لناحية القصور الملكية من جهة صهريج السواني، والآخر يدخل منه لناحية الأروى الإسماعيلي ومساكن الجيش الملكي الذي كان بمثابة الحرس، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 229.

واحد، علوا وعرضا، وفيه أحد أبواب أكدال، وفي هذا المحل قصبة الوصفان المعروفة بباب مراح، ثم باب البطيوي(108) بجوار القصر المعروف بالمنصور، وهو باب عجيب، ويجاور المسجد المعروف بجامع الأزهار، وهو مسجد عظيم وحذاءه هربان عظيمان تحت الأرض، وهناك أحد أبواب أكدال، وبخارج هذا الباب قصبة الكدارة(109)، ثم باب كبيش(110)، تجاوره حومة الجبابرة وحومة المعاركة، وحومة زعير، وحومة الشاوية، وكراوة، وحومة الزيتون، ثم باب الناعورة(111)، بجواره دار المخزن المسماة بالمحنشة، مع جنان ابن حليمة(112) المستع الأكناف، المتصل بأكدال، ومن خارج تتصل به قصبة هدراش(113)، ثم باب المرس(114)، بجواره قصبة سيدي عمرو الحصيني(115)، ومن خارج غرسة اليزيدية، وجنان كيتان، والمنصورية، إلى غير هذا مما يكل اللسان عن وصفه.

---

(108) قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب البطيوي، موقعه في الجانب الغربي، وهو باب متقن البناء في غاية الإحكام، يدخل منه لناحية الأروى الإسماعيلي، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 230.

(109) قصبة الكدارة : أسسها السلطان مولاي إسماعيل، قال المؤرخ ابن زيدان : أما قصبة الكدارة فنسبتها لفرقة من فرق الجيوش المولوية، أنزلها بها مؤسسها على ضريحه صيب الرحمات، وموقع هذه القصبة في الجهة الجنوبية من المدينة، وهي الآن خراب بيد المكلف بالأملاك المخزنية يكتريها منه من شاء، لكون عمارتها الأصلية بطلت، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 171.

(110) باب كبيش : قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب كبيش بصيغة التصغير، موقعه في الجانب الشرقي في ناحية الأروى الإسماعيلي.

(111) باب الناعورة : قال المؤرخ ابن زيدان : ومنها باب الناعورة، وموقعه في الجانب الشرقي الشمالي، يعلوه برج عظيم هائل، محكم البناء، عجيب الإتقان، وقد أحدث السلطان العظيم الشان المولى الحسن في هذا البرج بإزاء هذا الباب بابا آخر قبالة قصر المحنشة السعيد، ومنه اليوم مرور كل صادر ووارد ممن يأتي من ناحيته، ووراء هذا الباب باب آخر يعرف بباب الناعورة البراني، وهو حديث البناء، ولا أستحضر الآن بانيه، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 230.

(112) انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 193.

(113) قصبة هدراش : أنظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 146.

(114) باب المرس : قال المؤرخ ابن زيدان : ومنهما باب المرس، وهو لناحية القبلة، وإنما أضيف للمرس لوقوع المرس الإسماعيلي الهائل خارجه، والمرس المذكور هو من أعظم الآثار الإسماعيلية، وقد أدركنا هذا المرس يعمر بما يجبى إليه من زكوات الإيالة المولوية المجاورة للديار المكناسية، وعليه قيمون يحرسونه، وأمناء على محصولات ما تجبى إليه سنويا، إلى أن اختل ذلك بحدوث الترتيب والضرائب الوقتية، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 230.

(115) الشيخ عمر بن مبارك الحصيني، نسبة لحصين بالتصغير، فخذ من قبيلة بني حسن، بمنطقة الغرب، بشمال غرب المغرب، فقيه زاهد كثير التنسك والإنقطاع إلى ا تعالى، أخذ عن الشيخين الجليلين سيدي أحمد بن عمر الحارثي السفياني، وسيدي عبد العزيز التباع، وكانت وفاته رحمه ا بمكناس عام 910هـ، ودفن بروضة رأس التاج، وضريحه من أشهر المزارات المتبرك بها بمكناس، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 495. وفي ممتع الأسماع لمحمد المهدي الفاسي ص 81 رقم الترجمة 33.

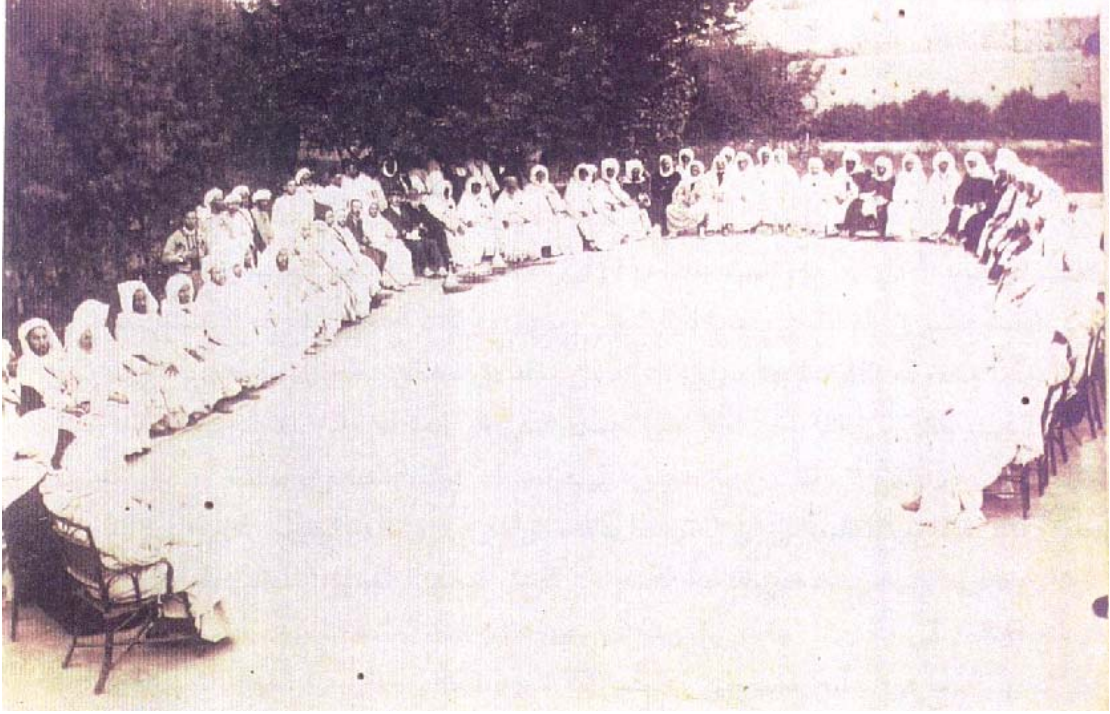
وقد وجدنا العسة على كل باب من هذه الأبواب من العسكر المنظم للحراسة، فدخلنا من باب أبي العمائر، بعدما تلقانا الجم الغفير من الإخوان خارج البلد، فأخبرناهم بأننا افترقنا في الطريق مع سيدنا محمود رضي الله عنه عن مسافة بعيدة، فمنهم من واصل المسير كالجماعة التي تلاقيناها مع صهره الأبر سيدي الحاج محمد دادي، حيث كان تقدم صباحا لمكناسة لينظر المحلات المعدة للنزول، وبعد قضاء مأموريته رجع ومعه نحو أربعين بغلة من الإخوان، فكان محل ملاقاتنا معهم قرب الجديدة، وقد واصلوا المسير حتى يتلاقوا مع سيدنا محمود، وسرنا قاصدين مكناسة، والمطر غزير، ثم تلاقينا مع نحو الستين من الإخوان راكبين، خرجوا أيضا للملاقاة بالمحل المعروف بالعواج، فرجعوا معنا للمدينة، حيث أن دخول سيدنا محمود لا يمكن إلا بعد الغروب، وأخبرونا بأن حاكم المحلة التي هناك كان مستعدا لملاقاة سيدنا محمود، مع بعض الحكام بها، إلا أن المطر صار مانعا من الإحتفال لهذه الملاقاة عند الدخول، لكن أخر الإجتماع إلى اليوم الثاني من يوم الدخول لمكناسة، فاجتمعنا به.

فرأيت من تعظيم الجنرال وخليفته، والكمندار وترجمانه لحضرة سيدنا محمود ما تعجبت له غاية التعجب من الإحتفال التام، والبشاشة المنوطة بالأدب اللائق مع سيادته، ومقابلة سيدنا محمود لهم بما يناسب مقامهم، لإعطائه المراتب حقها بموجب التجلي الإلهي الوقتي الذي يجب الإذعان إليه، وكنت حالة الإجتماع بالجنرال معه، وثالثنا صهره الأبر سيدي الحاج محمد دادي، فكانت ساعة من عجيب السوائع التي قل ما رأيت مثلها في عمري، وأتمنى لو رأى ذلك إخواننا المغاربة ليتأدبوا بآداب سيدنا محمود، وينظروا ملاقاة حكام الوقت لحضرته، فيتحققوا بأن هؤلاء الحكام يقدرون قدر أهل الديانة، خصوصا أهل هذه الطريقة التجانية، التي هي عندهم معظمة، محترمة في الوطن وفي غيره، لكونهم مشتغلين بما يعنيهم، ولا يتداخلون في أمر من الأمور، وهكذا رأيت احتفال حاكم المحلة النازلة بدار الدبيبغ قرب فاس حين تلاقيا، وكنت معه في تلك الملاقاة، فهش لملاقاته وبش بعد أن استدعاه، وقد ذهب معنا ترجمانه للتلغراف البرقي هناك، لنرى استخدامهم، فرأينا ما أبهرنا عندما صار البرق يلمع باحتكاك الكهرباء بدوران مكينتها التي يتعجب ناظروها، مما اشتملت عليه من العجائب، مما لم تفصح عبارة عن وصفه، ولا يفي به بيان، ولا يقبل ما يقوله الإنسان فيه، إلا من رآه بالعيان.

وقد دفع إلي هناك المهندس الكبير المكلف به آلة السمع التي تستعمل على الأذن لتلقي الكلام البرقي عند المخاطبة، فسمعت صوتا مهموسا نحو الثلاث كلمات ما عرفت لها معنى، إلا أن المتلقي لها كتبها، ونحن ننظر إليه، ذاكرا أن ذلك الصوت من قرب الشاوية، ورأينا هناك ما لم نقدر له وصفا، كل ذلك مع مراعاة الأدب اللائق بسيدنا محمود، ومقابلته لهم بما يليق بهم، من الإحترام الذي يقتضيه المقام، رعاية للقوانين المرعية لدى الخاصة والعامة بين أهل الوطن وغيرهم، مما لا يعرف قدره إلا من سافر ورأى من الأجانب وما لهم من الإحتياطات، والمحافظة التامة على إجراء الأمور على منهاجها لديهم، فلا يدخل داخل إلا بتسريح(116)، ولا يخرج إلا بتسريح، وإلا رأى من المكر ما يستحقه، بترك المطلوب منه، في اتباع الطريقة القانوية، فيتعين حينئذ السلوك عليها بين العامة والخاصة، ولا فرق في ذلك بين من صغر شأنه أو كبر، إما بعز أو بذل.

---

(116) التسريح : الترخيص والإذن.



صورة لإحدى احتفالات الفقراء التجانيين بمدينة مكناس بمقدم الشريف البركة سيدي محمود التجاني و قد التقطت هذه الصورة عام 1329ه_1911م

وقد شاهدنا في ملاقاة هؤلاء الحكام لسيدنا محمود باحترام له ما تحقق لنا بأن ذلك غير مستعمل باليد، وإنما هو لسر رباني، ظاهر لدى كل واحد، وقد اقتضى المقام ذكر هذا على سبيل الإختصار، حتى لا يفوتنا الكلام على مثل هذا ونحوه مما شاهدناه في هذه الرحلة، لتكون مرآة يرى تمثال ما رأيناه متجليا فيها، مصورا على هذه العجلة.

ذكر بعض من تلقانا بمكناس، وكيف كان التلقي

ثم إن الإخوان الذين تلاقونا رجعوا معنا، وكان من جملتهم المقدم الأمجد، الفاضل الأسعد، الفقيه الوجيه، العدل النزيه، السيد بلقاسم(1) بن المقدم الأفضل، أحد خاصة أصحاب سيدنا سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، فتلقانا بترحيب وتأهيل، وتقدم أمامنا لداره، فدخلت مصاحبا لرفيق كاتب سيدنا محمود، الفقيه النبيه سيدي محمد بن سعد بن مسعود الريعي لمكناسة، ولم ندر إلى أي محل نذهب، حتى أتى الله بمن دلنا على المحل الذي هو معد لنزولنا، إلا أنه ذهب بنا لدار المقدم فنزلنا بها عنده، فتلقى نزولنا بوجه طليق، فوجدناه قد استعد لدخول سيدنا عنده بالحليب والتمر، فتلقانا بعد الجلوس بذلك، إلى أن استرحنا بذلك، وأكرم نزولنا، وتغدينا عنده، وأزلنا أولا ثيابنا المبلولة، وقدم لنا مجامر التبخير المشعولة، وعند قصد تبخيره لثيابي حدثني بما تتروح به النفس والروح قائلا : في الحديث "عليكم بالعود الهندي، فإنه فيه ثلاثة أشفية، منها ذات الجنب" أقول : لفظ الحديث كما في جامع السيوطي "عليكم بهذا العود الهندي، فإن فيه سبعة أشفية، يستعط به من العذرة، ويلد من ذوات الجنب، خ عن أم قيس(2) إهـ.

ولما استرحنا طلبنا منه أن يوجه معنا من يوصلنا للمحل المعد لنزولنا، فخرجنا من عنده شاكرين لجميله، وذهبنا لمحل النزول، فدخلنا لدار متسعة الأرجاء، ذات بيوت ثلاثة، مفترشة بفرش نظيفة، عليها رونق بهيج، وهي دار السيد إدريس بن بوشتة، أحد الإخوان المستخدمين مع المخزن، وكان نزول سيدنا برياض المرحوم السيد المكي التراب، أحد أصحاب سيدنا رضي الله عنه، بالمحل المسمى بين العراسي، بين العشائين، ومحل نزولنا قريب منه بحومة جامع الزيتونة(3)، وعلى الطريق التي مررنا عليها مررنا على المجذوب مولاي أحمد الوزاني، أحد المجاذيب المسلم لهم بهذه البلدة، ومحل جلوسه في المحجة الفاصلة بيننا وبين طريق الرياض المذكور، وهذا الشريف له أحوال تعتريه، وهو بمحله منذ أزمان، لا ينتقل عن ذلك المكان، لا صيفا ولا شتاء، ولا ترى له فضلة على ما أخبرونا بهذه الأحوال، وقد أصبح في وجهنا يوم الجمعة المباركة، ونحن بهذا المنزل على أحسن حال ولله الحمد.

---

(1) انظر التعريف به في ج 2 ص 110-120 من هذا المجموع.

(2) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 65، وعزاه للبخاري عن أم قيس، ورواه البخاري في صحيحه في كتاب الطب، باب السعوط بالقسط الهندي والبحري رقم 5368.

(3) مسجد الزيتونة : من خيرة مساجد مدينة مكناس، أسسه السلطان المولى إسماعيل عام 1099 هـ، انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 169.

وبعد صلاة سيدنا لصلاة الجمعة بجامع الزيتونة ذهب قاصدا لدار المقدم بلقاسم، حيث أنه هيأ له الغداء، وقدم معه الجم الغفير من الإخوان، فكانت ساعة مباركة، من كثرة الأنوار الساطعة بحضور سيدنا، مع ذلك الجمع المبارك الذي حف الحاضرون فيه بسور الحفظ والعناية، وفازوا فيه بالتوفيق للنظر في وجه سيدنا المنوط بالرعاية. وقد هنيت الإخوان الحاضرين بالتمتع بالنظر في وجه هذا السيد المحمود فعله، المشمول برداء الشرف الأتم أصله، ولا شك أن النظر في وجهه مثل النظر في وجه سيدنا رضي الله عنه، والنظر في وجهه يوم الجمعة ويوم الإثنين يقضي بالسعادة الأبدية، من عام النظرة الخصوصية، التي قيل له فيها : اخرج لعبادي فمن رآك فقد رآني(4)، وهذه النظرة الخصوصية موروثة عن سيدنا رضي الله عنه، ورثها عنه الخاصة من أصحابه، فمن رأى الوارث كان كمن رأى موروثه، وأفضل وارثيه على الإطلاق أولاده، وأولاد أولاده ما امتدت فروعهم وتناسلوا، زاد الله في مددهم.

ولا شك أن سيدنا محمودا رضي الله عنه رأى والده سيدنا محمد البشير، وهو رأى والده سيدنا محمد الحبيب، وهو رأى صاحب هذه الخصوصية القطب الرباني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله من بحر عرفانه بأكبر الأماني، فمن رآه بهذه النية نال هذه المزية، خصوصا مع اعتقاد أنه من أهل الإصطفاء، لأن النافع هو النظر مع الإعتقاد، وعدم الإعتراض والإنتقاد. وقد حكوا أن بعض الأمراء شد الرحلة لزيارة أبي يزيد البسطامي قدس سره، فلما وصل إلى المحل الذي كان به وجده قد توفي، فسأل عمن يعرفه من أصحابه، فقيل له : هنا شيخ كبير، فأتى إليه فقال له : هل رأيت أبا يزيد ؟ فقال : رأيته وسمعته يقول : من رآني أو رأى من رآني لا تمسه النار، فقال : كيف يكون هذا ؟ وأبو لهب قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فقد دخل النار ؟ فقال له الشيخ : إن أبا لهب لم يرى النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما رأى يتيم أبي طالب إهـ...

اجتماعنا بنقيب الشرفاء العلويين مولاي عبد الرحمان بن زيدان(5)

وبين العشائين جاء للإجتماع بنا بمحل نزولنا، نقيب الشرفاء العلويين، العلامة الفاضل، الجامع لشتات المكارم والعرفان خصوصا، مولانا عبد الرحمان بن زيدان، وقد تأسف على عدم خروجه لملاقاتنا، وشرع في المعاتبة، على ترك إعلامنا له بالمكاتبة، وكنت أعلمته بفاس على طريق البوسطى(6) الفرنسية، إلا أن الكتاب لم يصله، كما لا تصل غالب المكاتب إلى أهلها غير ما مرة مع هذه البوسطى التي كانت فائقة على غيرها من البوسطات، وقد صارت لهذا العهد تضيع المكاتب العديدة على طريقها، ونفرت نفوس غالب المغاربة من توجيه مكاتبهم معها، مع أنه من حقها ينبغي تقدمها على غيرها أمام البوسطات، خصوصا في هذا الإبان، بما لها من التداخل في الإصلاحات بحكم المجاورة المغربية، ورعاية حقوق الوطنيين، والتهاون في هذا غير سائغ، ولا بأس بالتنبيه على مثل هذا عسى أن يجد له آذانا واعية، فينظر لذلك بعين التبصر من المكلفين بالمراقبة على الأمور، ليقع التمشي على القوانين المرعية، حتى لا تضيع الحقوق العمومية والخصوصية، وقد كنت وجهت له طي الكتاب المذكور هذه الأبيات :

---

(4) للزيادة في التوضيح انظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 289.
(5) سبق التعريف به في ج 1 ص 16 من هذا المجموع.
(6) البوسطى : بمعنى البريد

دعاني داعي الشوق من بين إخواني	إلى حضرة الولي النقيب ابن زيدان
وأزعجني حتى غدوت مولها	بـمـا بالجوى لاقيته منذ أزمان
ولما احتملت ما احتملت ولم أجد	لنفسي اصطبارا للذي فيه أفناني
أتيت إليه طالبا منه قربه	وجئت بمحمود المساعي ابن تجاني
وها أنا ذا استظللت تحت جناحه	لعلي أن ألقاه من بين إخواني
وغاية مطلوبي دوام وداده	وحبي فيه كامل دون نقصان

ثم صار الإخوان يتواردون عليه لزيارته في كل يوم، وإذا خرج من عنده قوم جاء آخرون، وقد ذهبنا مع سيدنا محمود إلى بعض مواقع سكناهم، حيث ألحوا عليه للقدوم عندهم للتبرك به، فذهبنا يوم السبت للمحلة التي هي خارج البلد من باب أبي العمائر، للإجتماع بالجنرال بعد الإستدعاء منه، فذهبنا عنده رعاية للقوانين التي يجب سلوكها، حتى لا يقع تشويش للجانبين في الجولان في هذه الأقطار، خصوصا في هذه الأوقات التي اتقدت فيها نيران الفتن، وفي يوم الأحد بعد صلاة العصر ذهب سيدنا محمود وذهبنا معه لدار السيد محمد بن المكي ابن القاضي، باستدعائه للتبرك به، فدخلنا عنده مع جماعة من الإخوان، فوجدناه قد هيأ وليمة حافلة لدخول سيدنا عنده، وكان ذلك موافقا لاستعمال عرس أحد أبنائه، فكان بحضور سيدنا محمود مباركا سعيدا، ومن الساعة التي دخلنا عنده وأصحاب السماع ينشدون، وأول ما أنشدوه قول أبي مدين(7) رضي الله عنه :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا	هم السلاطين والسادات والأمرا

ثم نهض سيدنا محمود ونهضنا معه، وركب وركبنا، وذهبنا في تكميل هذه العشية بصهريج السواني، فكانت عشية مبتهجة، تتسلى بها كل مهجة، على اتساع ذلك الصهريج الذي هو بحيرة تضاهي بحيرة سارة في الإتساع، وهو مع الهري المتصل به من أعجب ما يراه الناظر، وتعجب له أهل الإختراع، وكأن لسان حال هذه المآثر الموجودة بهذه المدينة الغراء، يقول على لسان من بناها من القدماء :

(7) الشيخ الجليل أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني، من أعيان المشايخ الصوفية، أصله من أحواز إشبيلية بالأندلس، بقرية تدعى : قطنيانة، وبها ولد عام 515هـ، ثم ارتحل للمغرب فأقام بفاس مدة غير قصيرة، ومنها انتقل لبجاية بالقطر الجزائري، وكانت وفاته رحمه ا عام 594هـ، ودفن بقرية العباد المجاورة لمدينة تلمسان، عن 85 سنة من عمره، انظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 364، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ج 1 ص 530، رقم الترجمة 609، وفي الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 154 رقم الترجمة 275، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 164 رقم الترجمة 508، وفي الديباج المذهب لابن فرحون 127. وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 4 ص 303، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 166.

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

ثم رجعنا مارين على الطريق الموصلة لضريح الولي الصالح المشهور بسيدي سعيد(8)، محل جلوس المجذوب المعروف بسيدي منصور(9)، المشهور عند أهل مكناسة بالكشف الصريح، فسمع به سيدنا محمود فأحب الوقوف على حقيقة أمره فقصدناه، غير أني استعملت في الطريق هذين البيتين، في خطاب هذا المجذوب بلامين :

يا سيدي منصور لست بزائر لكنني قد جئت خلف إمام

لا أبتغي مددا لديك لأنني شيخي كفاني نيل كل مرام

ومن الأمر العجيب من أحوال سيدنا محمود رضي الله عنه، أنني استعملت هذين البيتين، وخطر ببالي معنى الزيارة التي منعنا منها في طريقتنا المحمدية، حتى لا نجتمع بولي من الأولياء مما تخل به الرابطة بين المريد وشيخه، وكان هذا الخاطر موافقا لوصولنا لضريح الولي المذكور، فبمجرد وصولنا لوى العنان عن ذلك المكان، ورجعنا معه لمحل النزول.

وفي زوال يوم الإثنين قدم لمكناسة مقدم زاوية شراكة المشهور بين الإخوان بالمقدم ابن سلطان(10)، وهو رجل ذو شيبة منورة، وسريرة مطهرة، قد تلاقى مع جل أكابر الطريقة فيما حدثنا، مثل المقدم الكبير العارف الشريف سيدي محمد بن أحمد أكنسوس(11)، والعارف بالله الولي الصالح سيدي العربي بن السائح(12)، والولي الأشهر سيدي العربي الشهير بالموساوي العلمي(13)، ويحكي عنهم أمورا عجيبة، وأحوالا غريبة، حصلت له معهم، وقد جاء من محله

(8) سبق التعريف به في ج 2 ص 62.

(9) أبو عبد ا سيدي محمد منصور بن محمد بن عبد القادر، من ذرية الولي الشهير سيدي سعيد بن أبي بكر المشنزائي، دفين خارج باب الخميس من مدينة مكناس، مجذوب ساقط التكليف، ذو كشف واضح وأحوال خارقة، أخذ عن الولي الصالح سيدي عبد القادر العلمي، ثم بعده عن سيدي عبد الكريم بن الرضي الوزاني، وكانت وفاته رحمه ا عند ظهر يوم الأحد 22 ربيع الثاني عام 1334هـ، ودفن من يومه بضريح جده المذكور، في قبة الذكر، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 4 ص 296.

(10) سبق التعريف به في ج 2 ص 51 من هذا المجموع.

(11) سبق التعريف به في ج 1 ص 202 من هذا المجموع.

(12) سبق التعريف به في ج 1 ص 308 من هذا المجموع

(13) الولي الصالح العلامة الشهير سيدي العربي بن إدريس بن العربي بن محمد بن العربي بن عمر العلمي اللحياني، ولد بمدينة فاس، ومنها انتقل لقبيلة زرهون، فاستقر بقرية موساوة، وبها لقي ا تعالى في ليلة السبت 15 جمادى الثانية عام 1320هـ، وشيوخه في العلم كثيرون منهم : أبو عبد ا سيدي محمد بدر الدين الحمومي، وسيدي محمد الأمين الزيزي الحسني العلوي، وأبو الحسن سيدي علي التسولي، وسيدي علي المريني، وسيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلالي الحجرتي، وسيدي محمد الطالب بن حمدون بن الحاج، وسيدي أبو بكر بن كيران، وسيدي الحاج الطالب بن عبد الرحمان السراج، وسيدي إدريس بن عبد ا الحسني الودغيري الملقب بالبكراوي، وغيرهم.

وهو رحمه ا من أكابر المقدمين في الطريقة الأحمدية التجانية، أخذها عن البركة المقدم سيدي

لزيارة سيدنا محمود رضي الله عنه، حيث أنه لم يعرج على طريقه في سفره، بعدما كان هيأ لملاقاته ما هيأه، وأعلم الإخوان القاطنين بشراكة والحياينة وأولاد عيسى وغيرهم ممن أتوا لملاقاته بمحله، وبقي في نفسه شيء من عدم مرور سيدنا محمود على طريقه، وكان قبل السفر وجه بعض البهائم لحمل أثقال سيدنا محمود لرباط الفتح، إلا أنه لما لم يمر بطريقه طلب رد البهائم إلى أهلها، معتذرا بأنها ليست له، وأنه كان هيأ بهائم أخرى توصل سيدنا محمودا لأولاد عيسى، ومنها إلى الإخوان بعددهم، فيحملون أثقاله، وهكذا إلى أن يصل للرباط، فلما سمع بهذا سيدنا محمود رضي الله عنه، كلف سيدنا رضي الله عنه صهره الأبر سيدي الحاج محمد دادي بشراء عشرة دواب لحمل بقية أثقاله، وهذا هو المناسب لحاله.

ذكر استدعاء النقيب مولاي عبد الرحمان بن زيدان لنا

ثم جاء لمحل نزولنا في هذا اليوم الشريف النقيب، لانتظار ذهاب سيدنا محمود لرياضه البهيج، ولما طال انتظاره كتب هذين البيتين ووجههما إليه :

يا من بهم قد زها(14) الوجود بوصلكم للغريم جودوا
طال انتظاري إلى علاكم ونار شوقي لكم وقود

وبعد ساعة زمانية ركب سيدنا بقصد الذهاب إليه، ولما وصلنا صلينا العصر هناك، وحضر عنده جماعة من السادة الشرفاء العلويين، وغيرهم من الفقهاء المبجلين، مثل الأخ الأفضل الفقيه الكاتب الأجل، أبو بكر سيدي محمد الغالي السنتيسي(15) التجاني طريقة، تلاقى مع سيدنا محمود رضي الله عنه بعد الفراغ من الصلاة، وأتى مصاحبا لقصيدة في مدحه، فقرأتها بحضرته، يقول في مطلعها :

بوعزة بن الخليفة المعظم الحاج علي حرازم برادة الفاسي، كما أجازه فيها آخرون، وانتفع كثيرا بصحبة الولي الصالح أبي المواهب سيدي محمد العربي بن السائح، حيث نال منه فوائد وفرائد وأسرار عالية.

وله عدة مصنفات أشهرها : رسالة الترغيب والترهيب، في جزءين، حول الطريقة التجانية، ومنها كذلك أرجوزة في نفس الموضوع سماها : منحة الإخوان، مشتملة على 1913 بيتا، ومنها قصيدة عينية جميلة في نفس الموضوع، وتقييد في آل البيت سماه : العتب والزجر لمن واجه بعض أهل البيت بالسب والبجر، وتقييد في الرد على المنكرين للطريقة التجانية، ومن أهم كتبه تصنيف نفيس في علم القراءات، في بيان مخرج الضاد المعجمة والتاء الفوقية سماه : القول النافع والجواب القامع، وغير ذلك من الرسائل والتقاييد المهمة.

انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 45، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 5، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف كذلك رقم الترجمة 139 وفي نيل المراد لنفس المؤلف ج 1 ص 86، وفي الصفحتين الأخيرتين من كتابه الترغيب والترهيب حيث عرف به فيهما تلميذه الفقيه العلامة سيدي محمد الحسن بن عمر مزور.

(14) زها : أشرق وزهر

(15) سبق التعريف به في ج 1 ص 398 من هذا المجموع.

باب السعادة فتحت في الحال | أم شمس فتح أشرقت لوصالي

إلى آخرها لتنظر في ترجمته، وقد حلت محل القبول من سيدنا محمود، ودعا له بما يرجى قبوله، ثم ركبنا مع سيدنا رضي الله عنه، وخرج للمحل المعروف بأكدال للتفسح، فشاهدنا هذا المحل المتسع، ورأينا فيه النعامة والظليم(16) من الطيور القاطنة به منذ قديم، ثم بعد الرجوع للمحل أطلعني سيدنا الشريف النقيب على هذين البيتين في خطاب سيدنا محمود، في بلوغه للمقصود، وهما :

بلغت القصد يا صدر الصدور | بعز في الورود وفي الصدور

ودمت مدى المدى محمود سعي | وبالمحمود تشرح للصدور

في يوم الثلاثاء استدعى سيدنا محمودا لداره الشريف المنيف مولاي المهدي العلوي، أحد الإخوان، القائم بتنظيم حلقة يوم الجمعة بزاوية مكناس، فذهبنا إليه بعد صلاة العصر، ولم يقصر في الإكرام، مع الإحتفال المنوط بالإحترام، ثم خرجنا قاصدين التفسح بخارج البلد، فخرجنا من باب تيزيمي، وذهبنا على طريق باب القرمود إلى المحل المعروف بورزيغة، وهي محل منخفض، مشتمل على جنات عديدة، تسلي الناظر إليها، ورجعنا على طريق عين الكبير رسغين، ثم شققنا في الطريق الأولى وقصدنا الدخول، من باب أبي العمائر لمحل النزول.

احتفال عامل مكناس بنا وغيره من الإخوان

وفي يوم الأربعاء استدعانا المحب الأرشد، الباشا الأسعد، السي بنعيسى بن عبد الكريم عامل مكناس، فدخلنا لداره مع سيدنا محمود رضي الله عنه، وقابلنا بأحسن مقابلة، وأقبل عليه سيدنا محمود بقبول، نال به الباشا المذكور غاية المنى والسول، وبعد الغداء رجع سيدنا محمود لروض نزوله، وفي صباح هذا اليوم كان توجه لفاس السيد محمد أخو سيدي الحاج محمد دادي من أبيه، لقضاء بعض الأغراض بها، فكتبت معه أخاطب شيخنا العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس(17)، مع جماعة الإخوان :

---

(16) الظليم : الذكر من النعام وجمعه ظلمان وأظلمة.
(17) سبق التعريف به ج 1 ص 40 من هذا المجموع.

يا سادة في فؤادي حبهم راسي وباقترابي لهم تطيب أنفاسي
ودعتكم وقليبي ضاع عندكم من أجل بينكم قد ضاع إيناسي
أستودع الله جمعا كنت أحضره وأنتم نوره من ساكني فاس
أملت من بعد بعدي أن يساعدني دهري بقربهم لأنهم ناسي
حتى إذا جاد لي دهري بقربهم صار الزمان حسودا قلبه قاسي
ففرق الدهر من بيني وبينهم يا هل ترى بعد هذا مذهب باسي
لا تجعلنه أخير العهد بينهم يا رب واحفظهم في سائر الناس

فوجه لي معه عند رجوعه هذه الأبيات :

يا مفردا بلطافة وإيناس وجهبذ العلم في ذكاء إياس
سارت سيارة سبقكم تأجج ما قاسى قليب على ترحالكم آسي
ودعتم إثر تسليم كأنكم واصلتم بالكرى(18) من غير إحساس
اشتقت وصلكم من بعد بعدكـــــــم فأعقب الوصل بعدا فعل خـــلاس(19)
أعقب ذا البعد وصلا عاجلا فلكم جادت بواشر إيحاش بإيناس
إن الرجا في كريم لا يخيب من دعاه يجمع شمل الناس بالناس
أستودع الله جمعكم وبدركم إن السلامة في سلامة الراس
أهدي إليكم سلاما زاكيا عطرا من مستهام(20) بكم قد قر في فاس
وحي سيدنا محمود من جمعت له المكارم ساقي السر بالكاس
نجل التجاني أبي العباس أحمد من حاز المعالي فضلا دون مقياس
فالله يحفظنا فيه ويسعـــــــــــدنا بعوده سالما في طيـب أنفـــــاس
بجاه غوث الورى وآلــــــــــه وبعميـــــــــــه الشـريفيـــن حمزة وعباس
والقطب أحمد ختم الأولياء ومن والاهم بصفاء دون وسواس
على النبي صلاة الله يتبعها أزكى سلام كطيب الورد والآس
وآله وصحاب والمحـــب ومـــن حاز اللطافة في فـــاس ومكنـــــــاس

(18) الكرى : النعاس
(19) الخلاس : السالب للشيء بمخادعة عاجلا
(20) مستهام : الهائم القلب

وفي يوم الخميس بعد صلاة العصر ذهبنا معه لدار الشريف سيدي محمد بن عبد الرحمان الإسماعيلي للغذاء عنده، وفي صباح هذا اليوم اجتمعت مع الشريف، الأديب الغطريف، سيدي محمد بن إدريس الإدريسي الشبيهي(21)، وفي يوم الجمعة صلينا صلاتها بالجامع الكبير، والخطيب به هو المقدم الفقيه سيدي بلقاسم بصري، وبعد الصلاة دخلنا لدار السيد محمد بن حبيبي بصري(22)، وما قصر في الإكرام، وحضر معنا جماعة من الإخوان، فكانت ساعة تتسلى بها النفس من الأشواق المؤججة في الحشا نيرانها، وكان المنشدون يطربون بأصواتهم السامعين، مع من يحسن الآلة، تستلذ بها الأسماع، مع كمالها بتطريب أهل السماع، فأخذ كل واحد من الحاضرين من ذلك على قدر نصيبه

وفي يوم السبت بعد صلاة العصر، ذهبنا مع سيدنا محمود رضي الله عنه لرياض سيدنا النقيب مولانا عبد الرحمان بن زيدان، بعد المرة الأولى، وكتب إليه هذه الأبيات :

أسيدنا المحمود لازلت راقيا	مراقي عز في الفخار فريد
أتاك ابن زيدان بجدك شافعا	يريد بفضل للوصال تعيد
فبالختم لا تجعل جوابي لن ترى	فوصلك يا مولاي عندي عيد
وأرجو جوابا شافيا منك لي يفي	بما أرتجي إذ لست عنك أحيد
فلا زلت منا للخواطر جابرا	وفعلك بين العالمين حميد

فأجابه سيدنا محمود، بهذه الأبيات التي ختم عليها بطابعه الشريف، ونصها :

ألا أيها المولى النقيب ومن له	مكارم أخلاق وفضل يزيد
تشفعت لي بالمصطفى لتنال ما	به تبلغ المقصود مما تريد
فها أنا ذا آتيك في السبت بالمنى	فدم في رضى المولى وأنت حميد

وقد أنجز وعده، وبلغه في هذا اليوم قصده، فكتب النقيب هذين البيتين :

زال عنا العنا(23) ونلنا الأماني	بورود المحمود سبط التجاني
دمت يا مفرد الزمان أمانا	لرقيق الجناب طول الزمان

---

(21) انظر ترجمته في ج 2 ص 120 من هذا المجموع.
(22) انظر ترجمته في ج 2 ص 121 من هذا المجموع.
(23) العناء : النصب والتعب.

وكان النقيب المذكور، وجه لسيدنا محمود، مشموما من الأنوار، منظما بأحسن تنظيم، التقطه من روضه البهيج، ووجه لي معه هذين البيتين لأدفع الجميع لحضرته المنيفة، وهما يخاطبه بهما :

هذه الأنوار للنور البهي أهديت تطلب منه الوصل لي
فتفضل سيدي عني وقل أنت مقبول لدينا يا أخي

وكان وجه لي صباحه، بعد موادعتنا له بالفطور عنده، هذه الأبيات :

يا إماما صار في العلم علم وغدا بدرا شريقا في العلم
قد أتى منكم جواب مطرب دره من خالص التبر(24) انتظم
عجلوا الوصل فإني شيق ومن البين(25) الحشا مني انكلم (26)
واصحبوا لي ما يلي ما بيدي من بلوغ القصد إذ رقمه تم

وقد ذهب سيدنا محمود من عنده قاصدا للزاوية المباركة، لوداع الإخوان بها، وهي بحومة رحبة الزرع القديمة، عليها رونق بهيج، بجوارها جامع صغير، تصلى به الأوقات الخمس، وقد لبست هذه الزاوية حلة القبول، بما اشتملت عليه من التحسينات والتحف التي فيها سلوة الخواطر، ونزهة للناظر، فقد أسست على تقوى، وبنيت على سواري لحمل ما هو عليها تقوى، وعن يمين الداخل سقاية مبرزة، وهي قبالة المحراب، تفيض منابعها ماء، معدة للوضوء، ومنها يجري لسقاية بيوت خلائها الأربع، التي عن يسار الداخل، أما محرابها فقد زاد بهجة بالنقش المحيط به، وقبالته السقاية التي نقش خدها بالزليج المصنوع بالعمل الدقيق، على أحسن تنظيم، ولا بأس أن ننقل هنا ما شاهدناه مكتوبا بها بغاية الإتقان في التزويق، والخط المرونق بالحسن والتدقيق، فبالباب الكبير، عن يمين الداخل :

باب السعادة والرضوان والظفر لداخليه جميع السول والوطر

وعن يساره :

وحاج(27) من حج ذا المقام قد قضيت وصب فيه عليه الخير كالمطر

---

(24)التبر : ما كان من الذهب غير مضروب أو غير مصوغ
(25) البين : الفرقة
(26) انكلم : بمعنى جرح
(27) حاج : جمع حاجة وهي ما يحتاج إليه

وعلى الباب الصغير :

لك البشارة يا من خده وضعا — بذا الرحاب وحط الرحل وانتجعا(28)
ومد راح الرجا لله مبتهلا — وأمر أحمد من قد رامه وسعا
كل الذي شئته قد نلته كرما — يا سعد مستصرخ بذا الحرام دعا

ومكتوب على السقاية :

شاهد بديع الحسن في أفقي وفي — أرضي وفي مائي المعين الجاري
واشرب هنيئا ها ينابيع الرضى — تجري بقطب المصطفى المختار
فكأنني وتبارك المولى الذي — أبدى جمالي هالة(29) الأقمار
بسنا التجاني نار سعدي في العلا — فسطعت بالصلوات والأذكار
أكرم به أعظم به أعزز به — من هاشمي شامخ المقدار
الله أكرمه وأظهر سره — في سائر الأقطار والأمصار
ولنشأتي إن تبتغي تاريخها — أرشيف مائي فزت بالأوطار

وبدائرة الخزانة، عن يمين الداخل للقبة بالصف الأول، قول البوصيري رحمه الله :

بشرى لنا معشر الإسلام إن لنا — من العناية ركنا غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته — بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم
راعت قلوب العدا أنباء بعثته — كنبأة أجفلت(30) غفلا من الغنم
ما زال يلقاهم في كل معترك — حتى حكوا بالقنا(31) لحما على وضم (32)

وبالخزانة المقابلة لها بالصف الأول أيضا :

ومن تكن برسول الله نصرته — إن تلقه الأسد في آجامها(33) تجم(34)
من يعتصم بك يا خير الورى شرفا — الله حافظه من كل منتقم
ولن ترى من ولي غير منتصر — به ولا من عدو غير منفصم
أحل أمته في حرز ملته — كالليث حل مع الأشبال في أجم

---

(28) انتجع : انتفع وأفلح.
(29) هالة : مفرد هالات وهي دارة القمر.
(30) أجفلت : أنفرت وشردت.
(31) القنا : الرمح.
(32) وضم : مفرد أوضام وأوضمة وهي خشبة الجزار التي يقطع عليها اللحم.
(33) آجامها : جمع أجمة وهي مأوى الأسد.
(34) تجم : أجم الأسد أي دخل أجمته.

وبدائرة الخزانة عن يمين الداخل بالصف الثاني : الحمد لله وحده، لا إله إلا الله، اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، صلاة تفتح لنا بها أبواب الرضى والتيسير، وتغلق عنا بها أبواب الشر والتعسير، وتكون لنا بها وليا ونصيرا، أنت ولينا ومولانا، فنعم المولى ونعم النصير. وبالخزانة عن يمين المحراب سورة : قل هو الله أحد، بالكوفي، وكذلك بالخزانة عن يسار المحراب سورة قل هو الله أحد، بالكوفي أيضا، ومكتوب بالمحراب قوله تعالى : (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا، وكفلها زكرياء، كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا، قال يا مريم أنى لك هذا، قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب(35)). وبالدائرة الأعلى بالصف الثاني للداخل الموالية للسقف (الملك لله) بالكوفي، ودائرة تحتها مكتوب عليها (سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده) والدائرة الثالثة مكتوب فيها (العافية الباقية) بالكوفي أيضا، والزاوية كلها مزلجة.

وقد فرشت قبتها بالزرابي الثمينة، وبها اثنا عشرة مكانة، وخمس سواري، وسبعة للخدود على ما رأيناه، وبها خمس خزائن لحفظ أزر الوظيفة والشمع. ولما قرأنا الوظيفة قام الإخوان لزيارة سيدنا محمود، وتزاحموا عليه، وكادوا أن يقتتلوا عليه، من شدة الزحام، والكل منهم يقبل يديه إلى أن قام لركوبه، ولم يخرج من بينهم إلا بمشقة، ولا يخسر خاطر أحد منهم لما له من الصبر الجميل، والصدر السليم، والمنصب الجليل، رضي الله عنه.

وهذه الزاوية تسع نحو الخمسمائة نفر من الإخوان، وتضيق يوم الجمعة عن سعتهم، ويقرؤون الوظيفة على نسق لطيف، إلا أنه يجب التنبيه على أمور أربعة وجدناهم يفعلونها خارجة عن عمل زاوية فاس، وذلك من الأمر الذي ينبغي اجتنابه لما فيه من الزيادة في الطريق، وعدم السلوك على الوجه الذي يليق.

أولها أنهم يغيرون الجلسة عند الشروع في الهيللة، مع أن تغيير الجلسة إنما يطلب عند السابعة من جوهرة الكمال، لما فيه من الأدب، والإشعار بحضور الرسول عليه السلام.

ثانيها أنهم إذا ختموا صلاة الفاتح بسورة اليقطين أسرع الذي يفتتح الوظيفة بذكر الهيللة مرة واثنين من غير ذكر الباقين معه، وبعد ذلك يتبعونه، كأنهم ذكروا معه، وهم لا يشعرون، فتكون وظيفتهم ناقصة، وكان من حق الجميع أن ينطقوا دفعة واحدة من غير أن ينتظروا من يبتدؤها لهم.

---

(35) سورة آل عمران، الآية 38.

ثالثها أنهم يذكرون الهيللة والست الأولى من جوهرة الكمال بترتيل ثقيل جدا، وفي بعض المرات يسرعون، حتى إذا وصلوا للجوهرة السابعة أسرعوا سرعة، كأنه من ورائهم شيء يتبعهم، وكان من حقهم إذا وصلوا للسابعة أن يتأدبوا ويذكروا بترتيل لائق بالمقام، لكونها محل حضوره عليه السلام.

رابعها أنهم إذا ختموا الوظيفة ورفعوا أيديهم للدعاء قرأوا بعد ذلك الفاتحة جهرا، وذلك كله من الأمور المحدثة في الطريق التي ينبغي اجتنابها، وإن كان في البعض منها استحسان، لكن الوقوف على ما كان يفعله الشيخ وخاصة أصحابه هو الأولى في كل مكان وزمان، والله الموفق(36).

ذكر ترجمة بعض من اجتمعنا بهم في مكناس

وقد تعين أن نترجم لبعض الأفاضل من الإخوان وغيرهم ممن أتوا لزيارة سيدنا محمود واجتمعنا بهم في هذا البلد، حتى لا تكون هذه الرحلة خالية من مثل التعريف بهم، وجمع بعض مدائحهم لسيدنا محمود، ونحوها مما يتجلى به جيد هذه الرحلة، مع بعض ما راج بيننا معهم من المفاوضة والمذاكرة في المحاضرة والمسامرة.

---

(36) كان العلامة سكيرج يعارض بالكلية أي عمل مخالف لما عليه عمل الزاوية الكبرى بمدينة فاس، ويرى أن ذلك من عوامل التفرقة والخروج عن النهج السديد، وغالبا ما تكون لتلك المحدثات عواقب وخيمة على الإخوان الفقراء، فتؤدي للاختلاف والنزاع بينهم، وهذا مما لا يقبله عاقل، والأجدر بالمسؤولين عن كل زاوية سواء كانت بالمغرب أو خارجه أن يسلكوا النظام الذي عليه العمل بالزاوية الكبرى بفاس، لأنه النظام الذي كان عليه عمل الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه، وعلى هذا النسق والنظام حافظ أصحابه من بعده إلى غاية يومنا هذا.
ولهذا السبب عمد العلامة سكيرج لتأليف كتب خاصة في فقه الطريقة الأحمدية التجانية، هادفا بذلك لتوضيح مناهجها عند الخصوص والعموم، وتبيين ما كان عليه السلف الصالح من أهلها من الجد والحزم والمثابرة، مع نبذ كل بدعة دخيلة عليها، ودفعها ومحاربتها بسلاح الرجوع للأصل المذكور، ويعد كتابه : الكوكب الوهاج، من أهم كتب الطريقة التجانية التي سارت نحو هذا المنحى، ويضاف إليه كذلك كتاب : نور السراج في شرح إضاءة الداج، وغيرهما من التصانيف الأخرى التي تطرقت لهذا الموضوع وساهمت في علاجه لحد بعيد.

1- ترجمة الفقيه العلامة الأديب الشريف مولاي الكبير بن زيدان (37)

فمنهم أديب عصره، ووحيد مصره، ذو الأدب الرائق، والحسب الفائق، العلامة الأمجد، نقيب الشرفاء العلويين بها، بما خص به من كمال الفضل بين الأقران، مولانا عبد الرحمان ابن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد المالك بن زيدان، بن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل قدس الله روحه في الجنان، ولا أحتاج إلى التنويه بقدر هذا الشريف الوحيد، والطالع السعيد، لما هو مشهور به من اشتغاله بما يعنيه، ساعيا فيما فيه صلاح حاله، ونجاح مآله، لا يتداخل في فضول، ولا يميل إلى من يشتغل بما لا يعني في فعل أو مقول، فلأجل هذا يحبه القريب والبعيد، ويثني عليه كل من يعرفه وخالطه من موال وعبيد، وإني بشهادة الله ما رأيت منه منذ أزمان إلا الجمال في جميع أحواله، ولم أشاهد ما لا يرتضى في سائر أعماله، وبهذا يشهد له غير الحسود من أبناء جنسه، ويعترف له بذلك في خاصة نفسه، وماذا أقول فيه، وقد جمع شرف العلم والنسب، وكمال العقل والأدب، ورقى بتواضعه إلى أعلى الرتب، ففاق بذلك أقرانه، وما ارتكب مدة عمره شيئا عند العقلاء شانه، فبهذا عهدته منذ عرفته، حتى استويت على محبته، ولا زلت أحبه ما دام سالكا على المنهاج القويم، مراعيا للمودة والحب القديم، فقد كان استدعاني من حضرتنا الفاسية، لحضرته المكناسية، بعدما اتصل حبل الوداد بيننا في زمان كان السعد مساعدي بقربه ووصله، وقلبه ممتلئ بحبي مثل امتلاء قلبي بحبه، فشددت في ذلك الوقت الرحلة إليه، وشملتني موائد الإكرام الذي أقله البرور لديه، فإنه هو الحر الذي يراعي وداد لحظه، ويشكر مفيد لفظه، والفضل له على كل حال، ومن أجله ألفت رحلتي الزيدانية المشتملة

---

(37) العلامة الأديب مولاي عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن محمد بن عبد المالك بن زيدان بن السلطان الشهير مولانا إسماعيل، هو نقيب الشرفاء العلويين بمدينتي مكناس وزرهون، ولد رحمه ا في ربيع الثاني عام 1295هـ بقصر المحنشة، أحد القصور الإسماعيلية بمكناسة الزيتون، وبها حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بفاس حيث أخذ عن كبار فقهاء القرويين فبرع في الأدب والتاريخ والبلاغة والفقه والحديث والسيرة وغيرهم من العلوم الأخرى، وشيوخه رحمه ا كثيرون، منهم قاضي مكناس العلامة سيدي محمد بن محمد القصري المكناسي، والعلامة الشيخ سيدي أحمد بن الخياط الزكاري، والفقيه سيدي أحمد بن الجيلاني الأمغاري، والعلامة سيدي محمد بن قاسم القادري وغيرهم، كما أجازه من خارج المغرب عدة شيوخ من الحجاز ومصر والشام والهند وتونس والجزائر، وتقلد رحمه ا بعهد الطريقة الأحمدية التجانية عن العارف بربه العلامة سيدي العربي العلمي اللحياني الموساوي، وقد ذكر ذلك في ترجمة هذا العالم الصالح من كتابه إتحاف أعلام الناس ج 5 ص 439 حيث قال : وقد لقيته بداره بمدشر موساوة، وزرته والتمست بركته، ودعا لي بخير، ولقنني الورد التجاني وسائر أذكار الطريق وأسرارها، وأجازني عامة في ذلك برد ا ثراه، أما وظائفه : فقد انتخب من بين علماء وقته مدرسا لتلامذة المدرسة الحربية بمكناس، ثم مديرا للمدرسة المذكورة، وله رحمه ا مصنفات كثيرة منها :

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، وإرشاد المستفيد لما للأئمة من التفصيل في طبقات أهل التقليد، والدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، والعز والصولة في معالم نظم الدولة، والمناهج السوية في تاريخ الدولة العلوية، والنهضة العلمية في عهد الدولة العلوية، والنور اللائح بمولد الرسول الخاتم الفاتح، وبلوغ الأمنية في مدح خير البرية.

وله غير ذلك من التآليف والرسائل والتقاييد، وكانت وفاته رحمه ا سنة 1365هـ -1946م، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 3 ص 335 وفي الأدب العربي في المغرب الأقصى لمحمد بن عباس القباج ج 1 ص 81. وفي دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة ص 13 رقم 2.

على ما جادت به الفكرة في ذلك الإبان، بذكر من اجتمعنا به بمكناس من أفاضل الأعيان، وما لهذا النقيب من أدبيات، وقصائد وأبيات، كان أنشأها في ذلك الوقت وقبله، مما يحق أن يكتب على أوراق الذهب، عند المعتنين بعلم الأدب، وناهيك بما فيه من الإستسلام بالتسليم لأهل الله، والمحبة الصادقة في جانبهم.

وقد كان يود أن لو نزل عنده سيدنا محمود رضي الله عنه، حتى أنه كتب لأكابر فقراء فاس يلتمس منهم التوسط في استعطاف سيدنا محمود في النزول عنده حين كان بطرفهم(38)، ولكن حال بينه وبين هذا الإقتراح كون سيدنا محمود لا يحب النزول إلا في محل خصوصي، حتى لا ينفرد به زيد دون عمرو، وذلك من كمال اعتنائه بالإخوان، ليبقى كل واحد منهم على خاطره، حيث أنه يود كل منهم النزول عنده، لما انطبع في قلوبهم من محبته رضي الله عنه، ولصاحب الترجمة -أمنه الله- دواوين من الأمداح التي أنشأها في الحضرة المحمدية، والتغزلات العجيبة المخترعة، في الأمور الهزلية والجدية.

وقد جمعت منها النزر اليسير في رحلتنا التي كنت استعملتها أيام وفودنا عليه من فاس، الملقبة بالزيدانية، وفي هذه المرة قد أطلعنا على النصف الأول من شرح الأخ في الله العلامة الأفضل، سيدي محمد الغالي السنتيسي(39) على همزيته المسماة (كفاية المحتاج) وسماه "بهداية المنهاج" وهو شرح حفيل، بكل نبذة علمية كفيل، مما يحق أن يكتب بسواد العيون، وينفق فيه الدر المصون. كما أنه أطلعني على طرف من شرح العلامة الشريف سيدي محمد بن أحمد العلوي(40) القاطن بزرهون على ميميته المسماة "بغية المستهام" المسمى "بتكميل المرام" وهو شرح عجيب الوضع، مفروغ في قالب لم أرى مثله في التنميق، بتحقيقات رقيقة، ونكات دقيقة، يشهد بطول باع مؤلفه في علوم الصناعة، والتضلع في العلوم التي لم يدرك بعضها إلا من أنفق ما له من البضاعة، أتمه الله بالقبول.

وأطلعني أيضا على تأليفه المسمى : "بتغيير الأسعار، على من عاب الأشعار" وهو تأليف لم يتقدم مثله في موضوعه، جمع فيه جل ما افترق في غيره من الدلائل على الفضيلة التي يختص به أهل القرائح السيالة، خصوصا إذا مدحوا صاحب الرسالة، وأنكر على من ادعى أن الجناب المحمدي لا ينبغي مدحه بالأشعار، ولعمري أنه أحرز قصب السبق والمرتبة الرفيعة، في الرد على قائل هذه المقالة الشنيعة، وقد أنشد في تقريظه رفيقنا الأديب الأريب، سيدي عمر بن سعد الريعي هذه الأبيات :

---

(38) وقفت على رسالة في هذا الموضوع بعثها العلامة ابن زيدان لبعض مقدمي الطريقة الأحمدية التجانية بفاس، يطلب منه فيها أن يتوسط في استعطاف الشريف البركة سيدي محمود التجاني لاختيار دراه كمقر ومكان للنزول حين قدومه لمكناس، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة كرم العلامة ابن زيدان وتعلقه المتين بمحبة شيخه القطب أبي العباس التجاني رضي ا تعالى عنه وعن أولاده ومحبيه وأصحابه من مقدمين وفقراء.

(39) انظر التعريف به في ج 2 ص 91-97 من هذا المجموع.

(40) انظر التعريف به في ج 2 ص 147-154 من هذا المجموع.

هذي الجواهر في التيجان منتظمه	على غوان أتت تهتز مبتسمه
فلم نطق عندما رأيت منظرها	نطقا ولكنني قد قمت محترمه
لم لا أقوم بمدح من إذا ذكرت	أوصافه ارتدعت(41) عن غيها الظلمه
ذاك النقيب ابن زيدان الذي شرقت	أنواره فأضاء للفضا ظلمه
قد خاض في كل بحر دونه وقفت	أهل النهى وجميع السر قد علمه
لله ما قد أتى من الدليل على	جواز مدح نبي لا أفي قيمه
سماه تغيير أسعار لمن سمعت	آذانه وأزال سره صممه
لا يهجر السر إلا من إذا شعرت	به الأفاضل لا ترى له قسمه
لو كان يعلمه ما كان يهجره	حاشا النبي الذي تحفه الحشمه
عليه أزكى سلام الله ما سردت	في الناس أمداحه لمن بها اختدمه

ومما أنشأه سيدنا النقيب المذكور في قدوم سيدنا محمود هذه الأبيات الرائقة :

أبدر السعد أشرق بالتهاني	وشمس اليمن ضاءت بالأماني
أم الأفراح للأرواح راحت	وريح النصر هبت بالأماني
أم القمري(43) بالتيسير يشدو	وصبح الفتح أسفر للعيان
أم الأزهار في الأكمام(44) فاحت	فأحيت مغرما بالحب فاني
بلى شمس الفلاح بأفق بشر	تبشرنا بطلعة ذي التدان
هنيئا مرحبا أهلا وسهلا	بمحمود المساعي في الزمان
سليل المصطفى خير البرايا	حفيد العارف الفرد التجاني
ملاذي قدوتي وطبيب دائي	مزكي النفس مرهم(42) كل ران
رفيع الشأن من لعلاه تعنو	الأكابر بل ويصغر كل شان
رجوت بجده المحبوب حفظا	وعطفا سابغا(45) في كل آن
وإتمام المرام بكل خير	بجاه المصطفى عالي المكان
عليه من المهيمن كل حين	صلاة مع سلام طيبان
يفوح شذاهما ما قال صب	أبدر السعد أشرق بالتهاني

---

(41) ارتدعت : كفت
(42) المرهم : ما يطلى به الجرح وجمعه مراهم
(43) القمري : ضرب من الحمام حسن الصوت وهو مفرد قماري
(44) الأكمام : جمع كم وهو الغلاف الذي يحيط بالزهر أو الثمر فيستره ثم ينشق عنه
(45) سابغا : رغدا متسعا

وقال أيضا في مدح جده العدناني، ووارث سره النوراني، ومدح حضرة سيدنا محمود، بلغه الله غاية المقصود، هذه القصيدة الطنانة، أمنه الله ونصها :

نزه الطرف في ريــاض الـمـعــانــي	وتمتع بنور تـلـك الـمـغــانـــــي(46)
وأدر لاستماع صب معنى	ذكر من فيهم جميع الأماني
وصف المعنى أنني ذو ولوع	وغرام بذكر وصف الحسان
ودع اللوم فالملامة لؤم	وأجب صرفه عن الآذان
واطرح العذل(49) فهو عدل لعمري	عن طريق الصواب والإذعان
فعذاب المحب في الحب عذب(50)	سائغ شائع مدى الأزمان
وهوان الغريم في الحب هين	مستطاب مزري بعرف القيان
كيف والعشق جنة ليس فيها	من لغوب(47) ولا عناء يعاني
وجنان الغرام لا غول(51) فيها	إنما فيها راحة للجنان
لائمي في هوى العذاري فعذرا	إنني عذري مرامي التداني
في هواكم قد طاب خلع عذاري	وعذولي طول المدى ما غواني
فـبـحـــق الـقـدود عني كـفـانــــــي	قد قلبي ولا عـج(48) الأشجـــان

وبورد الخدود مع جوهر الثغـر(52) وعطـف الخـصـور(53) والأجـفــــــان

وبشمس الجبين مع حالك القو	س وشهد يروى عن الرمان
فك أسري بجبر كسري بوصل	دون فصل فبينكم أفناني
وارحموا مغرما غريم سنـاكــــــــم	في قيود الـهــوى وقيـد الـهـــوان
فر صبري وقر مـدمـــــع عيـنـــي	فاقعا(54) تارة وأحـمـر قــان(55)
وتولى السرور لما جفوتم	وتوالت كتائب الهيمان
فامنحوني ولو بوعد بقرب	كي يزول الذي أذاب جناني
إنني رقكم(56) فرقوا ومنوا	بخلاصي مما جرى قد كفاني
قسما بالهوى فما لي ملاذ	غير خير البرية العدناني
أحمد الخلــق لـلإلــه ومـحـمـــــو	د الورى صاحب اللـوا والبـيـــان

رحمة الخلق أجمل الخلق لب الرسل سر السريرة الحقاني

---

(46) المغاني المنازل.
(47) لغوب : الكلام الفاسد.
(48) اللاعج : الهوى المحرق.
(49) العذل : الملامة.
(50) عذب : طيب.
(51) غول : بمعنى المشقة.
(52) الثغر : مقدم الأسنان.
(53) الخصور : جمع خاصرة وهي من الإنسان جنبه فوق رأس الورك.
(54) فاقعا : صافي اللون.
(55) قان : يقال أحمر قان أي شديد الحمرة.
(56) رقكم : عبدكم ومملوككم.

بهجة الكون نكتة الخلق روح الحق نــــــور الوجـود مـن غيــر ثـــان

طالع السعد في سماء المعالي — برجه اليمن وهو في الميزان
نوره قد جلا الغياهب عنا — قد تجلى لنا بكل الأمان
وتحلى بحلة الفخر فردا — ما له في الوجود ند(57) مداني
مجتبى مرتضى مهاب مطاع — مقتفى منتقى منيف المكان
الحبيب المختار خير رسول — باذخ القدر صفوة الرحمان
من رقـى للسمــاء ليـلا وجــــلا — ه الإلـه بأفخـر التيجـــــــان

وله الجذع حن شوقا ولبتــه الغصـــون تسعـى بجزءي العيــــان

وبـصـــاع غـدى وروى جيــاعا — وأوانــي والصـاع فـي رجـحــان

شـهـد الـذئــب بـالرسـالـــة والـضـب لـــه فـــي جمـــع من الأعيـان

وله العود جاء يشكو ظلوما — قد سقاه الردى وطعم الهوان
وله ظبية أتت في التجاء — في غدو لنسلها الغرثان(58)
حبه زاد في معادي وذخري — مدحه حصني من كروب الزمان
عطفة عطفة ولطفا وأمنا — ونوالا في سائر الأحيان
وسرورا ينفي الشرور ويسري — لجميع الأنام في كل آن
يا رحيما رحماك لي وتفضل — يا حليما علي بالرضوان
فبكـم أســـأل الإلـــه يقينــــي — كـل هـول وشـر ذي طـغـيـــان

وبذات الفخار فاطمة الزهراء والبــــعـــــــل والـبـــدور الـحســـــــان

وصحاب ومن تلاهم خصوصا — قدوتي عمدتي ملاذي التجاني
قطب كل الأقطاب من حــاز فخـرا — شامخا باذخـــا(59) بكـل أوانـــــي
شيخ كل الشيوخ قطب رحاهم — منه نالوا الأسرار بالبرهان
ما له في الأقطاب والله مثل — كيف لا وهو وارث العدناني
لم يقاربه في السمو ولي — لا ولا يبلغنه ذو شان
وله أذعنت(61) ليوث وغاهم(62) — وعنت مذ علت له القدمان
آية قد جلت(63) فجلت عن الإ — دراك والفهم مدة الأزمان
وحباه الإله فضلا عظيما — لم يطق حصره فصيح اللسان
فإذا ما رمت السعادة فانزل — بحماه تحظى بكل أمان
وتنال الحسنى وتحرز مجــــــــدا — وهناء في ربوة(60) الإحـســــــــــان
وبه ترتـقـــــي مراقي سـعـــــــد — بضمان الحبيب ذي التبيـــــــــــان

بسنى المصطفى أنار قلـوبــــا — ونفى عنها وصمـــة(64) الأدران(65)

---

(57) ند : نظير وشبيه.
(58) الغرثان : الجياع.
(59) باذخا : عظيم الشأن عاليا.
(60) ربوة : مفرد ربى وهي ما ارتفع من الأرض.
(61) أذعنت : انقادت وخضعت.
(62) وغاهم : حربهم.
(63) جلت : ظهرت ووضحت.
(64) الوصمة : العيب والعار.

وبإذن قد قام يدعو البرايا بطريق تفضي إلى الرضوان
فسرى سره لكل مريد وارد صادق بغير توان
دونكم دونكم إماما هماما عارفا عالما بسر المثاني
دونكـم ورد ورده فهـو عـذب سائغ(66) للوارد(67) في همـلان(68)
ورده كم شفى غليلا وكم أبرى عليلا به وأطلق عاني
جنـة للمريـد فيهـا منـى النفـس وما تستلـذه العيـنان
أبشـروا معشـر المحبيـن منـه بنعيـم مؤبـد فـي الجنـان
بشروا الجاحدين للفضل بالمقـت(69) المقيـم مع سرعـة الخسـران
خبـروهـم بأنهـم بنكـال(70) ووبـال بـاءوا وكـل هـوان
وإذا ما عـوت كـلاب فـلا تعبـأ بلغـو(71) مـن فاجر مستهان
واستعـر للغاوين(73) صمـاء أذن ودع المولعيـن بالهذيـان(72)
غـايـة الأمـر أنهـم حجـروا فضـل الإلـه المسـدي بغيـر امتنان
ذاك فضل الكريم يؤتيـه مـن شا ء علـى رغم كل لاح وشانـي(74)
إنمـا الشيـخ آيـة اللـه فـي خلقـه فهـو المفـرد الصمدانـي
هو من زاخر الفتوح بمعنى لم يطق كنهه(75) بأعلى المعاني
فهو كنـز الكنـوز والطلسم الغا مض قطـب العلـوم والعرفـان
ومـلاذ القصـاد فـي كل مـا عـن منيـل لهـم جميع الأمانـي
رحمة الله نعمة الله للنا س ومأوى لكل من هو جان
ما أتاه امـرؤ وخـاب ولكـن آب(76) فورا بسوله بالعيـان

---

(65) الأدران : جمع درن وهو الوسخ.
(66) سائغ : هنأ وسهل في مدخله للحلق.
(67) للوراد : بمعنى للواردين عليه.
(68) في هملان : بمعنى دام سيلان مائه وفيضه.
(69) المقت : البغض.
(70) النكال : جمع نكل وهو القيد الشديد.
(71) بلغو : بمعنى اللغو وهو ما لا يعتد به من الكلام.
(72) الهذيان : الكلام الخارج عن دائرة العقل والصواب لمرض أو غيره.
(73) الغاوون : الضالون.
(74) شاني : عائب.
(75) كنهه : جوهره وأصله.
(76) آب : رجع وعاد.

يا لغوث أغث رهين ديون وذنوب جلت عن الحسبان

ضاق ذرعا لما توالت عليه كرب أخرست بليغ اللسان

وجيوش الأتراح(78) لمت ومالي عنك بد(77) يا كعبة الإحسان

وحدات الكروب تحدو فطمت وبنو الجنس يبتغون هواني

صوبوا سهمهم إلي وطالوا واستطالوا علي بالبهتان

زخرفوا القول بالأراجيف(81) والز ور وإني من كيدهم في أمان

حيث لي عزة بعزك يا مو لاي يا جنتي من الحدثان(79)

أيضام الذي احتمى وحماكم حوط والله من شرور الزمان

عجبا هل أنال والليث حصني أو أخاف من عوة السرحان(80)

كيف أخشى الظما وأنت غياثي ومغيث المكروب واللهفان

من يا ابن الرسول فورا بما آمل من بحر جودك الهتان(82)

وشفيعي إلى علاك المفدى من علا قدره على الكيوان

نجلك المرتضى التقي النقي المرتقي بالتقى لأعلى مكان

طيب النفس طاهر القلب من لا له في الفضل والمحاسن ثان

حمد الله سعيه فلهذا صار فينا محمود أهل الزمان

بحر علم تلاطم السر فيه فرمى للورى رقيق المعاني

بيديه حتف لكل الأعادي وبه يستريح كل معاني

فعلى التقوى أسس الله بيتا هو منه مشيد الأركان

قدره شامخ ومدحه لا يحصى وهل تنزح(83) البحار الأواني

فقصارى(84) المداح فيه قصور لو عليه تثني بكل لسان

كنس الله ما بمكناس لما قد أتاها من جده التجاني

فزهت وازدهت وتاهت دلالا وتردت منه رداء التهاني

فلهذا جرت ذيول افتخار وحوت رفعة على البلدان

فهنيئا أهيل مكناس بشرى بالحفيد المحمود في كل آن

نوره نور القلوب وأجلى كل كرب عن الفؤاد وران

جاء يا محمود الخصال شفيعا بك للشيخ رقه(85) الزيداني

---

(77) بد : مناص ومهرب.

(78) الأتراح : الأحزان والهموم.

(79) الحدثان : نوائب الزمان وكربه.

(80) عوة السرحان : صياح الذئب.

(81) الأراجيف : الأخبار المختلقة الكاذبة السيئة.

(82) الهتان : المتتابع.

(83) تنزح البحار : بمعنى تنفد ويقل ماؤها.

(84) قصارى المداح : بمعنى غايتهم وجهدهم ومبلغهم.

(85) رقه : عبده ومملوكه.

فتشفع وقل بفضلك فاقبل ... من أتى ربعكم ولو كان جاني
يا ابن خير الأنام إني أرجو ... منك بذلا مع غاية السلوان
فبحق الرسول جدك جد لي ... منك يا سيدي بطيب التداني
وإذا ما اقترفت ذنبا فقابل ... بجميل واصفح على كل جان
إنني بالخطايا جئت وأرجو ... منك عفوا وعطفة بتداني
ها جفوني جفت لذيذ كراها ... وضلوعي تصلى سعير الطعان
ها فؤادي رهـــن الأســـى ومـقـــــر ... للشجى من تراكـم الأشجـــــان(86)
قد أنخت(90) الرحال آمل عطفا ... سابغا(87) كي يزيح ما قد عراني(88)
كم أناخ ببابكم مستجير ... آب(89) من فيضكم بأقصى الأماني
كم دعاكم إلى الإجـابـــة مــكــــــــرو ... ب فأضحـــى بـنـعـمـة وامـتـنـــــان
جاهكم للورى ظليل وكل ... آمن فيه رافل في التهاني
دأبكم غارة بها السر مشمو ... ل إلى كل شاسع أو دان
غيرة غيرة وحفظا وأمنا ... وانعطافا بجبر صدع المعاني
عاملوني وعالجوني وداووا ... وإلي انظروا لدى كل شان
وافـتـحـــوا بـــاب فضـلـكم لـسـؤالــــي ... مـتـعونـــي بـبـغـيـة الـعـجـــــلان
جـاءنـــي الفـتـح والأمـــان وقـــد مـــدت عـلـيـنــــا ســـرادق(91) الإحـســان
فأدم ربنا على الشيخ أسرا ... رك لا تنقضي بكل أوان
برسول للرسل جاء ختاما ... وابتداء لجملة الأكوان
فعليه الصلاة ما دام يتلى ... مدحه في الأمصار والبلدان
وعليه السلام دون انتهاء ... وعلى آله مع الصحبان
ما ترنى(93) صب وقد صار يشدو ... نزه الطرف في رياض المعاني
وتــغــنـــــى بـقـــــــــول رق مــعــنـــى ... وتمتع بنـور تـلـك الـمـعــانـــــي(92)

---

(86) الأشجان : الأحزان.
(87) سابغا : واسعا.
(88) عراني : غشيني وألم بي.
(89) آب : رجع وعاد.
(90) أنخت الرحال : وضعتها.
(91) سرادق : مفرد سرادقات وهو الفسطاط الذي يمد فوق صحن البيت.
(92) هذه القصيدة الرائعة الجميلة هي من إنشاء العلامة الأديب سيدي عبد الرحمان بن زيدان العلوي الإسماعيلي، وهي تعبير واضح على ما كان يتمتع به هذا الرجل من حس أدبي رفيع، مع تعلقه التام بالطريقة الأحمدية التجانية ودفاعه الباسل عنها، وليس هذا بغريب عن هذا العالم الجليل، إذ له في هذا الميدان وغيره مواقف مشهودة شاهدة على مدا مكانته المحترمة السامية.
(93) ترنى : طرب بصوت حزين.

وقال أيضا هذه القصيدة الجيمية، في مدح خير البرية، عليه الصلاة والسلام :

يمم بعينيك للقباب وأدلجا(95) ... وإذا وصلت إلى قبى(94) بي عرجا

وأنخ نياقك(97) في البطاح لأن شو ... ق الحي أجهدها المسير وأزعجا

قد أنحل الوجد المبرح شخصها ... إذ شب في أحشائها وتأججا(96)

وإذا حدا حاد بسلع(99) لا تسل ... عن لسع قلب بالصدود توهجا(98)

سفحت على سفح العقيق(101) عقيقها ... حتى لعمري الجهد منها قد وجا(100)

وادي حنين(103) قد أثار حنينها ... وكذلك الجرعاء جرعها السجى

ولرامة راست وإن رمالها ... مسك لمن أضحى بها متأرجا(102)

ولدا العذيب استعذبت تعذيبها ... وبذي طوى(104)طوت المراحل بالوجا

بالرقمتين(107) لها رقوم صبابة ... ونعيمها التنعيم(105)في تلك الفجا(106)

ما غيرت عهد الغوير(109) ولا لوت ... إلا إلى ذاك اللوا لتعرجا

لكن رضاها أن ترى رضوى(110)وإن ... جزعت فنحو الجزع يدنيها الرجا

وقد انحنت للمنحني وتعسفت ... عسفان(108) ترجو حيها أن تولجا

بمنى(114) مناها والخليص خلاصها ... وقد انتقت(111) ذاك النقا تبغي النجا

ولقد ثنت نحو الثنايا عزمها ... وبمروة(112) مرت لنيل المرتجى

---

(94) قبى : مسجد مبارك مشهور قريب من المدينة المنورة.
(95) أدلجا : بمعنى سر ليلا، والدلجة آخر ساعة من الليل.
(96) تأجج : اضطرم وتلهب.
(97) نياقك : جمع ناقة وهي الأنثى من الإبل.
(98) توهج : اتقد.
(99) سلع : جبل بالمدينة المنورة.
(100) وجا : عدم نفعه.
(101) العقيق : جبل قرب المدينة المنورة.
(102) متأرجا : بمعنى فاحت منه رائحة طيبة.
(103) حنين : موضع بين الطائف ومكة المكرمة.
(104) ذي طوى : موضع قرب مكة المكرمة.
(105) التنعيم : على ثلاثة أميال أو أربعة من مكة المكرمة، وهي أقرب أطراف الحل إلى البيت الحرام، سمي بذلك لأن على يمينه جبل نعيم، وعلى يساره جبل ناعم، والوادي اسمه نعمان.
(106) الفجا : مفرد فجاج، وهي الطريق الواسع الواضح بين جبلين.
(107) الرقمتين : موضع قرب مكة المكرمة.
(108) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة المكرمة.
(109) الغوير : تصغير غار، وهي ماء لبني كلب، والمراد بها في هذه القصيدة ما بين ذات عرق إلى البحر، وكل ما انحدر مغربا عن تهامة، وتسمى كذلك بالغورى.
(110) رضوى : جبل بالمدينة المنورة.
(111) انتقت : اختارت.

ما في سوى نجد تجود بنجدة	ترمي جمار الشوق حين تهيجا
ودت بـود أن لـــو آن حـبـيـبـــهــــــــــــــا	صافى الصفا(113) وسبيلهــا أن يـنـهـجــا
وبسيرها للخيف(118) خف عناؤها	والكد عند كدا(115) تولى مزعجا
عرفات عرفت الطريق بعرفها	إضم(116) بها ضمت هياما مضرجا
كم أسلمت أرواحها شوقا لدى	سلم وطيبة طاب فيها الملتجأ
وبزمزم قد زمزمت في شجوها	أحد(117) به تحدو سبيلا أبهجا
طافت طواف إفاضة إذ أنها	حطت مقاما في الصبابة أحرجا
مـهـــلا أخــا الـفـتـيـــان إن جـلـودهـــا	نضجت وحق لما بـهــا أن يـنـضـجـــا
فلها بهاتيك المواقف وقفة	أو ما رأيت غرامها ما أنتجا
فانظر إلى أنفاسها وحنينها	واقصد بها نحو الحمى ربع النجا
وأحلل(119) بهاتيك المعاهد لحظة	بطول مكة والمشاعر معرجا
بشرى هنيـئـــا قـاصـــدي أرجـائــهــــــــا	ركب الحجيج أخذتم منـــي الـحـجـــــا
وسلبتم عن مقلتي طيب الكرى(121)	فأنا أراعي الزهر في جنح الدجا
يا ظاعنين بمهجتي ما ضركم	لو حث بالحادي المسير وأدلجا
لكن سوء الحظ مني صارف	يا حسرتي من سوء حظ أحرجا
إن الذنوب كواهلي قد أثقلت	فأرى القوام بثقلها قد عوجا
لكن يروق تخلصي من غيها	بمديح خير العالمين المرتجي
متواتر(122)الإحسان مشهور(123)النـــدا	سند صحيح(120) في المعالي أدرجـــا
حسن الخصال وصالـــح الأفــعـــال مـــــــن	أضحى نداه مضعفـــا متوهـجـــــــا

(112) مروة : محل السعي بمكة المكرمة.
(113) الصفا : محل السعي بمكة المكرمة.
(114) منى : موضع قريب من مكة، وسمي بذلك لما يمنى به من الدماء عند مناسك الحج.
(115) كدا : موضع قريب من مكة المكرمة.
(116) إضم : الوادي الذي فيه المدينة المنورة، يسمى لدا مروره بالمدينة القناة، ومن أعلى منها عند السد : الشظاة، ثم ما كان أسفل ذلك يسمى إضما.
(117) أحد : وهو جبل أحد مكان الغزوة المشهورة.
(118) الخيف : غرة بيضاء في الجبل الأسود الذي خلف أبي قبيس، وبها سمي مسجد الخيف، وهو في ناحية من منطقة منى.
(119) احلل : بمعنى انزل.
(120) صحيح : هو الحديث المسند الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط حتى ينتهي إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم، أو إلى منتهاه من صحابي أو من دونه، ولا يكون شاذا ولا معللا.
(121) الكرى : النعاس.
(122) المتواتر : هو الحديث الصحيح الذي يرويه جمع يحيل العقل والعادة تواطؤهم على الكذب عن جمع مثلهم في أول السند ووسطه وآخره.
(123) المشهور : هو نوع من أنواع الحديث الصحيح، وهو دون درجة الحديث المتواتر، وتعريفه : هو الحديث الصحيح الذي ترويه جماعة عن شيخ واحد.

يغني الضعيف(125) بمسند(126)من فـيـضـــه	فيصير مرفوعا(124) بمنتجع الـرجـــــا
المجد موقــوف(129) ومـوصــول(130) بـــه	وبمرسل(127) منه الوجود تدبجــــــا(128)
ما أمه الـمـقـطـــوع(132) مـنـقـطـعـــا لـــه	إلا ومعضـل(131) دائـــه قـــد أفـرجــــا
بمعنعن(135) منه اللبـــاب مـعـلـــــق(136)	ما إن ترى منه المدلس(133) مدرجا(134)
عالي(138) المكان بـــه أقـمـنـــا نـــز لا(139)	نرجو مسلسله(137) القريب المرتجــــى
الـكـــل مـخـتـلـــف(141) إلـيــــه وسـائـــل	بعزيز(140) عزة جاهه صدق اللجــــا
ما بالمعـــلل(143) فضلـــه إذ قـــد غـــــدا	فردا(142) به كل الكمـــال تـتـوجـــــا

(124) المرفوع : هو الحديث الذي أضيف إلى النبي (ﷺ) خاصة من قول أو فعل أو تقرير سواء أأضافه إليه صحابي أم تابعي أم من بعدهما، وسواء أتصل إسناده أم لا.
(125) الضعيف : هو الحديث الذي لم تجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن
(126) المسند : هو الحديث الذي اتصل إسناده من راويه إلى منتهاه، مرفوعا إلى النبي صلى ا عليه وسلم.
(127) المرسل : هو الحديث الذي يرفعه التابعي مطلقا كان صغيرا أو كبيرا.
(128) المدبج : من أنواع الحديث
(129) الموقوف : هو الحديث المروي عن الصحابي من قول أو فعل أو تقرير، كأن يقول الراوي قال عمر بن الخطاب كذا، أو فعل كيت وكيت أمام أبي بكر ولم ينكره.
(130) الموصول : هو الحديث الذي اتصل سنده، سواء كان مرفوعا إلى النبي (ﷺ) أو موقوفا على الصحابي أو مقطوعا على التابعي.
(131) المعضل : هو الحديث الذي سقط منه راويان فأكثر بشرط التوالي.
(132) المقطوع : ما وري عن التابعين من قول أو فعل أو تقرير.
(133) المدلس : هو أن يسقط الراوي غير شيخه، وذلك لضعفه أو لصغر سنه ثم يجعل الحديث مرويا عن ثقات ليحكم عليه بالقبول والصحة.
(134) المدرج : هو الحديث الذي اطلع في متنه أو إسناده على زيادة ليست منه.
(135) المعنعن : هو الحديث الذي يقال في سنده فلان عن فلان، من غير تصريح بالتحديث والسماع، وهو من قبيل الإسناد المتصل إذا توفرت فيه ثلاثة شروط : عداله الرواة، وثبوت لقاء الراوي لمن روى عنه، والبراءة من التدليس.
(136) المعلق : هو ما حذف من مبدأ إسناده واحد فأكثر على التوالي، ويعزى الحديث إلى من فوق المحذوف من رواته.
(137) المسلسل : هو الحديث المسند المتصل الخالي من التدليس الذي تتكرر في وصف روايته عبارات وأفعال متماثلة ينقلها كل راو عمن فوقه في السند حتى ينتهي إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم.
(138) العالي : الإسناد العالي المطلق هو ما قرب رجال سنده من رسول ا صلى ا عليه وسلم بسبب قلة عددهم إذ قيسوا بسند آخر يرد في ذلك الحديث نفسه بعدد كثير.
(139) النازل : نقيض الإسناد العالي، لكن رب إسناد نازل أفضل من عال إذ تميز بفائدة.
(140) العزيز : هو الحديث الصحيح الذي يرويه اثنان أو ثلاثة عن شيخ واحد.
(141) المختلف : هو أن يأتيا حديثان متضادان في المعنى ظاهرا، فيوفق بينهما أو يرجح أحدهما، وهو ما يسمى بعلم مختلف الحديث.
(142) الفرد : هو الحديث الذي انفرد به راو واحد وإن تعددت الطرق إليه.
(143) المعلل : هو الحديث الذي اكتشفت فيه علة تقدح في صحته، وإن كان يبدو في الظاهر سليما من العلل.

وسواه شاذ(145) منكر(146) وحديثه ... يدوي بمضطرب(144) لزور روجا

موضوع(147) مقلوب(148) المركب جهله ... يقضي لمنقلب يظن مدبجا

أيرى المصحف(149) ناسخا لقوامه ... ما انفك منسوخا وقولا أسمجا

فلذا أسانيد المحامد أسندت ... لرسولنا المختار مصباح الدجا

ذاك الذي بوجوده زال العنا ... عنا وأضحى للهداية منهجا

غوث البرية غيثها ومغيثها ... من لا يخيب من عليه عرجا

كهف الأنام محمد سامي الذرى ... حامي الحمى نعم الحبيب الملتجا

يا عمدتي وعنايتي وحمايتي ... شوقي إلى رؤياك زاد تهيجا

مولاي يا روح الوجود وسره ... يا من به الكرب العظيم تفرجا

أمنن علي بما أؤمل منك من ... قرب المزار لينزوي عني الشجا

إني لجأت إليك يا علم الهدى ... وحاشا جنابك أن يضيع من لجا

حالي من الأهوال حال وليس لي ... إلاك يا بحر المكارم مرتجى

ليل الشرور سجى وطال ظلامه ... فمتى أرى صبح السرور تبلجا(150)

ما لي على فزع الشدائد طاقة ... وجحيم أهوال الزمان تأججا

مالي سواك من الخطوب(152) وقاية ... فقني إذا داج الغياهب قد سجا(151)

مالي سواك مؤمل أرجوه في ... كشف الذي بي قد ألم وأزعجا

إني رجوتك في انزواء حوادث ... أصبحت منها بالكروب متوجا

يا مصطفى عجل بما أرجوه منك من الندا فالحال مني استسمجا(153)

تترى عليك من الإله صلاته ... ما مزقت بالصبح أثواب الدجا

وعلى ذويك مع الصحاب جميعهم ... ما زاد مسك في الختام تأرجا

وترنم الشادي وكرر قائلا ... يمم بعيسك للقباب وأدلجا

---

(144)المضطرب : هو الحديث الذي تتعدد رواياته، وهي على تعدادها متساوية متعادلة لا يمكن ترجيح إحداها بشئ من وجوه الترجيح.

(145) الشاذ : هو الحديث الذي رواه الثقة مخالفا الثقاة، وبعبارة أدق : ما رواه المقبول مخالفا لمن هو أولى منه.

(146) المنكر : مارواه الضعيف مخالفا رواية الثقة.

(147) الموضوع : هو الخبر الذي يختلقه الكذابون وينسبونه إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم افتراء عليه

(148) المقلوب : هو الحديث الذي إنقلب فيه على أحد الرواة لفظ في المتن، أو إسم رجل أو نسبه في الإسناد، فقدم ما حقه التأخير أو أخر ما حقه التقديم، أو وضع شيئا مكان شئ.

(149) المصحف : قال الإمام العسكري في التعريف به : أصل هذا أن قوما كانوا أخذوا العلم عن الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء فكان يقع فيما يرونه التغيير.

(150) تبلجا : أشرق وأضاء.

(151) سجا : سجا الليل أي سكن.

(152) الخطوب : المكاره والبلايا.

(153) استسمجا : قبح.

ترجمة الفقيه سيدي محمد الغالي السنتيسي أمنه الله(154)

ومنهم العلامة الفاضل، سلالة الأفاضل، الحائز قصبة السبق في ميدان النظم والنثر، الكاتب الأوحد أبو عبد الله سيدي محمد الغالي السنتيسي، أحد علماء الطريقة، الخائضين في بحر الشريعة والحقيقة، وهو من خاصة الأصحاب، الذين فازوا بصحبة الشيخ بين ذوي الألباب، وتلقى الطريقة التجانية، من أكابر المقدمين أصحاب الأذواق العرفانية، وهو ناظم درة التاج، وعجالة المحتاج، تصنيف شيخنا العلامة الفاضل سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، يقول في أول نظمه لها :

حمدا لمن أوضح ذي الطريقه	أعني التجانية للخليقه
وجعل الأخذ لها عباده	إن صدق المريد في الإراده
وجعل الفوز بها منوطا	وسرها طول المدى محوطا
وخصها بأشرف المزايا	نسبتها لكامل العطايا
خاتم الأرسال النبي الهاي	صلى عليه الله ذو الأيادي
وآله وصحبه الأبرار	وتابعيهم من ذوي الأنظار(155)

وقد كنت شرحته بأمر سليل المملكة، الملحوظ بعين العناية في كل سكون وحركة، الأديب الأريب، الحسيب النسيب، أبي السعادة والمكارم، مولانا عبد العزيز بن أمير المؤمنين سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان، حين كنا نسرد بحضرته، صحيح الإمام البخاري في رفقته، فامتثلت بشرح هذا النظم، وسميته : "نور السراج، بشرح إضاءة الداج" جعله الله من صالح الأعمال المذخرة للمعاد، وأنعم علينا وعليه ببلوغ المراد. وله تآليف عديدة، وقصائد فريدة. وقد وقفت له في هذه المرة على الجزء الأول من شرحه لهمزية سيدنا النقيب التي يقول في مطلعها :

بهوى زينب يزول عنائي	وبه في الورى يزيد اعتنائي
وعذابي في حبها العـذب عـذب	سائغ يزدري بكـأس الطـلاء

كن بالقلب حبها قبل تكويني لـذا راق فـي الـفـنـاء فـنـائـي

---

(154) العلامة الأديب المقدم سيدي الغالي بن المكي السنتيسي المكناسي النشأة والدار والإقبار، أخذ رحمه ا العلم عن جماعة من جهابذة علماء مكناس وفاس، وله مصنفات جليلة منها : حاشية على الرسموكي شارح الجمل، وشرح لقصيدة كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج، لسيدي عبد الرحمان بن زيدان، في جزءين، وتأليف في إعراب : أما بعد، وقصيدة في فقه الطريقة الأحمدية التجانية سماها : درة التاج وعجالة المحتاج، وديوان شعر في الأمداح النبوية رتبه على الحروف الهجائية، وشرح على همزية الإمام يوسف النبهاني، وغير ذلك من التقاييد والرسائل.

وكان رحمه ا كاتبا أول زمان السلطان مولاي الحسن الأول، ومولاي عبد العزيز، ومولاي عبد الحفيظ، ثم ناظرا على الأحباس الصغرى بمكناس، إلى أن توفي ليلة الاثنين 17 شعبان عام 1338هـ، ودفن بالزاوية الكنتية من حومة صدارته بمكناس، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 508، وفي الرحلة الزيدانية للعلامة سكيرج ص 60.

(155) عدد أبيات هذه المنظومة 122 بيتا، وقد قرظها العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

حمدا لمن يرجى لكل مرتج وبابه ليس يرى بمرتج

انظر المنظومة بتمامها في رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 297.

كل صعب قد هان لي في هواها إذ هواني في الحب مرهم دائي
إن دهتني فما دهاني عنها قول قال ولا ثناني(156) التنائي

إلى أن قال في تخلصه :

ليس من حبها التخلص إلا بالتجائي لصفوة الأصفياء
فهو حصن لمن أتاه حصين وبه في الأنام حق هنائي(157)

وقد سماه "هداية المنهاج، على كفاية المحتاج، في مدح صاحب اللواء والتاج" إلا أنه إلى الآن لم يكمله، أعانه الله على إتمامه، وبلغه غاية مرامه، ومما كتبه من قصيدة قرظ بها تأليف النقيب المذكور، المسمى بتغيير الأسعار، على من عاب الأشعار، قوله :

زهر الرياض تناسقت أفنانه ولدى العيان تتابعت ألوانه
أضحى يصافحه النسيم بكفه إذا زانه من عرفه أمزانه
يهتز من فرط السرور تواجدا يدنو إليه وإن نأت أوطانه
يروي بإسناد حديث صبابة من ماء عين قد رقى إنسانه
عن صوب أنواء بأكمام لها من ورده القاني سما عقيانه
عن آسه الآسي للوعات الجوى عن أقحوان قد وفت إيمانه
عن نرجس من حسنه قد هذبت أهذابه وتزعفرت أجفانه
عن ياسمين أبيض أو أصفر قد شك في وصف له أخدانه

إلى أن قال :

من خمرة من ريق ظبي أهيف عن در ثغر نظمت أسنانه
إن اليواقيت النضيدة قسمت لنثيرها ولما بدت أوزانه
فالنثر يحسن في العيان يفوقه المنظوم إذ قد كسرت أوثانه

(156) ثناني : كفني وردني
(157) عدد أبيات هذه القصيدة 104 بيت، وقد ذكرها العلامة سكيرج في كتابه الرحلة الزيدانية ص 80-89.

فالغزل ليس بساتر ما لم تكن	بالنسج تجمعه لنا خلانه
أنقاض بيت ما بقت لم تبتني	لا بيت أو تبنى لنا أركانه
كالبيت من شعر ومن شعر له	بالنظم فضل يقتنى عرفانه
كبيت انتقاص الشعر يسمع في الورى	من عائب قد عابه أقرانه
لله در إمام شعر فائز	بالرد عن شعر نما إيمانه
قد قام عن شعراء إسلام بما	سماه تغييرا زكت أحيانه(158)

وهي طويلة، وقد ضمنها أبواب الكتاب وفصوله في أحسن سبك وتنظيم، وقد استعمل في مدح سيدنا محمود هذه القصيدة الفريدة، وقد أنشدت بين يدي سيدنا محمود، ونال بها من إقباله عليه غاية المقصود، ونصها :

باب السعادة فتحت في الحال	أم شمس فتح أشرقت أوصال
أم وصل حب بعد طول جفائه	أم بدر تم لاح في إكمال
أم فجر صدق قد تلمع ضوءه	أم صبح يمن جاد بالإقبال
أم بالأماني أم نحوي مبشر	أم فرجت كربي بذي الآمال
أم برد وصل بالحشا مني ثوى	قد فصلت آياته للتال
لله آيات بإسعاد بدت	من عين ماض أشرقت في الحال
فرع لأصل قد تألق نوره	بعشينا يزهو وفي الآصال
نور أمد من الضياء كشمسه	منها استمد البدر للسلسال
محمود سعي قد سعيت بسيدي	محمودنا نجل العلي العال
ميم ملاذي ثم حاء حمايتي	ميم المرام الناجح الوصال
واو الوصال دعاه دالي محصن	تحصين أعراف كما الأنفال
نجل البشير أبي البشائر سيدي	نجل الحبيب محمد ذي الآل
نجل الملاذ الأعظم الختم الذي	قد ساد في الماضي والاستقبال
فليهنى مكناسا نزيل رحابها	ما إن له كفؤ(159) لدا الأمثال
وليهنها فرع بـدوحــة مـجـدهـــــا	يهتز غصنا بالـــجـنــا الـمـتــــلال
وليهنها شمس الهناء بروعة	عمت بربع عامر والخال
مع نسخنا للشرك ليلا حالكا	فيه عفا الديار والأطلال
فيه حياة للرفات جميعها	كالسر في الأقوال والأفعال
هذي القلوب جمالكم مع عطفكم	تبغي على التفصيل والإجمال
هذي الخدود لوطئكم قد وطئت	منوا بفك من عنا الأغلال(160)

(158) انظر هذا التقريظ في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 511.
(159) كفؤ : نظير ومثل
(160) الأغلال : القيود

حيا محياكم بخير تحية … حي كريم عم بالإفضال
حيا بطيب من عبيق المسك من … أولاك أطيب طيب الأحوال
حيا مقامك مع ذويك جميعهم … مع صحبكم يا سيدي والآل
والصهر من يدعى دده ومحمدا … يسمى لطيف الفعل والأقوال
والحبر نجم طريقنا وفقيهنا … حبي أبي العباس ذي الإفضال
مبدي الفضائل ذي التآليف التي … قد كاثرت نجم السها المفضال
أعني سكيرج أحمدا من زانه … مثل الصهريج في ندى التمثال
والمجد مولانا أبي حفص له … بالأخذ عنكم طيب حسن القال
يدعى بعمر من شريف مقركم … ذاك العلاء لأول والتال
والسهل مولانا وصيفك سيدي … والأكرمين الكمل الأنجال
والكل يعلن بالشفاعة عندكم … للعبد يدعى رخيصكم لا الغالي
فلتقبلوه وصيفكم وخديمكم … ولتمنحوه رضى كما التسآل
كي يشتفي معنى ولفظا من ضنى … حتى يعود بكم هني البال
والآل والأنجال مع إخوانه … لا يشتكون بكم ضنى الإعلال
بالختم مولانا التجاني ملاذنا … شيخي بلا ريب ولا إشكال
مولاي فاقبل ما أقوله مغضيا … عن وصف إكثار وعن إقلال
أدخل بكلية الكمال تفضلا … جزئيتي يا دوحة(161) الإجلال
بالهاشمي المصطفى خير الورى … من دينه ينجي من الإضلال
صلى عليه الله ما شمس بدت … مع صحبه وقرابة والآل
والتابعين وتابعيهم جملة … أولي المعالي معالم الإكمال
والشيخ مولانا الذي إحسانه … ملأ الصحاري وسائر الأتلال
طول كريم ساقه شيخ الرضا … تاريخ قولي طيب الأثقال
بالختم فافتح يا أخا الإفضال ما … باب السعادة فتحت في الحال

وله هذه الأبيات اللطيفة بالتزام ما لا يلزم يتضرع فيها للشيخ رضي الله عنه في الظفر بمقصوده، وهي :

طال ليلي بأعين ساهرات … راقبا سعد أنجم زاهرات
باسطا للندى أكف احتياج … من سجايا(162) فضائل ظاهرات
عاليات قدرا ذوات سماح … في نعوت عزيزة باهرات
في تجان وعين ماض أشادت … طيب عرف من أنسب طاهرات

(161) دوحة : الشجرة العظيمة المتسعة
(162) السجايا : جمع سجية وهي الخلق

في مرام المريد يأتي بصنع — من أياد إلى العدا قاهرات
ينهد الهم بالهمام ومن لي — باهتمام يسوق لي ناهرات
يحرس الصحب إن أسرت بقول — أو بدت في مقالها جاهرات
أو كنت عن مقاصد أو أشارت — للمساوي كنسوة عاهرات
هل بهماتكم صلاحي قريب — في المساوي لسعيها شاهرات
مظهر الفوز أنت هل لي بفوز — من هبات على العدا ظاهرات

وقال أيضا في مدح سيدنا رضي الله عنه قصيدة وسماها : "قصيدة التضرع والابتهال"، بحضرة سيدنا شيخنا قطب دائرة الكمال ونصها :

هم(164) في مقام الحب غيـــر ملـوم — واشرت زلال(163) العشق غير ظلوم
لا تخشى في هذا عدو لا كلما استـبـــدلــــــت تخصيصا بـوصـف عـمـوم
واستفت في شرع الغرام متيمــــا — عن حكم مضنى يزدهي بكلـوم(165)
يأتيك بالمنصوص عن أربابه — أهل القريض ونثره المعلوم
فقتيل حب ليس يودى ثم لا — يفدى الأسير لرقه المحتوم
يلتذ بالهجر الذي لابد أن — يتلوه وصل لم يكن بمروم
لا تلح(166) ذا وجد فإن سبيله — للسالكين مضلة المهموم
وارحم رهين الحب أن يلفى كمن — في حب شيخ هام غير ملوم
شيخ أنالته الهداية للورى — منها القياد كفيلة بخصوم
شيخ يحيل نحاس نفس عسجدا(167) — بالقرب يغنيها بكنز علوم
شيخ طريقته بشكر نسجت — والفتح فيها مفاجئ بهجوم
والسير فيها مسير قلب ليس بالأ — بدان هذا لفضلها المقسوم
راء المريد به تعجم إذ له — منه المزيد برمزه المفهوم
لا ترجون عد الفضائل كلما — حاولت عدا في السما لنجوم

---

(163) زلال : الماء العذب الصافي يمر سريعا في الحلق.
(164) هم : في الهيام بمعنى تحير.
(165) الكلوم : الجروح.
(166) لا تلحى : لا تلم.
(167) العسجد : الذهب والجوهر كالدر والياقوت.

حسبي الملاذ إذا بخير جنابه   في كل حال لا بلدع سموم
بالشيخ فافتح مغلقا من أمرها   واختم بناصر هديه الموسوم
أعني التجاني أحمدا من قد مضى   في عين ماض كالشدا(168) المشموم
فاس به أمنت لشمس معارف   من أفقه طلعت لنسخ نجوم
ما بالمديح يفي اليراع(170) بوصفه   وحلاه إرث مفاخر المعصوم
من لي بنزح اليم(171) أو عد الحصى   كلا ولا التحقيق للموهوم
مولاي هذي النائبات تريدني   فاحمي العبيد إذا عذاب سموم(169)
وأكف العناء وغربة عن منزل مضنى بحبك بغيتي ومروم(172)
عمر به وبأهله وبنيه عن   عز دويرته(173) بخير رسوم
فالجسم منه عن العناء كما ترى   مستنجدا لمعونة المكتوم(174)
واصرم(175) حبال تغربي عن منزل   وانظم مناه بعقدك المنظوم
بالختم اختم قطعتي وتذللي   للشيخ في نثري وفي منظوم
مولاي وقع بالمراد بمطلبي   فالسر في التوقيع لا المرسوم
بالهاشمي محمد خير الورى   صلى عليه الله دوم لزوم
مع آله والصحب ما حاد حدا   هم في مقام الحب غير ملوم

وكان حضر بمحل نزولنا مع جماعة من علماء الطريقة جاءوا بقصد ملاقاة سيدنا محمود رضي الله عنه وزيارته، وطال انتظارهم، فكتبت له هذين البيتين :

حي الإله جمعكم   ونلتم الأجر الجزيل
فلتصبروا سويعة   حتى يوافينا الدليل

فكتب لي ارتجالا من بحر آخر :

قد صبرنا سنوات   وزمانا يا جليل
كيف والمأمول شمس   ماله فينا مثيل

---

(168) الشدا : قوة ذكاء الرائحة الطيبة.
(169) السموم : الريح الحارة وهو مؤنث جمع سمائم.
(170) اليراع : القلم.
(171) اليم : البحر.
(172) المروم : المراد.
(173) دويرته : تصغير دار وهي المنزل.
(174) المكتوم : من ألقاب الشيخ أبي العباس التجاني، انظر ج 2 ص 297-320.
(175) اصرم : اقطع.

فكتبت له من بحرها :

قد أتى منك جواب	أيها البحر النبيل
ورأينا لك فيه	ما به يشفى العليل

ترجمة الفقيه سيدي محمد العرائشي

ومنهم الفقيه الوجيه، العلامة النزيه، ذو الأخلاق العذبة المذاق، الدالة على طيب الأصول والأعراق، المحب الصادق، والخليل الموافق، أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسين العرائشي الأصل، المكناسي النسل، جاء لمحل النزول لملاقاتنا صباح يوم السبت، ولم يكن عنده علم بقدومنا، حتى أعلمه النقيب سيدنا ابن زيدان، فأتى لمحلنا والشوق يزعجه، وذاك شأن المتحابين لا يقر لهم قرار إذا سمعوا بقدوم من يحبهم أو يحبوه، وبشهادة الله إني أحب هذا الفقيه الذي ارتدى برداء الخمول، وسلك على مسلك يفضي به لأعلى مقامات الوصول، قد تجرد عن الكبر، ولبس من لباس التقوى ما استحق أن يتقدم به أمام كل حبر.

وقد سألني عما ثبت عندي في نسب السادة الناصريين، فذكرت له بأن المسموع عندي أنهم من المرابطين، ولست على يقين من نسبتهم لآل البيت، فقال : هكذا ذكر الناصري صاحب الإستقصاء قائلا : ولعل نسبهم يلتحق بجعفر ابن أبي طالب، لكن قد ألف الناصري(176) بعد ذلك مؤلفا جليلا في سفر سماه : "طلعة المشتري، في النسب الجعفري" ألحق فيه الناصريين بالسلسلة الجعفرية، وأبدى في ذلك وأعاد، وذكر فيه أنه حين تأليفه للاستقصا لم يكن تحقق ذلك، إنما كان يسمعه منهم فقط إهـ... فقلت له : لو كانوا من آل البيت لكان أول من يصفهم به أبو علي اليوسي في داليته التي يقول في مطلعها :

عرج بمنعرج الهضاب الورد

وهذه القصيدة من غرر القصائد المشتملة على النكت العجيبة، مع ما انطوت عليه مما يدل على اتساع عارضة ناظمها في علم اللغة وغيره من العلوم المنطوية عليها، حتى أن الممدوح بها قد كان أمره بشرح ألفاظها اللغوية، ليسهل فهم معانيها لمن اطلع عليها، والذي أتخيله بين عيني أنه لم يذكر فيها كونهم من آل البيت، والله أعلم، ثم قلت : وكما تعجبني هذه القصيدة الدالية تعجبني قصيدة الإمام البوصيري التي يقول في مطلعها :

كتب المشيب بأبيض في أسود	بقضاء ما بيني وبين الخرد

---

(176) أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي، مؤرخ، باحث، ولد بسلا عام 1250هـ، وبها توفي عام 1315، من مصنفاته الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، وطلعة المشتري في النسب الجعفري، وزهر الأفنان في شرح قصيدة ابن الونان، وكشف العرين عن ليوث بني مرين، والفلك المشحون بنفائس تبصرة ابن فرحون، وتعظيم المنة بنصر السنة، وغير ذلك من المصنفات الأخرى.
انظر ترجمته في الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 368 رقم الترجمة 815، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 432 رقم الترجمة 1702، وفي إتحاف الوجيز للدكالي ص 174، وفي أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين للجراري ج 2 ص 11-14، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 120.

ومنها البيتان المشهوران

وتزود التقوى فإن لم تستطع — فمن الصلاة على النبي محمد
صلى عليه الله إن صلاة من — صلى عليه ذخيرة لم تنفد

وقد سألته عما يقرؤوه مع الطلبة من الدروس في هذا الوقت، فذكر أنه يقرأ معهم المختصر والألفية، أعاننا الله وإياه، ولما أراد النهوض كتبت هذه الأبيات بارتجال ليوصلها لمحبنا الأديب سيدي عبد القادر العرائشي، ونصها :

قرة العين جد لنا بالتلاقي — قبل أن يفصل اللقا بالفراق
قد حللنا بربعكم لنراكم — فتجودوا لنا بكأس دهاق
يا رعى الله ما مضى من وداد — هل ترى قلبكم على العهد باق
لا تحولوا بالله عنه وكونوا — مثل ما كنتم بغير شقاق
علم الله أنني مستهام — وفؤادي معذب باشتياق
فلتعيشوا كما نعيش ورقوا — للذي روحه وفت للتراقي
فعليكم مني أتم سلام — ينتج الود في النوى والتلاقي

ولصاحب هذه الترجمة ذهن وقاد، وقريحة تامة، وله الباع الطويل في علم النحو والبيان، والفقه والعروض، إلا أنه قليل النظم، ومن نظمه تقريظه لهمزية سيدنا النقيب الزيداني المسماة "كفاية المحتاج"، ونصه :

هنيئا لك البشرى بما نلت من أجر — وأحرزت من فضل عظيم ومن فخر
وفزت بما تبغيه من رتب العلا — وحزت من الخيرات ما جل عن حصر
بمدح رسول الله خيرة خلقه — ففي مدحه والله سر على سر
أيا عابد الرحمان نجل محمد — سليل كرام ماجدين ذوي قدر
لقد صغت من مختار در منضد — قصيدة مدح في خفيف من الشعر
مرصعة مرقومة بجواهر — من أوصاف خير الخلق هي معدن الدر
كفاية محتاج لها النور والبها — بأسرارها تزهو على الشمس والبدر
مواهب إنعام بها الله منعم — عليك ففه شكرا وأكثر من الشكر
ليهنك حب المصطفى وشفاعة — بها منه عند العرض في موقف الحشر

ترجمة الشريف سيدي عبد القادر العرائشي

ومنهم أديب مكناسة، من طأطأ له كل أديب رأسه، ذو اللهجة القاطعة لأوداج من بارزه في ميدان المسابقة، فلم يصل مجاراته أحد من ذوي الهمم الفائقة، من لسان حاله ينشد :

وإن لساني شهدة يشتفى بها	ولكن على من صبه الله علقم(177)

فأذعن له أهل مصره في هذا المجال، ولم يبارزه إلا من اغتر أو جهل من الرجال، ألا وهو الشريف العلمي الأصل، الجامع لشتات الفضل، أبو محمد سيدي عبد القادر بن أحمد العرائشي، وهو من أعز أحبابنا، وقد اجتمعت به في هذه المرة بعدما وجهت له الأبيات المتقدمة التي أولها في مخاطبته :

قرة العين جد لنا بالتلاقي	قبل أن يفصل اللقا بالفراق

فقدم لمحل نزولنا، وقلبه ممتلئ فرحا لملاقاتنا، حيث أنه لم يسمح بحلولنا بمكناسة، إلا وقت ورود الأبيات عليه، وأتى مصاحبا معه هذه الأبيات :

يا قلب إنك غافل فتفطن	واطرب وغن وقل بدون توان
وجبت علي زيارة لأحبتي	لا سيما منهم علي الشان
العالم العلم الأديب المرتضى	بحر العلوم وقرة الأعيان
ذاك الفقيه الأحمدي سـكـيــــرج	من حل بلدتنـا بـكــل أمـــان
مع نجل من عم البرية فضله	شيخ الكمال ومعدن العرفان
من خصه رب الورى بمكارم	جلت عن الإحصاء والتبيان
أعني به القطب التجاني من له	خضع الورى في سائر البلدان
ما ثم إلا عطفة قد نالها	من جده بحر الوفا العدنان
صلى عليه وآله وصحابه	رب كريم مانح الإنسان
ما سبحت طير وقال متيم	إني فرحت لرؤية الإخوان

كنت تلاقيت مع صاحب الترجمة في رحلتنا الزيدانية قبل هذه، فكانت تلك الرحلة الشريفة مباركة بمعرفة أمثاله الذين أقبلوا علينا بفضلهم، ونظروا إلينا بعين القبول بين أهلهم، وقد أوقفني في هذه المرة على رسالة كان وجه لي بها لفاس جوابا عن كتاب كنت كتبت به إليه بعد الرجوع إليها من طرفهم، بعدما تلطف في المعاتبة في تركي للجواب عنها، واعتذرت بعدم وصولها إلي، وأجبته بارتجال عن القصيدة المشتملة عليها، ولا بأس بذكر القصيدة وأتبعها بالجواب، قال :

يا راحلا عن سواد المقلتين(183) لقد	أسكرت حبا بما أمليت من راح
حتى غدا ذاهلا بسكره أبدا	وصار مصطلما بفقد أرواح
مهلا على مهجتي فإنني كلف(184)	أرجو الوصال لبغيتي وإصلاحي
ذاك الفقيه أبو العباس أحمد من	غدت رسائله قوتا لأشباحي

---

(177) العلقم : المر.

سكيرج علم الذكاء والأدبا من حبه قد سرى في الذات كالراح(178)
يا حسنه من أديب زانه أدب وعالم ظافر بطل(179) أرباح
من رام أوصافه بكل محمدة لم يوف عشرا ولو أتى بإفصاح
لكن إحسانكم يعمني ولكم فضل على قلمي ما دمت يا صاح(180)
إني عجزت ولي في وصلكم أمل أشاهدن طلعة تزيل أتراحي(181)
الله يعلم صدق ما أقول لكم متيم بمليح رام إفضاحي
كيف السبيل إليه وهو في بلد قد عاقني عن خطاها بخل أشباحي
فاس لعمري هي الدنيا بأجمعها قد قال ذا من أتى ببعض أمداح
فيها الأماجد والأشراف والعلما من حبهم متجر لكل أرباح
لا سيما حبنا المذكور قبلهم من علمه قد بدا بكل أبطاح(182)
نعم الحبيب الذي أتت رسالته وجرحت كبدي بدون مجراح
يا حسن ما حدثتني من بلاغتها قد طار قلبي لها بكل أفراح
لم أنسكم سيدي لا أنسين لكم عهدا فأنتم إمسائي وإصباحي
سلام عطر أخي يهديه صبكم ما هب ريح الصبا بطيب أرواح

وأجبته وهو حاضر بهذه الأبيات :

يا ساقيا مهجتي كأسا من الراح مهلا علي لقد سلبت أرواح
قد غبت من راحك التي سقيت بها روحي فها أنا ذا سكران لا صاح
سقيتني خمرة ما كنت أعهدها ولم أكن قبلها أميل للراح
رفقا علي بما سقيتني فأنا مسلوب عقل ولم أكن بمزاح
بالله فارفق بعبد أنت مالكه وأنت ساحره بسحر أمداح
متى يوفيك شكرا ليس يبلغه وأنت تمنحه سكرا بأمداح
لو قمت طول زماني في مديحك لم أوف ما أنت تستحق يا صاح
وغاية الأمر أني لا أطيق له فاصفح عن العبد يا أجل مداح

ومما أتى به لنا في مدح سيدنا محمود رضي الله عنه هذه القصيدة التي يقول فيها :

ألا إنني أهدي الثناء مع البشرى لمن ضاءت الدنيا بطلعته الغرا
هو السيد المحمود من قد به زكت محامده الحسنى فلا تقبل الحصرا
فمهلا أخا الأمداح هيهات وصفه ولكن تطفل واسأل العز والسترا
كفى أنه من آل قطب زماننا التجاني من حاز المواهب والفخرا

---

(178) الراح : بمعنى الخمر.
(179) بطل : جمع طلا وطلل وهو المطر والندا.
(180) يا صاح : بمعنى يا صاحبي.
(181) أتراحي : أحزاني وهمومي.
(182) أبطاح : من البطائح، ومفرده بطحاء، وهي مسيل واسع فيه رمل ودقائق الحصى.
(183) المقلتين : مثنى مقلة وهي شحمة العين.
(184) كلف : مولع.

على البر والتقوى تأسس وردهم فدام لهم إذ هم به دائما أحرى(185)
ولا سيما منهم عظيم ذوي النهى من اجتمعت فيه مآثرهم طرا
شريف جليل من تقدم ذكره فأكرم به من طيب يبتغي الأجرا
لقد زاده الرحمان في الخلق بسطة(186) وأحسن فيه الخلق والرأي والفكرا
هو السيد العدل المطيع لربه وإن رعاياه تطيع له الأمرا
لقد سار فيهم سيرة عمرية وأوسعهم برا وأهدوا له شكرا
على أنهم يرجون طول بقائه ويدعون مولاهم يطيل له العمرا
به سعدت أيامنا وبلادنا وقامت به الأفراح والراحة الكبرى
وسادت به مكناسة وازدهت به وصارت تنادي مرحبا ببني الزهرا
له همة في كل شأن(189) علية وعزم قوي لا فتور به يطرا(187)
أجل أناس الأرض شأنا وهيبة وأكبرهم مجدا وأكثرهم برا(188)
وأرسخهم حلما وأجودهم يدا وأفضلهم علما وأعظمهم قدرا
فلا زال مسرورا ودام نعيمه به قائما ما دامت القبة الخضرا
بجاه رسول الله مأملنا الذي نؤمله عند الشدائد في الأخرى
عليه صلاة الله والآل كلهم كذا الصحب من حازوا العناية والنصرا
وإن شئت تاريخا فهاكه واضحا شريفا بهيا إنه يحسن الشعرا

وقد أجبته بارتجال بهذه الأبيات :

أجدت رعاك الله يا من علا قدرا وفقت السوى ممن أتى يطلب السرا
وأحرزت أجرا في الذي قد أتيتنا به من مديح يورث العز والفخرا
لك الله من مداح بيت محمد بحسن مديح فاق في القيمة الدرا
وأنت شريف الأصل تعرف قدر من يكون شريفا حيث أنت به أحرى
ألا أيها المولى المبجل قدره إلى أن غدا في الناس فوق العلا بدرا
أتيت لمحمود بعقد جواهر وسعيك محمود تنال به الأجرا
لك الله من حبر يجل مقامه لدينا بأن نحصي فضائله حصرا
فلا زلت تعلو والأعادي حقيرة وكلهم من بعد دفعك قد جرا

وقد كان استدعانا لمحله، فاعتذرنا له بأننا لا نتفرغ لذلك، فكتب لي هذه الأبيات لما رآنا ذهبنا إلى بعض منازل أحد الخاصة من الإخوان :

يا كعبة الأدباء يا علم النهى يا من له حب قوي في النبي

---

(185) أحرى : أجدر.
(186) بسطة : سعة.
(187) يطرأ : يحدث.
(188) البر : العطية والطاعة والصلاح والصدق.
(189) شأن : مفرد شؤون وهو ما عظم من الأمور والأحوال.

ما لي أراك تساعدن غيري بما يرجوه من أمل بنيل المطلب
وأنا تبعدني وتذكر أنكم لا قدرة لكم على ذا المرغب
فالقصد عندي نفرحن بقدومكم لمحلنا ونقول هذا مأربي
الله في دنف(190) يرى لكم الحقو ق وأنتم من أجله في مهرب
بين رعاك الله ما هذا الجفا هذا لعمري من عجيب أعجب

فأجبته بهذه الأبيات، وقد كان حضر معه سيدنا النقيب الشريف الأمجد، الأديب الأوحد، سيدي محمد بن إدريس الإدريسي الشبيهي(191).

مالي وحقك سيدي من مهرب إلا لكم فيما أراه ألم بي
إني أرى لكم الحقوق حقيقة لكن عذري عندكم لم يزري بي
من حيث أنك عندنا طي الحشا عند الإقامة عندكم وتغربي
فمحلكم عندي محل كرامة وحشاك تحسبني لديك كأجنبي
ما لي إليك أرى شفيعا في الرضى عني سوى المولى الشبيهي ابن النبي
فهو الذي قدمته لعلاك كي تعفو على هذا المحب المذنب

وقد دفعت له مجانة للطوق إكراما له، وطلبت منه القبول، فكتب لي هذين البيتين :

طوقتني سيدي مجانة الطوق جاءت مفضضة كلون معشوق
ألبستني حلة ضاءت كجوهرة لا زلت أشكركم ما دام منطوقي

وقد أتى لنا أيضا بهذه الأبيات في مدح سيدنا محمود رضي الله عنه، ونحن بروض سيدنا النقيب أمنه الله، ونصها :

(190) الدنف : المريض الذي لزمه المرض.
(191) انظر ترجمته في ج 2 ص 120 من هذا المجموع.

حلت بأرحابنا الأفراح واتسعت وعمها الخير لما حلها قمر
نجل التجاني محمود الفعال الذي قد حاز مرتبة يعنو(192) لها البشر
السيد الأفضل الذي له شهدت أفاضل بالثبات كلما نثروا(193)
لا سيما منهم الفقيه أحمد من يدعى سكيرج من سادت به صور
العالم الشاعر الأديب صاحبنا دامت معاهده لم تعرها غير
رفيق هذا الشريف من له حسب يغضي(194) حياء من الذي له بصر
أكرم به من شريف زانه خلق فاعكف عليه ففيه الخير والوطر
السمت(195) شيمته والصمت سيرته من حاز ذا قد أتاه الأمن والظفر
يا سيدي يا جليل القدر مدحكم عن مادح يبعدن فكيف ينحصر
لكن بالفضل منكم فاقبلن كرما أنت الملاذ وأنت الحصن والوزر
مني سلام على علياكم كلما فاحت عطور ومال الغصن والشجر
أستودع الله أحبابا لهم كرم من حبهم في الحشا غابوا وإن حضروا

وعند الموادعة وجه لنا هذه الأبيات، ونصها :

لما سمعت لقولكم قرب النوى(202) قلبي إذا والله منه قد اكتوى
وغدوت حيرانا ولم أجد الثوى(203) وبقيت مكلوما(196) أئن(197) من الجوى(198)
بالله رقوا وارحموا مضناكم فالبين(199) عذبه وصاح من الهوى
لا تقطعوا حبا ولو برسالة تشفيه من سقم عليه قد احتوى
وكذاك لا تنسوه من صالح الدعا قطعا يحوز محبكم ما قد نوى
بوجود من حاز الفضائل كلها نجل التجاني من على السر انطوى
السيد المحمود من قد عزه مولى الموالي من على العرش استوى
وأناله ما يرتجى من سؤدد فبه أزال الران(200) عمن قد غوى(201)
نعمت سياحته ونعم فقيهه الشاعر الراوي المفيد لمن روى

---

(192) يعنو : يخضع ويذل.
(193) نثروا : أي قالوا النثر.
(194) يغضي : يطبق جفون عينيه حتى لا يبصر.
(195) السمت : الطريق والمحجة.
(196) مكلوما : مجروحا.
(197) أئن : أتأوه.
(198) الجوى : العشق.
(199) البين : البعد.
(200) الران : الخبث.
(201) غوى : ضل.
(202) النوى : البعد.
(203) الثوى : بمعنى القرار والاستقرار.

ذاك الأديب الناثر البطل الذي	خضعت له العقلاء كلهم سوا
أعني النزيه الأحمدي سكيرجا	من قد رمى جسمي بسهم فالتوى
مولاي بالمختار سلم جمعهم	واحفظهم يا فالقا حب النوى
فعليه من ربي الصلاة وآله	ما لاحت الأقمار في أفق الهوى
وكذاك ما قد قال صب هائم	لما سمعت لقولكم قرب النوى

ترجمة الفقيه سيدي محمد السوسي(204)

ومنهم العلامة الأمجد، الفاضل الأسعد، من اتصف بالأخلاق الحميدة، حتى نال الفضائل العديدة، فكان واسطة عقد أقرانه، في عصره وزمانه، أبو الفتح سيدي محمد بن أحمد السوسي، وهو من خاصة الأصحاب والأحباب، تلاقيت معه بروض الشريف النقيب، صباح يوم الأربعاء، كما تلاقيت في الرحلة الأولى به، ولما قدمنا في هذه المرة لمكناسة تشوفت لملاقاته، لما لنا فيه من المحبة القلبية، والمعرفة الودية، ونحن بحمد الله ممن يراعي حقوق الأحبة في الجملة، فوجب علينا أن نسأل عنه الإخوان، ووجهت له هذه الأبيات في الحال، عسى أن نجتمع به قبل الإرتحال:

ما على من أحبه من جـنـــــــــاح	لو أتى زائرا لأهل الـصـــــــــلاح
لم أكن أعهد الجفا منك يا محبوب قلــبــــــي	ولم تـحــل للـــــــــــــواح
أنقضت العهود من بعــــد توثـــيـــــق	فـقـــــل لي ماذا تـــرى يا صـــاح

---

(204) الفقيه العلامة المدرس القاضي السيد محمد فتحا بن أحمد بن الحاج المكي بن أحمد بن علي السوسي الهشتوكي نسبا، المكناسي مولدا ووفاتا وإقبارا، حيث أن الوافد على مدينة مكناس هو جده الأعلى سيدي أحمد بن علي السوسي.

ازداد بمدينة مكناس عام 1285هـ، وبها تابع دراسته العلمية بعد حفظه للقرآن الكريم على يد المدرر الفقيه سيدي محمد بن العياشي القبري، برواية ورش عن نافع، وبقراءة ابن كثير، وشيوخه في العلم والمعرفة كثيرون منهم : عمه سيدي محمد المفضل بن المكي السوسي، وهو عمدته، ثم أخوه العلامة السيد محمد بن أحمد السوسي، والفقيه سيدي محمد القصري العبدري، والفقيه سيدي محمد التهامي بن عبد القادر السوسي المعروف بالحداد، والفقيه سيدي محمد بن عبد السلام الطاهري، والفقيه سيدي محمد المفضل بن عبد الهادي بن عزوز، والفقيه سيدي أحمد بن يوسف الناصري، والفقيه سيدي عبد ا بن إدريس البدراوي، والفقيه القاضي سيدي أحمد بن الطالب بن سودة المري، وغيرهم.

أما عن وظائفه فقد عين عدلا بالسماط بمكناس عام 1311هـ، ثم نائبا لقاضي مكناس، ثم عضوا بمجلس الإستئناف الشرعي الأعلى بالرباط عام 1342هـ، ثم قاضيا على مكناس في شهر شعبان الأبرك عام 1346هـ، وبقي في منصبه الأخير إلى حدود عام 1359هـ.

من مصنفاته : شرح موسع لهمزية الإمام البوصيري، وحاشية على شرح أرجوزة مصطلح الحديث للشيخ أبي حامد سيدي العربي الفاسي، وعون الموصوف بالجلالة على ألفاظ خاتم الرسالة، وعون الطالب السائل على فهم الأثرين المختوم بهما الشمائل، وختم مختصر خليل، وختم المرشد المعين، وختم الألفية لابن مالك.

وكانت وفاته رحمه ا بمدينة مكناس ليلة الثلاثاء 3 شوال عام 1369هـ، وصلي عليه بالجامع الكبير قبل الزوال، ثم حمل جثمانه إلى الزاوية الكنتية، ودفن بها في بيت أضافه لها وهيأه ليكون به مأواه الأخير، أنظر ترجمته في إسعاف الإخوان لابن الفاطمي الشهير بابن الحاج ص 161.

ما الذي أوجب الجفا منك حتى لم تجئ عندنا ولو باقتراحي
يا رعى الله منك ودا قديما لست أنساه دائما بامتداح
لو علمت الذي بقلبي من شوق إليك لطرت دون جناح
ولو أنا ما كنت بالقلب منا لم تصلنا إليك طيب الرياح
غير أنا دمنا على العهد حتى ما إذا لم تجئ سللت سلاحي

وأردت بالعجز الأخير من هذه الأبيات مباسطته بالترهيب من الهجو، وكتب له معها سيدنا الشريف النقيب ما يدل على ذلك، واستدعاه للحضور بروضه للجمع بنا صباحا، فانتظرناه فلم يسرع بالقدوم، فكتبت هذه الأبيات :

متى يقول لنا الأصحاب جا السوسي من في العلوم يرى كمثل جاسوس
ما باله أخر المجيء وهو فتى قد كنت أعهده يأتي لتأنيس
لكنني إن يدم هجرانه سيرى مني الذي لا يراه غير إبليس

ثم حضر واعتذر، فقبلنا المعذرة، بعد أن رام معاتبتنا، بعدم إعلامه بقدومنا، ثم شرعنا في المذاكرة إلى أن سألته عما يقرؤه مع طلبته درسا، فذكر أنه يقرأ معهم الشمائل والمختصر والألفية، ومحل درسه في الألفية : "المقصود والممدود" فذكرت له هل يستحضر جواب إشكال طالما جلت في فكه، فلم يتيسر لي فكه في قول الناظم في الباب المذكور :

والعادم النظير ذا قصر وذا مد بنقل كالحجا وكالحذا

وذلك أن الحذاء جمعه أحذية، ونظيره سلاح مثل كساء، فله نظير، والناظم حكم بأنه عادم النظير، مع ما نص عليه ابن هشام(205) من أنه مما يستدل به على مد معتل الأخير من الأسماء قياسا أن يكون مفردا لأفعلة، وحذاء مفرد لأحذية، فلما نظر في هذا الإشكال وتأمله مع حضور بعض الكتب النحوية واللغوية لمراجعة محط الإشكال، فتح المولى سبحانه بجواب لطيف، وقد قنعت به في فك هذا الإشكال المنيف، فقال : إن الحذاء مؤنثة، وأفعلة جمعا لا يقاس إلا في المذكر الرباعي الممدود الثالث، كما قال في جمع التكسير :

لاسم مذكر رباعي يمد ثالث أفعلة عنهم اطرد

---

(205) عبد ا بن يوسف بن أحمد المعروف بابن هشام، من أئمة اللغة العربية، ولد بمصر عام 708هـ، وبها توفي عام 761هـ، من تصانيفه : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، وعمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب، في مجلدين، والجامع الكبير، والجامع الصغير، وكلاهما في النحو، ورفع الخصاصة عن قراءة الخلاصة، والإعراب عن قواعد الإعراب، وشذور الذهب، والتذكرة، في 15 جزءا، وموقد الأذهان، ونزهة الطرف في علم الصرف، وقطر الندى، وغير ذلك من المصنفات الأخرى.
انظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 10 ص 336، وفي الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 308، وفي معجم المطبوعات لسركيس 273، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 147.

وأنت ترى في اللغة قد نصوا على أن الحذاء مؤنثة، فالجمع على أحذية فيه غير قياسي، وإنما هو سماعي، وكذلك تذاكرت معه في استعمالي للتويلف الذي شرعت فيه المسمى : بالنكت الخفية، في أبيات من الكافية، أحسن من نظيرها في الألفية(206)، مثل قوله في الكافية :

واسما بجر سم وصرف وندا ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ وجعله معرفا أو مسندا

فهو أحسن من قوله في الألفية :

بالـجـر والتنوين والندا وأل ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ومسند للإسم تمييز حصل

لأن الصرف خاص بالاسم دون التنوين، والتعريف شامل للتعريف بأل وبأم في لغة حمير وبالإضافة، بخلاف أل فإنها تكون موصولة وغير معرفة، فالأحسنية ظاهرة، وقد حاول مدافعة هذا، لكنه أذعن لوضوح وجه الإستحسان، وهكذا في بعض أبيات تكلمت عليها في التويلف المشار إليه، سائلا من المولى الإعانة عليه، وهو الموفق للصواب.

ترجمة مولاي الطيب العلوي(207)

ومنهم ذو الأخلاق، العذبة المذاق، الدالة على طيب الأصول والأعراق، محبنا وحبيبنا وصفينا الشريف الأصيل، الماجد الجليل، من تحلى بحلي التواضع وخمول الذكر، الحائز لقصبات الفخر، مع أداء الحمد لمولاه بأداء الشكر، مولانا الطيب بن مولاي عبد الله العلوي الإسماعيلي، فهو من خاصة أحبابنا الذين اختصوا بالمحبة الصادقة، والهمة الفائقة، فلم يرضى بسفاسف الأمور، ورضي بالخمول بين ذوي الصدور، أنشد في بغية الوعاة للقيجاطي(208) :

ليس الخمول بعار ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ على امرئ ذي جلال

فليلة القدر تخفى ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ وهي خير الليالي

و أنشد هذه الأبيات في مدح سيدنا محمود، بلغه الله غاية المقصود :

ومحب سمعه أطرقه(212) ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ موعد قد كان قبل مكتتم

فابتهجنا وسررنا ليله ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ وانتظرنا منكم نقل القدم

فهنيئا إن وفيتم صحبه ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ وغدا الشمل جميعا وانتظم

حفظ الله زمانا بكم ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ جاد عنا بعد أن كان ظلم

---

(206) انظر ج 1 ص 111 من هذا التأليف.

(207) الطيب بن عبد ا بن محمد الطاهر بن عبد القادر بن عبد ا بن السلطان المولى إسماعيل العلوي، فقيه، أديب، نساخ للكتب، ولد بمكناس يوم الاثنين 14 جمادى الأولى عام 1278هـ، كان متوليا خطة العدالة ومتصدرا للشهادة بسماط العدول بمكناس، ثم رشح للشهادة بمراقبة الأحباس، وشيوخه في العلم كثيرون منهم : العلامة الأديب سيدي الغالي السنتيسي، وسيدي فضول بن عزوز، وسيدي الطاهر بوحدو، وغيرهم.
وكانت وفاته رحمه ا في فاتح جمادى الثانية عام 1336هـ، ودفن بضريح جده السلطان مولاي إسماعيل، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 3 ص 118.

(208) علي بن عمر بن إبراهيم الكناني القيجاطي، من أكابر علماء النحو واللغة بالأندلس، تولى الخطبة بجامع غرناطة عام 712هـ، وبها توفي عام 730هـ، من أهم تصانيفه : نزهة المجالس، انظر ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ص 344، وفي غاية النهاية لابن الجزري ج 1 ص 577، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 316.

أحمد الوصف أبا حفص الرضا | توأم الفضل كريم المعتصم
كيف لا وابن الرسول المرتضى | صرتما عنده من أعلى الخدم
نخبة الأطهار بدر مشرق | في الدياجي(209) وهو جحجاح(210) أشم(211)
راح للأرواح إذ راح لنا | كل روح وانزوت عنا الغمم
فحمدنا الله إذ أكرمنا | بطلوع البدر محمود الشيم

ترجمة مولاي عبد الله العلوي

ومنهم الشريف المنيف، الأديب الغطريف، المتحلي بحلي القبول، والمستتر تحت ظل الخمول، ففاق أقرانه بآداب رائقة، وهمة فائقة، مولانا عبد الله بن محمد بن عبد الله العلوي الإسماعيلي، وهو ابن أخي المترجم قبله، وقد اختارهما سيدنا النقيب لنفسه في تخريج تآليفه من مبيضاتها، لما لهما من الخط الحسن، والعقل الراجح، ويكتبان له بعض التآليف التي يريدها لنفسه، فيقومان أتم قيام بجميع ما يرومه منهما بطيب نفس، ولا يقصر حفظه الله من إكرامهما بما في طوقه، جزى الله الجميع خيرا. وقد أنشد صاحب الترجمة في مدح سيدنا محمود رضي الله عنه هذه الأبيات :

أبد ورا أذهبت عنا الظلم | أم شموس نسخت آي الغمم
أم حبانا ربنا من فضله | بحفيد الختم محمود الشيم
وحبانا بالأماني والمنى | ووقانا شر ما كان ألم
فهنيئا أهل مكناس لكم | فزتم بالنول من بحر خضم
وتوالت لكم الأفراح إذ | ولت الأتراح والضيق انفصم(213)

وبشير البشر قد بشرنا | بخميس(214) اليسر للعسر هزم
فغدا الغصن لذا يرقص من | طرب والطير يشدو بالنغم
مرحبا أهلا وسهلا بالذي | أذهب الله به عنا النقم
بضعة المختار من بين الورى | من بدت أمته خير الأمم
أحمد الخلق الرسول المرتضى | من به تسدى لنا كل النعم
فعليه الله صلى دائما | وعلى أمته بين الأمم

وقد نقلت عن صاحب الترجمة ما تتبع نقله من الأماكن التي لا زالت الكتابة منقوشة عليها في أبواب مدينة مكناس، وبعض جدرانها وقصورها، فمن ذلك ما هو مكتوب على باب منصور العلج : الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد الذي لا نبي بعده،

---

(209) الدياجي : الظلمات
(210) جحجاح : سيد
(211) الأشم : السيد ذو الأنفة
(212) أطرقه : أتاه ليلا.
(213) انفصم : انقطع
(214) الخميس : الجيش

طلعت معالي سعدها أبراجي	وأضاء في فلك الجمال سراجي
قد نال من أوج المعالي صهوة(222)	تسمو على الصهوات والأواج(215)
بوجود من أحيا الوجود وجوده	فأناره بسره الوهاج(216)
من شاد بالنصر العزيز قواعدي	وأدار بالفتح المبين رتاجي(217)
بيت النبؤة والخلافة والعلا	كهف(218) الضعيف وعدة المحتاج
مولاي عبد الله من أضحى به	الإسلام معقود اللوا والتاج
ملك يطاع محبة ومهابة	فتحين في نصر وفي أفواج
في كل صالحة له آثار تو	فيق تنادي اسمه وتناجي
فانظر وقس ما غاب عنك بها ترى	هذا قياس صادق الإنتاج
هل ورخت مثلي دمشق أم وشت	صنعي يد صنعاء في ديباج(219)
أم خصت الإسكندرية بالذي	يصفون من عمر ومن أزاج(220)
أم في الملوك نظير مولانا الذي	هو للعباد كفاية الأماج(221)
فالله يبقيه لرحمة خلقه	ولغيثها بالصيب الثجاج(223)
والله يبقي دينه بوجوده	بادي المعالم واضح المنهاج
ونوافل الخيرات تجبى نحوه	من مغنم وهدية وخراج(224)
وتحية المولى السلام تحفه	مسكية النفحات والآراج(225)

وعلى باب جامع الأنوار، الذي صار الآن قشلة للعسكر المولوي.

ما للخريف والبديع كمالي	شرفي بمنشئ حلتي وكمال
مولاي عبد الله من دانت له	شيم الملوك أجلة الأقيال(226)
حسبي من الفخر المخلد أنني	أثر له والسعد في الإقبال
وقتي وشق كل نفس ودها	تحظى به موصولة الإقبال

---

(215) الأواج : الأعالي
(216) الوهاج : الشديد الوهج المتقد
(217) رتاجي : الرتج والرتاج هو الباب العظيم
(218) كهف : ملجأ
(219) الديباج : الواجهة
(220) أزاج : أزجه تأزيجا أي بناه وطوله وباب الأزج محلة بمدينة بغداد
(221) الأماج : جمع الأمج وهو الحر الشديد والعطش
(222) الصهوة : البرج في أعلى الجبل
(223) الثجاج : المطر الكثير السيلان النافع
(224) الخراج : الأتاوة، وأصله ما يخرج من غلة الأرض والمال
(225) الآراج : ريح الطيب
(226) الأقيال : جمع قيل وهو الرئيس أو الملك

وعلى باب الخميس.

أنا الباب السعيد سموت فخرا ... سمو البدر في الفلك السعيد
سنا مولاي إسماعيل يبدو ... على ذاتي المنوطة بالسعود
ففي وقت سعيد قد بناني ... وورخ نشأتي جود المشيد

وعلى باب الدار الكبرى المختصة الآن بسكنى الشرفاء العلويين.

دار الخلافة لاح نور قبابها ... تختال بين رياضها وهضابها
فكأنما الأنهار في جناتها ... يمنى المليك الفخر يوم عبابها(227)
مولاي إسماعيل من جرثومة ... نقل الأئمة جده أوصى بها
يا راصدا لطوالع من سعدها ... فنظام شملك في عضاده بابها

وعلى باب المحنشة الذي بأسراك، بعد التعوذ والبسملة، وسورة الفتح إلى : "وينصرك الله نصرا عزيزا".

تكامل هذا الباب حسنا وبهجة ... وحاز ضروب الوشي والرقم والحكم
ولم لا ومبناه على العز والتقى ... كما الحسن المولى به أمر الخدم
فقف وانشق الرحمى تهب نسيمها ... به فهو باب الله فتح للكرم
بداخله الرضوان والأمن والهنا ... وروض أريض فيه منزهه أشم
فمن أمه يظفر بنيل مرامه ... ويرجع مسرورا ويكفى الذي أهم
أدم ربنا العلياء والملك للذي ... بناه وحطه في البنين وفي الحشم
وأوليه عزا دائما متواترا ... ونصرا عميما ثابتا راسخ القدم

(227) يوم عبابها : يوم شربها

ترجمة الفقيه سيدي محمد بصري(228)

ومنهم الفقيه الجليل، الخطيب النبيل، ذو السمت الحسن، والخلق المستحسن، والأدب الرائق، والتواضع الفائق، أبو عبد الله سيدي محمد بن المقدم الأجل، سيدي بلقاسم بصري المكناسي، التجاني طريقة، وراثة أبوية، عن أبيه عن جده، وهو ممن ولعوا بالبحث عن المعارف، واقتناء اللطائف، يتواضع لمن هو أصغر سنى، وينظر لمن دونه بعين التعظيم ليظفر بالمقام الأسنى.

ولا شك من كانت حليته التواضع والخمول، لا بد أن يفوز بالوصول لبلوغ السول. وقد تفاوضت معه فيما ذكرته في ترجمة جده في كتابنا : كشف الحجاب، عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، من كونه لم يأخذ التقديم عن الشيخ مباشرة، كما تذاكرت مع والده في ذلك، فكان الأمر كما ذكرته، والحمد لله، إلا أنه وقع في التنبيه المذكور في ترجمته سقوط لفظة التقديم عن الشيخ رضي الله عنه. أما الطريقة فقد تلقاها عنه بلا شك، وأما التقديم فقد تلقاه بواسطة القطب سيدي الحاج علي التماسيني(229)، والولي الصالح سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر(230)،

---

(228) هذا الفقيه الجليل هو العلامة سيدي محمد بن محمد بن العارف بربه العلامة سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي مقدم الزاوية التجانية بقبة السوق بمكناس.

(229) أنظر التعريف به في ج 1 ص 292 من هذا المجموع.

(230) المقدم الجليل البركة سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر الأندلسي الغرناطي أصلا، الفاسي مولدا وقرارا ومدفنا، ينتسب لملوك بني الأحمر آخر ملوك غرناطة السليبة، وهو أحد أعيان أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه، توفي في صبيحة يوم الجمعة 2 رمضان عام 1269هـ وفي حقه قال الفقيه سيدي محمد أكنسوس : ماتت أسرار الطريق بموته، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 231، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي، رقم الترجمة 16 وفي الجزء الأول من إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي. وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 22.

والعارف الكامل سيدي محمد الغالي أبو طالب(231). وقد أطلعني على ذلك بخط يدهم المباركة في كناش جده المذكور، نذكر ذلك هنا تميما لما هنالك، وفق ما نقله لنا بخطه من خطه، مع زيادة فوائد لا بأس بذكرها تتميما للفائدة، وعلى الله الصلة والعائدة. فمن ذلك ما كتبه لنا، ونصه : الحمد لله. ومن خط جدنا العلامة، الفقيه الخطيب المقدم البركة، سيدي محمد بن بلقاسم بن الطيب المعروف بابن بصري(232) بعد الإجازة ما نصه : وأما الورد فقد أخذته عن الشيخ حال حياته رضي الله عنه، وهو عن النبي (ﷺ)، يقظة بلا واسطة، فصار الواسطة بيني وبين النبي (ﷺ) في الورد هو الشيخ رضي الله عنه، ولا أعلى من هذا السند، لله الحمد وله المنة انتهى.

---

(231) العارف با الشريف الأصيل سيدي محمد الغالي بن محمد فتحا بن إدريس بن أبي طالب الحسني الإدريسي، من ذرية القاسم بن المولى إدريس الأزهر باني مدينة فاس ودفينها، قال في حقه صاحب كتاب روض شمائل أهل الحقيقة ما نصه بعد كلام : وكان ممن أعطي التصرف في الوجود. ولذلك انتقل بعياله إلى الحرمين، لأن الشيخ رضي ا عنه قال : من أذن له في التصرف من أصحابي فلا يجلس في المكان الذي أنا فيه فإنه يخاف عليه. قيل له منك أو من ا ، قال من ا بلا سبب مني. وبلغني أيضا أن هذا هو سبب انتقال الحاج علي حرازم من فاس وا أعلم. ثم قال بعد كلا م : وكان في رحلته للمشرق يفعل أشياء غريبة، منها أنه سلك طريق البر، وهي مخوفة ممتلئة باللصوص لا يسلكها من الحجاج إلا الفقراء لابسون المرقعات. سلكها هو بأطفاله ونسائه وبعياله وأمواله. وإذا تراءى مع اللصوص يتقدم القافلة على بغلته ويشير بيده للصوص بالتنحي، فيتنحون عنه ويتركون له الطريق فارغة، وربما خوفه الناس من المبيت في بعض المواضع فيبيت فيه ويأتي اللصوص إليهم حتى يختلطوا، ويأخذ ا بأبصار اللصوص عن رؤيتهم، وتوفي بمكة المكرمة في شهر ذي الحجة الحرام عام 1244هـ، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 267 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محمد العلوي، رقم الترجمة 5 وفي الجزء الأول من إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي. وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 9.

(232) المقدم العارف بربه، سيدي أبو عبد ا محمد بن بلقاسم بن الطيب بن الصغير بن مسعود المكنى بأبي سرحان بن محمد بن عبد الرحمان بن عبد ا بن عمر بن عبد الرحمان بن عمران الولهاجي، عرف ببصري المكناسي، من مواليد مكناس في 3 ذي الحجة عام 1202هـ وكان سابع ولادته يوم عيد الأضحى المبارك، وتوفي رحمه ا يوم الإثنين 22 ذي الحجة الحرام عام 1293هـ وعمره حينئذ 91 سنة، ومن مناقبه أن الشيخ أبا العباس التجاني رضي ا عنه لم يناد أحدا باسم المقدم إلا له، وثبت عنه أنه غطاه بردائه مرة، وقال له : قبلناك على أي حالة كنت. ومن المعلوم أن المقدم سيدي محمد بلقاسم بصري قد أخذ ورد الطريقة الأحمدية التجانية عن صاحبها الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه، أما الإجازة فيها فقد حصلت له على يد المقدم الحاج الغازي المطيري عام 1244هـ، والثابت عندي أن سيدي الحاج الغازي المطيري هو واحد من الأربعة الذين قدمهم العارف با سيدي محمد الغالي أبو طالب. ثم أجازه فيها بعد ذلك العارف با القطب سيدي الحاج علي التماسيني عن طريق المراسلة، وكان الواسطة في ذلك العلامة الأديب سيدي التجاني ابن بابا ناظم المنية، وبعد ذلك أجازه البركة المقدم الشهير سيدي عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي الأندلسي.

انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 32، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 1، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 307، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي رقم الترجمة 13، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 422، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 55.

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الله وآله وصحبه، ومن منن الله على أفقر الورى إلى رحمة مولاه، الراجي عفوه ورضاه، محمد بن بلقاسم بن الطيب المعروف بابن بصري أن حصل لي الإذن في تلقين ورد شيخنا العارف الأكبر، والكبريت الأحمر، القطب المكتوم، والبرزخ المختوم، الشريف الحسني، مولانا أبي العباس أحمد بن محمد التجاني، رضي الله عنه، من أخينا في الله الحبيب المحبوب البركة، الذي كان يشهد له الشيخ رضي الله عنه حال حياته بالفتح تصريحا، وعنده الإذن من الشيخ، وكان يلقن الأوراد حال حياة الشيخ، وهو سيدي الحاج علي بن الحاج عيسى، من بلاد تماسين بصحراء الجريد، ومن هناك كتب إلي بالإذن بخط يده، وهذا المكتوب :

نص إجازة القطب الحاج علي التماسيني للفقيه سيدي محمد بلقاسم بصري

بسم الله الرحمان الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد. وبعد : فقد أذن لحبيبه سيدي محمد البصري المكناسي في إعطاء الورد لسيدنا أبي العباس لكل من طلبه منه، نفع الله به، ونفع كل من أخذ عنه، وهو الورد المعلوم. أستغفر الله مائة مرة، وصلاة الفاتح لما أغلق إلخ ... مائة مرة، وذلك كالصبيان والنساء، ومن يحفظ صلاة الفاتح فهي أفضل، ثم لا إله إلا الله، مائة مرة صباحا ومساء. وكذلك من دخل هذه الطريقة يلازم الوظيفة صباحا ومساء، وإلا مرة بين الليل والنهار تكفي، إما صباحا أو مساء، وهو أفضل، وهي أستغفر الله مائة مرة، أو أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، ثلاثين مرة، وصلاة الفاتح لما أغلق خمسين مرة، ولا إله إلا الله مائة مرة، وجوهرة الكمال اثنتي عشرة مرة، وكذلك الهيللة يوم الجمعة بعد العصر، يؤخرها نحو ساعة، ويبقى يذكرها إلى الغروب بغير عدد. وإذا كان ذا حاجة يجعل عددا معلوما على نفسه يذكره، ويذهب إلى شؤونه، وأقل العدد ست عشرة مائة مرة، وإذا كان ذا حاجة أيضا ولم يتيسر له حتى العدد لا حرج عليه، ولكن يفوته خير كثير. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. كاتبه علي بن الحاج عيسى، عن إذن سيدنا وسيد كل ما خلق الله سيدنا محمد (ﷺ). انتهى من خط يده المباركة.

وأنت ترى تصريحه بالإذن النبوي الكريم، فلا أعلى ولا أشرف من هذا السند، لله الحمد وله المنة، اللهم اختم لنا بخير وعافية، آمين، وحفنا وأولادنا وأولادهم بخفي لطفك، وتيسير عافيتك واغفر لنا ولوالدينا وأولادنا وإخواننا، ولجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيئين، وآله وصحبه أجمعين إهـ... من خط يده المباركة، وأنت ترى أنه دعا حتى لأولاد أولاده، لله الحمد، وله المنة، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم(233).

(233) من مميزات العارف با القطب سيدي الحاج علي التماسني أنه كان لا يجيز أحدا إلا عن إذن نبوي كريم، ولذا كان يختم إجازاته بقوله : عن إذن سيدنا وسيد كل ما خلق ا سيدنا محمد صلى ا عليه وسلم.

إجازة سيدي عبد الوهاب بن الأحمر للفقيه المقدم سيدي محمد بلقاسم بصري

الحمد لله، وهذه إجازة سيدي عبد الوهاب بن التاودي المعروف بابن الأحمر، لجدنا سيدي محمد بن بلقاسم المعروف بابن بصري في تلقين ورد سيدنا رضي الله عنه أيضا، ومن خط المجيز نقلت، ونصه : بسم الله الرحمان الرحيم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله. أحمد الله وأشكره بلسان المرتبة الجامعة للكمالات كلها، وأصلي وأسلم على من خصه الله بالعلوم والأسرار بأجمعها، وعلى آله وصحبه والتابعين، وأطلب من الله رضاه الأكبر، وقربه الأنور، أن يتحف به حضرة روح شيخنا الأكبر، القطب الرباني، والفرد الصمداني، البرزخ المختوم، والقطب المكتوم، ممد المشايخ كلها، من لدن عصر الصحابة إلى النفخ في الصور، إمام العارفين، ووصلة الكاملين، أبي العباس سيدي أحمد بن محمد التجاني، الشريف الحسني رضي الله عنه، ومتعنا برضاه آمين، وأن يصب رحمته الهاطلة، ونعمته الشاملة، على خليفته الأشهر، وحامل سره الأكبر، مؤلف أسراره، والمحتوي على جميع أنواره، أبي الحسن سيدي الحاج علي حرازم بن العربي برادة، الفاسي أصلا، دفين قبور الشهداء، قرب مدينة سيد الأنبياء، صلى الله عليه وسلم، ورضي الله عنه وعن جميع الأولياء.

وبعد : فيقول أفقر العبيد، إلى مولاه الغني الحميد، خديم الحضرة التجانية، وحامل راية الطريقة المحمدية، أخي الأحباب، وخادم الباب، الراجي فضل الوهاب، عبد الوهاب بن التاودي المعروف بابن الأحمر، غفر الله ذنبه، وستر عيبه، وللمسلمين أجمعين، آمين. قد أذنت وأجزت لحبيبنا وصفينا، ومحل ودنا وسرنا، الفقيه المحب في الله، المؤثر على نفسه رضى الإخوان في الله، أبي عبد الله سيدي محمد بن بلقاسم بصري، قوى الله مدده، وجعل النفع على يديه للمسلمين، وحلاه بما حلى به أكابر العارفين، آمين، في تلقين الأوراد والأذكار المشهورة والمأثورة، عن شيخنا المذكور وخلفيته رضي الله عنهما، مما اشتمل عليه كتابه المسمى : "بجواهر المعاني في فيض التجاني" وكذا مما سمع منه، أو أخذ عنه، من كل ما يرجع لطريقته التجانية، من خاص وعام، تلقينا وإجازة عامة، وكذا إن ظهر له من يصلح للتقديم من غير سكان البلد مكناسة الزيتون، مدة حياته، ما يظهر له فيه صلاح الإخوان المسلمين. لا أستثني عليه في هذا الإذن شيئا قل أو كثر، يفعل بنظره ما شاء، ولا يكون إلا خيرا إن شاء الله. وأذنته أيضا في قراءة القرآن والأدعية بأجمعها لنفسه ولغيره. وكذا عمل الرقى، وإخراج العين، وما يحتاج إليه الإخوان جميعا، والسلام.

وكذا أيضا أذنت له في الفاتح لما أغلق بمرتبتها الظاهرة والباطنة، وما اشتملت عليه المرتبتان من الأسرار والأنوار، والتجليات والفيوضات والترقيات، والتضعيف الذي لا يحصى ولا يعرفه إلا أربابه، وما مثل واحدة من مرتبتها الباطنة مع الظاهرة إلا كالعرش مع إحدى الأرضين. وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، آمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما إهـ...

تقييد لسيدي محمد بلقاسم بصري

ومن خط جدنا العلامة الفقيه الخطيب سيدي محمد بن بلقاسم بن الطيب بصري ما نصه : الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله. كنت قريبا من سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف أطالع التأليف المعروف لأخينا في الله، المحبوب المحب المرحوم بمن الله تعالى، سيدي الحاج علي حرازم برادة، في التعريف بسيدنا وسندنا وشيخنا، الذي امتن الله جل ذكره به علينا، سيدي القطب الرباني، الغوث الجامع الصمداني، أبي العباس التجاني، أسكننا الله معه في دار التهاني، آمين، بجاه سيدنا ومولانا محمد الصادق الأمين.

وطالعت بعض ما فسر به رضي الله عنه بردة المديح للعلامة البوصيري من الفتوحات الإلهية، والفيوضات الربانية، على عادته رضي الله عنه في تفسير كلام الأولياء، سيما مديح الأكابر والأنبياء، إذ لا يعرف البحر إلا من سبح(234) فيه، وكان يختلج في صدري، ويضطرب في وهمي وفكري، التعرض لضبط كثير من أحواله، وجمع ما شرد من علمه وأقواله، لأن ما جمعه هذا المحب المذكور، وإن كان يجمح دونه العارفون، ويقف حول حماه العلماء العاملون، قل من كثير، وقلامة من ظفر، سيما وقد توفي هذا الأخ المذكور رحمه الله تعالى قبل وفاة الشيخ بكثير، وتكاثر فيضان بحر سيدنا رضي الله تعالى عنه، حتى بصر كل بصير، وإن كنت والله لست من أولئك، ولا ممن يسلك تلك المسالك، لكن كما قيل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام رباح

هذا والمحبة تثير وجدا، وتصير الغي رشدا، فرأيت في المنام، إما قيل لي، أو قلت في تسمية هذا التقييد الذي أردت : "الفتوحات الربانية، على الفيوضات التجانية"، فقمت منتبها من منامي مسرورا، بما أراجعه من كلامي، فأنا والحمد لله إلى الآن غير آيس مما أردته، ولا منقطع الرجا مما أملته، غير أنه لم يتيسر لي الشروع في المقصود إهـ.

ما حكاه عن نفسه رحمه الله تعالى ورضي عنه. قال كاتبه حفيده وسميه محمد : سألت والدي الفقيه الخطيب سيدي بلقاسم، هل أخرج جدي رحمه الله ما وعد به ؟ فقال : لا، لكن قال لي : إنه كان شرع في تأليف آخر في السلوك على طبق الأوراد. وهو بإرادة الله وقدرته في نحو نصف كراس، فلم تتعلق إرادة الله بإكماله(235). وقد أنشد صاحب الترجمة في مدح سيدنا محمود رضي الله عنه هذه القصيدة :

لي في الهوى خل كغصن البان ... يسبي العقول بجسمه الفتان
ومنحته نفسي عساه يجود لي ... بوصاله في الناس طول زمان

---

(234) من تصنيف العارف با البركة سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي وهو مطبوع في جزء من الحجم الكبير، وللعلامة سكيرج تقريظ عليه قال في مطلعه :

ماذا تبدى لنا من داخل السفر ... حتى غدونا به في حالة السكر
كأنما الخمرة استولت بلعبتها ... بعقلنا ولقد ملنا عن الخمر
سرنا سكارى بما كدنا نطير به ... من السرور الذي قد قر في الصدر

(235) انظر نص هذا التقييد في رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 62-63.

فثنـــى إلـــي عنـانـــه ورمـــى إلـــي سـهـامـــه فغدوت كـالسـكــــــران

وغدا يقول إلي يا رهن الهوى — أتروم مني الوصل دون هوان
إن الهوان ملازم لذوي الهوى — والحب يقلب كل ذي سلطان
فأجبته والدمع من عيني جرى — بالله فارحمني فإني فان
فان بحبك لا أريد سواك في — عمري لأني في غرامك عان
مالي سواك أريده لتخلصي — إلا الفتى سبط الرضى التجاني
محمود سعي من سما مقداره — وحوى مقاما لم يصله ثان
متفردا بجلاله بين الورى — بوارثة من جده العدنان
ما الفخر إلا ما حواه لأنه — بدر به قد ضاء كل مكان
فتهابه أسد الوغى بين الورى — مهما بدا في حومة الميدان
تعنو له الرؤسا لما قد ناله — من سره الساري إلى الأكوان
فاقصده كي تحظى بنيل سعادة — ومتى تراه تنال كل أمان
وقل السلام عليك يا كهف الورى — يا من غدا محمود كل لسان
مولاي إني قد أتيتك زائرا — بالله فامنحني بنيل أمان
فعليك يا مولاي خير تحية — وعلى الإمام شيخنا التجاني

ومما نقله لنا من كناش جده بخطه هذا التخميس اللطيف لقصيدة العارف بالله الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي التونسي(236) رضي الله عنه، في مدح أستاذنا، علم العارفين، وإمام الواصلين، أبي العباس التجاني الحسني، وهو للأديب الفاضل الأريب، سيدي محمد ابن الفقيه السيد عبد الوهاب بن حمدوش المكناسي(237) رحمه الله تعالى بمنه وكرمه آمين :

---

(236) العالم العلامة العارف بربه سيدي إبراهيم بن عبد القادر بن سيدي إبراهيم الطرابلسي المحمودي بن صالح بن علي بن سالم بن بلقاسم الرياحي التونسي، ولد بتستور بتونس عام 1180هـ، وأخذ العلم والمعرفة عن جماعة من جهابذة علماء وفقهاء تونس منهم : حمزة الجباص، وصالح الكواش، ومحمد الفاسي، وعمر بن قاسم المحجوب، وحسن الشريف، وأحمد بو خريص، وإسماعيل التميمي، والطاهر بن مسعود، وغيرهم. أما الطريقة الأحمدية التجانية فقد أخذها أولا بتونس عن العارف با سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي عام 1216هـ. وبعدها بسنتين حدثت مسغبة ببلاد تونس، فرشح للذهاب للمغرب وملاقاة سلطانه قصد طلب المعونة، ولما جاء لمدينة فاس كان أول عمل قام به هو زيارة دار شيخه أبي العباس التجاني رضي ا عنه، حيث رحب به وأكرمه غاية الإكرام، كما أجازه في طريقته الأحمدية، وللعلامة سيدي إبراهيم الرياحي العديد من الأجوبة والتقاييد العلمية المفيدة منها : مبرد الصوارم والأسنة في الرد على من أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة، وديوان شعر مرتب على الحروف الهجائية، ومنظومة في علم النحو، وحاشية على الفاكهاني، وغير ذلك من المصنفات الأخرى.
وكانت وفاته رحمه ا في 27 رمضان عام 1266هـ، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 132، وفي رفع النقاب لنفس العلامة ج 1 ص 17، وفي بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 264، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 12، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 1، وفي نخبة الإتحاف لنفس العلامة رقم الترجمة 297، وفي فتح الملك العلام لنفس العلامة بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 6، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 386 رقم الترجمة 1555، وفي الجيش العرمرم الخماسي لأكنسوس ج 1 ص 294، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 48، وفي اليواقيت الثمينة لظافر الأزهري ج 1 ص 89، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1381.

(237) الفقيه الأديب البركة سيدي محمد بن عبد الوهاب بن حمدوش المكناسي، أخذ الطريقة التجانية عن سيدنا رضي ا عنه مباشرة، ثم حصل له ما يخل ببعض شروطها، فجاء للشيخ رضي ا عنه وطلب منه أن يجدد له الإذن، فقال له على طريق التربية : لا سبيل إلى الرجوع، فبقي عاكفا على باب دار الشيخ رضي ا عنه لايبرح عنه ليلا ولا نهارا مدة أيام، ثم توسط له بعض الأصحاب في استعطاف سيدنا رضي ا عنه وقال له : إن الرجل ترك أولادا وبناتا ضعافا، فإن

حديث أحباب قلبي فيه إيناسي بذكرهم أرتجي تطهير أدناسي
عن غيرهم لا أزال ذاهــلا نـاســــــي (صاح اركب العزم لا تخلد إلى اليـاس
واصحب أخا العزم ذا جد إلى فاس)

فصف لهم حال أشواقي بكثرتها وشأن ما ذرفت عيني بعبرتها
كفى بربي شهيدا في سريـرتـهــــــا (واشرح متون صبابتــي لـجيـرتـهـــا
وحي حيا بهم قد كان إيناسي)

فحبهم سر سري بالفؤاد كمن وذكرهم جهر جهري خص ذاك وإن
حدثت عني مـقـالــــه فزنـهـــا وزن (واقرا السلام على تلك المعـاهـد مـــن
حيران تلفظه ناس إلى ناس)

لا زال يلهج في الإحيا بذكركم والشوق يزعج في الأحيا لقربكم
فليس يصحو دواما مــن ودادكـــــــم (وقل لهم ذلك المضنــى وحـقـكــــــم
باق على العهد ذو وجد بكم راسي)

يستسهل الصعب دأبا في طريقكم لو مات ما ذاك موت في لقائكم
ما الناس ناس لديه بعد بـعـدكـــــــم (لا يبصر الحسن إلا فــي وجـوهـكــم
وليس يجنح في حب لوسواس)

يرجو من الله تعجيلا لأوبته لحسنكم : فلقاكم جمع بغيته
إن تقبلوه فذاك مــــــن سـعـادتــــــه (وعج إلى حيث من عيني لـفـرقـتـــه
تبكي وتزفر بالأشواق أنفاسي)
من لي بأن لو أرى الرياح تحملني لمن لهم نفحات الطيب ترشدني
ومن لهم كثرة الأشواق تـقـلـقـنـــــي (ومن أنا فيه هيمـــان يـقـلـبـنــــــي
دهري بأنواع تهيام وأجناس)

أذنت له فذاك وإلا فهذا قبره ببابك، فأذن له الشيخ رضي ا عنه حينئذ، وهذه القصة مذكورة في الإفادة الأحمدية لسيدي الطيب السفياني في باب حرف اللام، وفي بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 307، وفي رفع العتاب عمن ترك الزيارة من الأصحاب للعلامة سيدي محمد فتحا كنون ص 28، وفي غير ذلك من كتب الطريقة.

انظر ترجمة الفقيه سيدي محمد بن حمدوش في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 525، وفي رفع النقاب لنفس العلامة ج 3 ص 135-138، وفي نخبة الإتحاف للعلامة الحجوجي رقم الترجمة 314.

أرجو به الله في الأحياء يجعلني وافرحتي إن لوجه الله يقبلني
من لم يكن في هواه الحرص يعذلنــي (ومن فؤادي به مضنى(238) يـحـمـلـنـي
ما بعضه دك منه الشامخ الراسي)

ما لذ لي بعده نوم ولا سهر من لي بان لو أتى من عنده خبر
من حبه سار حيث لم يســر قـمـــر (ذاك الذي نال ما لم يـحـوه بـشـــر
من العطايا ولم يعرف بمقياس)

يا من إليه تشير الناس إن قيل من حباه ربي مقاما جل وصفه عن
شأو البليغ فكيف بالـعيـــي ومـــن (غوت البرايا أبو العباس أحمـــد مـن
معناه أعظم أن يجلى بقرطاس)

عبد لكم شوقه لازال يزعجه لو سار بالرأس ليس السير يعجزه
إذ ذاك يدني لفضل جـاد مـنـجـــزه (روح الوجود وقطب الكون مـركـــزه
مداده سره الساري إلى الناس)

رحمة ربي على من شاء يرحمه ومحض فضل كمال الفضل معظمه
فمن أراد اغتناما ذاك مـغـنـمــــــه (رمز الوجود وسر الحـــق طلـسمـــه
مكنونه كنزه المخفى بحراس)

من كان لله من شكواه مفزعه(239) فرام ذاك الحمى ما خاب مطمعه
بشراه بشراه كل الخير مـضـجـعـــه (حقيقة الكون مـعـنـى الـسـر مـجمعـه
فيض الإله بلا لبس ولا باس)

تولهي(240) فيه في أقصى الفؤاد سكن وكل خير بدا لمن إليه ركن
ذاك الذي له في العلياء خـيــر وطـن (أعني التجاني تاج العارفيـن ومـــن
بسابغ الفيض من عرفانه كاسي)
عبد قد انهمرت بالدمع مقلته فيكم وقد أعذب التعذيب عبرته
شوقا لمن لم تزل تسبـــى مـودتـــه (ومــن محبتـــه ديـنـــي وخـلـتـــه
عقلي وروحي وجلاسي وأحداسي)

ومن عليه بعون الله معتمدي فزاد منه بفضل بالنهى مددي

(238) مضنى : ضعيف وهزيل
(239) المفزع : الملجأ
(240) تولهي : وجدي وتحيري

وحبه راح روحي بل منـــى خلـــدي (ومسمعي وفؤادي وانبســـاط يـــدي
ومقلتي ولساني بين جلاسي)

عن خيرة الخلق كم ينبيك من نبأ عذبا زلالا ولم يكن بذي حمأ(241)
نهاية الحسن لا كالحسن فـــي رشـــأ (يا سامعي إن تكن للسر ذا ظمـــأ(242)
فجئ لأحمد ساقي السر بالكاس

من شاء رب العلا يلهم ناصحه يوقد بالنور والبشرى مصابحه
يا من إله الورى أبدى مصـالحـــــه (رد ورده العذب واستنشق روائحه
تظفر بأعطار ذاك الورد والآس)(243)

خير الصحاب الذي يولي لصاحبه نصحا، ويبحث عن أخفى مطالبه
أما ترى الصدق لا يكبو براكبــــه (واستعمل الجد في تحصيل واجبــــه
إن لم تكن في بساط القرب ذا ياس)

مازلت تفحص للأسرار عن كفؤ حتى وجدت منى التطهير من خطأ
ففزت لج في منى الإسعاد فـــي مـــلأ (وأهرع(244) إليه إذا ما كنت ذا ظمـأ
واسرع إلى الله مشاء على الرأس)

ترك التواني لمن وعت مسامعه لله من يتواضع فهو رافعه
لا أحد في الورى عن ذا يمـانعــــه (وانهض فقد لاح للإسعاد طـالعــــه
وقم ولاتك للإسعاد بالناسي)

واقلع عن الإثم إبعادا لواجبه واعزم بتوبة خاش من عواقبه
رحمة ربي قريب مــــن مراقبــــه (واخلع ظلاما على قلب منعت بـــه
أن تستضيء من المعنى بنبراس)(245)
للخير أهل لهم محجة علمت أخلاقهم في سبيل الرشد قد كرمت
لذاك في المرتجى أمورهم عظمت (وما ظنونك بالورد الذي نظمـــت
يد النبوءة هل يبنى بلا ساس)

ترك التلذذ بالدنيا لتاركه عنوان فضل فأعرض عن حوالكه

---

(241) الحمأ : الطين الأسود
(242) الظمأ : العطش الشديد
(243) الآس : نبات معروف ذو ثمار كروية بيضاء وراحة زكية
(244) هرع إليه : مشى إليه باضطراب وسرعة
(245) النبراس : المصباح

ملك القناعـة تشريـــف لـمـالـكــــــه (وما تظـــن بمنهـــاج لـســالـكـــــــه
أمن من أهوال نيران وأرماس)(246)

من ذا يطيق يراها عند أضرامها شرارة كجمالات بأجرامها
أحكام ربي قضى عدلا بـإبـرامـهـــــا (يا رب أدعوك بالأسما وأعـظـمـهـــا
وأعظم الرسل ذي الإحسان والباس)

من لم يكن مثله في الخلق في زمن هو الشفيع لنا والناس في حزن
بجاهه أرؤف بنا فنحن فـــي وهـــــن (وحمزة وعلـي وابـنـــه حـســــــــــن
مع الحسين وزهراء وعباس)

والسنن الأقوم الأسمى وتابعه ومن تلا الذكر إيمانا كسامعه
رب اهدانا الرشد واهد عن قواطـعـــه (واجعل قلادة(247) جيدي(248) في أصابعه
وارحم به قلبي المضنى به القاسي)

قدني لرشدي تلطفا وتكرمة واجعل لنا فيه تثبيتا ومقربة
لا تحرمني من الـخـيـــرات مـسـألـــة (وابعث له عند سمع الـنـظـم مـرحـمـة
تنفي على شقاوتي وإفلاسي)

فكل خير فمنك أنت موجده وكل ما يختشى فأنت مبعده
واجعل صلاحي مع من أنت مرشـــده (واجعل نظامي وإن لانت مـفـاصـلــه
إن لن به أرتجي محوا لأرجاسي)(249)

واختم لنا خير ختم للسعود حوى واجعل لنا خير جار في الجميل ثوى
واجزيه خير جزا من الصحيح حـوى (وعم مثواه(250) تسليما فـلـيـس سـوى
تسليم ذاتك كفؤ القطب في الناس)

---

(246) أرماس : جمع رمس وهو القبر مستويا لا يعلو عن وجه الأرض
(247) القلادة : ما جعل في العنق من الحلي ج قلائد وقلاد
(248) الجيد : العنق
(249) أرجاسي : جمع رجس وهو العمل القبيح والقذر
(250) مثواه : مدفنه

ترجمة الشريف سيدي محمد الشبيهي

ومنهم العلامة الفاضل، خطيب جامع الزيتونة بمكناسة الزيتون، الأديب الغطريف، الشريف المنيف، أبو عبد الله سيدي محمد بن إدريس الإدريسي الشبيهي(251)، أحد العلماء المدرسين بمكناسة، له ولوع تام بالأدب، حتى حصل منه على ما طلب، فأصبح بين أقرانه يرفل في رداء حلاه، راقيا في علاه إلى أعلى علاه، شريف الأصل والنفس، فهو الحر الذي يبجل في المعنى والحس، عشقت سيرته منذ زمان قبل الإجتماع به، حتى ضمنا المجلس عند سيدنا النقيب الزيداني في أبهج مكان، فشكرا لهذا النقيب الجليل، كم أسدى إلينا من مكارم في معرفة هذا الشريف الأصيل، زاد الله في أمثاله، وبلغه في الدارين أقصى آماله، وقد كان حاضرا في هذا المجلس السعيد، والجمع الموفق الرشيد، من أعيان السادات، من ذكرته في هذه الأبيات :

يا ساعة مثلها لم تلقى في زمن ... من أجل جمعي بهذا المفرد العلم
من كنت منتظرا لقربه زمنا ... بما سمعت له من رفعة الهمم
شمس البلاد التي في أفقها انفردت ... برتبة في العلا منيرة الظلم
ذاك الشبيهي الرضى من لا شبيه له ... في الخلق والخلق والعرفان والكرم
من سادة بهم العليا قد افتخرت ... وشاع فضلهم في سائر الأمم
أعظم به من شريف زانه أدب ... وقدره جل بين العرب والعجم
به اجتمعت بروض صار مزدهرا ... به وبالسيد العرائشي العلمي
أديب مكناسة ومن له رتب ... تسمو لأعلى مقام في العلاء سمي
وبالفقيه العرائشي المحب أبي ... عبد الإله الذي فيهم رعى ذممي
وبالنقيب ابن زيدان الذي كملت ... أوصافه بجميل الخلق والشيم
فالله أسأل أن يرعاهم أبدا ... وأن يحفهم بفضله العمم

فأجابني من نظمه الرائق، ولذيذ إنشائه الفائق، بما نصه :

لبيك لبيك يا من حاز كل علا ... وجل قدرا رقى عن كل ذي عظم
وساد أهل الهدى فضلا ومنقبة ... فكان بين ذوي الإفضال كالعلم
وفاق كل بـلـيـــغ قد عـــلا أدبـــا ... وأحرز الكنه(252) في مجد وفي كـــرم

بدر تكامل في إشراقه وسما ... أفق السماء بجنح الليل في الظلم
ذاك السري(254) أبو العباس أحمد من ... له المزايا التي في الناس لم ترم
سكيرج من علا قدرا ومرتبة ... وكان بين الورى أجل محترم
الفاضل العالم النحرير من رسخت ... أقدامه في مباني المجد والكرم

---

(251) نسبة للولي الصالح أبي العباس سيدي أحمد الشبيه، دفين روضة رأس التاج المعروفة اليوم بروضة سيدي عمرو الحصيني، وهي إحدى الروضات الشهيرات بمدينة مكناس، وإلى الولي الصالح المذكور ينتسب كافة الشرفاء الشبيهيين، وهو ابن عبد الواحد بن عبد الرحمان بن أبي غالب بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الرحمان بن عبد الواحد بن محمد بن علي بن حمود بن يحيى بن يحيى بن إبراهيم بن يحيى الجوطي بن القاسم بن المولى إدريس الأزهر باني مدينة فاس.

(252) الكنه : جوهر الشيء وأصله وقدره وحقيقته وغايته.

حبر تقاصر أولوا العلم قاطبة   عن درك همته في العلم والحكم
وعن بلاغته أهل النهى قصروا   وأظهروا العجز في معناه والكلم
كذا الألى من بقرض الشعر قد عرفوا   قروا بطلق لسان غير منعجم
وقال بارعهم لله من درر   منظومة نضدت(253) في عقدها الفخم
بها تفرد فرد الشعر من خضعت   له أسود الثرى في غابها الأجم
سبحان من قد حباك كل مكرمة   بها ترقى مرامي العز والهمم
حتى إذا لم تضح كالشمس سيرته   ينبيك عنها كريم الخلق والشيم
أنيلها من عظيم الجاه من ثبتت   له الولاية حقا سابق القدم
سر الوجود التجاني القطب من شهدت   بيمنه السر لسن العرب والعجم
عليه سحب الرضى تغشاه دون مرا(255)   من المهيمن مسدي الخير والنعم
ما فاح زهر رياض الأنس وانعطفت   ريح الصبا من حمى نجد ومن إضم

وكم لصاحب الترجمة، رعاه الله، من شعر رقيق، ومعنى دقيق، في لفظ رشيق شريق.

ترجمة سيدي محمد بن حبيبي بصري

ومنهم الشاب الظريف، الأديب العفيف، ذو الخلق الجميل، والقدر الجليل، الفاضل الأمجد، أبو الفتح سيدي محمد بن حبيبي بصري، من خاصة الأحباب والإخوان، الذين سارعوا إلى قصبة السبق في الفضل بين الأقران، فتخلى عن الرذائل، وتحلى بأحسن الشمائل، غير أنه خفيف الروح، لا يستثقله مجالسه، ولا تزال تحمد مجالسه، بما أوتيه من الإنبساط، وشرح الصدر في كل بساط، وله عقل رجيح في استنباط النكت الرقيقة، فيما يخوض فيه من العلوم، وكان له ولوع بعلم الحساب، وما هو من قبيله من علم السيمياء مثل الأوفاق، ولكن أعرض عن ذلك، لما لم يجد من يسلك به في هذا الفن على أقوم المسالك، بعدما تحقق أن ذلك لا يقف له الشخص بنفسه على حقيقة، ما لم يجد من يأخذ له باليد، وهذا الفن لا أرى متعاطيه في هذه الأزمنة إلا من الخائضين في بحر لا يقفون له على طرف، والغالب منهم يؤديهم إلى التلف، لكون أبوابه مغلقة، ولا تفتح لمن يقف مع حظوظه ما دامت نفسه بها معلقة، وقد نبه على ذلك سيدنا رضي الله عنه وعنا به، بما لا مزيد عليه، في جوابه لمن سأله عن خواص الدائرة الشاذلية، فليراجع ذلك من أراده في جواهر المعاني(256)، والله الموفق.

وقد كنت كلفت صاحب الترجمة بأن ينقل لنا ما هو منقوش على باب الزاوية المنورة التجانية بمكناس، وما هو على سقايتها المبهجة. فمنعه من امتثال الأمر ما هو مكلف به من قضاء بعض المطالب التي هي أهم من ذلك، حتى سافرنا عن مكناسة، ولما رجع سيدنا النقيب من موادعتنا كلف حبنا، وخلاصة ودنا، الفقيه العلامة، الذي لا يحتاج إلى التمييز بعلامة، سيدي

---

(253) نضدت : ضم بعضها إلى بعض
(254) السري : مفرد سرى وسراة وهو السيد الشريف السخي، وصاحب المرؤة.
(255) دون مرا : دون شك أو ريب
(256) انظر جواهر المعاني وبلوغ الأماني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة ج 2 ص 187.

محمد الغالي السنتيسي، أطال الله بقاءه، وأدام في المعارف الأحمدية الختمية ارتقاءه، فجاء بما هو مذكور في هذا المحل، فمما هو منقوش على خذي الباب :

باب السعادة والرضوان والظفر	لداخليه جميع السول الوطر
وحاج(257) من حج ذا المقام قد قضيت	وصب فيه عليه الخير كالمطر

ومما هو بداخل محرابها : (فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا، وكفلها زكرياء، كلما دخل عليها زكرياء المحراب وجد عندها رزقا، قال يا مريم أنى لك هذا، قالت هو من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)(258).

إلى غير ذلك من الأفاضل الذين اجتمعنا بهم في هذه المدينة المنورة، ممن ارتدى برداء الوقار والسكينة، واقتصرنا على تراجم هؤلاء السادة الجلة، حتى لا يفوتنا ذكر مثلهم في هذه الرحلة، وإن كان ذكر من تلاقينا معهم لا أحصي لهم عدا، وتتبع أسمائهم يحتاج إلى تأليف مجدد لذكر الأسماء، زاد الله في امتثال ساداتنا الإخوان، ورفع بمنه للجميع القدر والشان، وبارك في هؤلاء الأفاضل الأعيان.

السفر من مكناس إلى زرهون(259)

وفي الساعة العاشرة من نهار يوم الأحد السابع والعشرين من ذي القعدة، سافرنا عن الحضرة المكناسية، بعد أن استودعنا جميع الأحبة، والكل يود إقامتنا عندهم مدة، تنفي عنهم بها كل كربة، لما لهم من المحبة الصادقة، في هذا الجناب الأحمدي، مع المودة التامة ظاهرا وباطنا في المقام المحمدي، جزاهم الله عن أنفسهم خير جزاء، وكان خروجنا من باب تيزيمي، وذهبنا مع سور البلد حتى وصلنا لباب البراذعيين، وهو الباب الذي يخرج منه قاصدو زرهون، إلا أننا لما كانت القافلة كبرى، والباب بعيد عن محل النزول حتى ليشق في وسط البلد عدلنا عنه إلى هذا الباب القريب، مع فراغ المحجة في الطريق التي سلكناها.

وقد رافقنا إلى حضرة زرهون حضرة النقيب الأسعد، مولانا عبد الرحمان بن زيدان، بعدما كتب لخليفته الشريف المنيف، مولاي العربي بن هاشم العلوي، وأعلمه بتوجهه لطرفهم، فأعد له محل النزول هناك، وقد طاب مسيرنا صحبة هذا النقيب الحبيب، الذي لاحظنا بعين الإعتبار منذ عرفناه :

فلله من مولى شريف بوده	وإخلاصه في الود صرت له عبدا
وأعجز عن شكري له وهو دائما	يزيد بفضل منه لي في الورى الودا

---

(257) حاج : جمع حاجة وهي ما يحتاج إليه

(258) سورة آل عمران، الآية 38

(259) زرهون : جبل يقع إلى الشمال من بسيط سايس الممتد بين فاس ومكناس، وهو جيد التربة، كثير الأشجار، عديد القرى، من أشهر قراه ضريح المولى إدريس بن عبد ا الكامل مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب، وعلى مقربة منه أطلال المدينة الرومانية المسماة بوليلي، ولهذا الجبل قدسية كبيرة في نفوس سكان بلاد المغرب، وله ذكر طويل يذكر في تاريخ انتشار الإسلام والعربية بهذه البلاد.

وقد تقدمنا أمام سيدنا محمود، وسرنا على طريق، تنخفض مرة وتعلو أخرى، ومنذ شروعنا في المسير، وجبل زرهون قبالتنا، وقد اصطفت أمامنا مداشره عن اليمين، فأخيرها المدشر المعروف، بالهاروشي، ثم موساوة، وبينهما آثار بناءات عجيبة من بناء الأقدمين، يقال له : قصر النصراني، وبه عيون ماء جارية، وذخائر سامية، ثم المغلصميين، ثم حمراوة، ثم بنو وراد، وبه ضريح الولي الصالح سيدي أحمد الدغوغي، ثم القليعة، ثم ابن راشد، وبه ضريح الولي الصالح سيدي علي بن حمدوش(260)، ثم ابن جناد، وكل هذه المداشر يسكنها الإخوان، وجلهم جاء لملاقاتنا، وتعرضوا لنا بالطريق مع غيرهم.

وقد تذاكرنا في مسيرتنا مع سيادة النقيب مذاكرات أذهبت عنا وعثاء السفر، ولم نحس فيه بأدنى ضرر، ولله الحمد، وكانت المذاكرة متنوعة إلى أن صرنا مسامتين لمدشر ابن راشد، وبه ضريح الولي المذكور الذي تشد الطوائف الحمدوشية لزيارته من أقصى البلاد، ويقصدونه بالعادة على ما هو لديهم معتاد، فيحضرونه في العيد النبوي، ويحتفلون له احتفالا على حسب أحوالهم، كما تحتفل الطوائف الدغوغية لهذا العيد في ضريح الولي سيدي أحمد الدغوغي المذكور، وهؤلاء لهم أحوال عجيبة تعتريهم عند الحضرات التي يقومون لها بضرب تعاريجهم، وتهييجهم بسماع غيطاتها المحركة لهم، فيضربون رؤوسهم بالحجارات العظيمة، ويشقونها بالشواقير الماضية، حتى أن منهم من يموت من شق رأسه في ذلك الموسم، بل منهم من يفعل ذلك قبل الوصول إليه.

وهذه الطوائف مشهورة عندنا بالمغرب، وتمر بزقاق فاس كل سنة مثل الطوائف العيساوية، إلا أنهم لا يقيمون الحضرات، ولا يقومون بها إلا بعد عودتهم من زيارة هذين الوليين، فيستعد أهل فاس للفرجة عليهم في الدخول وفي الخروج، فإنهم يخرجون من فاس بأعلامهم منشورة من غير شطح، بخلاف الطوائف العيساوية، فإنهم في الخروج والدخول يشطحون، لكن لخروجهم احتفال تام، يتفرج عليهم أهل الحاضرة، ويا للأسف على عقول هؤلاء القوم يتجننون بلا جنون، ويظهرون التصلح، وهم الجاهلون، حاشا ومعاذ الله أن يكون هؤلاء الشيوخ الكمل الذين ينسبون لهم يفعلون شيئا من هذا الحمق الكبير، اللهم إلا إذا كان يحصل لهم حال، فصاحب الحال يسلم له حاله، ولكن هؤلاء الأصحاب بينهم وبين الحال ما بين السماء والتراب.

---

(260) أبو البركات سيدي علي بن محمد المدعو حمدوش بن عمران الشريف العلمي العروسي، أحد كبار مشايخ أهل الجذب بالمغرب، أخذ عن الولي الصالح سيدي محمد الملقب بالحفيان، عن والده الولي الشهير سيدي محمد فتحا المدعو بأبي عبيد الشرقي دفين أبي الجعد، وله تلامذة كثيرون من أشهرهم البركة سيدي محمد بن يوسف الحمدوشي، والولي الصالح مولاي أحمد الدغوغي، وأبو علي الحسن بن مبارك، وسيدي قاسم أوقار، وغيرهم.
وتوفي رحمه ا بجبل زرهون عام 1135هـ، أنظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 5 ص 459-475، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 354.

وقد رأينا في هذه الطريق رسوم أماكن الأقدمين، خصوصا ما هو ملقى على الطريق من الحجر المنجور بحجر عرقبة العربي المعروفة هناك، وما اطلع أحد على حقيقة ذلك الحجر، إلا أن الذي تفرست فيها أنها مقابر لمن مضى من الأمم التي كانت هناك ساكنة، لأنها على هيئة المقابر التي نراها للأجانب والرؤساء الكبار، وبعد هذه المقبرة أطلال القصور التي كانت هناك مشيدة، ولا زال هناك قرب زرهون مسامتا له عن يسار القادم له من مكناس أطلال القصر المعروف بقصر فرعون(261)، وبعضهم يقول : إنه قصر النعمان، وفي طريق مكناسة لزرهون وادي بوروح، ثم وادي الشجر، ثم عين بو عسل، ثم عين جمجمة، وكلها جارية بمياه عذبة، متسعة الجوانب، إلا أن الماء الجاري بعين بو عسل أقل من غيرها، وعند انعطافنا عن يمين الطريق ظهرت لنا هذه المدينة التي ملأت الفضاء أنوارا، حتى سمي الجبل الذي هي منعطفة عليه بجبل النور، وحق له بهذه التسمية، فقد حل فيه ضريح فاتح المغرب المولى إدريس، سلطان المغرب المشهور فضله عن التنويه بمقداره، بظهور أسراره وأنواره، حتى شهد له بذلك الخاص والعام :

ومن لي بأن أحصي مناقبه التي ... قد انتشرت في الخلق في الأرض والسما
ولي إذا ما عدت الأولياء لا ... ترى أحدا منهم عليه مقدما

وناهيك بهذا الولي الذي هو الترياق المجرب في المهمات، وحل في ميزانه مثل ثواب جميع من سكن المغرب طول الأوقات.

ذكر وصف بلدة زرهون وبعض عوائد أهلها

وصفة هذه البلدة الشريفة، أنها منشرحة لصدر كل من دخلها، وقد شاهدنا ذلك الإنشراح وشعرنا به في خاصة أنفسنا، ويجد ذلك كل من صدره مطمئن بالإيمان، ولا يقدر على الإقامة بها من قلبه مظلم بظلمة الشرك والعدوان، فلم يسكن بها قط يهودي ولا نصراني، مع انتشار سكانهم في جميع الآفاق.

وقد ذكروا لنا أن الحاكم الفرنسي الواصل مع المحلة المنجدة لأهل فاس لما دخل زرهون سألهم عن أولاد جويف هل يدخلون لهذه البلدة ؟ فقالوا له : لا يسكنون بها ولا تقبلهم لاحترام هذه البقعة، نعم ربما تحرم بدخول المحلة، فقال لهم : لا تزال إلا على احترامها، فلا يدخل أحد منهم عليكم، وقد أجاد هذا الحاكم السياسي الخطير فيما فعله، إن صح هذا الأمر، حتى لا تقوم الغيرة الحامية لجناب هذا الحرم الذي تهرف النفوس هذرا في احترامه، وتشتعل نيران الفتنة بانتهاكه، وقد سكن بذلك القول الذي خاطبهم به روعهم، لكونه هو الذي ينبغي في حقهم، الموافق لطبعهم، ويعتقدون أنه هو الذي جاء به شرعهم، وبمثل هذا من تعظيم حرمات المقامات الشريفة، وعدم انتهاك حرمتها تسكن الفتن، وتطمئن صدور أهل هذه النواحي المغربية طول الزمن، فإن جلهم يسمح في نفسه وماله وأهله لمن يريدها، إلا أن يحوم حول انتهاك الحرمات، من مساجد

(261) ظن بعض المغاربة القدماء أن مدينة وليلي من تأسيس وبناء القبط، ولهذا سموها بقصر فرعون، وهو اعتقاد خاطئ لا أساس له من الصحة، والحقيقة أن مؤسيسها الأولين غير معروفين، ولكنها معروفة قبل مجيء الرومان إلى المغرب، وكانت من عواصم الملك جوبا الثاني وبطليموس، ثم أصبحت بعد الفتح الروماني للمغرب مقرا للولاة الرومانيين بموريتانيا الطنجية، وكان يقيم بها الحاكم الروماني للإقليم، ثم بدأ شأنها يضعف في نهاية القرن الثالث الميلادي بعد وفاة الإمبراطور بروبوس، لكنها لم تخلى نهائيا، بل ظلت مسكونة من طرف البربر إلى نهاية القرن الثامن الميلادي، وعرفت في هذه الفترة باسم وليلي.

ومقامات، وينفرون النفور التام ممن يسمعون عنه تداخله في الأمور الدينية من أهل الديانات. وهذا التعصب الديني يساس أهله في استيمال قلوبهم بمعاملتهم بتعظيم هذه الأمور ونحوها مما يعتقدونه في ديانتهم.

وهذا الأمر سار في القطر المغربي كله، حتى أن من رام الخوض في شيء يخالف رأيهم في بعض الأمور التي يعتقدون فيها ما يعتقدونه من التبرك بها، والتصميم على صحة الكرامات المنسوبة للأولياء ذوي المقامات ينسبونه للإعتزال، ويقام عليه بالنكير ورميه بالضلال. ولا فرق في هذا بين العلماء والجهال، إلا أن الجهال فرطوا وأفرطوا، وعلماؤهم توسطوا بما هم متمسكون به من العلم الذي لم تدخله علوم الفلسفة الجديدة، وهي مما يقلب الأطوار الإعتقادية، إلى أطوار انتقادية، كما شاهدناه فيمن خالط أهلها بدون تلقيها في المدارس عن أربابها، فضلا عن أهلها المشتغلين بها، ويجعلونها من العلوم العصرية، فإذا سمع الناس العلوم العصرية تبادر لأفهامهم أنها كلها هي العلوم التي يترقى الخائض فيها إلى محل يترك فيه التدين، ويفهم جلهم أن هذا هو معنى التمدن، فينفرون منه غاية النفور، وإذا تحققوا بأنه لا تداخل لأحد في ديانتهم، مع تعظيمهم لحرماتهم، ومعاملتهم بالرفق واللين انقادوا إليه انقيادهم على منهج الدين. وموضع هذه المدينة بين جبلين : جبل قربوس، وبه باب الفرجات، يقصده أهل البلدة عند الملمات.

ومن جملة حومات هذه البلدة جبل خبير(262)، وفي قبلة المدينة الجبل المسمى : "تومرات" وبأسفله عين وليلي المشهورة، والكل مغروس بشجر الزيتون، وهي غابات ملتفة متضايقة على قدر مد البصر من جميع الجهات، وعن يمين القنطرة التي منها يدخل لزرهون عين ماء يسقى بها تلك الجنات التي عن يمينها، يقال لها : "عين مولاي إدريس" وتعرف بعين القصر(263)، قيل : إن بها قد سم، وهناك غرسة يقال لها : غرسة القوس، بها قوس تحته ذخائر لها بال من دفائن الأقدمين، ومن عوائد هذه البلدة أن سوقهم الذي يعمر بأهل البادية والحضر لا يكون إلا في يوم السبت، ومن العوائد الجارية إذا قرب دخول وقت الصلاة ينادي شخص في الأسواق والطرق بقوله : الصلاة يرحمكم الله يا عباد الله، ويمر ذاهبا من سوق إلى سوق، وحوانيت أسواقهم مصطفة عن اليمين وعن اليسار من الباب إلى باب الضريح الإدريسي، ومن العجب أنه لا يباع بها الحليب ولا اللبن، وبيعه عار لديهم، وكذلك الدقيق لا يباع بها، وإنما يطحن كل واحد منهم لنفسه، ومن انقضى له الدقيق استسلفه من جيرانه حتى يرده لهم بعد الطحن، ولا يوجد في هذه البلدة مكس لا في سوقها ولا في أبوابها.

وكان وصولنا لهذه المدينة في الساعة الثانية بعد الزوال من هذا اليوم، وخرج لملاقاة سيدنا محمود الجم الغفير الذي لم نحصيه عدا من أهل البلد، وغيرهم مما قرب من ناحيتها. وقبل دخولنا عندما تبدت لنا المدينة ذكرت لسيدنا النقيب أنه كان يوصي بعض أكابر العلماء أعز أولاده إليه : أنه إذا قدم على بلدة وتبدت له عن بعد أن يؤذن في سره، ثم يقول : السلام عليكم يا أولياء هذه البلدة الأحياء والأموات، جبهتي تحت أقدامكم، وإني في ضيافتكم وضيافة مولانا رسول الله، وضيافة خليفته القطب التجاني، حتى أظفر ببلوغ الأماني، وأستودع الله نفسي ومالي إلى أن أرجع بسلام، فإن من فعل ذلك يلحظ بالقبول بين أهلها، ولا يخشى من سوء يمسه، وينال ما يريده، فقال لي سيدنا الشريف المذكور : قد أفادني العلامة الفاضل سيدي محمد الفاطمي

---

(262) تطلق حومة خبير اليوم فقط على الجهة الشرقية العليا لمدينة زرهون، وهي المواجهة للداخل من باب الحجر أحد أبواب المدينة المذكورة.

(263) قيل أن هذه العين نبعت مباشرة بعد ركز مولانا إدريس الأول لرمحه في مكانها، ولهذا سميت باسمه.

الشرادي(264) حين تبدت لنا زرهون في مرافقته، أنه ينبغي لقادم على بلدة أن يقول إذا رآها عن بعد : "اللهم إني أسألك خير هذه البلدة وخير أهلها وخير ما فيها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها"، فإنه يأمن من جميع المكروهات حتى يرجع بسلامة. وقد استحسنت هذه الفائدة عما قبلها، وهي التي ينبغي للمريد أن يفعلها، لأنها خالية عما يستنشق منه رائحة الميل للزيارة الممنوعة في الطريق، لأن ذلك فيه نوع ما من التعلق والإستمداد لمن لا يعرف كيفية التوجه بذلك.

ولما تلاقى الأحباب والإخوان مع سيدنا محمود كادوا أن يقتتلوا عليه، من شدة الزحام عليه، وقد كابد الصبر الجميل في مساعدتهم على زيارته، إلى أن ضاق صدره، فلم ينفع من ذلك الإزدحام إلا الإسراع بالذهاب لمحل النزول، فسرنا مسرعين ندافع بذلك عنه الوافدين عليه، حتى دخلنا من باب الحجر، وهو باب متقن البناء بالحجر المنجور، وفي وسط دائرة قوسه منقوش : "بركة محمد" على كتابة خصوصية، لها خاصية في حفظ المحل الذي تكون فيه، لما في هذا الإسم الشريف من البركة التامة. وقد نزل سيدنا محمود مع أهله بدار الشريف مولاي أحمد بن علي العلوي بحومة المريح، ونزل الأصحاب بمصرية الشريف مولاي الكامل الأمراني(265)، ونزلنا في مصرية سيدنا النقيب معه بدرب أمجوط، وهو قريب من محل نزول سيدنا محمود، وكان أول دخولنا معه لدار المقدم البركة الجليل الشريف سيدي محمد بن العربي العلوي(266)، ومنها خرج سيدنا محمود لمحل نزوله، فبتنا أحسن مبيت.

---

(264) انظر التعريف به في ج 1 ص 35 من هذا المجموع.

(265) الكامل بن عبد ا بن الطاهر العلوي الأمراني، فقيه، حافظ، متضلع في فنون مختلفة، أخذ عن جماعة من جهابذة العلماء، منهم العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، والعلامة الفقيه سيدي الحاج محمد بن المدني كنون، والفقيه أبو المواهب عبد الكبير بن المجذوب الفاسي، وغيرهم.
توفي رحمه ا عند غروب يوم السبت 20 جمادى الأولى عام 1321هـ، وصلي عليه بالضريح الإدريسي، ودفن برياض جوار محل سكناهم من حومة السياج قرب الزاوية الناصرية بفاس، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس ج 3 ص 119-125.

(266) انظر التعريف به في ج 2 ص 145 من هذا المجموع.

ذكر الذهاب لرؤية قصر فرعون وغيره من الأمكنة التي بزرهون

وفي الساعة الثانية عشرة من يوم الإثنين ركبنا مصاحبين للشريف النقيب، وخرجنا لرؤية القصر المعروف هناك بقصر فرعون، وبينه وبين المدينة نحو الساعة ونصف، فذهبنا قاصدين إليه، وقد امتدت الأشجار من أول المدينة من الأسفل، والزيتون من أعلى الجبل إلى أن قرب من القصر، وعن يسارنا كذلك، ومع طرف الطريق واد يعرف بعين شانش. وقد وصلنا إلى القصر المذكور، فرأينا من آثار الأقدمين ما أبهر عقلنا من الحجر المنجور، والقطع الملقاة على الأرض يتحير الناظر إليها، ما بين سواري من الحجر أطرافا وقيعان، وامتد ذلك مع الجبل. فأما القصر فقد انهدمت أركانه، ولم يبق منه إلا ثلاثة أسوار، فيها بابان، والأسوار إنما هي قطع من الحجر، غلظ الحجرة على الوسط ذراع.

وقد حسبت الحجر فوجدت ارتفاع ذلك سبعة عشر، فإحدى وعشرين، فخمسة عشر. وعلى الثالث برشلة من الحجر المنقوش، وقد تفرعت تلك الحجارة بتلك البقعة. ووجدت هناك حجارات منقوشة، وبعضها مكتوب عليه بالقلم الإفرنجي المنقوش فيه، منها لوحة نحو الثلاثة أذرع في غلظ شبرين مكتوبة، وقد كان أحد الفرنسيين أيام المولى الحسن رام نشرها ليأخذ اللوحة ويترك غليظها، إلا أنه لم يتيسر له عمله لمانع طرأ. وقد ذكر لي الرفيق الأسعد سيدي الحاج محمد أن هذه الحجارة في بلاد الأجانب تباع بثمن له بال إذا عثروا عليها هناك، بنحو خمسين ألف فرنك. وقد أخبرنا أهل البلد أن هذا القصر لا يرى منه إلا الأعلى، وأما أسفله فإنه مغطى بالتراب والحجارة، وقد أوقفونا على درج مغطاة بالتراب هناك. ويوجد هناك من الذخائر أمور عجيبة لها بال.

وحكى بعض من كان معنا أنه قد عثروا على محل صندوق أخذه من عثر عليه. وقد حدثنا البركة الأشيب الشريف مولاي علي بن الحاج محمد بن المامون الإسماعيلي: أن الفرنسي الذي كان أيام المولى الحسن قد وجد بالحمام الذي هناك خاتما من ذهب، فصها نحو بيضة الحمام، إلا أنه لطول الأيام قد فسدت، ومبخرة من ذهب، وثلاث خوابي، إحداها نصفها كبير ونصفها بلور، معمرة بالببوش، ووجد صندوقا من حجر به غبرة، لونها لون الرملة، وبمجرد عثوره على هذا الصندوق رفعه وسافر به. وكم من آثار تحت تلك القصور التي لم يبق لها إلا الأطلال(267).

ثم نزلنا إلى طرف الوادي المسمى: خومان، حذاء مشرع قصر فرعون. وبجوار هذا المشرع حمام بقي طرف من سقفه المقوس عليه، إلا أنه لا يشبه بناء القصر إلا من الحجارة التي قوس عليها قوسه. وبجواره في مسند الطريق كهف مفتوح مقوس عليه، قيل: إنه هو الوادي الخارج من تحت القصر المذكور، وقد قيل لنا بأن تلك الحجارة محل نقلها من المحل المعروف بعين وليلي. ثم إننا رجعنا بعد نظر تلك الآثار الغريبة التي تدل على قوة مهارة الماضين، وحكمتهم الماضية، فكان في الرجوع عن يسارنا جبل القربوس، وبه كهف الحمام. ذكر لنا من دخله أنه عميق، وبه معدن يلمع ترابه في الظلام، وبداخله عين تقطر من جنبه، وبجنبه أيضا كهف يقال له: كيفان الغنم، وكلاهما يواجهان المدينة، وفوق هذه الكيفان عين يقال لها: عوينة المنصور، وعلى الجبل بعدها خلوة يقال: إنها محل المولى إدريس، تسمى باب الفرجات. يحكى

(267) تقع مدينة وليلي الأثرية على بعد 28 كيلومتر من شمالي مدينة مكناس، على هضبة يبلغ علوها 400 متر،وتبلغ مساحة هذه المدينة 40 هكتارا، وقد أزاح الأسارى الألمان خلال الحرب العالمية الأولى الأنقاض عن 15 هكتارا من مساحتها الكلية، ويبلغ طول سورها الذي كان يحيط بها 2350 مترا، يتخلله نحو 40 برجا، وتعتبر مدينة وليلي من أهم المشاهد الأثرية بالمغرب.

أنه جلس هناك يسأل الله الفرج مما حل به ورآه، فأجاب الله دعاءه. وفي ذهابنا ورجوعنا كنا في انبساط مع الرفيق الأسعد سيدي الحاج محمد دادي، فأنشدنا من حفظه في تفريج ما امتحنته به المقادير في فراق أمته زهوة، التي كانت أنيسته في الخلوة والجلوة، قول القائل :

إن ألطاف الإله   لم تدع في الكون ضنكا(268)
ما رمت اختيارا جهلا   إلا قالت خل عنكا
لا تدبر لك أمرا   إنما التدبير هلكى
دبرن ألا تدبر   إنما التدبير ضلكا
سلم الأمر تجدنا   نحن أولى بك منكا

ومما أنشده لنا من حفظه لبعضهم :

ولي فرس في الخير للخير ملجم   ولي فرس في الشر بالشر مسرج
ومن رام تقويمي فإني مقوم   ومن رام تعويجي فإني معوج

وأنشدهما الشريف النقيب لنا هكذا :

ولي فرس في الخير للخير مسرج   ولي فرس في الشر للشر ملجم
فمن رام تعويجي فإني معوج   ومن رام تقويمي فإني مقوم
وإن لساني شهدة يشتفى بها   وهو على من صبه الله علقم

وقد أنشدنا الرفيق المذكور هذه الأبيات، فيمن تصدر من الجهال على غيره بحب الظهور :

خليلي كم ثوب وكم من عمامة   على جسد ما فيه علم ولا عقل
وكم لحية طالت على ذقن جاهل   فما تحتها إلا الغباوة والجهل
وكم راكب بغلا له عقل بـغلـــــــه   تأمل ترى بغلا على ظهره بـغـــــل

(268) الضنك : الضيق في كل شيء

ولما رجعنا ذهبنا مع سيدنا محمود لدار المقدم البركة سيدي محمد بن العربي العلوي بقصد الغداء عنده بعد العصر، وخرجنا لمحل نزولنا عند سيدنا النقيب، فذهب بنا لمحل العلامة الفاضل الشريف سيدي محمد بن أحمد العلوي(269)، ولم يقصر في الإكرام، وتذاكرنا في مسائل نفيسة، منها الجواب عن الإشكال المتقدم الحاصل من كلام ابن مالك في قوله : والعادم النظير، إلخ ... بأن الحذا مسموع وليس بقياسي، لكونه لم يدخل تحت ما هو قياسي، لأنه يعتبر في المفرد الذي يمد أو يقصر أن يكون داخلا تحت ضابط، بأن يوافق المفرد الصحيح، لا في خصوص الوزن، كما يؤخذ من الصبان(270)، وقد نكت الرضي(271) على شافية ابن الحاجب(272) في تعبيره : بالنظير فقال ما معناه : الحق أن يقال : ما لا ضابط له إلخ ... وقد اتضح بهذا جواب الإشكال، ومنشؤه التعبير بالنظير في كلام الناظم التي هي مثل عبارة ابن الحاجب، والله الموفق. وقد تذاكر سيدنا النقيب مع هذا الشريف الجليل في المسألة التي تدارج الخوض فيها بين بعض علماء مصر، وخاض فيها علماء فاس، حتى أدى الحال إلى استعمال التأليف ردا وجوابا في حلية ذبائح أهل الكتاب، هل تؤكل أم لا ؟ وقد أفتى العلامة المفتي محبنا وحبيبنا الشريف أبو عيسى سيدي المهدي الوزاني(273) رعاه الله في معياره الجديد بجواز أكلها

---

(269) انظر التعريف به في ج 2 ص 147-154 من هذا المجموع.

(270) محمد بن علي الصبان، عالم بالعربية والأدب، له مصنفات كثيرة منها : حاشية على شرح الأشموني على الألفية لابن مالك، والكافية الشافية في علمي العروض والقافية، وأرجوزة أخرى في علم العروض كذلك، وإتحاف أهل الإسلام بما يتعلق بالمصطفى وأهل بيته الكرام، وإسعاف الراغبين في السيرة النبوية، وحاشية على شرح الرسالة العضدية، وحاشية على شرح الملوي على السلم، وحاشية على شرح العصام على السمرقندية، وحاشية على السعد، في علمي المعاني والبيان، وتقرير على مقدمة جمع الجوامع، وتأليف في علم الهيئة، وغير ذلك من المصنفات الأخرى.

وكانت وفاته بالقاهرة عام 1206هـ، انظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك ج 2 ص 84، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1194، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 297.

(271) نجم الدين محمد بن الحسن الرضي الأسترابادي، من خيرة علماء اللغة توفي عام 686هـ، من مصنفاته : الوافية في شرح الكافية، لابن الحاجب، في علم النحو، في جزءين، والشافية في علم الصرف، وهي شرحه لمقدمة ابن الحاجب، انظر ترجمته في كشف الظنون لحاجي خليفة 1021 و 1370 وفي معجم المطبوعات لسركيس 940 وفي بغية الوعاة للسيوطي ص 248 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 86.

(272) أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، المشهور بابن الحاجب، من أكابر علماء اللغة، ولد في أسنا من صعيد مصر عام 570هـ، وهو من أصل كردي، وله مصنفات كثيرة منها : الكافية، في علم النحو، والشافية، في علم الصرف، والأمالي النحوية، ومختصر الفقه، استخرجه من ستين كتابا في فقه المالكية وسماه : جامع الأمهات، ومن كتبه كذلك : منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل، وغير ذلك من المصنفات الأخرى.

وكانت وفاته بالإسكندرية عام 646هـ، انظر ترجمته في غاية النهاية للجزري ج 1 ص 508 ، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 314، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 211، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 8 ص 62، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 270 رقم الترجمة 605، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 167 رقم الترجمة 525.

(273) سبق التعريف به في ج 1 ص 40 من هذا المجموع.

على الإطلاق، منتصرا لقول الإمام ابن العربي(274)، وبهذا أيضا أفتى العلامة الشيخ عبده(275) المصري، وتبعه أشياعه وأنصاره بما يؤدي إلى التطويل، بما ليس عليه تعويل، فانفصلا على أن تحقيق المسألة هو التفصيل، فما وافق ذكاتنا من ذبائحهم فهو مباح، وما لا فلا. أما قوله تعالى : "اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب"(276) الآية. فقد خرج مما أباحه الله للناس من طعامهم مما حرمه بنص : "حرمت عليكم الميتة"(277) والقاعدة أن الخاص يقيد به العام، والمطلق يحمل على المقيد، وآية : وطعام، عام يقيد بالآية الأخرى.

أقول : وهذا هو الحق في المسألة إن شاء الله. وقد وقفنا على تأليف لطيف جامع لفتوى الشيخ عبده مع الرد عليها لبعض أكابر علماء مصر سماه : "التعاديل الإسلامية في تخطئة حزب الفتاوى الترنسفالية" وأجاد فيه للغاية. كما وقفت على تأليف شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس في رد الفتوى المذكورة في المعيار الجديد. وسماه : "الرد الوفي الوافر، على من أباح منخنقة الكتابي الكافر" وقد ضمن ما اشتمل عليه أمنه الله في قصيدة عينية أذكرها هنا إتماما لمن يحب تحقيق هذه المسألة، ونصها :

الحمد لله حمدا دام واتسعا ... على تمام أياديه بما شرعا
ثم الصلاة على الهادي وشيعته ... ومن لنهج هداه انقاد واتبعا
وبعد فالسبب الشرعي المبيـح لـنـا ... لحم المباح إذا حلقومـه قـطـعــا
وتم بالودجين(280) من مقدمه ... والنحر طعن بلبة(278) كذا شرعا
مع الشروط التي في كتب مذهبنا ... كما بمختصر أبو الضيا جمعا
وقد أباح لنا المولى بـرحـمـتــه ... ذبح الكتابي معنى لا الذي ثلعـــا(279)

---

(274) سبق التعريف به في ج 1 ص 175 من هذا المجموع.

(275) محمد عبده بن حسن خير ا من آل التركماني، ومن دعاة الإصلاح، ولد في شنزا من قرى الغربية بمصر عام 1266هـ، ودرس بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر، وخلال مقامه بباريس أصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى، ولما عاد لمصر تولى منصب القضاء، ثم عين بعده مستشارا في محكمة الإستئناف، ثم مفتيا للديار المصرية إلى أن توفي بالإسكندرية عام 1323هـ، ودفن بالقاهرة.
وله مصنفات منها : تفسير القرآن الكريم، لم يكمله، ورسالة الواردات، والرد على هانوتو، ورسالة التوحيد، وحاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية، وشرح مقامات بديع زمان الهمداني، وشرح نهج البلاغة، والإسلام والرد على منتقديه، وغير ذلك من الكتب الأخرى.
انظر ترجمته في الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 232 رقم الترجمة 548، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1677، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 252.

(276) سورة المائدة، الآية 3.

(277) سورة المائدة، الآية 5.

(278) اللبة : موضع القلادة من الصدر

(279) ثلع رأسه : شدخه وكسره

(280) الودجين : عرق الأخدع الذي يقطعه الذابح فلا تبقى معه للذبيحة حياة

إذ حرم الميت والخنزير مثل دم	ومخنق والذي بالوقد(281) قد صرعا(282)
ولم يخص بذا التحريم مسلمنا	ولا الكتابي بل تخصيصه ارتفعا
والجاهلية كانوا يقتلون بلى	ويأكلون فعنه الذكر قد ردعا(283)
وقال إلا الذي ذكيتم(284) فمن اكتفى	به فبسبق مونق رجعا
هذا الذي درجوا عليه وانتهجوا	وأيدوه بنص نوره سطعا
والصيد قد خص في مشهور مذهبنا	بالمسلمين ببعض الوحش ما منعا
أما الكتابي فلا عقر(286) يسوغ له	به فأحرى لغير الوحش أن يدعا(285)
فإن يقولوا بأن الخنق مشرعهم	فالذكر كذبهم بما به صدعا
وللمعافري(287) فتوى بالإباحة في	خنق الدجاجة من كتابي خنعا
يقول من دينه قصد الذكاة به	فيستباح به أكل لنا تبعا
يقول إن أكلوا فقد أبيح لنا	وأكل رهبانهم كفاك منتجعا
وذي دعاوي له لا نص يعضدها(288)	أبناؤها أدعيا فيما إليه دعا
بل أهل دينهم بالمنع قد نطقوا	وأطبقوا أن من أباحه ابتدعا
كما خليل أباحه وسلمه	بشرحه وكذا الذي له اتبعا(289)
والفعل منهم وهبه من أساقفة	يكون فسقا فلا يكون متبعا
وما طعامهم الذي الكتاب أتى	بحله غير ما ذكوا كما شرعا
معها شروط حواها نص مختصر	وفاقد الشرط منها أكله امتنعا
عموم ما جاء في الكتاب خصصه	نهي أتى مفصح بما له منعا

---

(281) بالوقد : أي بالنار

(282) إشارة لما جاء في الآية الكريمة : حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير ا به، والمنخنقة والموقودة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم، وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام، ذلكم فسق، سورة المائدة الآية 3.

(283) ردع : كف ومنع

(284) ذكيتم : ذبحتم

(285) يشير الناظم رحمه ا على أن المنخنقة والموقودة لا تحل سواء كانت من طعام الكتابي أو المسلم، والمعروف اليوم أن غالبية أهل الكتاب لا يذبحون الذبائح بل يقتلونها بطرق جاهلية مخلتفه تنهى عليها تعاليم الدين

(286) العقر : النحر

(287) إشارة للإمام أبي بكر بن العربي المعافري

(288) يعضدها : يدعمها

(289) ذكر عبد الباقي الزرقاني في شرحه على مختصر خليل عند قول المصنف (وذبح لنفسه) جاز لنا أكل ذبيحة الكتابي بثلاثة شروط :

1- ما يملكه لا ما يملكه مسلم أو مشترك بينه وبين كتابي

2- الذي يحل للكتابي بشرعنا من ذي الضاف أما الذي لا يحل له فلا

3- أن لا يذبحه لصنم.

أنظر شرح الزرقاني على مختصر خليل ج 2 ص 5.

وما أتانا به الشرع القويم كفى ولا التفات لما أسوه منتزعا
هم بذلوا كتبهم وغيروا وبـغـــوا فلا وثوق بما من علمهـم سـمعـــا
فانبذهم من وراء الظهر واقلهم وكن لمأكلهم مستقذرا(290) ورعا
ودع طريقتهم واترك طـريـفتـــــم مهما وجدت من الأقوات مـتسـعـــا
ولا يغرنك الحفار(291) بل وكذا الـمـعيـــــــار أو مـن غـدا لـرأيـهـم تبعـــا
يكفيك ما في حواشي جهبذ بطل ذاك الرهوني(292) مولى سيفه قطعا
فقد تصدى لنقض ما بنوه بما أبدى فلله دره بما منعا
كذاك صاحب الإختصار سيـدنـــــا جنون(293) ليث على من زاغ وابـتـدعـا
ولـي اقتدا بهم في الرد سـيـمـتـــه الــــــرد الوفي بضعفـي كـن بـه قـنـعـــا
واسأل لجملتنا غفران زلتنا والختم بالخير إن موتا لنا صرعا
بجاه خاتم رسل الله قاطبة محمد فاتح الأكوان مذ طلعا
وآله وصـحـاب نـهجـــه اتـبـعـــوا وأكرمونا بدين شـأنـــه ارتـفـعـــــــا
ثم الصلاة مع السلام تشملهم والمقتدين ومن في دينه برعا
والمسلمين وذا العبد القصير يدا عبد الكريم ومن له تلا ودعا
والحمد لله في بدء وخاتمة والحمد لله حمدا دام واتسعا

ولما رجعنا لمحل النزول، وجه سيدنا النقيب من ورائه من يؤنسنا في هذه الليلة ممن يحسن السماع، فلم يوجد بهذه المدينة إلا شخص واحد، ما عليه زائد، بتنا في نشاط من آلته التي لو يسمعها جماد لتحرك من أجل الضجر الذي يحصل له، ويتمنى سامعه أن يقصر من ترنمه الذي أنهك جسمه وأنحله، ويزيد في الطنبور رنة بحديثه الفائق في البسالة، ولم يشعر بأنه غريق في الثقالة، فليته سكت وما غنى، وترك العنا عنا. ومن ألطف حديثه أنه شرع في محادثة تؤدي

---

(290) مستقذرا : مستقبحا
(291) أبو عبد ا محمد بن علي بن محمد الأنصاري الغرناطي الشهير بالحفار، إمام غرناطة ومحدثها ومفتيها، الشيخ المعمر ملحق الأحفاد بالأجداد، توفي عام 811هـ، انظر ترجمة في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 247 رقم الترجمة 889، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 296 رقم الترجمة 661.
(292) أبو عبد ا محمد بن أحمد الرهوني، شيخ الجماعة، وخاتمة المحققين والعلماء العاملين، نشأ بفاس وبها أخذ العلم، ثم انتقل لمدينة وزان وبها توفي بعد فجر يوم السبت 13 رمضان عام 1230هـ، من مصنفاته : أوضح المسالك وأسهل المراقي، وهو حاشية على شرح الزرقاني لمختصر خليل، في الفقه، 8 أجزاء، وحاشية على شرح ميارة الكبير للمرشد المعين، لم يتمه، والتحصن والمنعة ممن اعتقد أن السنة بدعة.
انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 378 رقم الترجمة 1512، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 352 رقم الترجمة 783، وفي إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 4 ص 181-186، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 104، وفي معجم المطبوعات لسركيس 955، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 17. وفي النبوغ المغربي لعبد ا كنون ج 1 ص 295.
(293) المراد به العلامة سيدي محمد بن المدني بن علي بن عبد ا كنون وقد سبق التعريف به في ج 1 ص 232.

إلى طول، إلا أنه قال في أثنائه : هذا شيء لا أعرفه، فقال له سيدنا النقيب : وهل تعرف تدندن ؟ فقال : نعم، فقال له : اترك عنك هذا ودندن، فصار يدندن، فكتبت لسيدنا الشريف هذين البيتين :

ومغن أتى إليك يغني زاد لي في الغنا أدندن دندن

قلت لما لنا أطال حديثا فلتكن ساكتا وإلا فدندن

ثم تركناه يؤنس نفسه ونحن في ضجر، إلا أن السماع يسلي الخاطر وإن كان صاحبه على خطر، غير أننا لا نقبل العذل فيه، خصوصا إذا كان معه شيء لا ينافيه، وقد رام مساجلتنا في هذا الموضوع سيدنا النقيب، أمنه الله فقال :

يا عاذلي في السماع دعني إن عذولي من الجنون

فقلت :

لأن لي في السماع وجدا به انجلت دائما شجوني

فقال :

هيج شوقي إلى حبيبي وصدني عن ذوي المجون

فقلت :

وزادني لوعة أراها هي مناي إلى المنون

فقال :

والنفس مني به اطمأنت ورجع القلب لليقين

فقلت :

ولي في الله حسن ظن على يقين به يقيني

ذكر خروجنا للموضع المسمى بخيبر وعين شانش

وفي زوال يوم الثلاثاء خرجنا للتفسح مع الشريف النقيب، وصعدنا لخيبر على طريق قصبة الشرفاء البلغيثيين، حتى مررنا على عين خيبر، وهي أعذب مياه هذه المدينة، ومنها يسقون، وذهبنا قاصدين عين شانش، فوجدنا السلوقية التي كان أجرى الماء عليها حتى التقت مع عين خيبر المولى عبد العزيز، فكانت من مآثره التي كتبت حسناتها في ميزانه، قد حملت بين الجبلين على أربعة عشر قوسا من أعلى، وسبعة أقواس من أسفل، اتساع كل واحد منها عرضا وطولا نحو المتر ونصف، وقد مرت على الجبل حتى خرجت للطريق مقبوا عليها، ومتى انخفضت الطريق رفعت على أقواس. وقد رجعنا من فوق ظهر السلوقية وخرجنا من تحت أحد أقواسها للطريق.

ورأينا هناك معدن الصلصال بالمحل المعروف بالسريج، ورأينا بهذه العين من الصخور طبقة على طبقة، وامتدت مع الجبل والوادي وسارت منعطفة بين الجبلين حتى التقت مع عين وليلي، وقد رأينا هذه العين، ووجدنا النساء يغسلن ثيابهن هناك، وماؤها أصفى لونا من غيره، إلا أنه كريه الرائحة، كأنه مشوب بزرنيخ أو كبريت، ولعله يمر على معدن حديد، وقد ذكر لنا الشريف العلامة سيدي محمد بن أحمد أن فوق هذه العين في محل منخفض بين الجبلين المذكورين عينا تسمى الحامة، ماؤها فيه حرارة مع رائحة كبريت، يقصدها الناس للغسل، وهي محل منجرة الحجر المنجور، وبماء هذه العين مع ما انضاف إليها تدار رحية دقيق.

وقد مررنا على حومة الحفرة المجاورة للضريح الإدريسي من وراء، فرأينا سطوح بعض الدور كادت أن تستوي مع الأرض، وبعضها يرى سطحه أسفل من الطريق، وبعض الدور لازقة بالجبل، وبعضها من أعلى الجبل. والحاصل أن تلك الأبنية من أعجب المناظر، والسكنى في بعضها على خطر، فقد سقطت مرة قطعة من الجبل على أحد الدور فانهدمت، وهلك من كان بها من الناس، وفي طريقنا أورد علينا سيدنا النقيب إشكالا حصل له في قول المادح البوصيري في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

ويح قوم جفوا نبيا بأرض ألفته ضبابها والضباء

مع قوله (ﷺ) في قضية الضب : (لم يكن في أرض قومي فتجدني أعافه(294)) قائلا : إن كلام البوصيري يؤخذ منه أن الضباب موجودة بمكة، والنبي (ﷺ) يقول : لم يكن بأرض قومي، فلم أستحضر جوابا في تلك الساعة، فقال : قد كنت أفهم أن الخبر المتعلق به بأرض قومي يقدر مأكولا، حتى وقفت عليه، فيكون المعنى : لم يكن مأكولا بأرض قومي(295) إلخ ...

---

(294) رواه الإمام البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب الضب، رقم الحديث 5536، وانظر فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ج 9 ص 827، ونصه :
حدثنا عبد ا بن مسلمة، عن مالك، عن ابن شهاب، عن أبي أمامة بن سهل، عن عبد ا بن عباس رضي ا عنهما، عن خالد بن الوليد أنه دخل مع رسول ا صلى ا عليه وسلم بيت ميمونة، فأتي بضب محنود، فأهوى إليه رسول ا صلى ا عليه وسلم بيده، فقال بعض النسوة : أخبروا رسول ا صلى ا عليه وسلم بما يريد أن يأكل، فقالوا : هو ضب يا رسول ا ، فرفع يديه، فقلت أحرام هو يا رسول ا þ فقال : لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه، قال خالد : فاجتررته فأكلته ورسول ا صلى ا عليه وسلم ينظر.

(295) في هذا الشرح توفيق لطيف بين الحديث الصحيح والبيت المذكور في قصيدة البردة، ويعضد هذا كذلك ما بينه الحافظ ابن حجر العسقلاني عن شرح هذا الحديث، بعدما ذكر اختلاف العلماء في وجود الضباب أو عدم وجودها بالحجاز على عهده (ﷺ)، فقال : ولا يحتاج إلى شيء من هذا، بل المراد بقوله صلى ا عليه وسلم (لم يكن بأرض قومي) قريشا فقط، فيختص النفي بمكة وما حولها، ولا يمنع ذلك أن تكون موجودة بسائر الحجاز، وقد وقع في رواية يزيد بن الأصم عند مسلم، قال : دعانا عروس بالمدينة، فقرب إلينا ثلاثة عشر ضبا، فآكل وتارك، الحديث، فبهذا يدل على كثرة وجدانها بتلك الديار،انظر فتح الباري لشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج 9 ص 829، وفي صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الصيد والذبائح باب إباحة أكل ضب ج 13 ص97.

ذكر الذهاب لقصبة الشرفاء البلغيثيين هناك

وبعد صلاة العصر ذهبنا مع سيدنا محمود لقصبة الشرفاء البلغيثيين، وقد احتفلوا له احتفالا كبيرا بدار الشريف البركة الأسعد، المقدم الأرشد، أبي عبد الله سيدي محمد بن هاشم البلغيثي الضرير، وهو الآن بفاس، ولم يقصروا في الإكرام، ودخل عليهم السرور العظيم، وأظهروا الفرح التام بذلك الإحتفال. وجميع سكان هذه القصبة تجانيون نساء ورجالا، وصلينا هناك صلاة المغرب. وهذه القصبة تجاور باب الجديد، ومن هذا الباب يذهب للعين المعروفة هناك بعين الرجال، وهي عين ماء يسقي بها غالب غراسي تلك الناحية، وماؤها مقصود للشفاء، ويشرب للدواء، وعليها بيوت للغسل بمائها، وماء العيون الدائرة بها، ومما هو مجرب عند أهل هذه البلدة أن ماءها مقوي للباءة، مشهور بهذه الخاصية عندهم. ثم رجعنا لمحل النزول، وبتنا مع سيدنا النقيب أحسن مبيت، وسامرنا العلامة الشريف سيدي محمد بن أحمد العلوي أحسن مسامرة، وحاضرنا فيها أتم محاضرة، ما بين جد وهزل، بالمروءة غير مخل، وقد تعجب من انبساطه بجمعنا، مع أنه الإنقباض من نفسه، مع أبناء جنسه، ولسان حاله ينشد :

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

وتذاكرنا في أن الفكر بالإنقباض يؤدي إلى جمود القريحة، وتجم بالإنبساط والمزح الذي به النفوس مستريحة، وقد نص الفقهاء والصوفية على أنه يطلب في بعض الأوقات بمقتضى اختلاف المشارب، ومما هو محفوظ لدينا قول القائل :

أرح طبعك المكدود(298) بالجد ساعة يجم(296) وعلله بشيء من المزح(297)

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح

ثم انجر الكلام بنا في الجواب عن الإشكال الحاصل من كلام البوصيري مع الحديث الشريف المتقدم، وسنذكر نتيجة هذه المفاوضة في هذا الموضوع في ترجمة هذا الشريف الفاضل إن شاء الله.

زيارته للضريح الإدريسي

وفي يوم الأربعاء خرجت مع سيدنا النقيب بقصد التفسح في هذه البلدة، والنظر إلى أمكنتها المباركة، حتى لا يفوتنا مشاهدة آثار السلف، فدخلنا للضريح الإدريسي، مع أداء التعظيم اللائق بذلك المقام، المحوط بالإحترام، فرأينا منقوشا على باب الحفاء في الزليج والجبص ما أذكره في هذا المحل، إتحافا للمطالع، حتى يكون قارؤها كالمشاهد لها، بعد إصلاح خلل بعضها، فكان مكتوبا على الأعلى بالزليج الأسود هذه الأبيات :

هذا مقام الحسنى الذي وصل أهل الله من بابه

أنشأه السلطان محتسبا لله في موصول أسبابه

---

(296) يجم : بمعنى يستريح

(297) المزح : البسط

(298) المكدود : من الكد وهو التعب

على يد الكاتب في أيقش(299) ناظر الأحباس من أحبابه

بشرى لمن قد جاءه زائرا ومرغ الخذ بأعتابه

ومنقوشا في الأسفل في مواجهة الباب عن اليمين واليسار هذه الأبيات، بيت ونصف في الجهة :

يا ناظرا حسني بعين كمال ومتيما بمآثري وجمالي

متع لحاظك بي ويكفي أنني باب الوصول إلى رفيع معال

وإذا تريد لنشأتي وقتا بها شرفي يريك بهاء حسن كمال

وفي خذ اليمين منقوشا هذه الأبيات :

بأبوابنا قف عند ضيق المناهج تفز بعلا الأقدار من ذي المعارج

ألم تر أن الله أسبغ نعمة علينا وأولانا قضاء الحوائج

فهذي بحور الجود يمم فراتها وعن نيلها الفياض كن خير لاهج

مناهله تروي العفاء بأسرها وتحظى بما ترجو بعد المناهج

وعن يسار هذه الأبيات :

فهذا مقام الأمن إن كنت خائفا وهذا مقام الجبر إن كنت ذا كسر

وإن كنت ظمآنا فهذي مناهل صفت لك علل قد وصلت إلى البحر

ومرغ خدودا عند باب ضريحه فهذا محل الخير إن كنت ذا فقر

إمام الهدى إدريس من مجده علا وآياته كالشمس لاحت وكالبدر

(299) أيقش : رمز حرفي لتاريخ بناء الضريح المذكور وهو 1111هـ وهو ما يسمى بحساب الجمل الكبير.

والمجدد لبناء هذا المقام الشريف مع زيادة فيه هو المولى إسماعيل - قدس سره - بتاريخ سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألف، وفي هذه السنة أيضا جدد بناء الضريح الإدريسي بفاس، كما ذكر ذلك أصحاب التاريخ، وأما التاريخ المذكور في الأبيات المتقدمة فلعله خطأ(300). ولما دخلنا لهذا المقام الشريف رأينا الأنوار مشرقة فيه، يمتلئ قلب داخله سرورا بما يمنح فيه من الأسرار التي تشرح صدره وتشفيه، فأعظم به من مقام سما قدرا، وملأ الأرجاء نورا وسرا، بوجود ضريح هذا الإمام الذي أحيا الله به الدين في قطر المغرب، وأضحى في مدح جنابه كل فاضل يطنب، ومع ذلك لا يوفيه الشاكر لإسداء هذا الجميل، إن كان من هذا القطر، ولو استغرق جل أوقاته في المدح والشكر، غير أنه يطلب من كل من حل هذا القطر المغربي أن يدعو لهذا الإمام مكافأة لما أسداه إليه، وإلى أجداده من الإكرام، بفتح هذا القطر الذي استقر فيه الإسلام، أداء للحق الذي أوجب له الشكر، بمقتضى : من أسدى إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له، حتى تروا أنكم قد كافيتموه، وبباب المعراض عن اليمين باب دار المخزن التي ينزل بها الأمير إذا قدم لزرهون، وعن اليسار باب دار الأضياف، وبعدها باب دار الوضوء، وبها بيوت خلاء متعددة، وصهريج ماء. ويواجه باب الحفاة باب المعراض، ومنه الدخول للمقام الشريف.

وقد اشتمل هذا المقام على جامع كبير عن يمين الداخل من باب الحفاة، وبها باب ينفد منه بالدرج إلى حومة المريح، يقابل باب الزاوية التجانية هناك، ويجاور باب ضريح الولي الصالح

---

(300) ذهب بعض المؤرخين على أن بناء الضريح المذكور كان عام 1132هـ، وهذا بطبيعة الحال مخالف لما هو مكتوب على جدران بعض أبواب ومرافق الضريح، وذهب العلامة ابن زيدان على أن المولى إسماعيل قام ببناء الضريح المذكور عام 1110هـ، واستدل على ذلك بما هو منقوش في الرخامة الأولى المثبتة في الجدار المواجه للداخل من باب قبة الضريح الإدريسي، ونصه :

هذه روضة بهـا خيـر هـاد ... بضعة المصطفى وعيـن الرشـاد
ملك طهر الإلاه به الغرب من الشرك والشقا والعناد
واستقامت له الحشود وقد كانت زمانا بالغي في كل واد
فإذا ما نسبته فرسـول اللـه فـي القـرب رابـع الأجـداد
وتأدب فأنت ضيـف إمـام ... في حمـاه عـلاج كـل فـؤاد
خصه خالق الخلائق بالفـضـل وأحيا به أقاصي البلاد
فسل الله ما تشاء مـن الفـضـل فليـس لفضلـه مـن نفـاد
وتوسل بالمولى إدريس واقصد ... في علاه بلوغ كل مراد
وابتهل للإلاه في نصر مولى ... شأنه السعي في صلاح العباد
شاد هذا المقام والفعل منه ... خالص لكريمه الجواد
عام ألف ومية بعد عشر ... من سنين السرور والإسعاد

انظر إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 ص 175-197.

وصيف المولى إدريس السيد راشد(301) رحمه الله ورضي عنه، وتواجه داخل باب الحفاء مدرسة الطلبة الذين يقرؤون القرآن الحكيم بورش وغيره من القراءات، ويقرؤون بها الحزب صباحا ومساء. وعن يمين ويسار هذا الباب سقايات ماء، وعن اليسار أيضا باب دار الوضوء، وباب المنار، والباب الذي ينزل منه لصحن القبة الإدريسية، وبصحن باب الضريح خصة رخام، بديعة الشكل تنبع ماء.

وأما قبة الضريح فقد ازدهت وازدهرت بالأنوار، وأنواع التحف المحتفة بها مما له بال، من زرابي وحسك مصطفة، وحياطي صمة مرصعة بالصقلي الغالي القيمة. والحاصل أن من نظر إليها فكأنما ينظر إلى قصر من الجنة، بما فيه من الأنوار، والإنارة التي تنتفي بها الأكدار.

زيارتنا للزاوية التجانية التي بزرهون

ثم خرجنا من هذا المقام، وصعدنا لزاويتنا التجانية المجاورة للباب ذي الدرج المذكور، وهي مرتفعة يصعد لها بتسعة عشر درجة، فيها بلاطان على خمس سواري، ومحرابها بين خزانتين وشباكان يقابلان ساحة ضريح سيدي راشد، مع مواجهة الجبل الذي لبس حلة خضراء دائما، وقد أتحفت هذه الزاوية بمواكن(302) سبعة، يرصد بها سوائع الوقت، وقد وجدت هذه الأبيات منقوشة في الزليج الأسود على خد الساريتين القريبتين من الدرج من أعلى :

بشرى لمن أم في المحراب بشراه — إن كان محتسبا لله بشراه
أقام وجهته لله خالصة — وكان في سره ما يرتضي الله
أحيا طريقة من أحيا الظلام ومن — تورمت في رضى الإله رجلاه
صلى عليه إله العرش منه له — والآل والصحب تنويها لعلياه(303)

---

(301) راشد بن منصة الأوربي، خديم آل بيت الرسول المخلص، مولانا الإمام إدريس الأكبر رحمه ا ورضي عنه، اختلف في أصله فقيل أنه من العرب المولدين، وقيل أنه حبشي، وقيل أنه بربري من قبيلة أوربة، وقد سبي مع والده منصة في غزوة موسى بن نصير، ونقل معه إلى المشرق.
وقد قال في حقه العلامة ابن زيدان، عند ترجمته له في كتابه إتحاف أعلام الناس : وقد صرح غير واحد من ثقات المؤرخين ومحققيهم بأنه كان له إلمام بالعلوم، ومعرفة تامة بالسياسة والأخبار، وأيام العرب ووقائعها، والفروسية والرماية ومكايد الحرب، ذا قوة وحزم ونجدة وإقدام، ودهاء ونباهة ودين متين، وثبات ورسوخ وأمانة، وصلاح وورع وزهد وتقى، وإخلاص وحب ونصيحة في آل بيت الرسول صلى ا عليه وسلم، يوالي بموالاتهم ويعادي بمعاداتهم، إلخ ...
وهو الذي قام بأمر الدولة الإدريسية بعد وفاة مولاي إدريس الأول عام 177هـ، كما كفل ابنه الإمام مولاي إدريس الثاني إلى أن شب وترعرع، وكانت وفاته رحمه ا شهيدا عام 188هـ، ودفن قريبا من ضريح المولى إدريس الأول بجبل زرهون في الجهة الجنوبية على يمين الخارج للمزارة العليا من الجامع الكبير هناك.
انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 3 ص 64-66، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ج 1 ص 16-26، وفي تاريخ ابن خلدون ج 4 ص 13، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 11.
(302) مواكن : ساعات الحائط.
(303) هذه الأبيات من نظم الأديب البركة سيدي أحمد بن الطيب السفياني، وقد ذكر العلامة سكيرج أنها من الأبيات المنقوشة خارج محراب الزاوية الأحمدية التجانية الكبرى بفاس، مع زيادة بيتين وهما :

وفي هذا اليوم كنا خارجين من زرهون، وكان الإخوان بالشراردة ومجاوريهم، تهيئوا لملاقتنا بعين الشكر، وجاء منهم من أخبرنا بذلك، غير أن الأمطار أرخت العنان، فكان العذر شتاء، وهو مقبول، فتأخرنا إلى أن يظهر الصحو، ولا زالت الأمطار هاطلة إلى يوم الجمعة، ولم نخرج من محل النزول يوم الخميس لكثرة الأمطار، التي نجعلها في عدم الخروج من الأعذار، وقد اجتمعنا مع جماعة من الشرفاء والأدباء في هذا اليوم، وهو فاتح ذي الحجة الحرام، وحضر معنا الرفيق الأسعد سيدي الحاج محمد دادي، فكانت ساعة كلها في أنس وطرب، وإذا حضر وقت الصلاة قدمناها على كل مطلب.

وقد حدثنا الرفيق المذكور بكرامة حصلت له في الحجاز أيام ذهابه للحج بإذن سيدنا ومولانا محمد البشير رضي الله عنه، وضمانه له بأنه يرجع سالما، بعدما رام السفر معه للحج، وتأخر سيدنا محمد البشير لموجب باطني، ووقع الإذن منه للرفيق المذكور، فقال : بينما هو في طريق الحجاز إذ أحاطت بالركب العرب المعروفون بهب الريح، وسلبوا جل القافلة من أمتعتهم، حتى أنهم قبضوا عليه وراموا الفتك به، ففتح الله له بابا سلك منه في وسطهم بسبب ضربة ضرب بها أحدهم برأسه كالناطح له، وهم يفرون من المغاربة بما شاع لديهم من أنهم يضربون برؤوسهم، فيقتلون المنطوح بها، وسار هو فارا بنفسه، والكل يعدو أمامه، ظنا منهم أنه يقفو أثرهم للفتك بهم، إلى أن بعدوا عنه، ونجاه الله منهم، وأعيد عليه بعير حمله. وقد أنشدنا أبياتا أنشأها في ذلك المقام الشريف، يقول فيها :

قف بباب الكريم وقفة سائل   وتشفع بجاه أسمى الوسائل
رحمة العالمين غوث وغيث   أشفع الشافعين إن هال هائل
وبه فلتسل غنيا كريما   فالكريم يجيب دعوة سائل
ليدارك برحمة من رحيم   فله الحمد بكرة وأصائل

وأنشدنا من حفظه لبعضهم يخاطب مليما :

يا نبي الجمال في أمة العشق فلا تجعل الملامة مله
وترفق بأمة جعلت حبك دينا وحسن وجهك قبله
قسما لا سلوت عنك ولو صر   ت من العشق في البرية مثله

وأنشدنا لبعضهم أيضا :

يا نبي الجمال مم خلقت   أمن الشمس في السماء صورت
لست من نسل آدم أنت لكن   كان رضوان غافلا فخرجت

إن الصلاة على النبي موجبـة   لكل خير من الرحمان ترضـاه
عمر بها الوقت لا تبغي بها بدلا   تعطى من ا   ما ترجو وتهواه
انظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 32.

وأنشدنا من توشيح :

سرق الغصن قد محبوبي　　　واختفى في الورق
قطع الغصن صاحت الأطيار ذا جزا من سرق

وأخذ معناه سيدنا النقيب فقال :

سرق الغصن قد من قد سباني　　　وبسهم الجفون عهدا رماني
واختفى في الأوراق لما أردنا　　　قطعه إذا غدا على الحب جاني

وفي يوم الجمعة أقمنا بمحل النزول، ولم نخرج حتى لصلاة الجمعة لكوننا مسافرين، ولا جمعة على مسافر، وبعد الزوال حضر بعض الإخوان، وكان مصابا بداء الباسور، فشكى داءه، عسى أن ينال بهمة صالحة شفاءه، وكان معنا الرفيق، محل الأخ الشفيق، سيدي الحاج محمد دادي فقال له : إني أمنحك باستعمال دواء تجد معه بحول الله كمال الشفاء، إلا أنه تحصل منه برودة الهمة عن مباشرة الزوجة، إلا بعد مدة نحو الشهرين، ثم يرجع إلى قوته العصيبة، ويذهب الباسور، وذلك أن تؤخذ أوقية من الكافور، وأوقيتان من السمن الحار القديم العهد، يذاب السمن، ويجعل فيه الكافور بعد دقه، ثم يرفع لوقت الحاجة، ويطرف به بليفة صوف صاحب الداء المرة بعد المرة، فإنها تيبس، ويجد العافية بحول الله، وفي يوم السبت ورد لمحل نزولنا العلامة الفاضل الشريف سيدي محمد بن أحمد العلوي مع حضرة سيدنا النقيب، وجرت المذاكرة في قول الإمام البوصيري :

إن لم يكن في معادي آخذا بيدي　　　فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

فقال سيدنا النقيب : غاية ما يقال في هذا المقام، حذف جواب الشرط الأول لدلالة الثاني عليه، وتقرير ذلك أن قوله : "إن لم يكن في معادي آخذا بيد فضلا"، فيه صورتان بين منطوق ومفهوم : أما صورة المنطوق فهو أنه إن لم يأخذ بيده في المعاد فضلا فيازلة قدمه، ومفهوم الأخذ باليد لأجل الفضل، الأخذ بها لأجل العدل، فيازلة القدم كذلك. وقوله : "وإلا فقل يا زلة القدم"، يعني : وإلا تأخذ بيدي أصلا فيا زلة القدم.

ومفهوم ما ذكر أنه إن أخذ بيده فضلا فيا ثبات قدمه، والحذف من الأوائل لدلالة الأواخر سائغ مطروق، وعليه فيكون في البيت ثلاث صور : الأخذ باليد فضلا، والأخذ باليد عدلا، وعدم الأخذ أصلا. ووافقه على هذا التقرير الشريف سيدي محمد المذكور. وقد ذكرت لهما أن بعض الشراح ذكر أن (إلا) بالتنوين بمعنى عهدا(304).

---

(304) هذا التقدير وارد، ولا يخرج البيت عن وزنه العروضي مع مناسبته للموضوع المذكور في البيت ما قبله وهو قوله :

فإن لي ذمة منه بتسميتي　　　محمدا وهو أوفى الخلق بالذمم

وإلا بالتنوين مذكورة في القرآن في سورة التوبة، قال تعالى : (كيف وإن يظهروا عليكم لا يقربوا فيكم إلا ولا ذمة). قال السدي : المراد بها العهد.

ويدل على هذا أيضا البيت قبله المذكور فيه الذمة والعهد، وبهذا المعنى يزول الإيهام الحاصل بتقدير "وإلا بأن أخذت بيدي فضلا" إلخ ... وهذا التقدير الأخير غير مقصود، ولا يليق تقديره، وقدره بعض الشراح "وإلا لم يأخذ بيدي" وهذا ظاهره. فاعترضنا هذا بأن الرواية لم ترد عن الناظم بالتنوين، ومع ذلك فإنه بدون تنوين أولى لشموله لثلاث صور إهـ. فذكرت أن كلام الناظم، وإن لم يرد بالتنوين فالمعاني لا تتزاحم، ويصح استنباط هذا المعنى، وهو واضح من تلك التقادير، ولا بأس بهذا المعنى القريب للإدراك، وقد ينطق الشاعر ببيت ويقصد معنى، فيجد غيره فيه معاني لم يقصدها قائله، فيحسن كلامه بإجادة فهم ما معه، كما هو واضح، ثم أشرت "للإل" بمعنى العهد في هذه الأبيات على طريقة التغزل :

وظبي هواه بقلبي حل	ولم يرا غير فؤادي محلا
أتاه عدوي ليعذله	فأعرض عن عذله وتولى
وقال محلي في قلبه	ولي فيه أرقب عهدا وإلا
فلا تك ممن يعنفني	وإلا أرى بالذمام مخلا
فدعني أحب المحب ولا	تلمني فيه إلا أن يملا

وقد ضمنت البيت المذكور في هذه الأبيات :

يا من عليه مدى الأيام معتمدي	فامنن علي بمنح الفتح والمدد
إن لم يكن منك لي في الحال خير لقا	بالله كن في معادي آخذا بيدي
أراك تمنح فضلا من يؤمك في	ما يبتغيه وإلا عاش في كمد
فقل بفضلك لي بشراك نلت رضى	مني ولا تخش طول الدهر من أحد
عسى أنال المنى ولا أقول غدا	يا زلة القدم التي شوت كبدي

بحث قيم فيما أشار إليه البوصيري في بردته

وقد جرت مذكرات بيننا وبين سيدنا النقيب وبين العلامة الفاضل الشريف المنيف سيدي محمد بن أحمد بن إدريس العلوي في مسائل من يوم دخولنا إلى افتراقنا معه ليلة الوداع. فمن ذلك ما أورده سيدنا النقيب من المعارضة الخالصة في قول البوصيري : "ويح قوم" إلخ ... مع قوله عليه السلام "لم يكن بأرض قومي" إلخ، فقلت في الجواب عنها : إن في البيت شبه استخدام، فيكون الضمير من قوله "ضبابها" راجعا للأرض، لا باعتبار أنها أرض مكة، فيكون المعنى "ويح قوم جفوا نبيا ألفته ضباب الأرض وظباؤها" وهي لا عقل لها، وهم يزعمون أنهم عقلاء ولم يألفوه، لشاهد الإستخدام الذي هو قول الشاعر :

إذا نزل السماء بأرض قوم	رعيناه وإن كانوا غضابا

من قول المادح "ويح قوم" مع قوله "بأرض" وبيت الإستخدام فيه بأرض قوم. فإن قيل : المتبادر من الضمير هو عوده على أرض التي أريد بها خصوص مكة، لأنها هي التي أخرجوه منها، كما هو ظاهر، ونص عليه جميع الشراح، فكيف يعدل عنه إلى الإستخدام ؟ قلنا : موجب ذلك أمران : أما الأول فإن قضية الضب الذي شهد بالرسالة له (ﷺ) ظاهرها أنها كانت بغير مكة، والمادح أشار لها بلا شك لملاحظته لمثل هذا في كلامه المفروغ في قالب التحسينات البديعية، ومراعاة النكت الألمعية، فإن قيل : الضب واحد، والمادح جمع، قلنا : الجمع يدل على

تشريف ذلك الضب المنزل منزلة الجماعة، لأن الضباب كلها لو حضرت لأقرت بما أقر به هذا الفرد من أفرادها، فلتحقق شهادة الضباب أتى بالجمع في موضع الفرد الشاهد، مع مراعاة نكتة الجناس البديعي.

والموجب الثاني للإستخدام إخبار النبي (ﷺ) بأن الضب ليس بأرض قومه، وهي مكة، فقد قال "لم يكن بأرض قومي" إلخ، ومن اللطائف المستنبطة من كلام المادح، ولا يبعد أن يكون مقصودا لديه، أن يقال : قد أشار إلى بيت الإستخدام، كما قدمنا، وهو قد اشتمل على قوله "بأرض قوم" والحديث فيه "بأرض قومي" كأن المادح يقول : مما يشعرك أيها المتأمل في هذا البيت من كلامي بأني قصدت بالضمير غير أرض مكة التلميح إلى هذا الحديث المستدل به على أن أرض مكة لم يكن بها ضب في زمن النبي (ﷺ)، وإلا أدى الحال إلى تأويل الحديث، مع أنه لا داعي إلى التأويل، ومع أن قضية الضبب لم تكن بأرض مكة، كما أشرنا إليه، والعلم عند الله، وبحث سيدنا الشريف النقيب في هذا بما هو مذكور في ترجمة سيدي محمد بن أحمد المذكور.

بحث نفيس في مسألة رفع عيسى عليه السلام وغيره من المذاكرات القيمة

ومن المذكرات التي أبداها، وجرت المفاوضة فيها حول قوله تعالى في حق سيدنا عيسى عليه السلام : "إني متوفيك ورافعك إلي(305) " أنه يقتضي أن عيسى عليه السلام رفع بعد الموت، ثم ينزل بعد الإحياء، ثم يموت، فتجتمع عليه موتتان، فأجبت عن ذلك بأن الواو لمطلق الجمع، ولا تفيد ترتيبا، وهذا الجواب بحث فيه سيدنا النقيب بأن الواو وإن كانت لمطلق الجمع فهناك من يقول بالترتيب بها، ويحتج بآية الوضوء وغيرها، فقلت : القول بعدم الترتيب هو المشهور، فقال : لا يرفع الإيراد من أصله بكونه مشهورا، فقلت : لك أن تجعل الجملة التي دخلت عليها الواو حالية، والتقدير : إني متوفيك في الإستقبال، والحالة هذه أني رافعك إلي في الحال، والله أعلم، فلم يقبله أيضا.

ثم كتب العلامة الأجل سيدي محمد بن أحمد العلوي هنا كالمتعقب لما ذكرناه بعد المراجعة ما نصه : الحمد لله. قوله تعالى : (إني متوفيك ورافعك إلي) قال أبو البقاء(306) :

---

(305) سورة آل عمران، الآية 55

(306) أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، من خيرة فقهاء الأحناف بتركيا، توفي بإستانبول عام 1094هـ، من مصنفاته : الكليات، انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ج 2 ص 38، وفي معجم المطبوعات لسركيس 293.

كلاهما للمستقبل، ولا يتعرفان بالإضافة، والتقدير : رافعك إلي ومتوفيك، كأنه رفع إلى السماء ثم توفي بعد ذلك. وقيل : الواو للجمع، فلا فرق بين التقدير والتأخير، وقيل : متوفيك من بينهم، ورافعك إلى السماء، فلا تقديم فيه ولا تأخير، صح من إعرابه.

وفي الأنموذج للرازي، فإن قيل : كيف قال : متوفيك ورافعك إلي، والله رفعه ولم يتوفاه ؟ قلنا : لما هدده اليهود بالقتل بشره الله بأنه إنما يقبض روحه بالوفاة، لا بالقتل، والواو لا تفيد الترتيب، فلا يلزم من الآية موته قبل رفعه. الثاني أن فيه تقديما وتأخيرا، أي إني رافعك ومتوفيك. الثالث : أن معناه قابضك من الأرض تاما وافيا في أعضائك وجسدك : لم ينالوا منك شيئا من قولهم : توفيت حقي على فلان، إذا استوفيته تاما وافيا. الرابع : أن معناه إني متوفيك في نفسك بالنوم من قوله تعالى : "الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها"(307) ورافعك إلي وأنت نائم حتى لا تخاف، بل تستيقظ وأنت في السماء، صح منه. وفي الجلالين(308) : متوفيك قابضك، ورافعك إلي من الدنيا من غير موت(309)، صح منه.

ومنها استشكال سيدنا النقيب لما ذكره أهل اللغة في أنه لا يقال للكأس كأس إلا إذا كان ممتلئا، وعليه فما فائدة زيادة "دهاقا" في قوله تعالى : (دهاقا) قلنا : الكأس لا يسمى كأسا إذا كان فارغا، ويسمى كأسا إذا كان فيه الشراب، ولو لم تمتلئ، ودهاقا وصف به الكأس، ليعلم أن هذا الكأس ممتلئ جدا، حتى أنه يعطى لهم فائض الجوانب، ويمكن أن يرى فائضا بالحباب التي تتراكم على الشراب إذا صب من فم الإبريق عليها، وذلك كما قيل فيها :

كأن كبرى وصغرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب

ولا يخفى أن رؤية الكأس المملوءة على هذه الهيئة مما يزيد نشاطا لتمتع العين بالنظر إليها على هذا النسق البديع، فيكمل السرور برؤيتها عند الطبع السليم، حتى أنه يستلذ بالسماع، كما طلب ذلك الشاعر في قوله :

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهـــر

---

(307) سورة الزمر، الآية 42

(308) تفسير الجلالين للعلامة الحجة الحافظ جلال الدين السيوطي

(309) قال الإمام البغوي في تفسير هذه الآية : اختلفوا في معنى التوفي هاهنا، قال الحسن والكلبي وابن جريج : إني قابضك ورافعك من الدنيا إلي من غير موت، ويدل عليه قوله تعالى في سورة المائدة : فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، أي قبضتني إلى السماء وأنا حي، لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه لا بعد موته إلخ... وقال الربيع بن أنس : المراد بالتوفي النوم، وكان عيسى قد نام فرفعه ا نائما إلى السماء، معناه إني منيمك ورافعك إلي كما قال ا تعالى : (وهو الذي يتوفاكم بالليل، أي ينيمكم بالليل، انظر تفسير البغوي ج 1 ص 356.

وللخازن في تفسير هذه الآية ستة أقوال، منها قوله في الوجه الرابع : إن الواو في قوله ورافعك إلي لا تفيد الترتيب، والآية تدل على أن ا تعالى يفعل به ما ذكر، فأما كيف يفعل ومتى يفعل فالأمر فيه موقوف على الدليل، وقد ثبت في الحديث أن عيسى سينزل ويقتل الدجال، انظر تفسير الخازن ج 1 ص 256.

ومنها المذاكرة في إفراد الضمير وتأنيثه في قوله تعالى :"وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها"(310) مع أن مقتضى العطف بأو عود الضمير على واحد لا بعينه، فأجبنا بأن التجارة لما كانت هي المقصودة بالذات، وأهم من غيرها عندهم، واللهو إنما هو من توابعها، وهي تقدم عليه أيضا، فلذلك كان الضمير راجعا إلى التجارة، واللهو في ضمنها بالعطف عليها، بخلاف ما إذا كان الضمير مذكرا، فربما يوهم انفضاضهم للهو دون التجارة، وبهذا يدفع ما يقال من أن التذكير أولى، لأنه يكون في قوة ما ذكر، وهو يشمل التجارة واللهو. ثم إن النقيب رعاه اله قال بمثل الجواب الأول، من كون التجارة هي المقصودة، ذاكرا بأنهم نصوا على أن اللهو كان يضرب في العرب إعلاما بقدوم التجارة ووقتها ليحضرها الناس، فلهذا كان تأنيثها أولى من التذكير. وقد ذكر لنا جوابا آخر عن بعضهم أن الضمير يعود على الرؤية المأخوذة من رأوا.

وكتب لنا العلامة ابن أحمد -أمنه الله- ما نصه : قال الرازي(311) في سورة الجمعة من أنموذجه ما نصه : فإن قيل : كيف قال تعالى (انفضوا إليها) والمذكور شيئان : اللهو والتجارة ؟ قلنا : قد سبق جواب هذا في سورة التوبة في قوله تعالى (ولا ينفقونها في سبيل الله)، والذي يؤيده هنا ما قاله الزجاج(312) : معناه وإذا رأوا تجارة انفضوا إليها، أو لهوا انفضوا إليه، فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه. وقرأ ابن مسعود : إليهما بضمير التثنية، وعليه فلا حذف، صح منه، وقال في سورة التوبة : وليس قوله تعالى : (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) وقوله تعالى : ومن يكسب خطيئة أو إثما(313) إلخ ... من هذا القبيل، لأن الإضمار تم عن أخذهما لوجود لفظة : أو، وهي كإثبات أحد المذكورين، فمن جعله نظير هذا فقد سها، إلا أن يثبت أن (أو) في هاتين الآيتين بمعنى الواو.

وفي هاتين الآيتين لطيفة، وهي أن الكلام لما اقتضى إعادة الضمير على أحدهما أعاده في الآية الأولى على التجارة، وإن كانت أبعد ومؤنثة أيضا، لأنها أجذب لقلوب العباد عن طاعة الله من اللهو، لأن المشتغلين بها أكثر من المشتغلين باللهو، أو لأنها أكثر نفعا من اللهو، أو لأنها كانت أصلا واللهو تبعا، لأنه ضرب بالطبل لقدومها على ما عرف من تفسير الآية. وأعاده في الآية الثانية على الإثم رعاية لمرتبة القرب والتذكير، صح منه.

---

(310) سورة الجمعة، الآية 11

(311) زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مفسر، فقيه، أديب، لغوي، محدث، صوفي، من مصنفاته : الذهب الإبريز في تفسير الكتاب العزيز، ومختار الصحاح، في اللغة، وروضة الفصاحة، في علم البيان، وشرح المقامات الحريرية، وحدائق الحقائق، في علم التصوف، وأنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب آي التنزيل، وغير ذلك من المؤلفات الأخرى، توفي رحمه ا بعد عام 666هـ.
انظر ترجمته في معجم المطبوعات لسركيس 917، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 55.

(312) أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، عرف بالزجاج، عالم بالنحو واللغة، ولد ببغداد عام 241هـ، وبها توفي عام 311هـ، من مصنفاته : الإشتقاق، ومعاني القرآن، وخلق الإنسان، وفعلت وأفعلت، في تصريف الألفاظ، والأمالي، في الأدب واللغة، وإعراب القرآن، في ثلاثة أجزاء، والمثلث، في اللغة، وغير ذلك من المصنفات الأخرى.
انظر ترجمته في إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ج 1 ص 159، في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 6 ص 89، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 11، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 40.

(313) سورة النساء، الآية 112.

ذكر تراجم بعض من تلاقينا معهم بزرهون

فمنهم المقدم سيدي محمد بن العربي العلوي(314)

وقد تلاقينا بزرهون مع جملة من السادة الراقين مراقي السيادة، ممن اتصفوا بالأخلاق الكريمة، والشيم الفخيمة، فلنذكر منهم من تعين علينا ذكره هنا لكثرة تردده علينا، وتودده لنا. فمنهم سلطان المقدمين في هذه الطريقة، ذو الشيبة المنورة، والسريرة المطهرة، الشريف الأجل، سيدي محمد بن العربي العلوي، من دار سيدي لحسن، قد تلقى التقديم عن أكابر الطريقة، مثل الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح، رضي الله عنه، وكان يلقبه بسلطان المقدمين. وقد كتب له سيدنا ومولانا محمود التقديم لإعطاء هذه الطريقة، زيادة على التقديم الذي بيده منذ زمان من حضرة الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح. ونص ما كتبه له، مطبوعا عليه بطابعه الشريف.

بعد البسملة وصلاة الفاتح لما أغلق إلخ. : نحمدك يا من فتح بصائر أهل حضرته، فأبصروا نور النبوة في أهل خصوصيته، وسلكوا على المنهج القويم، حتى ظفروا بالوصول إلى النعيم المقيم، ونصلي ونسلم على من رفع الله مقداره، وأشرق في الغياهب أنواره، سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه سادات الأولياء، وعلى كل من والاهم، لينال بذلك رضا مولاهم، ورضي الله عن القطب المكتوم، من فضله لدى الخاص والعام معلوم، كهف الأمان والأماني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، والسلام منا على حبيبنا وصفينا، ورفيع المكانة من قلوبنا، المقدم البركة، المحوط بحفظ الله في كل سكون وحركة، أبي عبد الله سيدي محمد بن العربي العلوي، ورحمة الله تعالى وبركاته وتحياته وزكواته عن مدد سيدنا قطب الأقطاب.

---

(314) الشريف البركة المقدم سيدي محمد بن العربي بن محمد بن المهدي بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن أحمد بن علي بن طاهر بن الحسن بن يوسف بن مولانا علي الشريف العلوي، مقدم الطريقة الأحمدية التجانية بزرهون، ولد بالمدينة المذكورة عام 1250هـ، وكان الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح يلقبه بسلطان المقدمين، وكان رحمه ا جديرا بهذا اللقب، وليا صالحا، ولا يفتر لسانه عن ذكر ا في كل حال، قياما وقعودا وعلى جنبه، حتى أنه إذا دخل بيت الخلاء عض على لسانه خوفا من أن يذكر ا فيه، وكان ورده اليومي من صلاة الفاتح لما أغلق يزيد على 12000 منها بين الليل والنهار، زيادة على الأوراد ونوافل الخيرات. أخذ ورد الطريقة الأحمدية التجانية عن المقدم الشهير سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، ثم أجازه فيها بعد ذلك الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وآخر تقاديمه إجازته من طرف الشريف سيدي محمود التجاني عام 1329هـ، وكانت وفاته رحمه ا بداره بزرهون يوم الثلاثاء 21 شوال عام 1339هـ، انظر ترجمته في نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 2 ص 53-56، وفي نسمات القرب لنفس العلامة ص 29، وفي لوامع الأنوار لنفس العلامة كذلك ص 20.

وبعد : السلام عليك أيها المحب الوفي : فإنا قد أذناك فيما لدينا من الإذن الصحيح، فيما أذن لنا فيه سيدنا الوالد، خليفة سيدنا القطب التجاني في هذه الطريقة المحمدية، وتلقينها لكل من طلبها منك، مع الإطلاق لك في جميع أسرارها وأذكارها، وما لها من الخصوصيات، زيادة على ما لديك من الإذن في التلقين بالتقديم، سائلا من المولى أن يؤيدك بروح القدس، وينفع بك، وعلى يدك، ويجعلك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين، والشهداء والصالحين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، والحمد لله رب العالمين، من الداعي لكم بخير الدارين، المنقوش طابعه أعلاه. وقع بتاريخ ثلاثين ذي القعدة الحرام عام تسعة وعشرين وثلاثمائة وألف. عن إذن صاحب الختم أعلاه مولانا محمود بن البشير بن مولانا الحبيب بن القطب المكتوم أبي العباس مولانا أحمد التجاني، رضي الله عنه وأرضاه آمين. إهـ.

وهذا المقدم الجليل، فاق غيره في حسن السمت، في حالتي النطق والصمت، ذو ورع وديانة، وصيانة وأمانة، يعترف له بالفضل كل من سمع به من الإخوان، ومن عوائده أنه يأتي لفاس في رمضان للإعتكاف بضريح سيدنا رضي الله عنه كل سنة، إلا أنه لكبر سنه وضعفه لم يقدم إليه في هذه السنة، وتأسف على عدم قدومه له الأفاضل من الإخوان، أمننا الله وإياه من أهوال هذا الزمان، آمين.

ترجمة سيدي الطيب بن علال بن العربي برادة

ومنهم ناظر زاوية زرهون، الشاب العفيف، المحب في الجناب الأحمدي، السيد الطيب بن السيد علال بن العربي برادة، بن أخي ناظر زاوية فاس، قام على ساق الجد في إدخال السرور على سيدنا محمود، مع ضعف حاله، وقلة ماله. وقد كان قدم لمكناسة يستعطف سيدنا محمود رضي الله عنه في التوجه لزرهون، باسم النيابة عن الإخوان والأحباب القاطنين به، وخرج لموادعتنا يوم خروجنا من زرهون، وبات معنا بالمحطة الأولى بعين تاسلالت، ورجع قرير العين بدعاء سيدنا محمود، وذلك عنده غاية المقصود، وقد أقره على نظارة الزاوية هناك.

ترجمة العلامة سيدي محمد بن أحمد العلوي(315)

ومنهم علامة الحضرة الزرهونية ومفتيها، حائز قصبة السبق في حلبة المسارعة لإحراز المكارم، أبو المواهب والمحامد، الفاضل الذي يشهد له بالفضل العام والخاص، وحاز المقام العالي بين الخواص، الشريف المنيف، العلامة النقاد الناسك العفيف، سيدي محمد بن أحمد بن إدريس العلوي الإسماعيلي، وهو أول من دخلنا داره، فهش وبش، وقابلنا بغاية الإكرام والإجلال والإعظام. وقد لازمنا مدة إقامتنا هناك. وهذا الشريف قد فاق غيره في التحقيق والتدقيق، وسار في سيره على أقوم طريق. وله تآليف عديدة، وتقاييد مفيدة، وقد أطلعت على أول شرحه النفيس لميمية سيدنا النقيب المسماة : ببغية المستهام، في مدح خير الأنام التي يقول في مطلعها :

إني بدين الغرام راسخ القدم   والله قدره علي في القدم

المسمى : تكميل المرام، في شرح بغية المستهام، وهو شرح يستحق أن يكتب بسواد العيون، وينفق في تحصيله الدر المصون، ومن تآليفه : تمهيد الحجة، إلى تنظيف المحجة، من دنس تمويه معتصبة الأفرنجة، يرد فيه على من زعم أن السد المذكور في القرآن غير موجود على الكرة الأرضية، وقد أبدى العجب العجاب، فيما أتى به من التحقيقات في سد هذا الباب، بألذ خطاب، ومنها : مطية الأبطال، إلى صوب الصواب في مسألة السروال، جمع فيه ما افترق في

---

(315) العلامة القاضي سيدي محمد بن أحمد بن إدريس بن الشريف بن المهدي بن أحمد بن المهدي بن المهدي بن السلطان مولاي إسماعيل العلوي، ولد بمدينة زرهون في فاتح صفر الخير عام 1288هـ، وبهذه المدينة أخذ العلم عن جماعة من الفقهاء منهم : العلامة مولاي الحسن بن الشريف العلوي، والعلامة مولاي الفضيل الإدريسي الشبيهي، والعلامة مفتي زرهون وقتذاك سيدي محمد بن عبد الواحد الإدريسي الشبيهي، ثم توجه لمدينة فاس فأخذ بها عن مجموعة من أفاضل العلماء منهم : العلامة سيدي الحاج محمد فتحا كنون، والعلامة سيدي التهامي كنون، والعلامة سيدي محمد بن التهامي الوزاني، والعلامة المؤرخ سيدي أحمد بن خالد الناصري السلاوي، والعلامة سيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، وغيرهم.

أما وظائفه فقد عين قاضيا بمدينة زرهون بتاريخ 12 ذي القعدة عام 1336هـ، ثم قدم استقالته من هذا المنصب احتجاجا على تدخل السلطات في مسائل القضاء الشرعي بالبلاد، ثم عين بعد ذلك عضوا بمجلس الإستئناف الشرعي الأعلى بالرباط، ثم قاضيا بمدينة مكناس عام 1344هـ، ثم قاضيا بمقصورة السماط بالقرويين بفاس بتاريخ 9 شعبان عام 1346هـ، ثم قاضيا بمدينة وزان بتاريخ 20 ذي القعدة الحرام عام 1350هـ، ثم قاضيا بمكناس عام 1359هـ، وبقي في منصبه الأخير إلى أن توفي رحمه الله صبيحة يوم الجمعة 28 محرم الحرام عام 1367هـ، ودفن بقبة ضريح جده السلطان مولاي إسماعيل. وله مصنفات كثيرة منها : إتحاف النبهاء الأكياس بتحرير فائدة مناقشة القضاة للأوصياء بفاس، وتحرير المقال في منع ما ادعاه جمال الدين ابن مالك على منى من الإهمال، وبلوغ الأمنية بشرح ثالث فصول الأنموذجية، وتمهيد الحجة وتنظيف المحجة من دنس تمويه سياح الأفرنجة، وتكميل المرام في شرح بغية المستهام، للنقيب عبد الرحمان بن زيدان، وتوضيح طرق الرشاد لحسم مادة الإلحاد في حديث صك الرسول المكلم موسى عليه السلام للملك المكرم الموكل بقبض أرواح العباد، وغير ذلك من التصانيف والتقاييد الأخرى.

أنظر ترجمته في إسعاف الإخوان لمحمد السلمي ابن الحاج ص 141-145، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 24.

غيره من الأحاديث والآثار، وسبق غيره في هذا المضمار، وحصل فيه بعد التطويل أن النبي (ﷺ) اشتراه ولم يلبسه، وأتى بما يعضد ذلك من أحكم الدليل.

ومن تحقيقاته ما كتبه لنا في تحقيق الجواب عن الإشكال الذي أوردناه على كلام ابن مالك في المقصور والممدود المتقدم الذكر، ونصه : الحمد لله : ورد علينا الفاضل الأريب، السياسي الأديب، صاحب الخلق الحسن، والطبع المستحسن، والنظم الرائق، والنثر الفائق، العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، فكان من شريف محاضراته أن قال : أشكل عليه حكم ابن مالك في باب المقصور والممدود من خلاصته على الحذاء، بأن مده إنما هو سماعي، لكونه لا نظير له. وإشكاله من وجهين : أحدهما أنا وجدنا له نظيرا موازنا له، وهو "سلاح". ثانيهما أن (حذاء) يجمع على أحذية، وقد تقرر أن مما يطرد فيه المد مفرد أفعلة، قال : وقد أوردت بحثي هذا على بعض من اجتمعت به من علماء مكناسة، فأجاب بأن الذي يطرد جمعه على أفعلة ويكون مده مقيسا هو المذكر، والحذاء مؤنث إهـ.

فقلت للفاضل المذكور : بحثك تركب من شقين : كون حذاء له نظير في وزنه، وكونه مفردا لأفعلة، والجواب المذكور إنما نفع في الثاني، وأما الأول فلازال على حاله. ثم أجبته بأن الشراح أفادوا أنه ليس المعتبر في النظير مجرد الموافقة في الوزن، بل لا بد مع ذلك من اشتراك كل من النظيرين في الإندراج تحت ضابط من الضوابط الآتية، وهي أن يكون كل منهما مصدرا لفعل مبدوء بهمز وصل، أو بهمز قطع، أو "الفعل" بفتحتين حال كونه دالا على صوت أو مرض، أو (لفاعل)، أو مصدرين على (تفعال) بالفتح، أو صفتين على "فعال" بالفتح والتشديد، أو على (مفعال)، أو مفردين لأفعلة قياسا، والسلاح وإن وافق الحذاء الذي هو إسم للنعل في الوزن فلم يشاركه في شيء، أعني في الدخول تحت شيء من الضوابط السابقة.

فإن قلت : إن الإشتراك واقع بينهما في الإسمية أيضا، قلت : الجواب عن ذلك من وجهين : أحدهما أن الإشتراك في مجرد الإسمية ليس هو من الضوابط التي اعتبروها في الحكم، بأن هذا نظير لهذا. ثانيهما : أنه يكفي في الفرق كونه أي الحذاء مؤنثا لا غير، وذلك بخلاف السلاح، فإنه مذكر، وقد يؤنث كما في المصباح، ولوجود الفرق بينهما كان جمع سلاح على أفعلة مقيسا، بخلاف جمع أحذية عليه كما أشير إليه قبل. فإن قلت : رجع هذا الجواب حينئذ إلى الأول ولم يبق له فضل عليه، قلت : فضل ما بين الجوابين أبين من أن يذكر، وأوضح من أن يسطر، فإن الأول قاصر على آخر الضوابط السالفة، وهو قياسية الجمع على أفعلة. وأن السلاح خالفه الحذاء فيها، من غير تعريج على شيء زائد على ذلك. وأما الثاني فقد قرر أولا ما يعتبر عندهم في الحكم على الشيء بأنه نظير لغيره في هذا الباب، وبين ثانيا أن شرط الحكم المذكور مفقود في السلاح، باعتبار كل ضابط من الضوابط السالفة، لا باعتبار خصوص قياسية الجمع على أفعلة. فإن قلت : الأول وإن كان بالحال التي وصفته بها من القصر على ما ذكر لكنه كاف هنا في دفع إيراد أن سلاحا نظير لحذاء، قلت : لو كانت صورة البحث خصوص أن كلا منهما يجمع على أفعلة كان الأمر كما قلتم من كفايته، وأما حيث كانت صورته ما أسلفناه من جعل الباحث الفاضل الملحوظ في الحكم على سلاح بأنه نظير لحذاء مجرد الموافقة في الوزن، وأن اشتراكهما في الجمع على أفعلة شيء زائد على ذلك، فبالضرورة حينئذ لا يكون الجواب الأول كافيا في دفع الإيراد، بل لا غنى عن تتميمه بما أوضحناه، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وكتب لنا أيضا في تحصيل الجواب الذي راج بيننا في قول البوصيري ويح قوم(316) إلخ، ما نصه : حمدا لمن ألهم البيان، وعلم التبيان، وجعل العلم ينمو ويزيد بمفاوضة الإخوان، من الخلان، والصلاة والسلام على سيد ولد عدنان، الآتي بالحجة والبرهان، وبعد : فيقول المفتقر لرحمة اللطيف، محمد ابن أحمد بن إدريس بن الشريف، كان الله تعالى له، فيما يكون وما قد كان، إن مما اختطف من يد الدهر، واغتنمت فرصة اقتطافه من طيب الزهر، ليلة غاب منها الرقيب، واستبشر فيها الكتيب، وضرب المفلس من إسعادها بالسهم المصيب، ليلة اجتمعت فيها بالخلين الأكملين، والفرقدين النيرين، الرافلين في حلل المعارف، المتأثلين من مراكز المجد التالد والطارف، أبي زيد مولانا عبد الرحمان نجل مولانا محمد الحسني الإسماعيلي الزيداني، وأبي العباس سيدي أحمد نجل السيد الحاج العياشي الخزرجي الأنصاري سكيرج، لا زالت ألطاف المولى عليها تعرج، فكان مما أملى فيها من ضروب المعارف، وأفيض من سجال اللطائف، أن بادر المولى الأول وقال : إن قول مادح الأعتاب النبوية البوصيري : ويح قوم إلخ ... قد أشكل من وجهين.

أحدهما أن مقتضى الألفة التي عبر بها في هذا الموضوع، هو دوام الإتصال والملازمة، وعدم الإنفصال، مع أن الجزئيتين اللتين استشهد له شراحه بها في ألفة الضباب والظباء له (ﷺ) ليس فيهما ذلك، وحينئذ فكيف ساغ له التعبير بذلك، ولشارحيه بما أشير إليه هنالك.

ثانيهما : أنه كيف يقول ألفته ضبابها، يعني ضباب مكة، والنبي (ﷺ) يقول : لم يكن - يعني الضب- بأرض قومي، إلخ، ومعلوم أن قومه هم قريش، وأرضهم هي أم القرى، قال : وقد كان خطر لي في حل ثاني وجهي الإشكال أن يقدر المتعلق المنفي في قوله : لم يكن بأرض قومي،

---

(316) هذا اللفظ من همزية الإمام البوصيري، وتمام بيته كتالي :

ويح قوم جفوا نبيا بأرض	ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع إليـ ـه	وقلوه ووده الغربـاء

إلخ... بقولنا مأكولا، وحينئذ لا ينافي ذلك وجودها بها، قال : ثم وجدت هذا الجواب منصوصا، يعني عند شارحه بنيس(317)، والحمد لله على الموافقة.

قال : وأما أول وجهيه فلا زال على حاله عندي، فقلت أنا للمولى المذكور : الجواب عن هذا الوجه أن الألفة هنا إنما هي عبارة عن الإطمئنان والإستئناس، ويقابلها الوحشة التي هي عبارة عن بعد القلوب من المودات وانقطاعها، ولا شبهة أن الضب كالظبي ما أقاما بين يديه (ﷺ) وبالغا في الثناء، وشهدا بالرسالة إلا بعد أن أنسا به، واطمأنا إليه، وانتفت الوحشة عنهما، وهذا هو معنى الألفة كما سبق، وحينئذ فلا درك هنا لا على المادح في التعبير بذلك، ولا على شارحيه في الإستشهاد له بما هنالك.

فإن قلت : والواقع في القضيتين المستشهد بهما إنما هو ألفة ضب واحد، وظبي واحد، فكيف ساغ للمادح الجمع فيهما ؟ قلت : كأنه ألحق في ذلك ما أعطله لسان الحال، بما أفصح عنه النطق والبيان، وقوى ذلك عنده كون الجحود والشقاق، والوحشة والنفاق، مع جانب خواص الله تعالى في أرضه لم تعهد من غير بني آدم والجن. ثم إن كلا من الألفة والوحشة من قبيل المشكل الذي تختلف أفراده، ولا واسطة بينهما، أعني الألفة والوحشة، وما يتخيل واسطة هو راجع عند النظر الصائب، إما للرتبة السفلى من الوحشة، وإما للدنيا من الألفة.

ثم إن الفاضل الثاني أبدى جوابا عن الوجه الثاني أيضا فقال : يمكن أن يكون في كلام المادح شبه استخدام، بأن يكون أطلق الأرض أولا مريدا بها خصوص مكة، وأعاد عليها الضمير ثانيا مريدا بها خصوص الأرض التي هي محل الضباب، كأرض نجد على ما يأتي. ويؤيد ذلك أن بيته المذكور يمكن أن يكون فيه تلميح لبيت الإستخدام المشهور، وهو إذا نزل السماء بأرض قوم إلخ... فعارضه المولى المستشكل بأن المادح قد قال بعد هذا (أخرجوه منها) إلخ... فأعاد الضمير هنا على خصوص أرض مكة، فلو كان الأول لغيرها للزم عليه عدم جريان الضمائر على وتيرة واحدة. قال راقم هذه الأحرف هنا : هذا لا يؤثر خللا في الجواب المذكور، كما أفاده كلامهم في النوع الثاني من الإستخدام الممثل له بقوله :

فسقى الغضى والساكنيه وإن هم   شبوه بين جوانحي وضلوعي

هذا وقصة الضب المشار إلى أن الشراح استشهدوا بها هي ما رواه البيهقي والدارقطني والطبراني والحاكم وابن عساكر وابن عدي، وأورده غير واحد من فحول الأئمة كالقاضي أبي

---

(317) أبو عبد الله محمد بن أحمد بنيس، فقيه، محدث، اختص بعلم الفرائض وبرع فيها، ولد بفاس ليلة الاثنين منتصف رجب سنة 1160هـ، وبها أخذ العلم عن جماعة من خيرة العلماء منهم : شيخ الجماعة أبو عبد الله سيدي محمد بن قاسم جسوس، والعلامة أبو زيد سيدي عبد الرحمان المنجرة، والعلامة أبو عبد الله سيدي محمد بن الحسن البناني، والعلامة سيدي عبد القادر بن شقرون، والعلامة سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي، وغيرهم.
وله مصنفات منها : شرح دقيق على فرائض مختصر خليل سماه : بهجة البصر في شرح فرائض المختصر، وشرح على متن الهمزية سماه : لوامع أنوار الكوكب الدري في شرح همزية الإمام البوصيري، وحاشية على بغية الطلاب في شرح منية الحساب، لابن غازي، وتلخيص وتحصيل ما للأئمة الأعلام في مسائل الحيازة الدائرة بين الحكام. وكانت وفاته رحمه الله بالوباء عام 1214هـ، انظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 204، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 374 رقم الترجمة 1493، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 351 رقم الترجمة 779، وفي معجم المطبوعات لسركيس 593، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 15.

الفضل في الشفاء، والقسطلاني(318) في المواهب، والقاضي أبي الحسن الماوردي(319) واللفظ له في كتاب أعلام النبوة إذ قال : ومن آياته (ﷺ) ما روى ابن عمر عن أبيه عمر رضي الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) كان في محفل من أصحابه، إذ جاء أعرابي قد صاد ضبا، وجعله في كمه ليذهب به فيأكله، فلما رأى الجماعة قال : ما هذا ؟ قالوا : النبي (ﷺ)، فجاء يشق الناس فقال : واللات والعزى آمنت بك، أو يؤمن بك هذا الضب، وأخرج الضب من كمه، فطرحه بين يدي النبي (ﷺ)، فقال رسول الله (ﷺ) : يا ضب، فأجابه الضب بلسان عربي سمعه القوم جميعا، لبيك وسعديك يا زين من يوافي القيامة، قال : من تعبد ؟ قال : الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي الجنة رحمته، وفي النار عذابه، قال : فمن أنا يا ضب ؟ قال : رسول رب العالمين، وخاتم النبيئين، وقد أفلح من صدقك، وخاب من كذبك. فرجع الأعرابي إلى قومه فأخبرهم بالقصة، وكان من بني سليم، فأتى رسول (ﷺ) ألف إنسان منهم، فأمرهم أن يكونوا تحت راية خالد بن الوليد، ولم يؤمن من العرب ألف في وقت واحد غيرهم، صح منه.

---

(318) أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد المالك القسطلاني القتيبي المصري، الإمام العالم العلامة الحجة المحدث المسند، ولد بالقاهرة عام 851هـ، وبها أخذ العلم عن جماعة من الأفاضل منهم : العلامة الحافظ الشاوري، والحافظ السخاوي، وغيرها من الأكابر، وله مصنفات منها : إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، في عشرة أجزاء، والمواهب اللدنية في المنح المحمدية، في السيرة النبوية العطرة، ومنهاج الإبتهاج لشرح مسلم بن الحجاج، في ثمانية أجزاء، ونفائس الأنفاس في الصحبة واللباس، في علم التصوف، ولطائف الإشارات في علم القراءات، والكنز، في علم التجويد، واختصار الضوء اللامع لشيخه السخاوي، والروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر، وغير ذلك من الكتب والتقاييد الأخرى.

وكانت وفاته رحمه ا بموطنه بالقاهرة عام 923هـ، انظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 967-970، رقم الترجمة 546، وفي الكواكب السائرة لنجم الدين الغزي ج 1 ص 126، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 2 ص 103، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 6 ص 11، وفي النور السافر لابن العيدروس ص 113، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 420 رقم الترجمة 913، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 232، وفي البدر الطالع للشوكاني ج 1 ص 102.

(319) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي، أقضى قضاة عصره، ولد بالبصرة عام 364 هـ، ثم انتقل إلى بغداد، وكان واسع التبحر في العلوم، سيما الفقه والأصول والتاريخ والسياسة والأدب، وله تآليف كثيرة منها : الحاوي في فقه الشافعية، في عشر مجلدات، والأحكام السلطانية، وأعلام النبوة، وأدب الدنيا والدين، والنكت والعيون، في ثلاث مجلدات، ونصيحة الملوك، وغير ذلك من الكتب الأخرى.

وكانت وفاته رحمه ا عام 450هـ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 3 ص 303 ، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 3 ص 285، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 327، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 387 رقم الترجمة 835.

وهذا الحديث ادعى ابن دحية(320) أنه موضوع، لكن قال في المواهب : ليس فيه ما ينكر شرعا، خصوصا وقد رواه الأئمة، فمن أين أتاه الضعف إهـ. نقله في مطالع المسرات وأقره، ثم إن ظاهر سياق هذه القصة، وقوله فيها فلما رأى الجماعة قال : ما هذا ؟ مع قوله : فأمرهم أن يكونوا تحت راية خالد إلخ. أنها وقعت في بعض البلاد التي غزاها (ﷺ)، وأن ذلك إنما كان بعد غزوة أحد، وذلك لأن خالدا إنما أسلم بعدها. ومن المعلوم أن جميع مغازيه (ﷺ) إنما كانت بعد الهجرة، ولعل هذه الغزوة هي التي روى فيها أبو داود وابن ماجه، واللفظ للأول : كنا مع رسول الله (ﷺ) في جيش، فأصبنا ضبابا، قال : فشويت منها ضبا، فأتيت رسول الله (ﷺ) فوضعته بين يديه، قال : فأخذ عودا فعد به أصابعه، ثم قال : إن أمة من بني إسرائيل مسخت دوابا في الأرض، ولا أدري أي الدواب هي ؟ قال : فلم يأكل ولم ينه.

وفي رواية ابن ماجه : كنا مع النبي (ﷺ)، فأصاب الناس ضبابا، فاشتووها وأكلوا منها، فأصبت منها ضبا فشويته، الحديث. وهذا كله يؤيد نفي المعارضة بين الحديثين، ولو أبقينا حديث: "لم يكن بأرض" إلخ ... على ظاهره من كون التقدير : لم يكن موجودا إلخ ... إذ قد تبين أن قصة ألف الضب له (ﷺ) ظاهر سياقها، والقرائن الخارجية أنها في غير أرض قومه، كما يؤيد أيضا جواب الفاضل الثاني، ويزيف جواب الشيخ بنيس المذكور سابقا، لأنه انبنى على تسليم أن القصة المذكورة وقعت بأرض قومه عليه السلام، وأن الضباب موجودون بها، وقد علمت أن ذلك لا دليل عليه، بل أفاد سياق القصة خلافه. ويعضد ذلك أيضا ما مر من قول صاحب المواهب : ليس فيه ما ينكر إلخ ... لأن صاحب المواهب هو أحد شراح البخاري، فهو لا يجهل ما تكرر فيه من حديث : لم يكن بأرض قومي، فدل ذلك أنه إنما نفى ما ينكر عن حديث شهادة الضب، علما منه بأن قصته بأرض قومه. وأما كونه يقول بتقديره مأكولا في حديث : لم يكن إلخ ... فهذا شيء ما رأيناه عرج عليه في شرح البخاري.

وقد ساق ابن ماجه الحديث على ما في النسخ المطبوعة بلفظ : لم يكن بأرضي فأجدني إلخ. وأما أبو داود فرواه بلفظ البخاري السابق، وكذا مسلم في بعض رواياته، وعنده في رواية أخرى : هذا لحم لم آكله قط، وفي رواية له أخرى : ولكنه ليس من طعامي، والآتي بالضب الذي أبى أكله (ﷺ) هي أم حفيدة أخت أم المؤمنين ميمونة، أتت به من نجد كما في بعض روايات مسلم وغيره، ونجد ليس من الحجاز، بل هو ما ارتفع من تهامة من أرض العرب الموالية للعراق. قلت : وتلخيص ما سبق وتقريب المقصود منه أن الكلام في مقامين : هل بين الحديثين معارضة ؟ فيحتاج للجواب عنها، وقد علمت أن الذي أفاده ظاهر القصة أنها لم تقع بمكة، فلا داعي لإخراج حديث : لم يكن بأرض قومي إلخ ... عن ظاهره. المقام الثاني أنه حيث لم يكن له صارف عن الظاهر، وأنه لا دليل على وجود الضباب بمكة، فكيف أثبت المادح وجودها فيها، وزاد أنها ألفته. وقد بان لك مما سلف أن الأولى في الجواب هو تخريج كلامه على منحى الإستخدام، لما لزم على الجواب بتأويل حديث لم يكن إلخ...بأن يقدر فيه (مأكولا) من تسليم وجودها بها، وذلك مع

---

(320) أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن محمد المشهور بابن دحية الكلبي، حافظ للحديث، أديب ومؤرخ، ولد ببلاد الأندلس عام 544هـ، وتوفي بالقاهرة عام 633هـ، من مصنفاته : المطرب من أشعار أهل المغرب، والنبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، والتنوير في مولد السراج المنير، وعلم النصر المبين في المفاضلة بين أهل صفين، ونهاية السول في خصائص الرسول، وغير ذلك من المؤلفات الأخرى.
انظر ترجمته في شذرات الذهب لابن العماء ج 5 ص 160، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 292، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 381، وفي نفح الطيب للمقري ج 1 ص 368، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 44، وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 2 ص 252.

كونه لا دليل عليه فيه مفسدة فتح باب المعارضة بين الحديثين، مع وجود المندوحة عن ذلك. فهذا ما أبرزه النظر القاصر، والفكر الفاتر، والسلام، فقال سيدنا النقيب عند تأمله وإمعان النظر فيه : أما دفع إيراد تشتيت الضمائر الذي هو من المخلات بالفصاحة بالقياس على قول البحتري(321)

فسقى الغضى والساكنيه وإن هم   شبوه بين جوانحي وضلوعي

فذلك قياس مع الفارق، وبيانه أن الطريقة الثانية التي أوتي بالبيت شاهدا عليها هي طريقة الشيخ بدر الدين بن جمال الدين بن مالك(322) رحمه الله تعالى في المصباح، وهي أن الإستخدام إطلاق لفظ مشترك بين معنيين، ثم يأتي بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين، ومن الآخر المعنى الآخر، ثم إن اللفظين قد يكونا متأخرين عن اللفظ المشترك، وقد يكونا متقدمين، وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما، والطريقتان راجعتان إلى مقصود واحد، وهو استعمال المعنيين، وأين هذا مما كلامنا فيه؟ إهـ.. أما المعارضة فلا نقول أنها بين الحديثين، وإنما هي بين حديث لم يكن بأرض قومي إلخ... مع قول المادح : ألفته ضبابها والظباء، وهي لازالت قائمة على ساق لم يكد يدفعها ما سطر في هذه الأوراق، ونحن أيضا كالشيخ بنيس لا نبنيها على وقوع القضية المشار إليها بمكة حتى تزول المعارضة بما قررتم.

ومن الجلي الذي لا يرتاب فيه اثنان أنه لا يلزم من وقوعها بغير مكة كون الضباب ليست بمكة، ولولا أن الشيخ بنيس ثبت لديه وجود الضب بمكة ما احتاج إلى تقدير المتعلق مأكولا، وعليه فيكون حافظا، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، ولاشك أن رواية : هذا لحم لم آكله قط، ورواية : ولكنه ليس من طعامي، كادتا أن تكونا صريحتين فيما أول به الشيخ بنيس، على أننا أخبرنا من الثقاة بوجود الضباب بمكة، وعليه فيتعين تأويل الحديث قطعا.

---

(321) الوليد بن عبيد بن يحي الطائي البحتري، من خيرة شعراء العرب، ولد عام 206 هـ، وتوفي عام 284 هـ، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم، المتنبي، وأبو تمام، والبحتري، وقيل لأبي العلاء المعري : أي الثلاثة أشعرþ فقال المتنبي وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 2 ص 175، وفي الأعلام للزركلي ج8 ص121، وفي معاهد التنصيص للعباسي ج1 ص 234.

(322) بدر الدين أبو عبد ا محمد بن محمد بن عبد ا بن مالك الطائي، نحوي مشهور، وهو ابن ناظم الألفية، في علم النحو، ولد بدمشق، وبها توفي عام 686 هـ، من مصنفاته : المصباح، في علمي المعاني والبيان، وشرح ألفية والده المشهورة في علم النحو، وشرح لامية الأفعال، وروض الأذهان، في علم المعاني، وغير ذلك من التآليف الأخرى.
انظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج7 ص 383، وفي بغية الوعاة للسيوطي ص96، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج5 ص398، وفي الأعلام للزركلي ج7 ص 31، وفي معجم المطبوعات لسركيس 234.

ثم كتب لنا بعد ذلك صاحب الترجمة رعاه الله ما نصه : قال الأبي(323) قال القرطبي : الضب جرذون كبير يكون بالصحراء، ثم قال: ولكنه لم يكن بأرض قومي: يعني بأرض قومه مكة، وقيل : إنه موجود بمكة، لكنه قليل ولا يأكلونه، ثم قال : دعانا عروس بالمدينة فقرب إلينا ثلاثة عشر ضبا إلخ ... عياض(324) : هذا دليل على أن أكله كان معروفا مشهورا عندهم، صح منه، وقد اقترح علي استعمال قصيدة في مدح الحضرة الإدريسية بزرهون، فأنشأت هذه الأبيات في مدح ذلك الطالع الميمون :

سر بي لأهل الفضل من زرهون ... واقصد مقام الطالع الميمون

شمس البلاد وفاتح الغرب الذي ... وافى لهم بالجوهر المكنون

وافى لهم بالفتح فانكشفت به ... غمم ووفى بالهدى المسنون

مولاي إدريس بن عبد الله من ... شهدت له بالفضل أهل الدين

أما العداة فقد أصيبوا كلهم ... بسهام ذل منه بعد جنون

فمحبه وعدوه قد أصبحا ... كل به في دهشة المفتون

أما المحب فقد سباه جماله ... وعدوه قد صار رهن الهون

فانظر لذاك فإنه نال الرضى ... وانظر لذا فهلاكه في الحين

إن الرضى إدريس قد فاق السوى ... في الفضل والعرفان والتمكين

ما أمه ذو حاجة إلا غدا ... بمناه في المحيا وبعد منون

لم يخش سوءا من يحل حماه من ... بين الورى ويرى قرير عيون

فمقامه كمقام إبراهيم من ... قد حله يكفيه كل مئون

فاقصده فيما تبتغيه تناله ... وتصير مأمونا رفيع شؤون

وقل السلام عليك يا ابن المصطفى ... فبجاهك العالي تزول شجوني

والله أسأل أن يحفك بالرضى ... وبفضله يعلو منار الدين

ترجمة مؤذن الضريح الإدريسي

ومنهم الشريف المنيف البركة، المنبسط بالمباسطة التي هي لكل قلب رقيق محركة، مؤذن الضريح الإدريسي، الفقيه الأجل سيدي محمد بن عبد الهادي العلوي، وهو من المحبين في الطريقة، وله باع عريض في علم التوقيت والحساب والفرائض. وقد تذاكرنا في مسائل فقهية وحسابية، منها : هل الواحد عدد أولا ؟ وقد سلكت معه مسلك من يقول : إنه عدد لكون حد العدد يصدق عليه، وهو نصف مجموع حاشيتيه العليا والسفلى، مثل الثلاثة فهي نصف الستة التي هي

---

(323) محمد بن خلفة بن عمر الأبي الوشتاتي المالكي، من حفاظ الحديث، له مصنفات منها : إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم، في سبعة أجزاء، في شرح صحيح الإمام مسلم، جمع فيه بين المازري وعياض والقرطبي والنووي مع زيادات من كلام شيخه ابن عرفة، وكانت وفاته رحمه ا عام 827 هـ بتونس، أنظر ترجمته في البدر الطالع للشوكاني ج 2 ص 169، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 244 رقم الترجمة 874، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 296 رقم الترجمة 664، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 115.

(324) إشارة للعالم الجليل أبي الفيض عياض بن موسى اليحصبي، وقد سبق التعريف به في ج 1 ص 91 من هذا المجموع.

مجموع الأربعة والإثنين، الذين هما الحاشيتان، وكذلك الواحد نصف مجموع حاشيتي كسره، مثل النصف فهو حاشية سفلى للواحد، والحاشية العليا واحد ونصف، ومجموعهما اثنان، ونصفهما واحد، وهو عدد بهذا الاعتبار. وقد سألني عن بعض مسائل الخنثى، فأجبته بما هو منصوص لديهم في ذلك، وأوقفته على الأرجوزة التي نظمتها في الخنثى، ونصها :

يا طالبا أقسام حكم الخنثى	وهي بفرجي ذكر وأنثى
فاسمع لما أمليه من أقسام	ومن علامات ومن أحكام
يتضح الخنثى من الأشكال	بعشر أشياء بلا إشكال
ببوله من أحد الفرجين أو	كثرته أو سبقه فيما حكوا
والحيض مع ولادة مني	كذا نبات لحية أو ثدي
وشهوة منه على المعتاد	ومثله الأضلاع بالتعداد
وإن يبل من جهتين أنثى	فنصف حظي ذكر وأنثى
وخمس أقسام أتت لخنثى	ذات الذكورة وذات الأنثى
تأخذ نصف حظ كلتا الحالتين	فيما إذا اختلف إرث الجهتين
وإن ترث من جهة ومنعت	من جهة بنصف إرث قنعت
وإن تساوى الإرث في الحالين	فإرثها يكمل دون مين
وعندهم ما دام خنثى مشكلا	منع مناكحته بين الملا
فإن يلد من بطنه وظهره	فإنه يرث مثل غيره
فهو يرى أبا لنسل صلبه	وأم من ببطنه فانتبه
وإن يمت فالمال للأولاد	بالإرث مطلقا على المعتاد
وبين من من بطنه وظهره	يمتنع الميراث حقا فادره
ولا نكاح بينهم ولا ولا	وعتقه يرى عليهم مسجلا
وإن بوطئه لنفسه ولد	فحكم الأولاد أشقا اطرد
ومعلن بتركه التكلما	مع الذكور والإناث قسما
بحيث إن كلم خنثى مشكلا	كما عليه نص بعض الفضلا
ويدخل الأنثى على ما ذكرا	بعض الشيوخ للجنان ذكرا
وجازت الأضحى بخنثى مشكل	من غنم وبقر وإبل

وقد أنشدته لغز الشريف العلوي مولاي عبد السلام المحب(325) الأديب اللغوي

يا فرد في علم الفرا	ئض قد غدا من دون ثان
ما ذا تقول حفظت في	أخوين لا يتوارثان
مع أنه لا منع مو	جود عن التوريث ثان
فأجب بحل المشكلا	ت ألذ من نغم المثاني

ومحصل اللغز : أخوان لا يتوارثان، مع أنهما لا مانع موجود من موانع الإرث بينهما، والجواب خنثى وطئ امرأة فأولدها، ووطئه ذكر فأولده، فالولدان أخوان لا يتوارثان، وفي ذلك قلت مجيبا :

يا حائزا قصب السبا	ق لنظم ياقوت المعاني
ألغزت في خنثى له	ولدان لا يثوارثان
فلواحد أما غدا	وأبا لآخر بالبيان
من مات من هذين لا	ميراث منه يرى لثان
هذا جوابي وهو من	خزف ونظمك من جمان
فاقبله يا بدر العلا	لازلت تحظى بالأمان

ومما ذكره لنا أن الديك من الدجاج إذا رأى في المحل الذي هو به من يقوم في الفجر، فإنه إذا حضر الوقت ولم يقم يأتي إلى بابه ويصير يصوت، كأنه مؤذن، وقد جرب ذلك مرارا، كما أنه يراه في وقت الفجر يؤذن بصوته اثنى عشر مرة، وكذلك عند الزوال، وأما ما بينهما فلا يعدها عدا، بل يصوت من غير تتابع.

ترجمة سيدي محمد بن الوافي بن عمر الزعيمي

ومنهم البركة الأشيب، الشريف سيدي محمد بن الوافي بن عمر الزعيمي الحسيني الزرهوني، وهو من الفقراء التجانيين، أخبرني أن والده قد أخذ الطريقة مباشرة عن سيدنا رضي الله عنه، وقد كاد أن يطير فرحا برؤية سيدنا محمود، وحمد الله على ذلك.

---

(325) مولاي عبد السلام المحب العلوي، أديب، شاعر، فقيه جليل، ولد بمدينة فاس، وبها أخذ العلم عن جماعة من أعيان العلماء، فبرز نجمه في علوم وفنون كثيرة، وتولى الكتابة مدة على عهد السلطانين المولى عبد العزيز وأخيه المولى عبد الحفيظ، ومن مصنفاته : مقامتان على طريقة المقامات الحريرية، وكانت وفاته رحمه ا في أوائل شهر شوال عام 1331هـ، ورثاه الأديب الكاتب محمد غريط بقصيدة قال في مطلعها :

نغالط بالآمال والحكم واجب	ونستوهب الإمهال والعمر ذاهب
ولولا أمانينا وحجب نفوسنـا	عن الغيب ما لذت لدينا مشارب

أنظر ترجمة في فواصل الجمان لمحمد غريط ص 224-306، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 7.

وأنشدني فيه متمثلا بهذه الأبيات في مدح سيدنا القطب التجاني، من إنشاء البركة الأفضل، الشريف سيدي أحمد السفياني(326) رحمه الله، تلقاها منه مشافهة، وهي وإن لم تكن على طريقة العروض، فلا بأس بذكرها، ونصها :

وجب الشكر علينا	في مساء وصباح
أشرقت شمسه فينا	كالشموس في الضواح
يراها من كان منا	سالم العقل وصاح
تجاني فضل علينا	دليل للخير لاح
قال إن تلزم حمانا	تقطف زهر البطاح
فلتكن تطلب رضانا	ففيه كل النجاح
فوق ما تظن فينا	من كمال الفضل صاح
وجب الشكر علينا	في مساء وصباح

وقد طلب مني أن أبين له كيفية عمل الكحل المنسوب لسيدنا رضي الله عنه، فأفدته بأنه يرمز عليه بأبيضين وأسودين وأحمرين وأزرقين، وتفسير ذلك : شب ونشادر، فإبزار وعود النوار، فحديدة حمراء، وزعفران، فحديدة زرقاء، وزنجار على وزن واحد، بعد الدق الجيد، ويوزن الجميع بالإثمد بعد دقه، ويلث الجميع بماء ليمون، يدق ويجعل في بيضة فارغة، تجعل في الكسكاس حتى يعلم بجفافه، ثم يدق ويستعمل، فإنه يزيل الماء النازل بالعين وغيره من أضراره. وقد ذكر لي صاحب الترجمة أنه لما أخذ طريقة سيدنا رضي الله عنه فرح والده غاية الفرح، وقال له : الآن أنت ولدي حقا، فقد كنت طلبت من الله بجاه الشيخ أن ينعم علي بعشرة أولاد، كلهم يكونون من أصحاب الشيخ رضي الله عنه. قال : وقد استجاب الله دعائه، فقد أخذ إخوته العشرة هذه الطريقة المحمدية.

(326) أبو العباس سيدي أحمد بن المقدم الجليل سيدي الطيب السفياني، كان متفانيا في محبة الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا تعالى عنه، وله في مدحه منظومات عديدة ما بين موزون وملحون، وهو من مواليد مدينة فاس عام 1217هـ، وبها كانت وفاته رحمه ا يوم الاثنين 2 صفر الخير عام 1286هـ، ودفن بجانب قبر والده بجبل زعفران خارج باب عجيسة إحدى أبواب مدينة فاس، انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 185-188، وفي رفع النقاب لنفس العلامة ج 2 ص 249-254، وفي نخبة الإتحاف للفقيه الحجوجي رقم الترجمة 21.

ترجمة مولاي عبد الرحمان العلوي(327)

ومنهم العدل الزكي، النزيه الذكي، الشريف المنيف، أبو زيد مولاي عبد الرحمان بن عمر العلوي، أخو شيخنا العلامة الأجل، القاضي الأفضل المبجل، مولاي عبد السلام بن عمر العلوي(328) نسبا، التجاني طريقة، قد استوطن بزرهون محل مسقط رأسه مع أخيه، إلا أن الثاني استوطن فاسا، تلقى الطريقة عن الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح، رضي الله عنه.
ومما أنشدني من حفظه لأديب مكناسة الفقيه الكاتب سيدي محمد بن المعطي المسطاري(329) رحمه الله قوله :

اسق بدر التم جما ... به يزداد نشاطا
عله يرنو إذا ما ... زاده الوصل اغتباطا
فبه رن المثاني ... روقت هذا البساطا

وأنشدني لبعضهم أيضا :

سبحان من قسم الحظو ... ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو ... بصر وزرقاء اليمامه

وأنشدني من حفظه ناقلا لها من العلوم الفاخرة :

أسير الخطايا عند بابك واقف ... على وجل مما به أنت عارف
يخاف ذنوبا لم يغب عنك غيبها ... ويرجوك فيها فهو راج وخائف
ومن ذا الذي يرجو سواك ويتقي ... وما لك في فصل القضاء مخالف
فيا مالكي لا تخزني في صحيفتي ... إذا نشرت يوم الحساب الصحائف
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما ... يصد ذوو الدنيا ويجفو الموالف
لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي ... أرجي لإتلافي فإني لتالف
وحاشاك يا مولاي تقطع راجيا ... على بابك المأمول قبله واقف

---

(327) هو الفقيه العدل الشريف أبو زيد سيدي عبد الرحمان بن عمر بن هاشم بن محمد بن محمد فتحا بن بوزكري بن يوسف بن الحسن بن مولانا علي الشريف العلوي المدغري نسبا، الزرهوني ولادة وقرارا ووفاة، وهو من خالص المنتمين للطريقة الأحمدية التجانية، وله فيها محبة كبيرة، وقد أخذها على يد العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح.

(328) سبق التعريف به في ج 1 ص 25 من هذا المجموع.

(329) محمد بن الأمين السيد المعطي المسطاري المكناسي، فقيه، عدل، موثق، ماهر، فرضي، جليل، أديب، أخذ عن جماعة من أعلام مدينة مكناس، وعمدته فيهم العلامة الشيخ عبد الرحمان بصري، وكانت وفاته رحمه ا في أواسط جمادى الأخيرة عام 1305هـ، ودفن بصحن روضة الولي الصالح مولاي عبد ا بن أحمد بمكناس، انظر ترجمته في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 4 ص 268-271.

ترجمة مولاي العربي بن هاشم العلوي

ومنهم خليفة سيدنا النقيب بزرهون، الشريف الأصيل، مولاي العربي بن هاشم العلوي قد لازمنا مدة إقامتنا، ولم يقصر في البرور، وقد أثنى لي عليه سيدنا النقيب، بأنه رجل جد في مصارفته، مشتغل بما يعنيه. وقد تفرست فيه هذا أيضا، مع كونه لا يبالي بنفسه، من استعمال التؤدة والترفه في لباسه، ولا يمتاز بشيء عن أناسه، ولا شك أنه مستحق لما اختاره إليه سيدنا النقيب، من تقديمه على البعيد من أولاد أعمامه والقريب، وما ذاك إلا لحسن تصرفه ومعاملته ساداتنا الشرفاء بالرفق واللين.

ترجمة سيدي محمد بن المامون العلوي

ومنهم الشريف الأصيل، الفاضل الجليل، تحفة الشرفاء، وواسطة عقد الظرفاء، الأنيس المطرب، سيدي محمد بن المامون العلوي الإسماعيلي، من خاصة أصحاب سيدنا رضي الله عنه، وكفاك فيه أنه يعمر جل أوقاته بالتلذذ بذكر مناقب سيدنا رضي الله عنه، مع ما رآه من الكرامات التي يشاهدها في جميع أموره، يقظة ومناما، وقد ذكر لي أنه رأى رؤيا بعدما كان يتراخى عن القيام لصلاة الصبح في وقتها، فرأى قائلا يقول له : إذا أردت أن تكون من أهل (حي على الفلاح) فلازم القيام لصلاة الفجر، فمن ذلك الوقت لازم القيام للصلاة في ذلك الوقت. وهذا الشريف ذو انبساط تام، ما جالس أحدا إلا أدخل عليه السرور، بلطيف حديثه الممزوج بالجد والهزل، الدال على طيب الأعراق والأصل. وله همة عالية، وشيم غالية، زاد الله في معناه آمين.

الخرج من زرهون والتوجه إلى الشراردة

وفي يوم الأحد رابع ذي حجة، خرجنا من زرهون، وقبل ركوبنا استعملت هذين البيتين، بمحضر سيدنا النقيب وجماعة من أعيان ساداتنا الشرفاء العلويين بها، وهما :

أستودع الله زرهونا وساكنها ... ومن يجاورها وأهل مكناس
والصحب والأهل والإخوان كلهم ... ومن أحبهم من ساكني فاس

وكان خروج سيدنا محمود في الساعة الخامسة صباحا، ونزل بقصر فرعون مع أهله، بعد ما ضربت له قبة صغيرة، ولما خرجنا في الساعة الثامنة من باب الحجر، ووصلنا للقصر المذكور، بقينا هناك إلى الساعة الحادية عشرة، فركب سيدنا محمود، وركبنا، بعدما استودعنا الفقيه الأديب السيد عمر الربعي ليرجع لفاس، لما حصل له من الضعف عن السفر، وليشتغل بقراءة العلم الشريف في الحضر. وكنت كتبت معه هذه الأبيات ليدفعها إلى أحبائنا من أهل فاس، ونصها :

بأي لسان عن جواي(331) أترجم	ومن ولهي(330) أصبحت لا أتكلم
فيعذلني من صار يجهل حالتي	ويعذرني من صار للحال يعلم
وكم قد كتمت الشوق والشوق زائد	ومن كان مثلي كيف يقدر يكتم
فأشكو إلى المولى زمانا أضر بـي	ببعدي عن الأحباب واللـه أعـلـم
فكنت قرير العين حين رأيتهم	فأبعدني عنهم قضاء محتم
ولم أرى إلا أن أسلم للـقـضـا	عسى باجتماع الشمل أحظى وأغنـم(332)
ألحبابنا يا أهل فاس ومن بها	أقام اسألوا لي الله بالقرب يرحم
فما باختياري فرق الدهر بيننا	وقلبي لديكم طول عمري مخيم
أظل نهاري في اضطراب مهيج	لشوق شوى قلبي وجسمي مكلم
سلوا إن سلوتم(335) أنتم عن محبكم	نجوما بأفقي فهي عني تترجم
فتخبركم أني أبيت مناجيا	لها في الدجى(333) والشوق في القلب يضرم
وفي كل ليل عند نومي يزيدني	سهادا(334) شهودي باهر الحسن منكم
فأشهد ساعات مضت في مجالس	بها في مجال الأنس قلبي مغرم
فلست بناس بين ناسي أنسكم	ولا أتسلى طول بعدي عنكم
فبالله لا تنسوا محبكم الذي	سلامته مهما عليه تسلموا
ودوموا وحفظ الله يشمل جمعكم	إلى أن أراكم سالمين فأسلم

ثم إننا سرنا قاصدين الشراردة، ومررنا على عين الشكور، وشاهدنا في طريقنا أثر بناءات قديمة بالحجر المنجور، تشبه أثر بناءات القصر المذكور، وقد تلقتنا بالطريق الأحباب والإخوان، جماعة فجماعة، راكبين على خيولهم المسومة، وكان اليوم خفيف المطر، وكادت الشراردة كلها أن تطير فرحا لقدومنا، إلى أن وصلنا لعين تاسلالت، وبها محل القائد الأسعد، الفاضل الأمجد، السيد المختار بن علي الشرادي الدليمي، وهذه العين من أعذب العيون ماء، ومحلها أطيب هواء، ذكر لنا القائد المذكور أن جميع من مر من الأجانب على طريقها يسقي منها، ويثني عليها، ويصفها بأنه لا يوجد مثلها في العذوبة والخفة في قطر من الأقطار، ويوجهون من يسقى لهم من الأماكن البعيدة من نحو ساعتين. وذكر لنا أيضا أن هذه العين كانت تسمى بعين الصلاة، لكون المولى إدريس رضي الله عنه صلى بها يوم قدومه للمغرب، والله أعلم. وقد تلقانا القائد المذكور مع قبيلته التي كانت تحت حكمه، وقدم هدية لسيدنا محمود فرسا سليمانيا، لطيف الروح، يعشقه الناظر، وقد قابله بالقبول، ودعا له ببلوغ غاية السول.

---

(330) ولهي : من الوله وهو التحير من شدة الوجد
(331) جواي : من الجوى وهو شدة الوجد والعشق
(332) أغنم : أفوز بلا بدل
(333) الدجى : مفرد دياجي وهو الليل المظلم
(334) سهادا : من السهد وهو الأرق
(335) سلوتم : من السلو بمعنى إن حاولتم نسيانه

وقد تلقانا أيضا القائد الأجل، الفاضل المبجل، الفقيه السيد منصور بن البشير الشرادي الدليمي الشنكلي، وهو القائد الآن على قبيلة الشراردة، مع وجهاء قبيلته التي يحكم عليها، ومعه كاتبه الفقيه الأجل، الفاضل المبجل، الشريف سيدي عبد السلام بن محمد بن العربي العمراني، وإيالة هذا القائد هي المعروفة بأولاد دليم، اشتملت على ثلاث عشرة فخذة، ويعبر عنها بالمائة، وهي فخذته الشناكلة، وأولاد شاكر، وأولاد فضيلة، والعناترة، والعطاطفة، وأولاد المرابط، وأولاد ذراع، وأولاد عمر بفخذاتهم الثلاث وهم : أولاد جبارة، وأولاد بوكير، وأولاد يخلف، وأولاد زيان، وأولاد مريم، وأولاد عمار، والسكارنة، ونصف عنانرة خنيفرات، وقد جاءت وجهاؤهم وأكابرهم وأقاموا ملاعب الخيل قدام سيدنا محمود، ووراءه حلبة مجلبة، والعيون شاخصة إليه، والكل يتمنى تقبيل يديه ورجليه، إلى أن حططنا الرحال، أمام هؤلاء الرجال، قرب العين المذكور.

ومن جملة من جاء لملاقاتنا، المحب الأسعد، القائد الأمجد، السيد المكي بن المبارك العمري الشرادي، وكان أولا تلقى لسيدنا محمود بزرهون، ونال من دعائه الصالح ما تقر به العيون. وكان نزولنا في الساعة الثانية بعد الزوال، وجاء الإخوان من كل ناحية فرحين بقدوم سيدنا محمود، والمطر مسترسل السيلان منذ شرعنا في المسير إلى أن حططنا المطايا، وبين العشائين ركبنا مع سيدنا محمود وذهبنا لبيت القائد المختار، بعد أن استدعى لديه القائدين المذكورين مع حاشيتهما. وقد أصلح سيدنا محمود ما كان بينهم من التفاقم، وانتفت أضغانهم، بعدما كانوا في تنافر زائد، فسكنت قلوبهم، واطمأنت صدورهم، وقاموا من بين يديه على قلب واحد، يشكر بعضهم بعضا، ويظهرون التسامح فيما مضى، أدام الله ألفتهم.

ثم رجعنا لمحل نزولنا، فبتنا ليلتنا في أمن وأمان، بعد أن فرق القائد منصور العسة على الطرق، للمحافظة لما عسى أن يطرق، ويتفقدها المرة بعد الأخرى بنفسه، وضرب قرب قباب نزولنا قبتين مشيدتين، فكانت العسة يناجي بعضهم بعضا للتيقظ، والأمطار هاطلة، وقد أشفق لحالهم سيدنا محمود، إلا أنه تركهم على ما هم عليه، احتياطا لما يطرأ من الحوادث الليلية، داعيا لهم بأن يبقي المولى عليهم ستره الجميل، ويجازيهم بالثواب الجزيل. وقد أصبح في وجهنا يوم الإثنين، والأمطار هاطلة، والضباب ساتر للأفق، وستر جميع الطرق، وبات معنا سيدنا النقيب، فطابت تلك الليلة بإيناسه. ولما أصبح كتب هذين البيتين :

أستودع الله من في مهجتي ظعنوا	لكنهم في سواد القلب قد قطنوا
راحوا بروحي ولكن خلفوا شبحي	يصلى بنار الجوى وللحشا طعنوا

وكتب أيضا هذين البيتين :

أودعكم والله يعلم أنني	على حبكم طول الزمان مقيم
وأستودع الله الكريم جمالكم	وأسأل وصلا بالقلوب يدوم

ورام موادعتنا بعد طلوع النهار ليرجع إلى مكناسة، وقد استعمل هذه الأبيات يخاطبنا بها، معربا عن صدق وداده ومحبته الصادقة في جانبنا، والفضل له على كل حال.

أحمد المرتضى حليف المعالي	كوكب العلم في سراة الرجال
حال حالي بعد البعاد ومالي	من تسل إذ غيركم ما حلا لي
بان من بينكم هيامي ووجدي	فبحق الوداد رقوا لحالي
ما عليكم إذا وصلتم وصلتم	قلب صب متيم بالجمال
في هواكم هوى زمان التصابي	فارحموه ولو بطيف خيال
عيل صبرا وعلل القلب منه	باشتياق على ممر الليالي
قربكم راحة النفوس فجودوا	دمتم في الورى بدور كمال

وقد يسر الله إقامته معنا في هذا اليوم الذي ازددنا فيه أنسا بوجوده، نظر الله إليه بعين عنايته، وبسط له موائد فضله وجوده، آمين. وقد كتبت له مجيبا عن أبياته اللطيفة، بهذه القطعة المفروغة في قالب التغزل الذي تستحليه نفسه الشريفة، ونصها :

ما على من غدا أسير الجمال	أن يرى يقظانا بطول الليالي
فيناجي النجوم وهي تناجيه	إلى أن ينال طيب وصال
فيوافيه من يحب كما شاء	ويحظى بسائر الآمال
وإذا ما ادعى المحبة وارتا	ح إلى غيره غدا في ضلال
إنما الحب أن تدوم على العهد	ولا تلتفت إلى العذال(336)
وترى دائما تراعي ودادا	قد عهدناه منك بين الرجال
أيها السيد النقيب ومن في	حبه لا أزال رهن خبال(337)
أنت عندي والله ساكن قلبي	في حضوري بين الورى وارتحالي
ومرادي بأن تدوم على صدق ودادي لازالت بدر كمال	

ولما استقر بنا المجلس بعد القيام، ونوينا المقام في هذا المقام، أخذ القلم بين أنامله، وخمس الأبيات التي أنشدها لنا الرفيق الأسعد، سيدي الحاج محمد دادي في بعض محافله، ونص الجميع :

لي في هواك علامه	نفت علي الملامه
فاسقي المحب مدامه	يا ظاعنا(338) بسلامه
مصحوبة بكرامه	

(336) العذال : أهل الملامة
(337) الخبال : الجنون
(338) ظاعنا : سائرا وراحلا

حركت ساكن حبي ورحت مني بلبي
فاسمح إلي بقرب جددت لوعة قلب
تركته وهيامه(339)

متى بعودك تشفي نحول جسمي بلطف
فما جرى به يكفي خلفت عبرة طرف
يحكي الغمام انسجامه

أججت(340) نيران كربي فهمت من بين صحبي
يا مفردا أنت حسبي أدعو عليك بقلبي
يا رب يسر مرامه

وقد اقترح علي أمنه الله تخميس هذين البيتين، وفيهما من لطيف الوداع ما أوجب جريان دموع العينين، ونصهما مع التخميس :

أيها البدر الذي قلبي معك جل مولى في كمال رفعك
رد لي عقلي الذي قد تبعك ودع الصبر محبا ودعك
شائع من سره ما استودعك

يا حبيبي مثل ما كنت فكن وانظر الحال وبالعود فمن
سرت والعبد لسر لم يصن يقرع السن على أن لم يكن
زاد في تلك الخطا إذ شيعك

ثم قام لوداعنا ليرجع إلى مكناسة، فركب مع أصحابه، فسار وعقلنا طائش معه، وكنا نتمنى أن لو سافر معنا فنجد به أنسا نتسلى به عن الوطن، وينجلي به عنا القنط والشجن. وفي الساعة التاسعة من هذا اليوم، وهو يوم الثلاثاء سادس ذي الحجة، ركب سيدنا محمود بقصد السفر، وودعه جميع من حضر، ما بين رجال ونساء ونسوان، وشرعنا في المسير والخيل المسومة محتفة من حولنا، وركب لموادعتنا المحب الأجل، القائد سي منصور مع جماعة من وجهاء قبيلته، وسرنا ونساء الدشور يتعرضن لسيدنا محمود بأواني الحليب، مظهرين للفرح بنشر أعلامهم الملونة، إلى أن وصلنا لعين (سند) بتشديد النون، ومنها رجع بعد موادعة سيدنا محمود، ونال من دعائه غاية المقصود، وبقي في رفقتنا القائد المكي العمري، وكنا نمر على طريق ذات انخفاض وصعود، يكاد رائيها أن يجزم بأنه لا يقدر أحد على السلوك بها، عند استرسال المطر، وانخمار طينتها التي صارت مزلقة للأقدام، من وراء وأمام، إلى أن وصلنا إلى الحجر المعروف بالصف، الذي كان يظهر لنا مثل المدينة المبيضة دورها.

---

(339) هيامه : بمعنى حيرة الحب
(340) أججت : أضرمت

ومن هذا المحل رجع القائد المكي المذكور، بعد موادعة سيدنا محمود، وطلبه تجديد الإذن له في الطريقة، فلقنها له مشافهة، مع من حضر معه من الإخوان، ومن هذا المحل دخلنا لباب التيوكة، وهو طريق بين جبلين، يمضي الذاهب إليه من جهتي كدية ساترة لمنفذه، وهو خرق ضيق بين الجبلين، إلى أن أفضى بنا إلى أرض متسعة في فضاء واسع، لا يقف النظر من جهة اليمين إلى جبل، وعن يسار الطريق رأينا عن بعد ضريح الولي الصالح سيدي الحاج العربي العجلي، من إخوان سيدي الزوين المشهور. وقد امتدت قبالتنا الجنات الممتدة على الوادي المعروف عند العامة بوادي رضم، وهناك رأينا المحلة الفرنسية ضاربة قبابها، ولما رأوا كثرة الخيل التي جاءت لملاقاة سيدنا محمود أرسلوا من يأتيهم بالخبر، حتى لا يصل من ذلك فتنة أو ضرر، وقد كانت الخيل في مضمار حلبات رجالها تركض ركضا، وأعلام الأفراح في أيدي نسائهم ترفرف، ويزغردن لإظهار السرور الحاصل لهم.

وقد تلقانا القائد السي الجيلالي بن التهامي الزيداني الشرادي أحد قواد أزغار مع وجهاء قبيلته التي يحكم عليها، وهو من جملة الإخوان، وقد كاد أن يطير فرحا مع إيالته لقدوم سيدنا محمود لأرضهم، والكل يحمد الله على أن من عليهم برؤية وجهه الشريف. وقد جاء بفرس إلى سيدنا محمود هدية، فتلقاه منه بالقبول. وإيالة هذا القائد من قبيلة الشراردة قبيلتان، وهما : زرارة وتكنة، وعليهما يحكم. وقد نزلنا قرب ضريح الولي الصالح سيدي محمد بن أحمد المشهور قرب المقبرة التي هناك، ومحل القائد قبالتنا في الجهة الأخرى من الوادي المذكور.

وقد بات معنا من الذين رافقونا من المحطة الأولى القائد الأسعد السي المختار المتقدم، توجه معنا إلى أن نصل للرباط بحول الله، والمقدم الأجل، الشريف المبجل، ذو الأخلاق المرضية، والنفس الزكية، أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الله الوكيلي مقدم زاوية كرمت، وقد كان كتب له سيدنا محمود ونحن بمكناسة ليقدم لزرهون، بقصد أن يذهب معنا للرباط، فجاء لزرهون مع جماعة من الإخوان، وصحب معه البهائم التي تحمل الرامة إلى الرباط، ونال من إقبال سيدنا محمود عليه ما حصل له كمال الإنبساط. وقد سألني عن المسافر هل يسوغ له أن يقتدي بالمقيم أولا ؟ فأجبته بقول المختصر (وإن اقتدى مقيم به)(341) أي بالمسافر، فكل على سنته (وكره كعكسه وتأكد وتبعه) إلخ، فحينئذ أنشدني لبعضهم :

إن اقتدى مسافر بحاضر	أتم حتما معه في الأشهر
ولابن مالك إذا ما تمما	مع الإمام ركعتين سلما

(341) أنظر مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي ص 44.

ورافقنا أيضا المقدم الأمجد، مفتاح الأقفال المغلقة، والمستضيء في هذه الطريقة بالأنوار المشرقة، السيد إبراهيم بن عمر الشرادي الشاكري الملقب بالطويل، وقد كان العارف بالله سيدي العربي العلمي الموساوي(342) إذا كاتبه يطول له طاء الطويل، إشارة لما كان يقوله له من أنه طويل في الدنيا والآخرة. ومما أنشدنيه من حفظه هذه الأبيات لسيدي أحمد محمود(343) في شروط هذه الطريقة الأحمدية، حسبما تلقاها منه، ونصها :

شروط ورد مدد الأكوان	عين الفيوض أحمد التجاني
ترك الزيارة للأولياء	بعد مماتهم مع الأحياء
إتقانك الصلاة في الجماعه	إن أمكنت ونعمت البضاعه
جمعك للغير مع الأوراد	وعدم الترك إلى المعاد
لا بد أن يحافظ المريد	عليه أو يلزمه التجديد
لأنه خرج عن طريق	تاج العلا والجود والتحقيق
يا ويحه من هذه الجساره	ما أطول البكاء والخساره
فكن أخي رجلا مجدا	لرعيها كيما تنال رشدا
لأنها طريقة الولايه	لمن له لوصلها العنايه
ناظمها يرجو من الإخوان	يدعون بالعفو وبالغفران

وقد كنت تلاقيت مع هذا المقدم أول مرة بتطوان أيام إقامتنا بها، جاء لملاقاة الإخوان وصلته رحم الأخوة في الله معهم. وقد تلقى التقديم عن جماعة من المقدمين على ما حدثني بذلك عن نفسه. وفي قرب طلوع فجر يوم الأربعاء قدم لمحل نزولنا قاضي الشبانات، المقدم الأسعد، البركة الأمجد، سيدي العربي بن علي بن الكايسي الشباني، الساكن بالشبانات على طرف وادي رضم، من أولاد بوغدو، وقد كان قدم أولا مع جماعة من الإخوان لزرهون، وزار سيدنا محمودا، ثم رجع لمحله، ولما سمع بقدومه لرضم جاء لملاقاتنا ليذهب معنا إلى المحطة، وجاء بهدية برسم النيابة في الزيارة عن قائد الشبانات القائد إدريس بن الطاهر الشباني. وهذا المقدم من خاصة المقدمين الذين يثني الناس عليهم خيرا، ويصفونه بالخيارة التامة، وذلك يلوح على وجهه

---

(342) سبق التعريف به في ج 2 ص 71 من هذا المجموع.

(343) المقدم البركة الفقيه العلامة أبو عبد ا سيدي أحمد محمود بن محمد بن محمد احنيني بن أحمد بن الفضيل، من ذرية سيدي موسى بن مولانا إدريس الأزهر باني مدينة فاس، ولد في ضحوة يوم الأحد 2 جمادى الأولى عام 1247هـ، وكانت وفاته رحمه ا في شهر ذي القعدة الحرام عام 1319هـ، ودفن بموطنه بالبحيرة من قبيلة الرحامنة، إحدى القبائل المجاورة لمدينة مراكش، وله في مدح الشيخ التجاني رضي ا تعالى عنه عدة قصائد منها بائية قال في مطلعها :

لقد فاز التجاني بكل فخر منابع فيضه لبن حليب

ومنها القصيدة الإستغاثية ويقول في مطلعها :

يا شيخنا يا شيخنا التجاني يا شيخنا يا واضح البرهان

وهو من المقدمين البارزين في الطريقة الأحمدية التجانية، أخذها أولا عن العلامة العارف با سيدي محمد بن محمد الصغير العلوي الشنجيطي المعروف بابن انبوجة، ثم أجازه فيها بعد ذلك جماعة من أكابر فرسان هذا الشان، منهم لسان الطريقة العلامة سيدي محمد بن أحمد أكنسوس، والولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، وآخرون.

انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 115، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 341.

المنور، مع السكينة والوقار، الرافل في حللهما، زيادة على ما يعتريه من الخجل والحياء عندما يخاطبه الغير، فتراه ساكتا، والنور يلوح عليه، وتراه ساكنا، والسبحة من كثير الأذكار تدور بين يديه، وقد ظل يوم الأربعاء مقيما معنا في هذه المحطة، حيث أننا أقمنا ننتظر استراحة سيدنا محمود من التعب الحاصل له من شدة ازدحام الأحباب والإخوان لزيارته، مع المشقة التي اعترته من بغلته الميمونة التي يركبها من سرعة سيرها، وطول المسافة، وقد أضر به الإعياء حتى أحس بنزول أمعائه، وهاجت عليه الصفراء، فتقيأ المرة بعد المرة، فاستراح بعد ذلك من ثقل معدته، فنرجو من الله دوام شفائه، وزوال علته، ثم إننا أقمنا هذا اليوم بهذا البساط الفسيح، الذي يحصل به الإنبساط الذي به النفوس تستريح.

وقد ذكروا لنا أن زرع هذه القبيلة المعروفة بأزغار يباع في الأسواق قبل بيع غيره لجودته، وأرضها يحصل فيها للمارين التلف والذهول، ولا يعرفون الخروج منها بعد الدخول، إلا لمن عرف الطريق معرفة تامة، حتى أن منهم من يبيت سائرا فإذا أصبح وجد نفسه رجع إلى المحل الذي سار منه. وقد بتنا في أمان الله وحفظه نتذاكر في آداب الطريقة، وما ينبغي للمقدمين الإتصاف به، وما يتعين على المريدين مراعاته في حق المقدمين، بأن ينظروا إليهم بعين التعظيم والإحترام، وأن لا يخالفونهم في الأمور التي يعود عليهم نفعها في العاجل والآجل، إلا ما كان يرجع لمصلحة نفس المقدم الآمر بذلك، مما يستبد به من مالهم، ويكون فيه كلفة أو مشقة للمريد في امتثاله، فلا لوم حينئذ إلا على المقدم الذي هو في هذا المحل مؤخر بسبب طمعه، وتشوفه لما في يد إخوانه، وما كان من حقه إلا أن يكون كأحد المريدين، من غير أن ينظر لنفسه بخصوصية، وهي مما يوجب نفور الإخوان عنه، خصوصا إذا كان يترأس عليهم، ويريد أن يكون كالحاكم عليهم، ويظهر الغلظة في قوله، والتعنت في فعله، كما يفعل ذلك غالب الجهلة من المقدمين الذين حقهم التأخير، والحاصل أن المقدم لا يطمع فيما في يد الإخوان، ولا يترأس على أحد أيا كان، ولا يلزمهم ما هو خارج عن الطريقة، وإلا لزمه أن يشتغل بإصلاح نفسه، ويتوب إلى الله مما صدر منه، لكونه ارتفع عنه الإذن، كما نص عليه الشيخ وورد عنه.

وكانت هذه المذاكرة بحضور بعض الإخوان، والمقدم ابن الكايسي، والمقدم ابن عبد الله، والمقدم السيد إبراهيم الطويل، لما رأيناه في أحوال البعض مع البعض من التفاقم، أصلح الله الأحوال. وفي هذه الليلة سألني المقدم ابن عبد الله عن الضب، هل صحيح ما يقال بأنه يبول قطرة في السنة ؟ فأجبته بأننا نسمع هذا لكونه لا يشرب، ولذلك يقال : فلان بينه وبين فلان ما بين الضب والنون، والضب حيوان يصطاد في الصحاري، قيل : إنه مكروه الأكل. لقوله (ﷺ) "لم يكن بأرض قومي فتجدني أعافه" فمقتضى قوله "أعافه" أنه لا يؤكل، ومقتضى سكوته (ﷺ) وهم يأكلونه جواز أكله. ثم ذكرت له بأني استنبطت من هذا الحديث أشياء، ويقبل الزيادة عليها لمن يريد تتبعها : أولها جواز أكل الضب. ثانيها جواز الأكل بحضور الرئيس. ثالثها جواز أكل الجماعة بمحضر من لا يأكل معهم. ورابعها جواز جلوس من لا يأكل مع الآكلين. خامسها جواز سؤالهم عن سبب عدم الأكل. سادسها جواز تصريحه لهم بأنه يعاف شيئا وهم يأكلونه، لكن إذا سئل عن السبب. سابعها جواز صيد الحيوان البري. وهذه وإن كانت ظاهرة، لكن لا بأس بذكرها في هذا المحل.

ثم إننا أقمنا يوم الخميس بهذه المحطة، زيادة في استراحة سيدنا محمود. وفي القرب منا أقيم سوق الخميس الذي تجعل عمارته بسوق قصبة سيدي قاسم، وهاتان القصبتان بهما مباني عديدة، ويسكن إحداهما البخارى، والقصبة الثانية بها تقام الجمعة في جامع ضريح الولي الصالح سيدي قاسم أبو عسرية(344) الذي تشد الرحال لزيارته، خصوصا الطائفة القاسمية المشهورة بفاس، فإنهم يشدون إليه الرحلة منها، ومن كل ناحية في العيد النبوي من كل سنة. وفي هذا اليوم أنشدني الرفيق الأسعد سيدي الحاج محمد دادي من حفظه عندما رأى هذه الأبيات المتوجة بحروف أمته زهوة التي شغف بها، وكنت استعملتها مباسطا له بها :

زهوت لما رأيت وجهك الحسن   زهو من زهوة سبته في علن

هويتها وهي في حجابها فغدت   هوج نفسي بها تزداد بالشجن

ولا شفيق علي من هواي بها   ولا أراها ولو في النوم ترحمني

هلاك نفسي بها من وقت نظرتها   تبت يدا عاذل فيها يعنفني

فتنهد لفرقتها، وأخذ القلم في يده وكتب :

يا من تعاظم حتى رق معناه   ولا تردى رداء الكبر إلا هو

تاهت بحبك أقوام وأنت لهم   نعم الحبيب وإن صاموا وإن تاهوا

وأنشدني أيضا أمنه الله :

أيا من زكا أصلا وأنقى ولادة   وأثمر غصنا يانعا وزكا جنسا

أذكرك الوعد الذي سمحت به   محاسنك الحسنى وحاشاك أن تنسى

وقد كان بزهوته زاهيا، وبإيناسه بها عن غيرها ساليا، ومن يوم خروجنا من فاس، إلى أن وصلنا لمكناس، وهو مشغوف بها، فاتفق من المقادير أن مرضت مرضا خفيفا، فكتبت له هذين البيتين :

---

(344) الولي الصالح سيدي أبي قاسم بن أحمد بن عيسى بن عبد الكريم السفياني، يلقب عند أصحابه وغيرهم بأبي عسرية، لأنه كان يعمل بشماله، وكانت وفاته رحمه ا بأحروش عند طلوع فجر يوم الإثنين 28 رجب الفرد الحرام عام 1077هـ، ولم يتزوج ولم يكن له عقب، ثم نقلوه خفية إلى وادي ارضم، ودفنوه هناك وبنوا عليه قبة، وقبره بها إلى الآن مزارة عظيمة، وله موسم عظيم في كل سنة تفد إليه الوفود والركاب من كل ناحية، أنظر ترجمته في سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 189.

يا حبيبي في خلوتي وبجلوه زادك الله بهجة وفتوه

نسأل الله أن يزيدك عزا ويداوي عزيزة النفس زهوه

ثم إنه رام شراء أمة بمكناسه، يستحلي بها أضراسه، فكتبت له هذه الأبيات :

بالله بالله لا تغيرن زهوه لفرط غيرتها عليك في النسوه

فإن رأتك أتيت بالسوى مرضت من أجل ما يعتريها منك بالصبوه

أما تراها مطيعة لأمرك في ما رمته دائما ولو بلا دعوه

ترضيك في كل ما ترضاه دون عنا في جلوة في جميع الناس أو خلوه

ومثلها لا تراه في الإماء ولا بين النسا فلتكن تحذر من الجفوه

وها أنا لك قد أشفقت فاسع لها بجبر خاطرها وبي اتخذ أسوه

ومتع النفس في جمال طلعتها واترك سواها وكن عبدا لدى زهوه

وكان وجه أخاه سيدي محمدا لفاس لقضاء بعض أغراض سيدنا محمود رضي الله عنه، فقدم ليلة استعمالي للآبيات المذكورة، وجاء معه بأمة، فبمجرد دخوله لمحل النزول أمره سيدنا محمود رضي الله عنه بإخراجها مع زهوة، ولم يفده إلا امتثال أمره الذي لا يقدر على مخالفته بحال، مع أنه لو وجد إبقاءها معه بدون تغيير خاطر سيدنا محمود لأنفق في ذلك ما يكسبه من المال، لشدة شغفه بها، ولم يقبل سيدنا محمود منه إلا إخراجها في الحين، وتوجيهها لفاس لتباع هناك، ففارقها، وعقله معها، وعلم أن الخير في ذلك، وأنشد فيها هذه الأبيات المتقدمة :

يا ظاعنا(346) بسلامه مصحوبة بكرامه

جددت لوعة قلب تركته وهيامه(345)

خلفت عبرة(348) طرف يحكي الغمام انسجامه(347)

أدعو عليك بقلبي يا رب يسر مرامه

فقلت في هذه الحالة :

آه لفرقة زهوة ذات الجمال الباهر

فارقتها كرها ولم تك بعدها بالصائر

لله ما أعطى وما هو آخذ في الغابر

فعسى يكون الخير في تغيير ذاك الخاطر

لا شك أن الخير في هذا لأفضل شاكر

وقد رزقه الله الصبر الجميل من فراقها، وتحققت بامتثاله لأمر سيدنا محمود أنه صادق الحب في الجناب الأحمدي، ولاشك في ذلك، فإنه المحب الذي لا يملك شيئا مع هذا الجانب

---

(345) هيامه : تحيره من شدة العشق

(346) ظاعنا : بمعنى سار ورحل

(347) انسجامه : انصبابه

(348) عبرة : مفرد عبرات وهي الدموع

الأسعد، ويسعى بقدر الإمكان في رضاء صاحب هذا المقام، ولا يخشى في إنفاق نفسه وماله بين الأحباب أحدا. وناهيك بهذا الصهر المبارك، وما اتصف به من مكارم الأخلاق، مع المحبة الصادقة. ويكفي فيما قلناه رسالة سيدنا ومولانا محمد البشير التي وجهها لفقراء زاوية فاس في إعلامهم بتوجهه مع سيدنا محمود رضي الله عنه، ويذلك أيضا على صدق محبته تركه لجميع أموره من تجارة وغيرها، وارتحاله عن أهله، مع خدمته التي لا يقدر عليها إلا مثله ممن شربوا المحبة من ثدي أمهاتهم في هذا الجناب، وأراد المولى بهم السعادة بلا شك ولا ارتياب.

وقد انجر بنا في هذا المحل الكلام على طرف من ترجمة هذا الرفيق الأسعد، لما رأيناه فيه من صدق الخدمة التي شاهدناها بالمخالطة معه في هذه الرحلة المحمودية، بحيث لم يبق لنا شك في كونه من المريدين الصادقين الذين لا تأخذهم لومة لائم في صدق الخدمة، وهنيئا له بذلك، وقد قدمنا طرفا من ترجمته، ونقلنا عنه في غير محل بعض الأدبيات، ولازلنا ننقل عنه إلى أن نرجع بحول الله بسلامة، سائلا من المولى أن يحفظ جمعنا ذهابا وإيابا، وأن يوفقنا لما فيه رضا المولى آمين. وقد كنت استعملت أبياتا لما كنا بالمهدومة، وأظهر لي أمته زهوة، فقلت فيها مداعبا له على نوع من التشبيت فيها :

خليلي إني قد تركت الهوى دهرا	وأعرضت عن أهل الهوى زمنا مرا
وأصبحت خالي البال لا يستفزني(351)	إلى صبوة(349) شوق لبكر ولا عذرا
فما لي هذا اليوم قد هزني الهوى	أمن زهوة هذا الجوى جاءني قهرا
نعم إنها والله شمس زمانها	بها فتنة العشاق حيث بدت حورا
تريك إذا أبصرتها الشمس في الدجى	تبدت ولكن أسبلت(350) عفة سترا
فلست ترى منها من أجل جلالها	بسيدها دادي محيا بدا بدرا
عليها جلال منه قد حفها به	فأضحت به في رتبة فاقت البدرا
يباهي بها مما حوته من البها	وأضحت به أيضا تباهي الورى شكرا
وأضحى بها بين الرجال متيما	وكان لها مولى بها لم يجد صبرا
فعذرا له مما رآه لأنها	فريدة حسن لا نزال له أسرا
بلاني بها لما أماط خمارها	وقال لها أعطيه من خمرك السكرا
فقامت إلي كي تسلم وهي في	تدللها والجفن منها قد افترا
فكدت بها عني أغيب بنظرة	على النفس مني صرت أشفق من أخرى
فقلت له والقلب يخفق بالجوى	جلبت الردى لي من حبيبتك الغرا
فمالك قد عذبتني في الورى بها	ومن قبلها قد كنت في راحة كبرى
تمتع بها والله يرعاك في العلا	ويحفظها حتى تسر بها دهرا

(349) الصبوة : الولع والعشق
(350) أسبلت : أرخت
(351) يستفزني : يزعجني ويستخف بي

وقد زاحمني في التغزل فيها سيدنا النقيب، فقال على طريق التتويج :

زر محبا يرجو دوام رضاك / زادك الله رفعة ووقاك

هان في حبكم هوانه(353) لما / هام وجدا بكم وزاد انهماك(352)

وارتدى مرضعا رداء هواكم / ومن الحب لا يريد انفكاك

هذه حالتي فجد لي بوصل / هاج شوقي إلى بديع سناك

وقال أمنه الله :

زدت وجـدا ولـوعــة وغـرامـــا / وهـيـامـــا بزهـوة واضـطـرامـــا

هاج شوقي لدى استماع بديع الـوصـــــــــف من حسنها وذقت الحمامـا(354)

وهوى في الهوى فؤادي ومالي / من تسل ولو أطلت الملاما

تلف النفس في سلوي عنها / فعلام الملام قل لي على ما

النزول بالدوار المعروف بتجينة

وفي الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة تاسع ذي الحجة الحرام ارتحلنا من هذه المحطة قاصدين النزول بالدوار المعروف بتجينة، فسرنا مع الوادي على بساط بسيط يعجب الناظر، ويشفي الخاطر، بما اكتسى به من الحلة الخضراء، وكلما مررنا بمحل تلقانا أهله بأعلام الفرح لمرور سيدنا محمود على أماكنهم، والكل يعتقد أن الآمان قد حل بأراضيهم بحلوله بها. وقد مررنا على ضريح الولي الصالح المعروف بسيدي كدار، وبقربه بناءات من مقدار الطين، مهدومة السقف، ذكروا لنا أن المحلة الفرنسية كانت هناك مقيمة إلى أن انتقلت قرب سيدي قاسم، ويقال أن سبب قيامهم انتشار الكوليرة بهم من فساد الهواء، حتى أدى الحال إلى اتخاذ مقبرة، وجعلوا عليها علامة، وأحاطوها بأوتاد، وهذا المحل الذي به مدفن هذا الولي الصالح هو حد الشراردة، وبني حسن، وقد دخلنا لحدهم فرأيناها أرضا بسيطة، لا نرى أمامنا إلا السراب من غير حد يمينا وشمالا، ولا زلنا ذاهبين على ذلك البساط المخضر، حتى وصلنا لتجينة في الساعة الرابعة، فتلقانا مقدم الزاوية بها البركة الخير، السيد إدريس بن المقدم البركة سيدي محمد بن الجيلالي الحسناوي التجيني، بعدما كان قدم لملاقاة سيدنا محمود، ونحن بالشراردة، وتقدم أمامنا لمحل النزول، وما قصر من الفرح والسرور، ومعه جميع الإخوان القاطنين بتجينة. وقد تلقى التقديم عن المقدم سلطان المقدمين سيدي محمد بن العلوي.

---

(352) انهماك : بمعنى جد فيه ولج

(353) هوانه : ضعفه

(354) الحمام : الموت والهلاك

وقد ارتدى المقدم المذكور برداء الحياء، فلا يرفع رأسه عند مخاطبته لما فيه من الحياء، الذي كساه نورا، فهو لين الجناب، خافض الجناح لكل من اجتمع به من الإخوان، وهو تجيني الأصل، تجاني الطريقة، ذو وجد واجتهاد. وتجينة المذكورة موقعها في بساط متسع جدا، وأرضها دائما ناعمة صيفا وشتاء، لمجاورتها للمرجة المشهورة بمرجة ابني حسن، وهذه المرجة اتسعت جدا بانتشار وادي رضم بها، وفيها وحوش برية متوحشة من خنازير وغيرها. وفي صباح يوم السبت، وهو يوم عيد الأضحى، أصبح البارود يسمع من نواحي تجينة إعلاما بالعيد السعيد، وزادهم فرحا نزول سيدنا محمود بين ظهرانيهم في هذه الليلة السعيدة، التي ازدهرت بالأنوار، وانجلت عنا فيها الأكدار، بكمال السرور بعافية سيدنا محمود مما كان ألم به، وقد قلت في تهنئته بهذا العيد، وتهنئة صهره السعيد :

نهنيك يا مولاي محمود بالعيد ... فلازلت في حفظ الإله بتأييد
فقد أسعد الرحمان أيامك التي ... بها الدهر أضحى في الهنا دون ترديد
فنحمد مولانا الذي بشفاك قد ... شفانا به من بعد خوف وتنكيد
فأنت لنا كالروح في الجسم قد سرت ... سلامتنا مادام دهرك كالعيد
وإنا نهني صهرك المرتضى به ... محل الرضا دادي المحوط بتسديد
فإنا عهدنا فيه صدق مودة ... بها نال من مولاه خيرا بتأييد
فلا زال يرقى في المعالي مؤيدا ... بتوفيق من أولاك أكمل تمجيد

وكتب لنا الرفيق الأسعد، سيدي الحاج محمد دادي هذين البيتين من حفظه :

العيد وافى بابتسام ... يهدي التهاني للإمام
فاهنأ به واسعد ودم ... لنظيره في كل عام

فكتبت له :

العيد جاءك بالأماني ... والعبد جاءك للتهاني
فاسعد به بين الورى ... ملحوظ قدر في أمان

وكتبت له أيضا هذه الآبيات :

أهنيك يا دادي بنيل المراد ... على رغم أنف المعتدي والأعادي
نرى لك فضلا قد علوت به على ... سواك بما أسديتـه من أياد
فقد نلت في حب التجاني محبة ... صفت من جميع الغش بين العباد
فمن لم يسر في الحب سيرك دائما ... فقد ضل عن نهج الهدى والرشاد
ومن لم يشاهد فيك ما قد شهدته ... يظل مدى أيامه في نكاد
وقد جاءنا العيد المبارك معلنا ... بتهنية فاهنأ به في رشاد

الخروج لرؤية المرجة التي في دوار تجينة

وفي الساعة التاسعة ركب سيدنا محمود وركبنا بقصد رؤية المرجة المذكورة، فلما قربنا منها رأينا عن بعد اثني عشر فرسا بها متوحشة، ففرت هاربة أمامنا، وتقف تارة ثم تنفر أخرى، وتجتمع ثم تفترق ثم تجتمع، وهكذا إلى أن وصلنا لطرفها من جهة وادي رضم المنبسط على وجه أرضها، وقد افترقت ضاياتها، وامتدت مساحتها، حتى تكون في الشتاء ضاية واحدة، وتزداد اتساعا حتى أن طولها يبلغ مسيرة نحو اثني عشرة ساعة، وعرضها يقرب من ذلك، ولا يقدر أحد أن يقطعها لما فيها من المقاطع والخنادق البالغة. وقد ذكروا لنا أن بعض محلات المولى الحسن رحمه الله حصل لها الغرق بها بعدتها وعددها من خيل ورجال ومدافع، ولم يجدوا من ينقذهم من ذلك ولا من عنهم يدافع، حين أحاطت بهم قبيلة بني حسن في بعض حركاته لهم في أول نصره.

وهذه الضاية بها وحوش كثيرة، ودواب متوحشة، من خيل وبغال وبقر، من أيام المولى عبد الرحمان، وإذا احتاج المخزن إلى فرس من تلك الخيل نصبوا لها الحبال، وأحاطت بها الرجال، إلى أن يقبضوا إحدى تلك الخيول، وتجعل وسط الإنسية أياما، ثم توجه للأعتاب المخزنية.

ثم رجعنا لمحل النزول إلى قرب الساعة الثانية عشرة، فارتحلنا عن هذه المحطة. وقطعنا وادي رضم، وسرنا على بساط أراضي بني حسن التي انبسطت انبساطا يملأ العيون، ويسلي القلب المحزون، إلا أنه لا حرث بتلك الأراضي ولا غرس، إلا فيما قل منها، ويا للآسف على ضياع مثل هذه الأراضي الناعمة، فلو وجدت من يقوم بعمارتها حرثا وغرسا فإنها تكون جنة الدنيا بالنعم التي تخرج منها للفلاحين، وتكون متجرة يتسارع إليها جميع الغراسين والحراثين. وكأني انظر للمستقبل وقد امتدت السكك الحديدية بها، والأرض مخضرة بالدوالي المنبسطة، والأشجار المصطفة، على الطريق يمينا وشمالا، حتى تصبح الأرض يانعة، تجبي إليها الخيرات وتقتنى منها، ويضرب بها المثل بين الأراضي فيما يخرج منها، خصوصا إذا انتشر الآمن فيها على الأموال والأنفس من اللصوص.

ولا شك أنه إذا لم يسارع أهل هذا القطر المغربي إلى استعمال مثل هذا فإنه يسبقهم إليه من يقوم بذلك، ويروا حسناتهم في ميزان الغير، ويفوتهم إبان استعمار أراضيهم بمثل هذا الخير. ثم إننا سرنا، والوادي عن يميننا إلى أن بعدنا عنه بمقدار ساعة زمانية، فدخلنا بين دوارين انعطف من ورائهما الوادي المعروف بوادي بهت انعطافا رجع به إلى أمام مسيرتنا، فلوينا العنان وسرنا، وهو عن يسارنا، وذلك المحل يعرف (بالمريفق) لشبهه لمرفق اليد في الإنعطاف، ولا زلنا مجدين في السير، وكلما تراءينا لمحل سكنى سارع أهله لملاقاتنا، وأعلام الأفراح في أيدي نسوانهم منشورة، ومن لم تجد منهن ما تجعله علما أخذت سبنية(355) رأسها وجعلتها على قصبة، وتأتي مع رفقتها، ويزدحمن على المحفة وبغلة سيدنا رضي الله عنه للتبرك بها.

الوصول للمحل المعروف بالدهس

وهكذا إلى أن وصلنا للمحل المعروف بالدهس، فتلقانا الشاب الظريف السيد محمد بن القائد الأمجد السيد محمد الكداري، مع جماعة من إخوانه، وأقاموا ملاعب الخيل أمام سيدنا محمود، ولا زالوا كذلك حتى تلقانا أيضا القائد الكداري المذكور، وهو من أكبر القياد الذين تصلح القبيلة بصلاحه، وتفسد بإشارته، وتنقاد إليه انقياد البهيمة لمن يسوقها بالزمام، وهو في قبيلته كالأمير في رعيته، له العزوة التامة، والصولة العامة، وإيالته التي يحكم عليها اشتملت على فخذات قبيلة كدارة، وقبيلة أكرام المشهورين بأولاد احميد من أعلى قبيلة مختار المشهورين في الطائفة العيساوية بالتجرد عن الثياب في وقت حضرتهم، مع اختلاط النساء بالرجال، ومع ذلك يظهرون خرق العوائد من إطلاق المقعدين المزمنين، مثل ما اشتهرت بذلك قبيلة سحيم المجاورين لهم.

ومن إيالته قبيلة أولاد حساين، وأولاد غياث، وأولاد موسى حساين، والشرفاء أولاد ابن حمادي، والكبارثة، والعثامنة، وزوايا قبيلة مختار، من جملتهم زاوية المخاشيم القاطنين بالجوطة هناك قرب وادي سبو، وبها مدفن سيدي حسون من أولاد المولى إدريس رضي الله عنه، وفيها آثار بناءات قديمة، ومنها فرقة الأعشاش من مختار القاطنين بشاطئ سبو بجوار الغرب، وعندهم بناءات قديمة من رخام وحجر منجور منقوش عليها نقوش كتابات عجيبة. وهناك دفائن يعثر عليها في بعض الأحيان، حتى حدثونا بأنه وجدوا هناك دفينة نحو المدين من السكة الفضية من سكة البردقيز(356)، عليها صور أفيال وطيور ووحوش، مما يتعجب الناظر إليها.

وهذا القائد له محبة في الجناب الأحمدي التجاني، وقد فرح غاية الفرح لقدوم سيدنا محمود، وحمد الله على أن متع طرفه بالنظر إلى وجهه قبل الوفاة، وذلك شأن المحبين الداخلين في الضمان النبوي للشيخ رضي الله عنه، لكونه (ﷺ) ضمن له آخذ الطريقة ووالديه وأولاده والمحب له. ولهذا القائد ولدان باران آخذان للطريقة، مشغوفان بها، ويكرمان الإكرام التام لكل من انتسب إليها إذا حل بكنفهم، أحدهما خليفة والده السي محمد المتقدم الذكر، وثانيهما ذو الأدب الفائق، والتؤدة المرونقة، والسمت الحسن، السي قاسم، جاء من محله بقرب سبو لما سمع بسيدنا محمود وصل إلى المحل النازل به والده القائد الكداري المذكور، وشد الرحلة ليلا ليحظى بزيارته قبل أن يفوته ذلك. وقد بتنا ليلتنا في أمن وأمان، وإكرام زائد في هذا المكان، وحصل لأهل هذه المحطة فرحان كبيران، فرح بعيد الأضحى، وفرح بقدوم سيدنا محمود، فهذا اليوم بلا

(355) سبنية : تعبير باللهجة الدارجة المغربية وهو غطاء تضعه المرأة فوق رأسها وتعقد عليه بعقدة أو عقدتين تحت ذقنها.

(356) البردقيز : بمعنى دولة البرتغال

شك اجتمع فيه عيدان، والعيد الثالث عندنا شفاء سيدنا محمود مما كان ألم به. وقد أصبح في وجهنا يوم الأحد ثاني عيد الأضحى، والناس في انبساط تام، في هذا البساط، المنوط بالإنعام :

بساط يملأ الأبصار حسنا   ويسبي(357) عقل كل الناظرين

أصبح والجو مظلل علينا بمظلة السحاب، ونحن في وسط هذا البساط الذي لا نرى من حوالينا فيه إلا السراب، حتى كأننا في فضاء، والبحر محيط بنا، وفي الحقيقة لا بحر إلا ما ينحصر البصر عنه من اتساع هذه المساحة المستوية أرضها، فسبحان من دحاها. وقد طلب القائد المذكور وأولاده من سيدنا محمود الإقامة عندهم في هذا اليوم، وأقيمت ملاعب الخيل هناك، وكان يوما مشهودا، من كثير الأفراح القائمة على ساق، والخيل المسومة في مضمارها تركض ركضا أمام قبة سيدنا محمود، والبارود يضرب فرحا بقدومه، حتى ملأ الفضاء دخانا، والناس في فرح وسرور. وبعد الزوال ودعنا المقدم البركة سيدي العربي بن الكايسي، وواعدناه بأن نوجه له التقديم من سيدنا محمود مع المقدم سيدي محمد بن عبد الله أمنهما الله عندما يرجع من الرباط، فكتب في هذا المحل بالنيابة عن سيدنا محمود ما نصه :

نص الإجازة المذكورة

بعد البسملة والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ﷺ) : نحمدك اللهم حمد من اعترف بعجزه عن أداء الشكر، ونشكرك شكر من اغترف من بحر كرمك الذي من لم يشكرك عليه تعرض للمكر، ومن شكرك نال منك المزيد، وأنك تحكم ما تشاء وتفعل ما تريد. ونصلي ونسلم على من أقمته برزخا رحمانيا في إيصال النعم للمخلوقات، وأجريتها على يده في سائر الأوقات، سيدنا ومولانا.

محمد سيد الكونين والـثـقـلـيـــــــــن(358) والفريقين من عرب ومن عجم

عليه منك أتم سلام، وعلى آله وأصحابه مدى الدوام، ورضي الله عن القطب المكتوم، والختم المعلوم، من نشرت بين يديه ألوية الولاية، ونال في البداية ما لم يدركه غيره في النهاية، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقانا الله وجميع المحبين منه بأعظم الأواني. وبعد : فإن سيدنا ومولانا محمود بن سيدنا ومولانا البشير بن سيدنا ومولانا الحبيب بن سيدنا وسندنا العارف الرباني، القطب التجاني، قدس سره، قد أذن في إعطاء الطريقة التجانية، ذات المواهب الربانية، للبركة السيد العربي بن الكايسي، ليلقنها لكل من طلبها منه، ورام أخذها عنه، وذلك بعد التزام شروط أذكارها، ونيل أورادها بأسرارها، إذنا تاما، مطلقا عاما، وإجازة في جميع ما اشتمل عليه كتاب جواهر المعاني من الأذكار والأوراد اللازمة وغيرها، وأن يأذن في ذلك لمن شاء كيف شاء، لكن مع الأهلية التي يجب مراعاتها، إذنا تاما، وإجازة عامة، سائلا من المولى أن ينفع به وعلى يديه، وأن يأخذ بيديه في جميع الأمور، في الورود والصدور، إنه رب ذلك، والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين. بتاريخ حادي عشر ذي الحجة الحرام عام 1329هـ، من إذن سيدنا المذكور أعلاه.

(357) يسبي : يأسر
(358) الثقلان : الإنس والجن

ومما سألني عنه هذا المقدم من فقه الطريقة التجانية، ماذا يفعل المسبوق في الوظيفة، هل يختم مع الجماعة بقراءة آخر سورة اليقطين ؟ ثم يشرع في إتمام وظيفته ؟ أو بمجرد ختمهم للجوهرة الثانية عشرة يشرع في الإتيان بما فاته قبل قراءتهم لآخر سورة اليقطين ؟ فأجبته بأن الذي جرى به العمل عندنا بالزاوية التجانية بفاس، وهو الذي يفعله الخاصة منهم، هو أنه بمجرد إكمالهم لجوهرة الكمال الثانية عشرة يشرع في قضاء ما فاته من وظيفته، ثم يختم لنفسه. ولا شك أن قراءة آخر السورة المذكورة إنما هو من شروط الكمال، وقضاء ما فاته من الإستغفار وغيره قبل الإفتتاح بالفاتحة هو من الأركان، والركن يقدم على غيره، لكونه أهم، فلذلك ينبغي قبل الشروع معهم أن يبتدئ لنفسه بالفاتحة، ثم يشرع معهم، حتى إذا فرغوا من الجوهرة الأخيرة يشرع في الإستغفار، فإذا وقع ونزل وابتدأ معهم من غير أن يقرأ الفاتحة قبل شروعه، ثم ختم الجوهرة الأخيرة معهم وشرع في قضاء ما فاته، وابتدأ بالفاتحة قبل أن يختموا بآخر سورة اليقطين أو بعد قراءته لها معهم فإنه يجزئه ذلك.

فلما قررت له هذا الجواب ذكر لي أنه سمع من الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح، رضي الله عنه، أن المسبوق يقرأ مع الجماعة آخر السورة المذكورة، ثم يقضي ما فاته، هكذا سمعه منه لما سأله بعض الإخوان عن هذا بمحضره، فأجبته بأن العمل الجاري بفاس هو ما ذكرته. ويخطر على بالي بأني سألت عن هذا سيدنا العارف بالله مولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه فأجابني بما ذكرته. نعم ما سمعته من الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح، مستحسن من جهتين : الأولى أنه لا يتشوش المسبوق إذا ختم سورة اليقطين معهم حين شروعه في قضاء ما فاته بقراءتهم. ثانيهما : إدراكه للختم معهم، والختم بنفسه، وذلك فيه زيادة ثواب ذكر، ويعد من شروط كمال الوظيفة. وقد ذكرنا أنه يسوغ له الختم معهم، إلا أن الوقوف مع ما جرى به عمل أهل الزاوية فيما رأيناه يطلب من المريد المحافظة عليه(359)، لما عسى أن يكون هو الوارد عن الشيخ رضي الله عنه، والله الموفق.

وقبل وصولنا إلى هذه المحطة سألني ونحن بالطريق المقدم الجليل، سيدي إبراهيم الطويل عن مسألتين من فقه الطريقة، الأولى : هل يصح تقديم ورد الصباح بعد صلاة عشاء ليلته بساعة زمانية، وقبل صلاة الوتر ؟ فأجبته بأنه يصح الورد إذا قدم على الوتر، ولا يشترط في صحته أن يقرأ بعد صلاة الوتر، وإنما تشترط قراءته بعد صلاة العشاء بقدر ما يسكن فيه الناس بنحو مقدار

(359) لهذه المسألة أشار العلامة الأديب التجاني ابن بابا العلوي في منية المريد حيث قال :
ومن يفته بعضها ويأتي   يفعل كما يفعل في الصلاة

ساعة بعدها(360). الثانية : عمن صلى صلاة العصر فذا، وقرأ ورده، ثم حضرت جماعة فأعاد معهم صلاته لفضل الجماعة، فهل يعيد ورده أم لا ؟ فأجبته : إن نوى بالإعادة التفويض فينبغي له أن يعيد ورده، لأنه لا يدري أي الصلاتين كانت فريضة، فلم يتحقق وقوع الورد بعد صلاة العصر، وأما إذا نوى بها الصلاة المفروضة من دون تفويض فلا شك أن الورد وقع في غير محله، فلا بد من إعادته ليكون في وقته.

الوصول إلى بعض الأضرحة التي في الطريق

وفي الساعة 12 من يوم الإثنين ارتحلنا من هذه المحطة، ورافقنا للموادعة القائد الكداري نحو ساعة زمانية، ثم رجع مع بعض الأصحاب، وبقي في رفقتنا أولاده وجماعة من الأصحاب، والخيل تلعب أمام سيدنا محمود إلى أن وصلنا بعد ساعتين ونصف لضريح الولية الصالحة لالا يطو، وبها محل سكنى المريد التجاني المحب الصادق السيد العربي بن عبد العالي الثوري، من سكان هذه البقعة، وهو رجل مغرم بحب الشيخ رضي الله عنه، هو وأولاده وعياله، وقد كان قدم لزيارة سيدنا محمود، ونحن عند الكداري، وطلب من سيدنا محمود المبيت عنده، فلم يتيسر له ذلك لقرب محله من هذه المحطة. وقد أنشدنا من حفظه هذه الأبيات المشهورة عند غالب الإخوان، ونصها :

يا ربنا بجاه تاج العارفين	وجاه حامل لواء الواصلين
قدوتنا وشيخنا التجاني	قائدنا لمنهج العدناني
نسألك التوبة التوفيق	والعلم والعمل والتحقيق
والصبر والنصر على الأعداء	والجمع بالذكر على الولاء
والفوز بالنعيم والجنان	مع النبي وشيخنا التجاني
نسألك التوبة والغفران	والستر والنجاة والأمانا
واغفر لعبد مذنب دعاك	وتب عليه ماله سواكا
ولا تخيب يا إلهي مقصدي	وصل دائما على محمد

وقد ذكر لي أن الفقيه العلامة شيخنا الحاج محمد فتحا كنون(361)، كان أوصاه بالمحافظة على ذكر هذه الأبيات المذكورة سرا بعد قراءة كل ورد ووظيفة حين أنشدها بين يديه، أقول : لا بأس بذلك إذا كان سرا، وأما بعض الإخوان فيذكرونها جهرا بعد الوظيفة، ولا ينبغي ذلك لما فيه من الزيادة في الطريق. وفي الطريق ونحن مجدون في السير، تلاقى مع زوجته وبناته قادمين لزيارة سيدنا محمود من شدة الحب الحاصل لها في هذا الجناب، فردها إلى محلها، قريرة العين بالنظر إلى سيدنا محمود مع نساء حيها، لكون سيدنا محمود رضي الله عنه لا يحب أن تقابله النساء، ويغض الطرف إذا أقبلن عليه، ويعطيهن بالإدبار، فيزرنه من ورائه، كل ذلك منه محافظة على نفسه لتمسكه بالحبل المتين من الدين، ويحصل له القبض من ذلك، لأنه :

(360) لهذه المسألة أشار العلامة الأديب التجاني ابن بابا العلوي في منية المريد بقوله :

وورد صبح إن تقدمه على	مختاره بعد العشاء نقلا
بقدر ما يتلى من القـ ـ ـ رآن	خمسة أحزاب بلا توان

(361) سبقت ترجمته في ج 1 ص 26 من هذا المجموع.

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

ثم واصلنا المسير حتى وصلنا لمشرع الرملة، بعدما تراءت لنا قبالتنا غابة بني حسن الممتدة من باب سلا إلى قبيلة كروان، وعرضها نحو ثلاث سوائع، ومن ورائها قبيلة زمور ومن جاورهم. وقد وصلنا لهذا المشرع قرب الساعة الخامسة، وكان مسيرنا على أرض منبسطة من أول ابتدائنا للمسير وقطعنا لوادي بهت، ولكنها قليلة الحرث، لكونها رملة تحتاج إلى تغبير، وعمارة وتدبير، إلا أن أرضها ناعمة بمرعى الأنعام، حتى وصلنا لوادي هذا المشرع، ويعرف بوادي تيفلت، وماؤه عذب، ومن ورائها الوادي المسمى بأسمنطو، افترق ضايات، وتلاقى مع الوادي المذكور قرب الولي الصالح سيدي عيسى بحر العلم المدفون بين الوادين هناك. وفي قرب الساعة الحادية عشرة من يوم الثلاثاء ارتحلنا من هذه المحطة، وقطعنا المشرع المذكور، ثم سرنا في أرض ذات انخفاض وصعود، وكلها رملة لم ينبت بها إلا العشب، وإذا انبسطت كانت مأوى الضايات، وقد مررنا والغابة عن يسارنا، وتراءى لنا عن بعد يسارنا بجنب الغابة ضريح الولي الصالح سيدي يشو، وبعده ضريح الولية الصالحة لال شحواطة، وعن يميننا كذلك ضريح الولي الصالح سيدي عياش، وضريح الولي الصالح سيدي العربي الصحراوي.

وقد مررنا بالطريق على دوار من أولاد بورحمة، فوجدنا جماعة من النساء قد اجتمعن يكفكفن، ثم يضربن وجوههن ويندبن، فسألنا عما يفعلن بعدما ظننا أن اجتماعهن لفرح، لقيامهن، وفي وسطهن من يغني لهن، فإذا هن اجتمعن لجنازة، والمنشدة في وسطهن تذكر محاسن الهالك، التي هي في الحقيقة مساوئ، وفي حالة ذكرها يكفكفن، فإذا أشارت لهن بعلامة يضربن وجوههن، وذلك من عوائدهن الخبيثة، فسرنا ونحن نسخط بفعلهن الذي أغراهن الشيطان عليه، وهن من حزبه.

المبيت بقصبة الوادي المعروف بالفوارات

ولا زلنا سائرين إلى أن انعطفنا عن يمين كدية رمل، فمررنا بجنب دوار القائد بوعزة، بالحسن، وهو دوار محتف بشجر الهندية، وأحاطت به حتى أنها ترى من بعد كأنها من الغابة، وبعده بنحو ربع ساعة سرنا في حجر الطين الموصل لقنطرة علي وعدي المشهورة، وهي الموضوعة على الوادي المعروف بالفوارات، وهو واد داخل في وادي سبو المتصل بها، وسرنا فوق طينها نحو نصف ساعة.

وقد وصلنا لقصبة هذه القنطرة، فوجدناها محكمة الوضع، يقرب منها وادي سبو، بعد أن اجتمعت فيه غالب أودية المغرب، وهو هنا في غاية الإتساع، وعلى حاشيته نزلنا وحططنا الرحال بين العشائين، بعد أن دخلنا لهذه القصبة، فوجدناها ساحة متسعة، قد اصطفت بها قبالة الباب خمس وعشرون بيتا، وعن اليسار كذلك، وعن اليمين بيوت، وفي وسطهن الجامع الموضوع هناك بصومعته، وفي صف الباب أيضا بيوت. وقد وجدناها منظفة مهيأة لنزول المحلة القادمة على طريق مهدية، وقد بتنا ليلتنا والأمطار هاطلة، والأرياح عاصفة، تجل عن الصفة، حتى أنها قد قلعت أوتاد قبة سيدنا محمود، وكادت أن تطير بها للجو لولا مساعدة الخدام والأصحاب، إلى الأخذ بكل سبب ممدود، حتى ضربت أوتادها ضربا محكما، أما قبابنا فلا تسأل عن اضطرابها بالأرياح، إلا أنها في تلك الحالة مثل اضطراب أرواحنا في الأشباح، جزعا من سقوط القبة على الحريم الشريف، ولكن الله سلم، والحمد لله على ذلك. وقد أصبح في وجهنا يوم الأربعاء، والجو عابس، وعاصف الرياح غير ناعس، فتهيأنا للرحيل، وقام لوداعنا المقدم البركة السيد إدريس التجيني بعدما كان رافقنا من محله، وما قصر في البرور كثر الله من أمثاله بفضله، وقد كتب له سيدنا محمود رضي الله عنه التقديم لإعطاء الطريقة.

نص الإجازة المذكورة

بعد البسملة والصلاة والسلام على النبي (ﷺ) : الحمد لله الذي أنعم على هذه الأمة المحمدية بأن جعلها خير الأمم، وأسبغ عليها في الظاهر والباطن من فضله ما لا يحصى من النعم، والصلاة والسلام على الواسطة فيها سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه وخليفته خاتم الأولياء، أما بعد : فإن سيدنا ومولانا محمود بن سيدنا ومولانا محمد البشير بن سيدنا ومولانا محمد الحبيب بن سيدنا وسندنا القطب الرباني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، رضي الله عنه، قد أذن في تلقين الطريقة التجانية، ذات الفتوحات الربانية، للمقدم البركة السيد إدريس بن المقدم السيد محمد بن الجيلالي التجيني أصلا، التجاني طريقة، وأجازه في إعطائها لكل من طلبها منه، بالتزام شروطها المقررة، وأركانها المعتبرة، موصيا له بتقوى الله في السر والعلانية، وأن يأخذ بين إخوانه بالرفق واللين. والله أسأل أن ينفع به وعلى يديه آمين. وكتبه بتاريخ 13 ذي الحجة 1329هـ، عن إذن سيدنا المذكور اسمه أعلاه.

وفي قرب الساعة العاشرة من هذا اليوم ارتحلنا من هذه المحطة التي دوختنا بأرياحها القاصفة، وكادت أن تطير بقبابنا للجو بزفاتها المترادفة. وقد أنشدت في الطريق هذين البيتين في هذه الصدمة :

وقائلة ما بال ذا الريح قد غدا — عصيفا إلى أن رام حمل قبابي

فقلت لها للجو شوق لحملها — لما حل فيها من كريم جناب

وقد جاء عند ارتحالنا لزيارة سيدنا محمود القائد ابن الحسن من دواره المتقدم، وجاء معه بعض حاشيته، وعاد قرير العين بدعاء سيدنا محمود، وهو رجل من المحبين، ولكنه غير مقيد بحبل طريقتنا التجانية، فجزاه الله عن نفسه خيرا في محبته هذا الجناب الأحمدي، وجزى أمثاله من المحبين، وقد استودعنا أيضا القائد المعطي بن المدني السرغيني الحال مع العسكر المقيم بقصبة علي وعدي، بعد أن كان تلاقانا وكاد أن يطير فرحا بقدوم سيدنا محمود، وما قصر في الإكرام على قدر طاقته.

ثم إننا سرنا، والجو يبدي البشاشة بعد العبوس، ونحن بمرافقة سيدنا محمود طيبو النفوس، وأرواحنا ترتاح لقرب الإجتماع بأحبابنا بالرباط وسلا، الذين بهم كل غريب عن أوطانه سلا، فمررنا على أرض غير منبسطة في ارتفاع تارة، وانخفاض أخرى، وعلى طريقها آبار مياه للسقي، منها القريب العمق، ومنها العميق، وعن يسارنا في المسير قبل الوصول للغابة بئر تعرف ببئر الرامي، وبه كنا أردنا النزول قبل، إلا أنه لما كان أدركنا الليل، والجو يرشنا بمراشه، حططنا الرحال في المنزلة المتقدمة. وعن يسار هذا البئر على رأس الكدية ضريح الولي الصالح سيدي البخاري.

وقد مررنا على طرف الغابة التي أشرنا لها، وغالب أشجارها من حطب البلوط، وسرنا به نحو ثلث ساعة، وبعدها مررنا على بئرين توضأنا من مائهما وصلينا الظهر، وبعدهما أيضا بئران يقابلان حوش الولي الصالح سيدي الشامي. وقد وجدنا هناك بعض سكان تلك الجهة يسقون ويغسلون ثيابهم على صفحات حجر معدة لذلك، فاستعرنا من أحدهم الدلو لأخذ الماء للوضوء، فامتنع من نيل الحسنة التي تكتب للمعير، ولكن صدق فيه المثل (أبخل من مادر على غدير) ولعل هذا النحس من الطائفة التي تتطير بالآذان وبالصلاة، فإن في هذه القبيلة التي هي بني حسن دوارا يقال له : القساطلة، يتطيرون بذلك طيرة كبيرة، فلا ترى منهم من يصلي ولا من يؤذن، وهناك في هذه القبيلة من هو ناهج منهج المظلم.

ومن عجيب تطيرهم أنه إذا حصلت مشاجرة بينهم يقول بعضهم لبعض : إما أن تسكت وإلا صليت في محلك، يعتقدون أن المحل إذا وقعت الصلاة فيه خلا واجتاح أهله، على ما حدثونا بذلك عنهم، عفا الله عنا وعنهم.

ذكر الوصول للمحل المعروف بعامر ومن تعرض لنا من الأحباب

ولا زلنا مجدين في السير حتى وصلنا للمحل المعروف بعامر، فوجدنا الأحباب والإخوان قد خرجوا بقصد انتظار قدومنا، وضربوا قبابهم هناك عند جنان بئر الحنشة قبالة حوش الولي الصالح سيدي محمد بن الفاطمي، ويقال لذلك المحل أيضا : بودبزة. ولما أقبلنا عليهم سارعوا لملاقاتنا، وأقبلوا علينا بوجوه تغشاها الأنوار، وصدور صافية من الأغيار، بما حصل لهم من الفرح بقدوم هذا السيد الجليل، وتسارعوا لتقبيل يديه، للتبرك به وبما لديه، فكانت ملاقاتهم ترتاح بها الأرواح، وظفروا بما ظفروا به من القبول الذي تنشرح به الصدور أكمل انشراح، فحططنا الرحال هناك قرب الساعة الرابعة، بعدما طلبوا منا الإستراحة هناك، حتى لا يقع الدخول ليلا، وليعلموا بقية إخوانهم من أهل الرباط وسلا، فلا يفوتهم الفرح بالخروج للملاقاة، الذي كانوا ينتظرونه طول الأوقات، فبتنا معهم بذلك المحل الذي بينه وبين سلا نحو الساعتين أحسن مبيت.

وواسطة عقدهم في ذلك المحفل المنيف، الشاب العفيف، الفقيه الأمجد، الموقت بالجامع الكبير بسلا، المقدم الأسعد، سيدي محمد بن المقدم البركة سيدي المكي(362) الزواوي السلاوي أصلا، مع بعض منشدي الزاوية، وجماعة من فقهائها وتجارها من شيوخ وشبان، وأصحاب وأعوان، والكل يرفل في لباس القبول، ولم يقصروا في الفرح، بما يذهب عن كل محزون الترح، وباتوا في نشاط زائد ينشدون الأمداح النبوية، وأمداح الحضرة الأحمدية، فأنشدونا قصيدة الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح، رضي الله عنه، في الإستغاثة بسيد الوجود (ﷺ) مطلعها :

يا رحمة للعالمين وخير من تجلى به عنا المصائب والكرب

وأنشدوا أيضا قصيدته التي قالها على لسان الزاوية المباركة :

لك البشرى فقد نلت الأماني وحفتك المسرة بالأمان(363)

وهذه القصيدة عند غالب إخواننا السلاويين محفوظة ينشدونها عن ظهر قلب، وكذلك القصيدة الغيلانية(364) في مدح سيدنا رضي الله عنه التي مطلعها :

إن ترم نيل الأماني فالزم القطب التجاني

---

(362) المقدم سيدي المكي بن أحمد بن المكي بن أحمد الزواوي السلاوي، من خاصة أهل ا المقربين، قدمه لتلقين أوراد الطريقة الأحمدية التجانية الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، وسبب ذلك أن فقراء مدينة سلا جاؤوا مرة زائرين للولي المذكور، وقالوا له : اجعل لنا مقدما علينا، ولم يكن صاحب الترجمة معهم، فلم يساعدهم على ذلك، ثم عاودوه في الطلب مرة آخرى، فلم يساعفهم، ثم أتوا عنده مرة ثالثة، وكان معهم في هذه المرة صاحب الترجمة سيدي المكي الزواوي، فقدمه عليهم مع كونه وقتذاك أصغرهم سنا، فصار بعضهم ينظر إلى بعض، فالتفت إليهم الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح وقال لهم، وما فعلته عن أمري.

وكانت وفاته رحمه ا بمقر سكناه بمدينة سلا في صبيحة يوم السبت متم شعبان الأبرك عام 1326هـ، وذلك بعدما أخبر بموته قبل ذلك بأيام قلائل، انظر ترجمته في إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 7، وفي نخبة الإتحاف لنفس العلامة رقم الترجمة 326، وفي نيل المراد لنفس العلامة كذلك ج 1 ص 98.

(363) أنظر هذه القصيدة بتمامها في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 27، وفي الجزء الخاص بالقصائد من كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب مولانا العربي بن السائح.

(364) نسبة للفقيه العلامة الأديب الفاضل سيدي محمد غيلان الوزاني

ومنها :

لم ينل قط ولي ما حوى القطب التجاني(365)

وقد كنت خللت هذه القصيدة بما صارت به وافية، على نوع من التشريع، وضرب غريب من التضمين المعروف عند علماء البديع، فقلت في المطلع :

إن ترم نيل الأماني أبدا فالزم القطب التجاني أحمدا

حتى قلت في البيت المذكور بعده :

ما حوى قط ولي في انتها ما حوى القطب التجاني في ابتدا(366)

ذكر الدخول لسلا وما جرى أثناء ذلك

ثم إننا بتنا في هذه الليلة الزاهية الزاهرة، في نعمة باطنة وظاهرة، إلى أن أصبح في وجهنا يوم الخميس، وقد أقبل الإخوان والأحباب من أهل سلا ورباط الفتح مقبلين على الطريق لملاقاة سيدنا محمود كالخميس(367)، حيث انتشروا على البسيطة رجالا وركبانا، فركبنا، وارتحلنا من هذه المحطة في الساعة الحادية عشرة، وسرنا والأعين شاخصة إلى التمتع بالنظر في طلعة سيدنا محمود، والتشرف بتقبيل يده الشريفة، ونيل دعائه الصالح الذي ينالون به غاية المقصود. وقد تراءت لنا أمامنا عن بعد صومعة جامع حسان بشالة القديمة، من بناءات المنصور خارج الرباط، فرأيناها قبل أن يتطلع علينا شيء من البناءات السلاوية والرباطية، ولازلنا نسير مع الأحباب في احتفال كبير، إلى أن رأينا بناءات سلا عن اليمين، وبجانبها عن اليسار رباط الفتح.

وصولنا للمحل المعروف بالأقواس وهو ثلاثة أقواس مصطفة

ولما وصلنا للمحل المعروف بالأقواس، وهو ثلاثة أقواس، وجدنا الأحباب والإخوان ينتظرون قدومنا، وهم فرحون مستبشرون، وقد تسابقوا إلى تقبيل ركاب سيدنا محمود وازدحموا عليه، وكادوا أن يحملوه مظهرين للسرور لقدومه ما يشكرون عليه عند الله والرسول، لاعتنائهم بسيدنا رضي الله عنه بفرحهم بسبطه، فأكرم بهم من أناس، جعلوا موطئ قدم هذه البضعة

(365) انظر هذه القصيدة بتمامها في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 29.

(366) انظر هذه القصيدة بتمامها في النفحات الربانية في الأمداح التجانية للعلامة سكيرج ص 46-47.

(367) الخميس : الجيش

المحمودة منهم فوق الرأس، ثم أقبلوا علينا، وأدوا ما يدخل به السرور علينا، من كمال المبرة، وحسن الشكر على هذه الرحلة الميمونة.

فممن تلقانا من أهل الرباط العلامة الفاضل سيدي الحاج أحمد بن قاسم جسوس(368)، والعلامة الفاضل سيدي الحاج عبد الله التادلي(369)، والبركة الفاضل سيدي الحاج محمد الأمين

---

(368) أبو العباس أحمد بن قاسم جسوس الرباطي، فقيه، أديب، محدث، من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية بالرباط، أخذ العلم عن مجموعة من الشيوخ الآفاضل في مقدمتهم : العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وشيخ الجماعة العلامة أبو إسحاق إبراهيم التادلي، والفقيه أبو حفص الحاج عمر عاشور، وأخذ بمدينة فاس عن العلامة سيدي أحمد بناني كلا، والعلامة سيدي محمد بن المدني كنون، وسيدي محمد بن عبد الواحد بن سودة، وسيدي محمد فتحا بن قاسم القادري، وغيرهم من الأعلام الآخرين.

ومن مصنفاته : تعليق على موطأ مالك، والإغراء بمسائل الإستبراء، وزهر الخمائل من دوحة الشمائل، وجلاء الغين عن قرة العين، وهي حاشية على شرح الحطاب لورقات إمام الحرمين، وعقرب تحت طوبه، وهو تقييد في مسألة فرضية، ومنسك، وفهرسة جمع فيها تراجم من لقيهم في سفره للمشرق، وغير ذلك من الرسائل والتقاييد والأدبيات.

وكان العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح يسميه بعروس العلماء، وكان مهما دخل عليه قال له : مرحبا بعروس العلماء، ويفسح له، وذات يوم جعل ينظر ويمعن فيه كثيرا، والعلامة أحمد جسوس مطرق ببصره إلى الآرض، وأخيرا رفع إليه رأسه، فقال له الولي المذكور : السلحفاة لا تؤثر إلا بالنظر، وحتى بيضها لا يفقس إلا بالنظر إليه، وإنما أريد أن أهذبك بالنظر. وله رحمه ا ديوان مليء بالقصائد النبوية الشريفة منها قوله في مطلع إحداها :

لطيبة فاركب ناقة الشوق أو طرفا وغض عن الأحباب كلهم الطرفا

وله في نفس الموضوع قصيدة طائية بديعة قال في مطلعها :

خليلي هذا البين في الخد قد خط خطوط دموع تشبه الخد والشرط

جفاني به نومي وعيل تصبـري وساورني هم كما الحية الرقطـا

وكانت وفاته رحمه ا في 13 ذي القعدة الحرام عام 1331هـ، عن 61 سنة، ودفن بالزاوية الناصرية بالرباط، أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 149، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 7، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد ا الجراري ج 2 ص 39، وفي الإغتباط لبوجندار ص 62، وفي الإعلام بمن حل مراكش لابن إبراهيم ج 2 ص 281-289، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 199.

(369) الولي الصالح المقدم البركة العلامة سيدي عبد ا بن محمد التادلي الرباطي، فقيه، أديب، صوفي جليل، أحد تلامذة العارف بربه سيدي محمد العربي بن السائح، وهو الذي أجازه في تلقين أوراد الطريقة الأحمدية التجانية لمن طلبها منه، وله في مقدمه الولي الصالح المذكور أشعار رقيقة، ومن مصنفاته : أرجوزة في علم البديع نظم فيها أنواع المحسنات التي استقرأها صفي الدين وأوصلها إلى مائة ونيف وخمسين، يقول في مطلعها :

علم البديع حصرت أقسامه ونشرت بين الورى أعلامه

أوصلها الحلى صفي الدين لعدد في الرمز ذي تمكيـن

وكان مولده بمدينة الرباط في 12 ربيع الثاني عام 1266هـ، أما وفاته فكانت بتاريخ 10 جمادى الثانية عام 1336هـ، عن 70 سنة، ودفن بضريح سيدي أبي الأنوار بمدينة الرباط، أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي الإغتباط لبوجندار ص 390، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد ا الجراري ج 2 ص 324 -326.

بن يحيى بلامينو(370)، وجماعة آخرون لا يحصون كثرة. أما أهل سلا فقد خرج كل من بلغه قدومنا لملاقاتنا، ولم يتأخر عن الخروج إلا من لم يبلغه الخبر. ثم دخلنا لسلا، وفيها قلبنا عن جميع المهمات سلا، وكأننا دخلنا لجنات النعيم، وبعد الإقامة بها أياما تعد من مواسم الخيرات، قطعنا الوادي لرباط الفتح، وفيه انشرح صدرنا بما نلناه من كمال النجاح. وشغلتنا ملاقاة الأحباب، عن إخراج مبيضة ما نكتبه من هذه الرحلة في الكتاب، إلى أن طرأ ما أوجب علي الرجوع لفاس(371)، فاستودعت سيدنا محمودا رضي الله عنه بالجسم، وتركت القلب عنده.

ولو نعطى الخيار لما افترقنا ولكن لا خيار مع الزمان

وقد تركت جل ما بيضته من تراجم السادة الذين اجتمعنا بهم بسلا والرباط بيد الرفيق، والله الهادي إلى سواء الطريق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(370) الولي الصالح البركة، المقدم الجليل، أديب الزمان، سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي، وهو أقرب الرفاق للعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وكانت تربطهما صداقة متينة، وعهود مواثيق أمينة، بحيث كانا لا يتفارقان إلا نادرا قليلا، فيقضيان الوقت في الذكر والمذاكرة الجادة نهارا وليلا، وشكلت وفاة الولي المذكور ثقلا كبيرا بالنسبة إليه، وذلك نظرا لعوامل متعددة، منها أنه أستاذه وسنده ومربيه.

ومما يدل على اتساع عارضة هذا الرجل الصالح ما تطايرت به الأخبار عنه من استقامة ونزاهة وعدل، ومروءة وجلالة وفضل، مع ما عرف به من الفتح الخارق، ومن شعره في هذا الصدد قوله :

نشرت هوى المحبوب بزا يمانيـا وقد كان في ظل الضلوع شاميـا

وما بحت بالسر الذي سكن الحشا صبيحة نلت من رضاه الأمانيـا

فجاد بمفتاح الكنوز لعبــــده وزاده تقريبا له وتـدانـيــــا

فحزت من السر المصون كنوزه ونلت من الفتح المبين المعاليــا

فقل لملوك الأرض تجهد جهدهـا فتنزع ملكا في الصدور سماويـا

وله في مدح أستاذه الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح عدة قصائد منها حائية قال في مطلعها :

جبت بلاد الشرق والغرب على مثل الإمام العربي بن السائح

نجم الهدى القطب العلا أستاذنـا مدد كل جامد وصـــــادح

وله في رثائه قصيدة قال في مطلعها :

سكب الدموع على الأطلال أضناكا أو حر نار الأسى والبين أفناكا

وكانت وفاته رحمه ا في 4 جمادى الأولى عام 1333هـ، ودفن بمسجد سيدي محمد الضاوي بالرباط، أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي أعلام الفكر المعاصر للجراري ج 2 ص 231-233، وقد خصصه العلامة سكيرج بتأليف سماه : الدر الثمين من فوائد الأديب بلامينو الأمين.

(371) لمعرفة الأسباب الدافعة للعلامة سكيرج على الإنسحاب من إتمام هذه الرحلة، انظر ج 1 ص 131 من هذا المجموع.

تقريظ العلامة السيد محمد بن المدني الحسني(372)
لكتاب غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود

أعجب لهذا الدفتر ... وما حوى من خبر

أفادنا من همة ... دون علاها المشتري

كأنه نجم سنا ... أضاء في ذي الأعصر

وكيف لا وهو جمع العالم المعتبر

أعيذه من كل سو ... بالبارئ المصور

ضمنها رحلة من ... بالمجد والفضل حري

سيدنا محمود بدر ... التم بادي المفخر

من معشر قد شرفوا ... أكرم بهم من معشر

أدامه رب العلا ... وزاده في العمر

كتبه مرتجيا ... قبول هذا الحصر

محمد المدني من ... يدعى الحسني النجر

فلتنظرن عين الرضى ... منكم لهذي الفقر

ولتسألوا خير الدعا ... له من ماد الأبحر

نجل رسول الله ذي ... الأصل السني الجوهر

صلى عليه الله ما ... أضاء نجم القمر

في 26 ذي حجة الحرام عام 1329هـ.

---

(372) العلامة الأديب المقدم الفاضل البركة سيدي محمد بن الحسني العلمي الرباطي، من خيرة علماء الطريقة الأحمدية التجانية بمدينة الرباط، ولد بالمدينة المذكورة في 9 رمضان عام 1266 هـ، وبها أخذ العلم والمعرفة، وتمسك بالطريقة التجانية عن الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، ثم أجازه فيها جماعة من الأفاضل منهم سيدي الغالي بن موسى بن معزوز السلماني الحسني، وخطيب الحرم المدني الشريف المقدم البركة العلامة سيدي إبراهيم بالي.
وكان له ولوع كبير بمطالعة الكتب والمذاكرة فيها، وخصوصا كتب الحديث والتصوف، وكان إذا تكلم يود سامعه أن لا يسكت، وفي حقه قال العلامة العارف با سيدي محمد العربي بن السائح يوما لجماعة من الحاضرين : من أراد أن ينظر إلى شريف محقق نسبه فلينظر إلى هذا، ومن أراد أن ينظر إلى أحد وجوه الجنة فلينظر إليه.
وكانت وفاته رحمه ا في الساعة 11 من ليلة الأربعاء 28 رجب الفرد الحرام عام 1341 هـ، ودفن بالعلو بضريح سيدي المريني المقابل لضريح الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وجعلت على قبره قبة جليلة، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 147، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 7، وفي كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح.

فهرسة كتاب : غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود

مقدمة الكتاب...
ذكر تاريخ قدوم سيدنا محمود لفاس ....
ذكر قصيدتين في الترحيب بسيدنا محمود ....
قصيدة الأديب السيد الحسن بنونة في تهنئة سيدنا محمود بالقدوم.........................
تزوج سيدنا محمود بأخت رفيقه الحاج محمد دادي..
نص الكتاب الذي وجهه سيدنا محمد البشير للفقراء التجانيين بفاس........................
قصيدة للمؤلف رحمه الله يرثي بها سيدنا البشير ....
ذكر قصيدة أخرى في مدحه للمؤلف أيضا ....
ذكر قصيدة في مدح سيدنا محمود مع والده وجده للمؤلف أيضا...........................
أمر سيدنا محمود لنا بالرحيل معه للجولان في نواحي القطر المغربي.......................
إجازة سيدي محمود للمؤلف ....
إجازة سيدي محمد البشير لولده سيدي محمود ....
الخروج من فاس والتوجه لمكناس وما جرى أثناء الإستعداد لذلك.........................
المبيت بوادي النجاة ....
الوصول لمكناس..
ذكر بعض ما يتعلق بمدينة مكناس...
ذكر بعض من تلقانا بمكناس وكيف كان التلقي ....
اجتماعنا بنقيب العلويين مولاي عبد الرحمان بن زيدان ....
ذكر استدعاء النقيب مولاي عبد الرحمان بن زيدان لنا ....
احتفال عامل مكناس بنا وغيره من الإخوان ....
ذكر زيارة الزاوية التجانية بمكناس وذكر ما هو مكتوب على جدرانها ....
ذكر ترجمة بعض من اجتمعنا بهم في مكناس، منهم مولاي الكبير بن زيدان.............
ترجمة الفقيه سيدي محمد الغالي السنتيسي...
ترجمة الفقيه سيدي محمد العرائشي ....
ترجمة الشريف سيد عبد القادر العرائشي ....
ترجمة الفقيه سيدي محمد السوسي ....
ترجمة مولاي الطيب العلوي..
ترجمة مولاي عبد الله العلوي ....
ذكر بعض ما هو مكتوب على أبواب مدينة مكناس...
ترجمة الفقيه سيدي محمد بصري...
ذكر تخميس قصيدة السيد إبراهيم الرياحي التونسي ....
ترجمة الشريف سيدي محمد الشبيهي ....
ترجمة سيدي محمد بن حبيبي بصري ....
السفر من مكناس إلى زرهون ....
ذكر وصف بلدة زرهون وذكر بعض عوائد أهلها...
ذكر الذهاب لرؤية قصر فرعون وغيره من الأمكنة التي بزرهون................................
بحث في مسألة ذكاة أهل الكتاب...
ذكر خروجنا للموضع المسمى بعين خيبر وعين شانش
ذكر الذهاب لقصبة الشرفاء البلغثيين هناك ....

زيارتنا للضريح الإدريسي وذكر ما هو منقوش على جدرانه..
زيارتنا للزاوية التجانية التي بزرهون وذكر ما هو مكتوب على جدرانها..................................
بحث قيم فيما أشار إليه البوصيري في بردته ....
بحث نفيس في مسألة رفع عيسى عليه السلام وغيرها من المذكرات القيمة................................
ذكر بعض من تلاقينا معهم بزرهون فمنهم المقدم سيدي محمد بن العربي العلوي.........................
ترجمة سيدي الطيب بن علال بن العربي برادة...
ترجمة العلامة سيدي محمد بن أحمد العلوي ومعها مباحثات قيمة
في مسألة ألفة الضب للنبي (ﷺ) وهل يؤكل أم لا ؟ ....
ترجمة مؤذن الضريح الإدريسي...
ذكر أرجوزة في أقسام الخنثى وأحكامها
ترجمة سيدي محمد بن الوافي بن عمر الزعيمي..
ترجمة مولاي عبد الرحمان العلوي ....
ترجمة مولاي العربي بن هاشم العلوي ....
ترجمة سيدي محمد بن المامون العلوي..
الخروج من زرهون والتوجه إلى الشراردة..
النزول بالدوار المعروف بتجينة ....
الخروج لرؤية المرجة التي في دوار تجينة ....
الوصول للمحل المعروف بالدهس...
الوصول إلى بعض الأضرحة التي في الطريق ....
المبيت بقصبة الوادي المعروف بالفوارات...
ذكر الوصول للمحل المعروف بعامر وذكر من تعرض لنا من الأحباب
ذكر الدخول لسلا وما جرى أثناء ذلك ....

خاتمة الكتاب...
تقريظ العلامة السيد محمد بن المدني الحسني لكتاب :
غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود ....

فهرسة الكتاب ....

العربية بدون العربية

تأليف : العلامة الحاج محمد [illegible]

[illegible] : ذ. محمد [illegible]

بسم الله الرحمان الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



لقد جلت في هذه السويعة في أيام حياتي الماضية إلى الآن. وما حصلت عليه من الخير، وما فعلته من الشر، حتى أميز ما أنا عليه من سوء الحالة التي طالما اختلج في صدري أن عاقبتها وخيمة (1) إن لم أبادر بالمثوبة والإقلاع بإقماع(2) النفس عن غيها، ورفع الحجاب لها عما وراءه من سوء العاقبة التي لم يخطر لها ببال، بما أدلاه لها قرينها من حبل الغرور(3). فتجلت لها تلك الأيام الخالية كلها منذ عقلت القربة في ظلمات بعضها فوق بعض، وتحققت بأني على خطر في كل ما صدر مني حالة الصبا وبعدها، مما لو أمليت هنا ما استحضرته من المنكرات لتخيل كل ذي عقل بأنه لا يوجد على الكرة الأرضية إنسان مثلي أنفق نفيس أنفاسه في ما لا طائل، ولم يحصل لديه من الخيرات حاصل.

فوقفت هنا وقفة خجل مزينا لنفسي بنفسي كتم ما جنيته من المخالفات، الموجبة لما أستحقه من الطرد عن حمى أهل الصلاح، أو أعترف به لتنكف(4) نفسي الأمارة عن غيها(5) الذي لم تلق له بالها، وهي في عمه(6) هواها، تحسب أنها على شيء. وفي الحقيقة هي غير شيء، غير أن الكريم جاد وأعطى. ولولا السابقة التي سبقت من الحق بالقضاء في خلقها في الصورة الإنسانية لقلت أن البهيمة أحسن منها حالا، وهي كذلك إن لم تتداركها العناية الإلهية بالألطاف، ويختم لها بالسعادة التي نرجوها من الله من غير عمل أدلي به إليه سوى ظني الجميل فيه، متوسلا إليه بالرسول الآمين عليه الصلاة والسلام في التفضل بذلك، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة.

ولقد ألزمني الوارد الذي ورد علي الآن أن أبين لنفسي الجاهلة أو المتجاهلة ما أنا عليه، لتعلم أنها في غفلة عما اكتسبت من الإثم، وأن كفة ميزانها طاشت(7)، وأنها بين القوم مستحقة للوم، فيتبين لها أمرها، حلوها ومرها، فتختار لها ما يحلو من المبادرة لإصلاح ما أفسدت،

---

(1) وخيمة : ثقيلة
(2) بإقماع : بقهر ورد
(3) الغرور : الأباطيل
(4) لتنكف : لتتوقف
(5) غيها : ظلمها
(6) عمه : ضلال
(7) طاشت : خفت

واستدراك ما ضاع لها من الربح الذي اغتنمه غيرها. أو تبقى في قيد هواها مقيدة مسوقة بأعنة(8) العنى(9) إلى القضاء المحتم، جعل الله العاقبة خيرا بمنه

ويا ليتني حصلت طبق أمانيا فأخلص منها لا علي ولا ليا

وها أنا ذا أطلعها على النزر(10) اليسير من تلك الأحوال، وأريها ما في طاعتها التي اعتمدت عليها من دسائس قرينها الذي لم يألو جهدا في التدليس(11) عليها، فيما يروجه في سوقها من زائف(12) التجارة البائرة عاجلا وآجلا مع الخسران المبين. الذي سامها به وهي في غفلتها سائرة، مصرة على ما تتوهمه من النجاة باعتمادها على حسن الظن منها، الذي هو بلا شك مجرد غرور، تظاهر لها في صورة حسن الظن النافع، وهو في الحقيقة سمها الناقع(13)، كما اتضح لها ذلك في خاصة نفسها، وأضمرته في صميم الصميم حتى لا يفتضح سرها عند من يظن فيها الخير وهم كثير، ولو اطلعوا على ما لديها من العيوب، التي انسدل عليها ستر الغيوب، ما رد عليها أحد السلام، فضلا عن أن يعتقد فيها ما يوجب الإكرام، ولكن سبحان الستار، الذي تجلى بالستر على عبده في هذه الدار، وله الفضل في إسبال الستر حتى في تلك الدار، وسأكتب هنا حرفا واحدا من حروف لا حصر لها في الصور، تحت كل حرف ما لا تفي العبارة بشرحه، إلا ما كان من هذا الحرف الذي أكتبه، فهو بالنسبة للحرف الواحد منها كنقطة طل(14) في بحر.

ولا عجب إذا قلت أني ملأت أيام حياتي بما لا خير فيه، مما لا يحمد أمره في الحال والمآل، فإني معدن ذلك من حيثية كوني على جرف هار(15)، انهار بي في مهاوي الهوى، منذ ذلك الحين وأنا منهو من غير شعور مني بالرجوع إلى الحق بالتوبة النصوح، وكلما عزمت عليها لم أجد مني قابلية الصلاح، ولا داعية الفلاح. فوا أسفاه إن دام بي هذا الحال بعد ما تجلى(16) لنفسي ما هي عليه، واتضحت لها ماهيتها، وشاهدت ما سجل عليها في كتابها الذي ستلتزم بقراءته، وتشهد على نفسها بنفسها. وإني لعلى يقين إن لم يوافقها الحق بالإتعاظ، لا تلقي لما أمليه لها هنا بالا ولا تسمع مني كلمة. وعلى كل حال فإني أشرح لها ذلك لعل الله أن يهديها فتسير بي سيرا(17) حثيثا إلى نيل الخير وبذل الخير، فتكون لها بفضل الله الحسنى والزيادة. وما ذلك على الله بعزيز.

---

(8) أعنة : جمع عنان وهو اللجام
(9) العنى : التعب والنصب وغير ذلك من المقاساة
(10) النزر : القليل
(11) التدليس : الخديعة
(12) الزائف : المردود لغش
(13) الناقع : بمعنى المجتمع
(14) طل : مفرد طلا وطلال وهو الندى
(15) هار : ضعيف
(16) تجلى : ظهر
(17) حثيثا : سريعا

وها أنا ذا أشرع في بيان ذلك لها، فلتستعدي يا نفسي للمرافعة عنك بحجة قوية حتى لا يلحق بك العار المنوط بك، أو اعترفي وتوبي طالبة من ربك المغفرة، فإني معترف، وما أراك إلا في ضلالك القديم، مصرة على المكابرة حتى ترين عين اليقين، فانظري إلى هذه الأطوار، وما تدور فيه من الأدوار :

 الدور الأول

في دور النفس في حضرة العدم
وما كانت متحققة به وما ǅžŎl ǈǰǂY l ƁlƬ

كنت أيتها النفس في العلم الإلهي كما أنت عليه الآن، ولا يزال ينكشف لك ما هو عنك غائب في مظاهر تقلباتك، حتى تقفي على عين الحقيقة يوم يكشف لك عن ساق فترين الحقيقة منك كما هي في نفس الأمر عند الحق من غير تعد عليك في ذلك كله. في الأمس واليوم والغد، بل من يوم لا يوم إلا ما شاء الله من التأييد، فينجلي عنك الحجاب، وتقرين للحق بما أقررت به في عالم الذر المخاطب في يوم "ألست بربكم(18)" فقد أقررت بالتوحيد، وأعطيت الحق حقه، فامتثلت أمره في جميع حركاتك وسكناتك من ذلك الحين، ولا حين عند الحق، وإنما الحين بالنسبة إليك. فأنت ممتثلة له قطعا بشعور وبدون شعور، فإن نظرت إلى ما كنت عليه وما أنت عليه. وما أنت متقلبة فيه في هذه الحياة وبعدها، اتضح لك أنك جارية على النهج الذي تدعوه نفسك التي هي حقيقتك طبق ما أجبت به، فلقد أقررت عالمة بالحق حين كنت مجردة. فكيف خامرتك(19) الغفلة حين ازدوجت بهذا الهيكل الذي خرج لدار الإمتحان.

فإن قلت مالي حيلة في المقدور، والإحتجاج بالقدر عنك في حضرة التكليف من المحظور، فكيف السبيل في النجاة ؟ قلت الرجوع إلى الحق حق، فاعرفي مرتبتك من الخلق، وأنك في درجة تصعدين فيها وتنزلين بحسب ما تنسبه إليك في يقظتك وغفلتك، والنجاة كل النجاة في التعلق به تعلقا يناسبك في جميع شؤونك، بتعلقك بالحبل الذي أدلاه إليك من حضرة القدس، وهو الحجاب الأعظم بينك وبين اضمحلالك(20) من نفس الوجود، وذلك عين الرحمة عليه الصلاة والسلام، فاتبعي سبيله. فهو دليل الحق، بين الخلق، وما عليك إلا أن تعملي، ولا تتكلي، وإياك والإعتماد على العمل، فإنه من الزلل، وكل مسير لما خلق له.

---

(18) سورة الأعراف، الآية 172
(19) خامرتك : بمعنى خالطتك وحجبتك
(20) اضمحلالك :تلاشيك وانحلالك

الÜوم الÜاني

في دوþ النƧƻ ǅžمـ ƒǂƬ (21) ǍǇƋ ƒǂƬ ǍǇƋ ǅžǑl

كنت أيتها النفس في صلب آبائك من آدم إلى الآن، بانتقال من صلب إلى رحم، فهل كان تقلبك في الساجدين حتى ظهرت للوجود فتعود بركتهم عليك ؟ فإن تقولي ليس هذا من شأنك لأن ذلك أمر الغيب الذي يرجع فيه للسابقة التي ليس بيد المخلوق منها شيء، فإني أقول لك يحق لك أن تنظري في أصلك فتتحققي به حتى تعلمي أنك في شك من نسل من ومن، فلست من نسبتك على يقين، وليس بنافع لك تمسكك بحيازة النسبة، فإن الظاهر لا يعتمد عليه عند تجلي الحقيقة يوم يظهر الباطن في مظهره الحقيقي، وأخشى أن لا تكون نسبتك صحيحة، وإنما انتحلتها لأصلك، أو انتحلها(22) أباؤك رحمة الله وبركاته عليهم، فاعترفي إذن بأنك في شك من نسبتك، ومدي يدك لربك بطلب الستر، وتوبي من الإعتماد على النسبة التي لست أنت منها على اليقين، حتى تتجلي الحقيقة، واطلبي الستر منه على كل حال.

الÜوم الkلJK

في دوþ النƧƻ ǅžمـ الþحـ! ǍǇƋ ǅžǑl وبɏد ǅžǑl

كنت أيتها النفس في راحة بال منذ نفخ الروح في هيكلك قبل الخروج من الرحم وبعده، إلى أن عقلت، فلم يكن لك شعور فيما ينفعك ويضرك، والحق تعالى تكفل لك بما لم يقدر على التكفل به سواه، بأن وضع الشفقة في قلب من رعاك ورباك وصرف في تغذيتك وتربيتك نفيس(23) أنفاسه، وأنت عن ذلك كله لاهية حتى عقلت، فلم تتذكري ما كنت عليه، وكدت أن تنسي خالقك ومربيك الحقيقي، الذي تنطق المكونات بوحدانيته، وإنه الذي خلق فهدى، وقد قال لسان حضرته في مخاطبة أمثالك :

تذكر جميلي فيك إذ كنت نطفة(25) ولا تنس تصويري لشخصك في الحشا(24)
وسلم لي الأشياء واعلم بأنني أصرف أحكامي وأفعل ما أشا

---

(21) الصلب : عظم في الظهر ذو فقار، يمتد من الكاهل إلى العجب أو أسفل الظهر، وجمعه أصلاب
(22) انتحلها : بمعنى انتسب إليها
(23) النفيس : الغالي
(24) الحشا : مفرد أحشاء وهو ما في البطن
(25) نطفة : الماء الصافي قل أو كثر، والمراد بها في هذا البيت إظهار مدا نعم ا وآلائه على هذا الإنسان سواء في بطن أمه أو بعدما تضعه، قال تعالى : وا خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا

فماذا تذكرته من جميله يا غافلة منذ صرت عاقلة، فلقد رأيتك منذ عقلت القربة. صرت تهتمين بنفسك لنفسك، وتدبرين لك على قدر حيلتك ما حجبك عن صنع مدبر الأمور لك، ومع ذلك فإنه لم يتركك في الحقيقة، وإنما امتحنك بالتكليف لتتيقظي من غفلتك من تحت رق الهوى، الذي أنساك ما كنت عليه من التوكل عليه، حتى عقلت فعقلت نفسك بنفسك، بما نسبته لك، ولو عقلت في الحقيقة ما اهتممت بدنياك بما يعمر خرابها، وأنت مراد للأخرى.

فماذا حصل لك، وماذا دهاك حتى زعمت أنك مدبرة، وأنت بتدبيرك مدمرة(26)، لما ينفعك في الدارين، بإعانة قرينك الذي لازمك في سائر أطوارك، فهلا شعرت بما أصابك في هذه الحياة من التقاعد(27) عن أداء ما كلفك الحق به، ولم تنهضي إليه لا بداعية تحصيل الآجر، ولا بما ترينه وتسمعينه من صواعق الزجر، فيما يرجع لهذا الآمر، وإذا قمت بشيء منه خامرك فيه ما خامرك، وأنت غافلة إلى الآن وحتى الآن، فانظري بعين الإستبصار(28) من حين التكليف إلى ما صدر منك من التقصير والتهاون الذي تقضين به من أول وهلة على نفسك بنفسك بأنك هالكة تائهة، في فيافي(29) القطيعة التي تستحقين بها ما تستحقين من التوبيخ وسوء الحال والمآل، إلا أن تداركك العناية بفضل الإله الذي يجبر قلب الكسير، فتعلقي بحبله المتين، وارجعي إليه في الحين، فإنك راجعة إليه ولو بعد حين، فيراك منقادة في خجل ووجل، أو مكرهة على خطر وخطل(30)، ولا ينفعك اعتذارك في تقصيرك في العمل من قولك : مكره أخاك لا بطل، فاطلبي منه العفو والعافية، فهو الذي لا رب لك سواه.

ƲاƥƖال ƥوƱال

ǄžŎا دƴبو ǄžŎا ǍƖƌ ةلوƧƱال ƥود في

أيتها النفس بعدما حجبت عنك الفطرة(31) التي ولدت عليها بترعرع هيكلك الذي كلما تفطن بهذه الحياة ازداد غفلة عما كنت شاعرة به، فكنت في أيام طفولتك محجوبة عن الشكر فيما قبل هذه الحياة وما بعدها، حتى في حالتك الراهنة كنت لا تفرقين بين خير وشر، ولقد كان غيرك في حال الطفولة ممن سبقت لهم العناية في يقظة عارفين بربهم، غارفين من الإمدادات العرفانية ما شهد لهم به كل من عرفهم، على حسب تفاوتهم فيما خص به كل واحد منهم من الموهبة الربانية، واللطيفة الإحسانية.

---

(26) مدمرة : مهلكة
(27) التقاعد : بمعنى التوقف
(28) الإستبصار : التأمل
(29) الفيافي : القفار
(30) الخطل : الحمق والخفة
(31) الفطرة : الصفة التي يتصف بها كل موجود في أول زمان خلقته، وهي صفة الإنسان الطبيعية.

ولقد شهدت لهم الكرامات المدونة(32) بأنهم من أهل الخصوصية، فنشأوا فيها وتربوا عليها في حفظ الله ورعايته تحت التوفيق الإلهي، بحيث سلكوا في تلك الحال على ما حمدوا عليه، فأشرقت بدايتهم التي وجدوا بها النور في ظلمات الأغراض العارضة في زمن الصبا إلى آخر طور من حياتهم، سيان(33) ذلك منهم في حال الطفولة ممن لم يبلغ منهم سن التكليف أو بلغ مبلغ الرجال المشكور فعلهم، فلو هلكت قبل الصبا لكنت في راحة مما تحملته في أطوارك إلى الآن، وأنت لا زلت في عمه الهوى تتلونين تلون الحرباء(34) في تطوراتك، في الخلوة والجلوة، حتى في هذه الحالة الراهنة تظهرين خلاف ما تبطنينه من الأحوال، التي صرت بها في أوجال(35).

فقولي لي عفا الله عنك ما اكتسبت زمن الطفولة التي مضت أدراج الرياح، فانظري فيما سلف لك، واخبريني عن مزية امتزت بها بين أقرانك في ذلك الإبان، لأشكرك عليها، فلا وربك ما رأيت لك ما تحمدين عليه سوى بضعة سوائع مرت، وأنت في الكسل غادية رائحة، ولولا العناية التي تفضلت عليك من غير حق تستحقينه في ذلك الحين من تكليف غيرك بك لبقيت في حيز الضلال، وهل تذكرت يا نفس خيرا تعتمدين عليه، فصفيه لي بعد أن تزنيه وتريه بميزان الإخلاص راجحا، فمالك ساكنة، وعهدي بك تقولين وتصولين، حين يخلو جوك الذي فيه تجولين، فما أسمع منك الآن إلا همسا(36)، وكلاما نفسانيا ينشد لسان حاله في حقك.

لقد أسمعت لو ناديت حيا	ولكن لا حياة لمن تنادي

فإذا تحققت بأنك لم تعملي خيرا، ولا خير عندك تعتمدين عليه، ورأيت هذا وهو بين عينيك واضح، فدعي التبجح(37) جانبا، والجأي إلى ربك معتصمة بالحبل المتين، لينقذك من تيار بحر الشهوات المفضية لهلاكك في الدارين، وهو الرسول الأمين، عليه الصلاة والسلام.

الاوم الخامƧ

في دوم النƧ2 في ĭĭ! الƬبا ǍJȧ DžǑl

إيه أيتها النفس أتذكرين أيام الصبا قبل بلوغك، حين كنت في غمرات اللهو سائرة، وأنت تخبطين خبط عشواء(38) بإلقاء نفسك فيما لا تحمد عقباه، ولا تفرقين في تلك الحال بين ما ينفعك لا في الحال ولا في المآل، إلا أن همتك مصروفة في تحصيل ما يوافق هواك، الذي أوقعك فيما وقعت فيه من المخالفات، التي تذكرين بعضها في هذه الساعة، وأخذتك الغفلة عنها منذ فعلتها، مع ما نسيته وهو في لوح الوجود محصى، من غير أن ينساه من أحصاه عليك ممن كلفه الحق بك قبل تكليفك وبعده، فإن قلت إن ذلك كان أيام الصبا قبل التكليف، فأقول لك أي فائدة حصلت عليها في ذلك الحين، تذكر لك بين المفلحين، فقد أفلح جماعة من أقرانك في مثل سنك، فسارعوا للخيرات، فانطبع في مرآة

---

(32) المدونة : المحفوظة والمسجلة.
(33) سيان : لا فرق.
(34) الحرباء : ضرب من الزحافات تتلون في الشمس ألوانا مختلفة ويضرب بها المثل في التقلب.
(35) أوجال : جمع وجل وهو الخوف
(36) الهمس : الصوت الخفي
(37) التبجح : الإفتخار والفرح والتعاظم
(38) خبط عشواء : المراد بها الناقة التي لا تبصر أمامها

قابليتهم ما حمدوا عليه بعد التكليف، حتى انقادت لهم النفس التي كانت في الجموح(39) نافرة(40)، فأقبلت على شأنها بما اعتادته بطيب نفس، وأنت لا تقومين إلا بكره في إكراه بعد ذلك الحين.

ألست تذكرين أيتها النفس كذا وكذا مما سأذكره لك، وأنت تعرفينه منك، وأنا أتحققه منك، مما هو من عيوبك التي هي ظاهرة للعيان، وترينها بعيونك التي تغضينها(41) على قذاها(42)، فماذا تصنعين حين يعرض عليك الذي عملته قبل بلوغك، فأحرى ما عملته بعد البلوغ، فلا تقولي إنك غير مؤاخذة به لصدوره أيام الصبا قبل التكليف، فإني أقول لك المؤاخذة متوجهة عليك من وجوه، حيث أنك في السابق ساهية، وعن اللاحق لاهية، فبأي وجه تلقين ربك حين يلقاه من كان في سنك مفلحا في صلاح حال، وأنت لم تحصلي على نتيجة تحمدين عليها في ذلك الحال، سيما وقد بلغت إلى هذا الحال. فإذا تحققت بما أنت متحققة به من أعمالك التي لم تزل مقيدة(43) عليك لتقفي عليها، ولم تقومي على ساق الجد في تدارك خللها بعد تكليفك إلى الآن، فاجزمي بأنك في ضلال تائهة، مسوقة بسلاسل الهوى، وأغلال الغفلة إلى البوار(44)، فانظري إلى ما يخلصك من ورطتك قبل أن يتحقق في حقك ما تتخوفين منه، وكأني بك غير مساعدة لي في خلاص ربقتي(45)، وإخلاص أعمالي التي لا تزال مشوبة(46) بالحظوظ، وإلى الله أرغب في نجاتي مما تقودني إليه أغراضك، والهوى من خلفي يدافعني لاتباعك، على إحراز مرادك، حتى كدت أن أسقط على وجهي، وقد سقطت مرارا بعثرات في ذيول الخيلاء(47) والكبرياء، التي جررتها على بساط الفخفخة(48) الكاذبة بالتبجح على الأقران، ولم أشعر بما أنا فيه، وأنت الآن متحققة به، وأنا لا أنفيه، فبلغت المنى، وأنت في العنى، غير محتفلة بما صرفته من أنفس نفيس في ذلك، وأمرك غير محمود هنالك.

---

(39) الجموح : يقال رجل جموح أي الذي يركب هواه فلا يمكن رده
(40) نافرة : كارهة وآنفة
(41) تغضينها : أي تطبق جفنيها كي لا ترى شيئا
(42) القذى : جمع قدي وهي ما يقع في العين أو في الشراب من تبنة ونحوها
(43) مقيدة : بمعنى مكتوبة
(44) البوار : الهلاك والكساد
(45) ربقتي : بمعنى أمري
(46) المشوب : المختلط
(47) الخيلاء : العجب والكبر
(48) الفخفخة : يقال فخفخ الرجل أي فاخر بالباطل

فراقبي الله نفسي في إنك في	حال صحوي وسكري أنت أماره
لقد تحكمت في كما أردت وما	أراك فيما أردت غير غداره

فالله يحفظني من مكرك، ويسلك بي مسالك النجاة حتى يعمني برداء رضاه.

اليوم الحادي

في دوم التا‡ع ǍJ̈ DžŎl

أيتها النفس أعدوة أنت لي أو صديقة، فاخبريني بالحقيقة، لأكون من أمرك على بال، فقد خاب لي الظن فيك، واضطربت أوهامي(49) في شأنك، أتظنين أنك ناجية إن هويت في المهاوي، التي يدفعني إليها هواك، وأنت من ورائي تضحكين على ما ألم بي من أهوال، في تقلب أحوال أو حال.

أمور يضحك السفهاء منها	ويبكي عندها أولوا العقول

لا والذي جعلني منك وجعلك مني إنك لشريكتي في الردى(50) إن ارتديت، ورفيقتي في السراء والضراء كرهت أو رضيت، فما لك أيتها النفس في الغواية(51) تهيمين وإلى متى وأنا بجانبك منهوك(52) القوى في السلوك على طريق غير مستقيم، وأنت تعلمين وإن تجاهلت أنك مكلفة بما كلفك الحق به تفصيلا وإجمالا، صحة وإعلالا(53)، فيا ترى هل قمت بما قام به غيرك من المكلفين مثلك، لا أراك قبل اليوم مهتمة بهذه الشؤون، كأنك غير مخاطبة بصيانة دينك المصون، وأنت في المجون(54) ذات جنون، والجنون فنون، فقولي لي يا هداك الله هل جهلت أو تجاهلت هذا، فقد حرت(55) في أمورك، في ورودك وصدورك، حيث أراك في بعض الأحيان مشفقة على شبحك الذي شيدته يد القدرة في فضاء الوجود، طبق ما فيه مشهود، إن ألم بي أضعف ألم جزعت(56) جزعا، ولا كجزع المحب على مصيبته في محبوبه الوحيد، فتقومين وتقعدين في جزعك الذي لا يقر لك معه قرار حتى تفزعين بفزع هائل إلى ما تعالجين به ذلك الألم، الذي بشبحك ألم، ثم لا

---

(49) الأوهام : التخيلات والظنون
(50) الردى : الهلاك
(51) الغواية : الضلالة
(52) منهوك : مغلوب
(53) إعلالا : من العلة وهي المرض والسقم
(54) المجون : الرجل الماجن أي الذي لا يبالي قولا وفعلا كأنه صلب الوجه
(55) حرت : بمعنى جهلت وجه الصواب
(56) جزعت : بمعنى لم أصبر عليه

يهمك أن ترميه في حال صحته، بل وفي حال سقمه، على أغراضك بإقبالك لما لا تحمد عقباه، من غير مبالاة منك لما يلقاه من وخامة(57) العاقبة، ولو كان في بحبوحة(58) الشقاء مدى الدوام.

وأراك في بعض الأحيان مزاحمة في الظاهر لأهل الخير، كأنك واحدة منهم بما تتظاهرين به من حب الخير وبغض الشر، ويعجب الناس أحوالك، وتقصر دون جل أحبابك آمالك، وفي الحين أستشعر منك مالا يشعرون به من كون ذلك منك عارض عرض لغرض، أو ذلك منك مجرد روجان بضاعة، في سوق طاعة، ومالك عن القيام به من استطاعة، أو نحو ذلك مما يكاد أن يخفى أمره عنك، ولا يستوفى حقه منك، وينتفع غيرك بك وأنت غير منتفعة، وتظهرين في الصورة مرتفعة، وأنت في الحقيقة رتبتك متضعة،

أيا حجر الشحذ(60) حتى متى تسن(59) الحديد ولا تقطع

إني لبصير بما أنت عليه في سرك وجهرك، ولكن بارت(61) حيلتي فيك بما تعامليني به، من عجيب أمرك بمكرك، ولا أتيقن منك في دينك ودنياك إلا بما اقتضته الشهادة، ولله ما ثبت في حضرة الغيب من شؤونك، ولست بمسيطر(62) عليك بدون التوفيق، وهيهات هيهات ما التوفيق من قبلي، ولا قدرة لي في الحقيقة على تحصين حالي، وتحسين عملي، وقد أجبتك عن قهر، فلا أقبل في عذلك(63) من عذر، فلذلك ألومك وأشفق من حالك، فلا ينفعك نصحي في حال من الأحوال، ولا ينفعني ما أكابده في شدائد الأوحال، وكأني بك تنشدين.

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

غير أن دعوتك غير مستجابة، إن لم تبادري بالإنابة(64)، فأقول : صدقت أيتها النفس قد طالما دعوتك وأنت لا تجيبين، وكاد ظني فيك يخيب، فهل يا رعاك الله تصدقيني إن استفهمتك عن أحوالك، وما أنت مطالبة به في أقوالك وأعمالك، فهل أديت حق التكليف، فقمت بالمحمود أتم قيام، وانتهيت عن المذموم باحتشام(65)، فوقفت عند الحدود، ولم تضيعي المفترض، ونهضت معه في السنن المقصود، كلما لك عرض، فكنت سليمة الإعتقاد، معرضة عن الشر الذي يتقد بنار الإنتقاد، فسلم الناس من يدك ولسانك، وقصدت مولاك بالعمل الصالح طبق إيمانك، لأنك تابعة في ذلك كله

---

(57) وخامة : ثقل
(58) في بحبوحة : بمعنى في وسط
(59) تسن : سن السكين أي أحده وشحذه
(60) حجر الشحذ : المسن
(61) بارت : كسدت وبطلت
(62) مسيطر : رقيب ومتسلط
(63) عذلك : لومك وعتابك
(64) الإنابة : الرجوع إلى ا بالتوبة الصادقة
(65) باحتشام : بخجل واستحياء

لنبي الهدي (ﷺ)، منذ تكليفك إلى الآن، فماذا تقولين أقال(66) الله عثراتك، وأحبك ولا قلاك(67)، قولي لي أيتها النفس مالي استنطقتك مرارا وأنت لا تخبريني عما أستفهمك عنه، وعهدي بك تنطقين من غير استنطاق، فما بالك ساكتة وقد ضاق بك النطاق(68)، كأني بك تقولين أنا وإن لم تقصر معي في العتاب، فهل لي معذرة ليفتح الحق في قبول الباب، فأني من حين التكليف وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين، شاهدة بأن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وبعد هذا لا أشرح لك حالي، لا في حلي ولا ترحالي، فإن توضيح الواضحات من الفاضحات، وجميع ذلك مقرر لديك، وها أنا بين يديك منشدة.

قد كان ما كان مما لست أذكره وقيل ما قيل إن حقا وإن كذبا

ولست بكاذبة إن قلت سعت من أفعالي أفعى(69) لي، وقد أوحى لي ضميري في أوحالي، بأن أعرض عليك حالي.

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك(70) أو يسليك(71) أو يتوجع

فهل لديك من مواساة لي أو ما تسليني به، فإني أراك متوجعا من أجلي، والتوجع غير مفيد لي، ولقد صدقتك فيما قلت أنت، وصدقتك فيما قلت أنا، فأنت أنا وأنا أنت، فانظر للخلاص، قبل القصاص(72)، والسلام.

فقلت لها أيتها النفس : إن كلامك حلو، وفعلك لغو، فأنت المطيعة قولا، والعاصية فعلا، فحالك عندي حال من قيل فيه.

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ويروغ(73) منك كما يروغ الثعلب

طالما عاهدتني في الرخاء لتكوني لي مؤاخية في الشدة، وكثيرا ما عاملتني بنقيض القصد، بنقض ما أبرمته(74) من أوثق العهود، لتكوني لي في إعانتي على القيام بحق التكليف خير

---

(66) أقال ا عثراتك : أنهظك من سقوطك

(67) ولا قلاك : ولا أبغضك

(68) النطاق : ما يشد به الوسط

(69) الأفعى : حية خبيثة وهي أنواع كثيرة كلها سامة وجمعها أفاعي

(70) يواسيك : يعاونك ويآسيك

(71) يسليك : ينسيك ويكشف عنك

(72) القصاص : الجزاء على الذنب، أن يفعل بالفاعل مثل ما فعل

(73) راغ : حاد عن الطريق وذهب هكذا وهكذا مكرا وخديعة

(74) أبرمته : بمعنى أحكمته

عمدة(75)، وكلما استدعيتك خارت(76) منك القوى، وخرت(77) قوائمك من الهوى في الهوى، وسولت(78) لي بفعلك مالا يفعل العدو بعدوه، فأكابد(79) ما أكابده من إيقاظك من سنة الغفلة، وأنت تقابليني بإيقاد نيران الفتنة، في ديني ودنياي، وتجديني لك مطيعا، ولا أجدك مطاوعة(80) لي فيما ينفعنا جميعا، وأنت الآن أفصحت لي عما أتحققه منك قولا لا عملا، إلا في إقرارك بالإيمان، فأنت والحمد لله صادقة فيه، ولكن حقه لم تستوفيه، وإن لك دعاوي(81) ما ادعاها سواك، وما أحد فيها ساواك(82)، زعمت تصديقي وصدقي، وطلبت ما طلبته مما ليس من حقك ولا من حقي، فإن واسيتك بمواساة أسأت إلي بما يتجاوز حد الأسى(83)، وإن سليتك بما يخفف عنك مرة، أثقلت ظهري بما لا قدرة لي على حمله بالمرة، ولو توفرت لك الدعاوي لقبول ما أنا له داع لكنت لي مثل ما كنت لك، فأنال أنا ما تناليه أنت، ونكون يدا واحدة فيما ينفعنا حالا ومآل.

وقد كنت أخبرتك بأني عرفت منك ما تعرفينه مني، غير أني كلما تعرفت لك تنكرت مني، وتقابليني حين أقبل عليك بوجه يلوح على أسرته ما تسره سريرتك، ومن أسر سريرة ألبسه الله رداءها، فأراك رافلة(84) في أذيال تجرينها تبخترا(85) في بساط الهوى الذي أنت كلفة(86) به مملوءة تعشقا، وقد شغفك(87) حبا ولم تضيقي به صدرا، لمطاوعته لك، ومطاوعتك له، وفيكما يتنزل المثل بكل معنى الكلمة "وافق شن طبقة" وأنا أنظر لكما من وراء ستر الخجل في وجل، متمثلا بقول العاجز عن أخذ ثاره، وإطفاء حرقة ناره.

أهم بفعل الخير لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير(88) والنزوان(89)

فإلي متى والهوى يهوي بك في مهاويه، وأنت له هاوية في الهاوية هاوية(90)، وقد استعان عليك بحب الدنيا التي أعجبتك زخارفها(91)،

---

(75) العمدة : ما يعتمد أي يتكأ عليه
(76) خارت : بمعنى انهدت
(77) خرت : سقطت من علو إلى أسفل
(78) سولت له : أغوته
(79) فأكابد : فأعاني وأقاسي
(80) مطاوعة : موافقة ومنقادة
(81) دعاوي : من الإدعاء يقال : ادعى الشيء أي زعم أنه له حقا أو باطلا
(82) ساواك : بمعنى عادلك وماثلك
(83) الأسى : الحزن
(84) رافلة : بمعنى تحب الترأس والسيادة
(85) بختر : مشى مشية المتكبر المعجب بنفسه
(86) كلفة به : مولعة به تحبه حبا شديدا
(87) الشغف : أقصى الحب
(88) العير : مفرد أعيار وهو الحمار الوحشي
(89) النزوان : يقال نزا الرجل إلى كذا أي طمح له وسارع إليه
(90) هاوية : ساقطة
(91) زخارفها : محاسنها وزينتها

وقد استولت عليك بما لم تدع فيك لغيرها التفاتا، والشيطان مشمر(92) عن ساعده في مساعدتها في إغوائك، بشد العضد فيما يراد منك، وأنت فيك قابلية الإستعداد بمطاوعته لما يلقيه عليك، فتقومين به أتم قيام بأدنى إشارة يشير بها عليك، في معاكستي في كل ما أريد، فكانت إرادتك في متابعته، وتحالفت(93) معه طبق تحالفك مع الدنيا والهوى المتحالفين معه على تهلكتي، فصيرتموني من أضعف الضعفاء، وأنتم أربعة أقوياء، فقلت مستنجدا منشدا،

إني بليت بأربع يرمونني	بسهام قوس قطعت أحشائي(94)
إبليس والدنيا ونفسي والهوى	كيف الخلاص وكلهم أعدائي

فها أنا ذا بينكم مقيد بقيود التكليف، وقد أطلقتم أيديكم في وفيما لدي بكل تصريف، ولم تأخذكم شفقة علي، في كل ما تجلبونه إلي، وأنا عديم القوى في مناضلتكم(95)، وكلما قابلت منكم واحدا أقبل علي منكم الباقي، فهلا كنت لي محالفة، ولا تصدر منا مخالفة، فنفرق لجمع كلمتنا شمل الغاوين :

ولكن أبى الله إلا أن تكوني علي لا لي، إلا أن يهديك الحق هداية من أحبه من عباده، فيهدي إليك التوفيق هدية الموفق لطريق رشاده(96)، فإنه سبحانه القادر على ذلك، وهو المستعان على ما تصفون، والحمد لله رب العالمين.

---

(92) مشمر : بمعنى متأهب

(93) تحالفت : تعاهدت

(94) الأحشاء : جمع حشا وهو ما انضمت عليه الضلوع

(95) مناضلتكم : بمعنى في مدافعتكم

(96) رشاده : هدايته

الجواهر المنتثرة في الجواب عن
الǓسǂة الحدnj Ϋϳϸة

ϵلاϬ ح الأئمة

الحاج أحمد سكيرج

تحقيق

ذ. محمد الراضي كنون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي فتح في أوجه سائليه أبواب الإجابة، وسلك بمن التجأ إليه بصدق النية صواب الإصابة، نشكره وهو الشاكر المشكور، والذاكر المذكور، لا إله إلا هو أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وهو حجة الله في الخلق، (ﷺ). وكل من هو منه وإليه، ورضي الله عن أهل الله أجمعين، إلى يوم الدين.

أما بعد فقد التمس منا محبنا في الله وحبيبنا من أجله، مخلص الود، في القرب والبعد، الفقيه الفائق، والفقير الصادق، المحرز على قصبة الرهان في الطريق الأحمدي التجاني، السمي القائد الأسعد السيد أحمد بن الحسين الدويراني(1)، بلغه الله جميع الأماني. أن أجيب عن مسائل عرضت له وأشكل عليه أمرها، وانبهم عليه سرها، فلم يسعني إلا إجابته مع شغل بال، لم أجد معه فراغا لأجول معه في هذا المجال، وها أنا أذكر عقب كل سؤال من أسئلته الجواب، من غير تأنق في الخطاب، وأرجو من الله أن يعظم لي وله الثواب. وسميتها بالجواهر المنتشرة. في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة، وبالله التوفيق، وهو الهادي لأقوم طريق.

السؤال الأول عن معنى قول الشيخ الأكبر : إن لله سفراء إلى قلب عبده يسمون الخواطر، لا إقامة لهم في قلب العبد إلا زمان مدارهم عليه، فيؤدون ما أرسلوا به إلى ذلك العبد من غير إقامة بذواتهم، وعددهم سبعون ألف خاطر في اليوم والليلة، على عدد من يدخل البيت المعمور كل يوم. لا يزيدون ولا ينقصون، ثم قال : وعدد الخواطر خمسة وجوبا وندبا وحظرا وكراهة وإباحة. فإنه قال أولا : وعددهم سبعون ألفا، وثانيا قال : وعدة الخواطر خمسة.

وكذلك ما معنى قول الإمام القشيري(2) : والخواطر خطاب يرد على الضمائر، فقد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء الشيطان، ويكون من أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه. فإذا كان من الملك فهو الإلهام، وإذا كان من قبل النفس قيل له الهاجس، وإذا كان من قبل الشيطان فهو الوسواس، وإذا كان من قبل الله سبحانه وإلقاؤه في القلب فهو خاطر حق، إلى آخر كلامه في الرسالة عند كلامه على الخواطر، فإنه ذكر أن الخواطر أربعة وأن منهم الشيطانية، والشيخ الأكبر سماهم سفراء. فأشكل علينا أمر الخواطر عددا وصفة إذ الشيطان لا يكون سفيرا عن الله تعالى، لهذا أريد إعطاء هذه المسألة حقها من البسط في الكلام، فإنه قد ترادفت على العبيد خواطر وهواجس ووساوس لا قبل بها، ولا طاقة لي على دفعها إلا ببركتكم وهمتكم النافذة، فوالله يا سيدي ما مرت علي لحظة بلا وساوس وهواجس وخواطر تنافي آداب الحضرة العلية، فوجه سيدي همتك إلى قلبي كي يحصل له

---

(1) الفقيه احماد بن الحسين الدويراني البركوكي، قائد قبيلة دويران بناحية مراكش، من حفدة الولي الصالح المشهور سيدي أبي يعزى رضي ا عنه، ولد بالقبيلة المذكورة عام 1307هـ وبها حفظ القرآن الكريم، ثم تعاطى لطلب العلم فأخذ على العلامة سيدي محمد الرسموكي بالمنابهة، وعلى الفقيه سيدي محمد بن عبو الشتوكي، وغيرهم، وتقلد بعهد الطريقة الأحمدية التجانية على يد المقدم سيدي محمد اليزيدي السوسي، وكان له رحمه ا اطلاع واسع على أسرار الحروف والأسماء، أنظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 8.

(2) عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، من أئمة الصوفية وأعلامهم، وهو شيخ خراسان في عصره، ولد عام 376هـ وتوفي بنيسابور عام 465هـ، من مصنفاته : الرسالة القشيرية، في علم التصوف، والتيسير في التفسير، ويقال له التفسير الكبير، وهو من أجود التفاسير، وله تفسير آخر سماه : لطائف الإشارات، في ثلاثة أجزاء، أنظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 3 ص 243-248، وفي تاريخ بغداد للخطيب ج 11 ص 83، وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج 1 ص 438 ثم ج 2 ص 186، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 390 رقم الترجمة 842، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 57.

الحضور، نعم سيدي طالعت في رفع النقاب في ترجمة سيدي عبيدة التشيتي رضي الله عنه، فيما كاتب به العارف بالله سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه أن له مؤلفا في الخواطر سماه : المدد الباهر في التمييز بين الخواطر، لم أعثر عليه، لكن مرادي من سيدي نفحة من علومك اللدنية، ونفثة من فيوضك الوهبية، وشربة من عينك الزلال النقية.

اللاواƒ واŶ الموو5 ‡لTواƒ

اعلم أن المجيب عن مثل هذا السؤال إما أن يكون صاحب علم نقل أو صاحب عقل. فالناقل عن غيره لا عمدة عليه في أداء أمانة النقل على وجهها إذا لم يختلس شيئا من المنقول، والعلماء مصدقون فيما ينقلون، مع البحث معهم فيما يقولون، لأنهم قد يخطئون في القول، ولا يتهمون في النقل، وليس بعالم من نسب الشيء لغير قائله، أو خان في النقل بتحريف في مسائله، فيكون هنا كصاحب العقل الذي لا يؤيد ما يقوله النقل في مثل هذا السؤال، الذي ينبغي أن يكون واضحا من غير احتمال، وهذا لا يكون إلا عن علم صحيح مبني على قواعد محررة في موضوع الأسئلة باصطلاح معرفي. والعالم بذلك إما أن يكون متمسكا بعلم اليقين، أو عين اليقين، أو حق اليقين. وأصحاب هذه المراتب الثلاثة هم الذين يعتمد عليهم في تحرير الأجوبة التي تتفاوت في التحقيق بقدر تمكن المجيب في معرفته بها.

ولقد نظرت في حالي حين طالعت سؤالك إلى ما عندي من مبلغ العلم به، فوجدتني في المنزل الذي لا أثق بنفسي في الخوض في موضوعه. إذا جلت فيه بعقلي أو بما عندي من العلم به ولما هو مراجع إليه، لأن المدار في مثله على كشف صحيح، حيث لا يوجد فيه عن غير أهل المعرفة مقال، ولا عنهم أيضا نقل صريح، وإن كان حظنا هنا هو مجرد النقل، والتمسك فيه بما يقضي ببعضه العقل، حتى عزمت على الضرب عن الجواب عنه صفحا، وأطوي عنه كشحا، ولكن لحرصي على إدخال السرور عليك، بإضافة ما لدي إلى ما لديك، راجعت مظان تحقيق الجواب عن هذا السؤال، والمظان متيسرة لمن تفرغ لمراجعة كتب القوم المطبوعة وغير المطبوعة، فتحصل لدي ما سأمليه عليك، وأضعه بين يديك. فقد وجدت ما نقلتموه عن الشيخ الأكبر قدس سره، الذي سألتم عن معناه مدرجا فيه كلام الغير، مما حق لكم أن تستشكلوه، ولا موجب لذلك الإشكال، سوى ما زيد فيه من المقال، ويتضح ذلك بمراجعة الباب 264 في معرفة الخواطر من الفتوحات المكية، فقد صدر الباب بما ذكرتموه عنه إلى قوله من غير إقامة بذواتهم، وأما قولكم وعددهم سبعون ألفا إلى آخره، فهو لم يذكر ذلك في هذه الترجمة التي أشبع القول فيها بما لا إشكال فيه، ولا أحتاج إلى نقل الباب كله هنا لكون الفتوحات عندكم تقتطف باللفظ منها ما ينفي ما ذكرتموه

من الإشكال. فقد قال متصلا بنقلكم عنه من غير إقامة بذواتهم ما نصه : لأن الله خلقهم على صورة رسالة ما أرسلوا به، فكل خاطر عينه عين رسالته، فعندما يقع عليه عين القلب فهمه، سواء يعمل بمقتضى ما أتى به أو لا يعمل، وجعل الله بينه وبين هذا القلب طرقا خمسة عليها تمشي هذه الخواطر إلى القلب.

وهذه الطرق أحدثها الله لما أحدث الشرائع، فلولا الشرائع ما أحدثها الله، وجعلها كالهالة للقمر، فسمى الطريق الواحد وجوبا وفرضا، وسمى الثاني ندبا، والثالث حظرا، والرابع كرامة، والخامس إباحة، ثم عين الشيخ الأكبر قدس سره ما يرد على القلب من هذه الطرق بمراقبة ملك اليمين، ومقابلة شيطان الشمال، إلى آخر ما ذكره مما يزداد به المقام وضوحا. ولم يتعرض هنا لعدد هذه الخواطر المحصورة فيه، وإن كان لا يبعد أن يكون القلب مشبها بالبيت المعمور، يدخل إليه من ذلك ما يدخله، وتمر تلك الخواطر مرورا، وهم سفراء من الحق، لا كل شيء ينسب إليه لأنه خالقه، وما ثم شيء غير مخلوق للحق لا من ملك ولا شيطان ولا غيرهما مما لم يخطر مسماه على بال، من واردات وشواهد وحفظة، غير الحفظة المقرر اختصاصهم بكل فرد من النوع الأدمي والنوع الجني، مومنا كان أو غير مومن، من مكلف وغير مكلف. وما يعلم جنود ربك إلا هو، وقد يعلم العارف بعضها بإعلام الحق له بتصرف منه في حضرات معرض جنوده العلوية والسفلية، من روحانيته وغير روحانيته على خليفته في أرضه مدة حياته، مما قدر له الإطلاع عليه من كل شيء مما عند الله خزائنه التي لا نفاذ لها. وينزله بقدر معلوم عليه وبواسطته لغيره، شعر به ذلك العارف أو لم يشعر.

وقد يطلع هذا الخليفة على ما مضى من تلك الجنود الماضية في برازخ الأكوان التي قدر الحق له التصرف بها، ولا يمكن لأحد أن يطلع على جميع ما سيكون منها ولا مما كان، سوى واحد علمه الحق بها من أول النشأة إلى آخرها في الوجود، إلى يوم الدين، من يوم ألست بربكم(3)، إلى يوم لمن الملك اليوم(4) وبعده، قد أطلعه الحق عليها لأنه منه وإليه وهو سيد الوجود عليه الصلاة والسلام. أحاط علمه بكل المعلومات الحادثة، ولم يحط أحد من المخلوقات بمثل ما أحاط به عليه السلام، فهو يعسوب الأرواح، والرحمة المسداة، ولا شيء إلا وهو به منوط، ولا يقال إن الإحاطة للمعلومات لا تكون إلا للحق، لأننا قد بينا أن المعلومات هنا مراد بها الحادثة، لا ما هو معلوم للحق من ذاته وصفاته، فإن ذلك لا سبيل إلى الإحاطة به، فالخلق كلهم على اختلاف أذواقهم في المعرفة بالله وما انكشف لهم من حقائق الأشياء ومسميات الأسماء لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

ولا ينازع فيما قلناه إلا فقيه واقف مع ظواهر الأمور، جهل ذلك أو تجاهل عنه لغرض يعلم الله ما مراده به، فالنبي عليه الصلاة والسلام مظهر الجود الفائض من الحق على الوجود

---

(3) إشارة لقوله عز وجل : وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، سورة الأعراف الآية 172.
(4) إشارة لقوله عز وجل : لمن الملك اليوم الواحد القهار، سورة غافر الآية 16.

وموجوداته، قد أطلعه الحق عليها إجمالا وتفصيلا، فهو العالم بها، وقد تنكشف للعارف كوة من باب مغلوقة مما يقف دونه مبهوتا حين يسمع نداء الحق للمتفضل عليه بذلك : هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب(5).

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

ثم إن الذي تقضي به عبارة العارفين ومن خاض معهم في معلوماتهم أن الخواطر التي تمد على القلب مدا لا تخرج عن الخمسة المذكورة التي أسماؤها نفس مسمياتها، ولا يخرج عنها غيرها، حتى أن غير الخواطر المارة من الواردات القارة والفارة لا تأتي من غير أبواب هؤلاء السفراء الخمس. ولكن عددها الذي يمر على القلب منها لا يبعد أن يكون محصورا في ذلك العدد الذي يدخل للبيت المعمور كل يوم. فالقلب تمر عليه الخواطر من شعور وغير شعور، ويكون أكثر الخواطر الواجبة والمندوبة في حق السعيد أكثر من الممنوعة والمكروهة في حق غيره. وكذلك نوع المباح منها في حق الوارد عليه. وقد ينقلب هذا النوع من الخواطر لأحد الأنواع الخمسة المذكورة على حسب المارة عليه من مقربين ومبعدين، ومقبولين ومطرودين، ولله في خلقه شؤون.

وليس حصر الخواطر في العدد المذكور ينافي حصره في أقل منها، لأن الواحد بالشخص لا يبعد أن يكون له جهتان أو جهات، فيقيد من جهة ويطلق من أخرى باعتبار ما ظهر فيه أو ظهر منه، فإن الحضرات التي ترد منها تلك الخواطر مختلفة الحقائق في الباطن والظاهر، فتكون محصورة بالنظر لتقابل الحقائق فيما بينها بما يقضي به التقسيم. فالواجب بلا شك غير المنع، والمندوب غير المكروه، وهكذا في المباح. ولن تجد قسما شرعيا خارجا عن هذه الأقسام، وجميع ما يتوهم أنه غيرها فهو راجع إليها، مثل ما يطلق عليه فرض أو خلاف الأولى فإنه منها وإليها. وتكون غير محصورة في القوة والضعف، وتتابع الفرد منها في خلقة أخرى، في لبس من خلق جديد(6). ألا ترى إلى تطور الإنسان في أطوار أدوار حياته، فهو فيما هو أقل من تافه تافه من أجزاء الدقائق، فما دونها إلى ما لا يكاد أن يعتبر من تافه. ذلك هو غير ما كان عليه فيما بعدها من تطور عمره. من حلوله نطفة في بطن أمه إلى وجوده، إلى موته، إلى ما بعد الموت، إلى أنواع تقلباته في النعيم أو الجحيم. وكل ذلك معلوم العدد عند الحق، وهو في كل مرتبة من مراتب ذلك العدد في خلق جديد، يشعر ببعض ما يلبسه من هذه الحلل من ذاق حلاوة المعرفة بالله، فينبسط وينقبض بقدر ما وقع عليه من التجلي في استحضار ما عليه كان وما هو عليه، وما سيؤول إليه مما تحقق به في سره أو لم يطلع عليه، فيزداد خوفا أو رجاء بحسب ما تجلى به الحق عليه، وما قطع أكباد العارفين بالله إلا الخوف من سوء الخاتمة، وقانا الله مكره، وسدل علينا ستره، آمين.

---

(5) سورة ص، الآية 39.
(6) سورة ق، الآية 15.

وإذا تعذر هذا لديك وهو من الوضوح بمكان، تحقق لديك أن الخواطر يختلف عددها بالإعتبار من حيثية الجهة الملاحظة في التقسيم، فالسبعون ألف خاطر من حيث كونها سفراء من الحق أرسلها لقلب عبده هي واحد معدود من نوع الخمسة التي هي من حكم الشرع الذي هو خطاب الله، بعد واحد آخر منه، أو من غير ذلك النوع، وهي أيضا خمسة بحسب الأقسام التي هي نفس السفراء المارة طبق ما قرره الشيخ الأكبر، فلم يبق إشكال فيما نقلتموه عند من عدها أولا سبعين ألفا، ثم عدها ثانيا خمسة.

وأما معنى قول الإمام القشيري في رسالته : الخواطر خطاب يرد على الضمائر إلى آخره، فهو واضح، وتفسير الواضح أتى من الفاضحات، إلا من حيثية استشكالكم لما ذكره من أن الخواطر أربعة، وأن منهم الشيطانية. والشيخ الأكبر سماهم سفراء، فقلتم أشكل عليكم أمر الخواطر عددا وصفة إذ الشيطان لا يكون سفيرا من الله تعالى.

وأما قولكم لا يكون الشيطان سفيرا من الله فذلك غير صواب، لأن كل شيء من الله، سيما وقد خاطبه الحق بقوله : فاجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم(7). ولولا تأنيس الحق له بما خاطبه به ما صدر منه شيء من الإغواء، فهو في الإغواء سفير من الحق يؤدي أمانة الشقاوة لأهلها بإذن الحق، فهو هنا ممتثل لما أمر به، لكن على وجه لا يرضى به الحق عنه، ولا عمن أغواه ممن صار من حزبه. من غير حزب الرحمان الذين خاطبه في شأنهم بقوله جل جلاله : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان(8). فكل من أغواه فهو عبد هواه، ليس من عباد الحق في شيء. والمراد بالعباد هنا عباد مخصوصون، وهم من الخلق الخلاصة على حسب تفاوتهم في العصمة والحفظ من الإسراف في المعاصي، إلى رتبة عدم القنوط من رحمة الله في حضرة مخاطبتهم بقوله : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله(9).

وقد أنشد قائلهم حين سكر من خمرة الخطاب، وآوى إلى رفيع الجناب.

ومما زادني طربا وتيها	وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي	وأن صيرت أحمد لي نبيا

(7) سورة الإسراء، الآية 64.
(8) سورة الإسراء، الآية 65.
(9) سورة الزمر، الآية 53.

فالشيطان هو سفير الحق في المعاصي، ولا يمكن لغيره أن يكون سفيرا فيها، ولهذا يقول أهل الحق : إن هاروت وماروت ليستا من الملائكة، حيث أنهما يعلمان السحر(10)، وهو من المعاصي، والملك لا يعصي الله، ولا يامر بمعصية ولا يوافق عليها، وإنما هما من الملوك الذين ملكوا أرض بابل في الأيام الغابرة إلى ما شاء الله، فتعلم منهما من تعلم السحر فيما مضى، وتعلم عمن تعلم منهم ذلك، وقد مضى زمانهم بما فيه معهم، ويدل على أنهما ليستا من الملائكة قراءة من الملكين بباسبل بكسر لام الملكين، أما من قرأها بالفتح فهو إما على التشبيه بالملائكة حيث كانا يتظاهران بصفة الملائكة، فاعتقد فيهما قومهما بأنهما ملكان، وغير هذا مما قيل فيهما، حتى قال بعضهم : إنما يؤاخذان بما علماه من السحر، وبذنب من كفر على يديهما بعملية السحر الذي لا يصح إلا من كافر، مثل اليهودي الذي سحر رسول (ﷺ)، وقد شفاه الله من ذلك السحر بإرسال الملكين الذين قال أحدهما لصاحبه في حقه : إنه مطبوب وقد سحره لبيد بن الأعصم في مشط ومشاطة كما في الصحيح، وقد أثر فيه ذلك السحر لكونه بشر، وذلك قبل أن ينزل عليه قوله تعالى : والله يعصمك من الناس(11)، ولم يبلغ به السحر ما يبلغ بغيره، وإن كان في حال ذلك السحر يخيل له أنه يفعل الشيء ولا يفعله، وليس ذلك بنقص في حقه، لأنه أخبر بذلك ليعرف الأمة بما يعمله المسحور منهم حالة سحره، وما يتعاطاه المسحور، وما يجدي على الساحر من المؤاخذة الشرعية، وكل هذا ونحوه مما استنبط من حديث سحره عليه السلام من قبيل التشريع، والحكمة في ذلك كادت أن تنطق منا بسرها خلاف ما يفهمه من أنكر حديث السحر، فوقع في إبطال الصحيح، وجر العامة على الطعن في الصحيح، فآمن ببعضه معهم وكفر ببعضه، وإن كان ما حمله على ذلك إلا محاولة المدافعة عن جانب النبوة ما لا يليق بها، مما يوقع في التشكيك فيما صدر من النبي عليه السلام فيما يتخيل له من فعله للشيء وهو لم يفعله، ولم يحمل المنكر هنا الفعل على الوطء، حيث كان (ﷺ) يغتسل من غير مس أهله، مع أن عائشة رضي الله تعالى عنها المروي هذا الحديث عنها في حقه بقولها : كان يفعل الشيء. إنما عبرت عن فهمها، وإلا فيصح أن يكون غسله (ﷺ) تشريعا لما يفعله المسحور مدة مرضه بالسحر لينجلي عنه، أو يقيض الله من يعالجه منه.

وعلى كل حال فإن السحر قد يؤثر في البشر ولو بلغ ما بلغ من المعرفة بالله، ليكون منه ومن أهله على حذر، ولا يتعاطاه إلا كافر، ولا يمكن صدوره إلا من كافر. ويتنزه عنه الملك لعصمته، وسفير الحق فيه هو الشيطان، فإن قيل إن الله لا يامر بالفحشاء، والمعاصي من قبل الفحشاء، فكيف يأمر الحق الشيطان بالإغواء ويكون سفيرا عنه ؟

---

(10) إشارة لقوله تعالى : وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، سورة البقرة الآية 102.

(11) سورة المائدة، الآية 67.

فالجواب يظهر من مناظرة الأشعري(12) للجبائي(13) من حيث قال الثاني بحضرته : سبحان من تنزه عن الفحشاء، فقال الأشعري : سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال الجبائي : أرأيت إن منعني الهدى وقتلك في طريق الهدى أأحسن إلي أم أساء ؟ فقال الأشعري : إن منعك ما هو لك فقد أساء، وإن منعك ما هو له فيفعل في ملكه ما يشاء. فالمعتزلة يقولون بصريح هذه الآية : إن الله لا يامر بالفحشاء(14)، ونحن نقول هو مقدرها، فقد قدر على بعض عباده ما هو أفحش الفحشاء، وهو الكفر به، ولم يأمر به إلا امتحانا لمن أمر به، وهو غير مأمور به قطعا، وكل من ظن أنه أمر به فقد غلط في فهمه امتحانا من الحق له، كما وقع لإبليس، فإنه أمر بالإغواء في بساط التعنيف الشديد به فظن أنه مأمور حقيقة، وقد غاب عن الرشد بما قدر عليه من الطرد، حتى قال الحق بقوله : لأغوينهم أجمعين(15)، وهو غاية في المكر به، نسأل الله العافية بمنه.

على أن الحق قدر الطاعة ولا غرض له فيها، ولا نفع يلحقه منها. وقد قدر المعصية ولا يلحقه مضرة بها، وإنما ذلك التقدير عن حكمة ينبئ عنها خطابه لخلقه في حضرة له وهي قوله تعالى : ليبلوكم أيكم أحسن عملا(16)، وغيرها من حضرات الإبتلاء، ولله في خلقه شؤون. مع أنه لم تتميز العصمة من غيرها إلا بتمييز الشرع، وقبل مجيء التشريع لم يكن شيء مما يطلق عليه معصية، ولا من تصدر منه معصية، حتى خلق الله آدم بعد إبليس بما لا يعرف قدر مدته من السنين إلا الحق تعالى، فكان أول إقرار للحق بالربوبية في يوم مخاطبة النوى بقوله تعالى : ألست بربكم(17)، فأقروا له بقولهم بلى، وأول ناطق بها سيد الوجود (ﷺ)، ولحرف الباء تقدم على غيره بالفتح الحاصل له، وقد أمده الله بالفتح اللدني فعرف قدر النعمة التي أسداها إليه، فخضع للحق وتواضع من أجله، فاكتسب حلة الكبير، فرفعه الله فجعله أول البسملة، وكساه حلة النيابة عن الألف المستتر فيها، فالرمز على الحق بتطويله بقدر طول الألف في ذكرها مع الإسم الأعظم ذي الجلالة

---

(12) علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري، من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، مؤسس مذهب الأشاعرة، ولد بالبصرة عام 260هـ، وتوفي ببغداد عام 324هـ، له مصنفات كثيرة تفوق ثلاثمائة تأليف منها : الرد على المجسمة، ومقالات الإسلاميين، في جزءين، ومقالات الملحدين، والإبانة عن أصول الديانة، وخلق الأعمال، وإمامة الصديق، واللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، وغيرهم.
أنظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 2 ص 245، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 326، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 187، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 263، وفي اللباب لابن الأثير ج 1 ص 52.

(13) محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي، من أئمة المعتزلة، وله تنسب الطائفة الجبائية، وهي إحدى طوائف المعتزلة، ولد بجبي من قرى البصرة عام 235هـ، وبها توفي عام 303هـ، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 480، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 125، وفي اللباب لابن الأثير ج 1 ص 208، وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج 2 ص 35، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 256.

(14) سورة الأعراف، الآية 28.

(15) سورة الحجر، الآية 39.

(16) سورة الملك الآية 2، وسورة هود الآية 7.

(17) سورة الأعراف، الآية 172.

الجامع لجميع الإجلال بأنواع الكمال، وترجع إلى هيئتها إن ذكرت مع اسم آخر، وتظهر تلك الألف من أجل هذا السر لا من حيثية كثرة الإستعمال، فطالت مع حذفه في بسم الله، وقصرت مع ظهوره في مثل باسم ربك الذي خلق.

وما من محل ذكرت الباء فيه مفتوحة إلا وتدل على فتح أبواب قبول الحق لمن تاب الله عليه، كما في سورة براءة التي تبرأ فيها الحق ورسوله من المشركين، ومع ذلك لم يسد في وجوههم الباب إذا تابوا ورجعوا. فلذلك ظهرت الباء في صدر سورة براءة إشارة إلى تلك الرحمة التي لا يقابل بها ذلك الكافر المشرك. ولكن لازال باب الرحمة مفتوحا في أوجه من تابوا إلى الله وأنابوا إليه. وفتح تلك الباء المصدرة بها براءة يرشد إليه، كما أن أول معصية صدرت في الكون صدرت من إبليس اللعين بعد أمر الحق ملائكته بالسجود لآدم، فأدخل اللعين نفسه بالفضول في زمرتهم ليمنعهم من السجود، فلم يتم مراده، حيث أنهم معصومون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يومرون، فطرد من الحضرة الإحسانية، فحقد على آدم، فصار يتربص به الدوائر، فدلاه مع حواء بغرور حتى أكلا من الشجرة التي نهيا من القرب إليها، فكان أكلهما من الشجرة طبق ما شاء غافلين عن القرب منها، وما أوخذ إلا من القرب لا من الأكل، ولو كان صدر لهما النهي عن الأكل منها أيضا ما قارباها، ولا أمكن اللعين أن يدلس عليهما بالأكل منها، فنسيا النهي عن قربها. ولقد أخبرهما اللعين بمقتضى علمه بكون الأكل منها يورث الملك والخلد. وأدت معرفة آدم إلى تحققه بصدق ما يقول من كون الأكل منها يؤدي إلى ذلك، ولحرصه على التحصيل على ما بشر به من ذلك الخلد والملك أكل مع زوجه منها فحصلا على ذلك، وإن وقعا في محذور المحظور من القرب منها، وهو في الباطن مأمور، فكان قربه معصية، ولم يواخذ بمثل ما أوخذ به اللعين لأنه مع زوجه خدعهما هذا اللعين بالله.

ولازال العارفون بالله يقولون : من خدعنا بالله انخدعنا له، ولصدق نيتهما وصفاء سريرتهما تاب الله عليهما لأنه لم يكن ذلك منهما عن معاندة الحق، ولا صدر منهما ذلك أيضا عن وجه يقابلان به من الحق بمثل الوجه الذي قابل الحق به اللعين من نسبته الظلم له والتعنت والإصرار، حيث لم يوفقه للتوبة، ولا خطرت على باله حين خاطبه الحق بما أباحه له من التسلط على الخلق، وكان أمر الله قدرا مقدورا(18) عليه في ذلك كله تبعا لحقيقته العامل لمقتضاها بمقتضى : قل كل يعمل على شاكلته(19)، ويحكم على نفسه بما صدر منه في الماضي والحال والإستقبال يوم يكشف عن ساق(20)، والساق هنا في نظر العارف هي حقيقته التي لا يمكن لأحد أن يخرج عنها، ولا يعمل بخلاف ما تقضي به عليه.

ولما كان الشيطان اللعين نفس حقيقته شرا محضا، والحقيقة لا تظهر حتى لأهلها إلا في القيامة، كان مظهرا للشر وسفيرا فيه، وأبناؤه مثله، ومثلهم كل من تلبس بمثل ما تلبسوا به من كل شيء من أول الأشياء لآخرها، فصاحب الأمر في الشر كما يقول الشيخ الأكبر هو الشيطان، فله التقدم، وصاحب الأمر في الخير إنما هو الملك، فله التقدم، فلا يرى نهي إلا بعد أمر، ولا عكس في مثل هذا، وقد بسط القول في هذا المعنى في الباب المذكور بما في مراجعته فوائد جمة.

---

(18) سورة الأحزاب، الآية 38.
(19) سورة الإسراء، الآية 84.
(20) سورة القلم، الآية 42.

ويجمل بنا أن ننقل عنه ما ذكره من قوله : ويسمون الخاطر الأول الهاجس، ونظر الخاطر، والسبب الأول، فما يرد من هؤلاء السفرة الكرام البررة على هذه الطرق المعينة لهذا القلب يلقى من هو عليه من ملك وشيطان ونفس، فيأخذه من بادر إليه من هؤلاء بالتلقي. فإن أخذه الملك وهو ما يقتضي وجود عمل لسعادة أوحى إليه الملك في سره : اعمل كذا وكذا، فيقول له الشيطان لا تعمله وأخره إلى وقت كذا، طمعا بمنه في أن لا يقع منه ما يؤدي إلى سعادته، وهو ما يجده الإنسان من التردد في فعل الخير وتركه، وفي فعل الشر وتركه، وكذلك إذا جاءه على طريق الإباحة فذلك التردد في فعل المباح وتركه إنما هو بين النفس والشيطان، لا بين الملك والشيطان، فإن لمة الملك ولمة الشيطان والمقابلة إنما تكون في الأربعة الطرق من الأحكام. وأما في المباح فلمة الشيطان خاصة، وما له منازع إلا النفس، وإنما كان للنفس المباح دون غيره لأنها جبلت على جلب ودفع المضار إلى آخر ما قال، وهو مع ما قبله من أول الباب بعيد للغاية.

وبما قررناه يتضح لك كلام الإمام القشيري، وتتحقق به التقسيم الذي ذكره من جهة لا تناقض ما اعتبر غيره في تقسيم الخواطر إلى الخمسة المعروفة مما يقع في النفس إلى غيرها. وهنا كتب العارف العروسي(21) في حاشيته على شرح الشيخ زكرياء الأنصاري(22). لدى قول الرسالة القشيرية، ومن ذلك الخواطر ما نصه : اعلم أنها أقسام خمسة : رباني، وملكي، وعقلي، ونفساني، وشيطاني، فالأول ما يرد على القلب بإرادة الرب، وهو لا يخطئ أبدا. ويكون من حضرة الربوبية، والحضرة الرحمانية، والحضرة الإلاهية، والفرق بينهما أن الرباني يرد بالجلال،

(21) مصطفى بن محمد بن أحمد بن موسى العروسي، فقيه، صوفي جليل، تولى مشيخة الأزهر بمصر عام 1281هـ، له مصنفات نفيسة منها : نتائج الأفكار القدسية، وهي حاشية على شرح زكريا الأنصاري للرسالة القشيرية، ومن تآليفه أيضا : الأنوار البهية في أحقية مذهب الشافعية، والقول الفصل في مذهب ذوي الفضل، والعقود الفرائد في بيان معاني العقائد، وأحكام المفاكهات في أنواع الفنون المتفرقات، وغيرهم.
وكانت وفاته رحمه ا بالقاهرة بمصر عام 1293هـ، أنظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك ج 16 رقم 71، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 243، وفي الأزهر في ألف عام لمحمد خفاجي ج 1 ص 157، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 425 رقم الترجمة 928.

(22) زكرياء بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري المصري الشافعي، حافظ، محدث، فقيه، مفسر، صوفي، قاضي، من مواليد سنيكة بشرق مصر عام 823هـ له مؤلفات كثيرة منها : تحفة الباري على صحيح البخاري، وشرح ألفية العراقي، وفتح الرحمان، وشرح شذور الذهب، وغاية الوصول، والغرر البهية في شرح البهجة الوردية، وغيرهم. وتوفي رحمه ا عام 926هـ أنظر ترجمته في الكواكب السائرة لنجم الدين الغزي ج 1 ص 196 وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 46 وفي جامع كرامات الأولياء للنبهاني ج 2 ص 79 وفي النور السافر لعبد القادر العيدروس ص 120. وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 12 ص 62، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 457 رقم الترجمة 240، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 3 ص 234، وفي معجم المطبوعات لسركيس 483 .

والرحماني بالجمال، والإلاهي بالكمال، والأول يمحق ويفني، والثاني يثبت ويبقي، والثالث يصلح ويهدم، والعبد يستعد في الجلال بالصبر، وفي الجمال بالشكر، وفي الكمال بالسكينة، والثلاثة للعارفين، والملكي والعقلي لأهل المجاهدات، والنفساني والشيطاني أهل الغفلات، والخاطر إذا تمكن صار هما، وإذا زاد تمكنه صار عزما، وهو يصير قبل الشروع قصدا، ومع أول الفعل نية، والله أعلم.

وفي الشرح ما نصه : والهواجس جمع هاجس، وهو الخاطر، فقد يعبرون به عن الخاطر الأول، وهو الخاطر الرباني، وهو لا يخطئ أبدا، وقد يسمى السبب وتفرد الخاطر، فإذا تحقق في النفس سموه إرادة فإذا تردد الثالثة سموه هما، ثم عزما، وعند التوجه إلى الفعل قصدا، ومع الشروع في الفعل نية إلى آخر كلامه، وكل من نظر بنظرة إجمالية أو تفصيلية رأى الخواطر لا تخرج عن تلك الأقسام الخمسة التي هي نفس الخطاب، وهي التي عددها عدد من يدخل البيت المعمور حسبما نقلتموه في السؤال.

ونحن لا نستبعد ذلك، بل النفس الواحد يسع مرور أكثر من هذا العدد عليه، ويضربه المثال الحسي في النظر إلى ما في أفق السماء من سدم ومجرة وغيرها بمرور النظر يمينا وشمالا وخلفا وأماما. فيرى الناظر ما لا يحصى في عدد من النجوم. وكل نجم من ذلك بخاطر في نظر العارف، وبجولان النظر الفكري فيما يصرفه المفكر في البلاد التي وصل إليها، مثل السفر بالفكر إلى مكة من أقصى مكان بعيد عنها، فالمسافة بينه وبينها تطوى في أقل من رمشة العين، وليس في هذا استبعاد، فأحرى ما يمر في ظرف أربع وعشرين ساعة مما مجموعه يسمى يوما، وفي هذا المثال أكثر من سبعين ألف مسالة للفهم لمن يفهم.

ولنرجع إلى ما عثرت عليه في تأليفنا رفع النقاب وهو ما نصه : ومن التآليف التي ألفها سيدي عبيدة التشيتي(23) كتابه المسمى بالمدد الباهر في التمييز بين الخواطر، وهو عندي في نحو كراس بخط اليد، أوله بعد البسملة : الحمد لله الذي خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه، إلى أن ذكر سبب تأليفه له وتسميته، مؤسسا له على ثلاثة خطط :

---

(23) العلامة العارف با سيدي عبيدة بن سيدي محمد الصغير بن الطالب محمد بن محمد بن الحاج المعروف بابن أنبوجا الشنجيطي التشيتي. من أكابر علماء شنجيط، فقيه، أصولي، محدث، أديب، صوفي، له تآليف عديدة منها : ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التجانية، وميدان الفضل والإفضال في شم رائحة جوهرة الكمال، وراية البشر والبشارة في وجه منع المريد من الزيارة، والمدد الباهر في التمييز بين الخواطر، وسيف النجاة والفدى في قطع أعناق البغاة والعدا، ورحلة التهاني في حلية الشيخ التجاني، ومنجية السالك من ورود المهالك، وله كتب أخرى ورسائل ومنظومات كثيرة : وفي حقه قال أخوه مؤلف الجيش الكفيل العلامة العارف بربه سيدي محمد بن محمد الصغير : الحمد الذي لم يمتني حتى أراني وليا عارفا من آل أنبوجا، وقال في حقه العلامة أكنسوس رحمه ا :

يا آل أنبوجا لا زالت بدوركم ... تنير حيران للأنوار طلابا
ويا عبيدة نعم الرأي قمت به ... قد أعجب الناس ذاك الرأي إعجابا
فوز وثبت له والناس قد رقدوا ... عنه ففتهم لا زلت وثابا
لما رأيت أخاك البحر طامية ... أمواجه وأردت نفع من خابا
سقيتنا الري منه لا ضمئت كما ... أجريت من علمه الفياض ميزابا

وكانت وفاته رحمه ا في شهر جمادى الثانية عام 1284هـ، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام، للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 50 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي، رقم الترجمة 36.

الخطة الأولى : في ذكر النفس وماهيتها وكيفية أقسامها، وذكر القوي منها والواهي.

الخطة الثانية : في معرفة الخواطر والتمييز بينها عند الناظر.

الخطة الثالثة : في كيفية مدافعة ما يدافع منها بكيفية لا محيد للمريد عنها.

وفي أثناء كلامه على الخواطر تكلم على الثابت منها والمتردد، وأحسن ما وقفت عليه فيه قوله في مدافعة الخاطر النفساني الذي أمره صعب على النفس تحمله إن ثبت معها ولم يكن من الخواطر المارة، ونصه : ومدافعة الخاطر النفساني يكون بكل مجانس لقمعه بالرياضات والمجاهدات، من السهر والجوع والصمت والعزلة، كل في محله مع اللجوء إلى الله تعالى، وهذا في الزمان الأول قبل أن تغلظ الطباع، وتستولي النفوس، وتنتشر العلائق، وتشيع العوائق، وتكثر أعوان الشر، وأما في زماننا اليوم فلا تدافع إلا بدوام اللجوء إلى الله تعالى، والتشبث بأذيال رسول الله (ﷺ)، وبحرمة الشيخ، فإن النفس كالكلب المسلط، فالاشتغال بمحاربته تعب وتضييع للوقت، فالرجوع إلى ربه في حذفه أولى من مجاهدته إلى آخر كلامه مما يصدق عليه قول الحكم : من دلك على الله فقد نصحك، ومن ذلك على غيره فقد غرك.

فلنقف عند هذا الحد الذي هو غاية في الجد، ونحيلك على مراجعة هذا التأليف، فقد أشبع الكلام في هذا المقام بأفصح مقال، ولخص في الخواطر ما عند غيره من علماء الظاهر، ولم يعط الخواطر حقها من الجهات التي تكلم عليها الشيخ الأكبر والقشيري إلا تلويحا، وإني ليسرني كثيرا اعتناؤك بنفسك في طلبك لما تدافع به الخواطر، ولا أجد نافعا لك في دفع ما يشغلك عن الله منها إلا ما ذكره سيدي عبيدة المتقدم الذكر من اللجوء إلى الله والتمسك بحبل رسول الله (ﷺ) وحبه، فإن الإعتصام به اعتصام بالله، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم، ودليل صدق المعتصم به تمسكه بحبل الدين بامتثال الأوامر واجتناب النواهي بقدر ما في الإمكان، وما تقرب العبد إلى مولاه بأحب إليه مما افترضه عليه. ولا يزال يتقرب إليه بالنوافل حتى يحبه، وإني أرى أن أعظم النوافل هي الصلاة على حبيبه الأعظم (ﷺ)، خصوصا بصيغة صلاة الفاتح لما أغلق، فالإكثار منها يقي مصارع المكر، ويدفع كل شر، ويجلب كل خير من خيرات الدنيا والآخرة، فعليك بها تقربا للحق في السر والجهر، والله الموفق.

السؤال الثاني : عن معنى قول العارف بالله سيدي محمد بن مشري(24) في شرح الياقوتة، ونصه : ولصلاة الفاتح لما أغلق خاصية عظيمة للسالكين، ولكن لا تحصل إلا بإذن، فلذلك لم أذكرها هنا، أريد من سيدي تبيين هذه الخاصيتين مع الإذن فيها إن كانت لدي أهلية، وإن لم أكن أهلا فسيدي أهل. وكذلك ما معنى قوله رضي الله عنه : وقد أخرج لنا صاحب هذا التأليف صلاتين عظيمتين سمعهما من سيد الوجود (ﷺ)، هما أقصر من هذه الياقوتة بكثير وأعظم منها فضلا، وفيهما خواص عظام، فإنه أشكل علينا قوله أقصر وأعظم، لأن جوهرة الكمال وياقوتة الحقائق المشار إليهما بهذا الكلام أطول، وهي أقصر وأعظم منهما بلا ريب.

الجواب : اعلم أن العارف ابن مشري المذكور جرى في الترغيب في ذكر صلاة الفاتح لما أغلق مجرى المرغبين في الأذكار بكتمانهم للخواص المنوطة بها، فقد جرت عادتهم في الترغيب في الشيء والحض على كتمانه والتشديد في شروطه، والمراد بذلك زرع حب الإقبال على ذلك ليرغب فيه أهله بعظيم تشوف. أما غير أهله فإنهم يرون الباب مسدودا في أوجههم، ويزهدهم فيه ما ينقدح في بواطنهم من تلك الشروط المنفرة لهم، مع فقد من يساعدهم في نظرهم عليها بإذن خاص وعام، فيعرض عنها لأنه ليس من أهلها، وهكذا الأمر في كل ذي سر وكل خاصية رفيعة القدر، فإن الأسرار تدافع عن نفسها غير أهلها.

ولكن في نفسي من بعض الأذكار التي كتموها شيء، خصوصا فيما هو منوط به الثواب الأخروي ولا تقصد منه بعض الخواص الدنيوية، مثل هذه الصلاة العظيمة، فكان من حق المرغبين فيها ذكر ما هو خاص بها من أسرار عالية، وخواص غالية، من غير ضرب سور الكتمان على ذلك، لينتفع بذلك العموم مثل انتفاع الخواص، اللهم إلا من حيثية إشفاقهم على العارفين بتلك الخواص مما لا تقبله آنيتهم، فإن كثيرا ممن راموا تحصيلها بعد الإطلاع عليها تضربهم، فالأليق بهم ترك الخوض في ذلك، ولا يطلبون الإذن فيها من غير قيامهم بشروطها.

---

(24) العلامة الفقيه العارف با   القدوة الشريف الجليل سيدي محمد بن محمد بن المشري الحسني السائحي السباعي، مؤلف كتاب الجامع لما افترق من درر العلوم الفائضة من بحار القطب المكتوم، فهو رحمه ا   من مواليد قرية تكرت بناحية قسنطينة شرق بلاد الجزائر، التقى بالشيخ أبي العباس التجاني رضي ا   عنه، بتلمسان عام 1288هـ، ولقنه الطريقة الخلوتية. وبذلك كان أول من اجتمع به من خاصة أصحابه الكرام.
وبعد ثمان سنوات من التاريخ المذكور كان رحمه ا   من أوائل الآخذين عنه الطريقة الأحمدية التجانية، واتخذه الشيخ أبو العباس التجاني رضي ا   عنه إماما للصلاة مدة غير قصيرة، وله رضي ا   عنه تآليف كثيرة أخرى كروض المحب الفاني، ونصرة الشرفاء، وغير ذلك، وكانت وفاته ليلة الإثنين فاتح ذي القعدة الحرام عام 1224هـ، أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 149 وانظرها في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 25 وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس العلامة ج 1 وفي نخبة الإتحاف لنفس العلامة أيضا رقم الترجمة 168، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي رقم الترجمة 11. وقد خصصه العلامة سيدي محمود بن المطمطية بتأليف سماه : المطلع البدري في التعريف بابن المشري.

وتلك الخاصية التي حام حولها فيما بلغنا عن خواص المقدمين في الطريقة التجانية هي الفتح على ذكراها بكيفية خصوصية، في أيام مخصوصة وأمكنة خاصة للإجتماع بسيد الوجود (ﷺ) يقظة، وهذه الكيفية لاينبغي لمطلق الناس أن يعمل بها إذا اطلع عليها، وإنما اشترط فيها ممن لديه الإذن فيها ليتحقق بأهليته لذلك الإجتماع الشريف، أو لا أهلية فيه خشية عليه من النور الذي يفاجئه في الملاقات، مما لا يقدر على حمله، ويخشى عليه فيه أن تخرج روحه، أو يغمى عليه فيه عند حضوره لديه.

وقد بلغنا عن السلطان مولانا سليمان(25) رضي الله عنه أنه كان حريصا على الإجتماع برسول الله (ﷺ) يقظة، وكان أهم شيء لديه أن يسأله هل هو من آله؟ بعد أن أخبره الشيخ التجاني رضي الله عنه بأنه سأل النبي (ﷺ) عن ذلك فقال إنه من أبنائه، فطلب من الشيخ المذكور أن يعلمه بكيفية الإجتماع به، ويدله على الذكر الخاص المنوط برؤيته يقظة. فشرط عليه الشيخ المذكور شروطا كادت أن تبعث فيه يأسا للتشديدات الواقعة فيها. إلى أن ظفر بالسر المنوط بذلك، فاختلى في خلوة ذكره، فبينما هو مستغرق في ذلك إذ أشرق عليه النور المحمدي، فوضع على عينيه يده وطفق يصلي على سيد الوجود متيقنا بأنه هو، وكاد أن يغمى عليه لولا ما فيه من الثبات مع التوفيق الإلهي، حتى سمع من الجناب المقدس : أنت ولدي حقا، فتمت له بذلك البشرى، وهنيئا له بذلك دنيا وأخرى.

ومثل هذا السيد ممن يستحق أن يؤذن له في ذلك لما فيه من الأهلية ممن يقوم مقام الشيخ رضي الله عنه، أما نحن وإن كنا بحمد الله نعلم الطريق الموصلة لذلك فإنه لا إذن لنا في استعمال تلك الكيفية المشار لها، أو الإذن فيها منا لغيرنا، لأن المقام مقام جد لا مقام لعب، ومن أراد التداخل في مثل هذا الأمر بنفسه فلا يلومن إلا نفسه، فالحذر الحذر أيها الولي الحميم من عمل أي كيفية توصل للاجتماع بالنبي (ﷺ) يقظة، فإن آنية أهل هذا العصر تتصدع بأدنى مس من المتشوف إليه في الإجتماع به في عالم الحس، كفاك أن تكثر من ذكر هذه الصلاة الياقوتة الفريدة إن أردت السلامة لنفسك، والحمد لله على الحجاب، فإن الفتح صعب وإن كانت فيه راحة كبيرة، بل هو كما يقول الشيخ الأكبر في أنشودته :

إن الفتوح هو الراحات أجمعها وهو العذاب فلا تفرح إذ وردا

(25) السلطان العادل أبوالربيع سليمان بن محمد بن عبد ا بن إسماعيل العلوي، من سلاطين الدولة العلوية الشريفة، بويع له بفاس عام 1206هـ، وتوفي بمراكش يوم الخميس 13 ربيع الأول عام 1238هـ، وله رحمه ا مؤلفات منها : عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 380 رقم الترجمة 1523، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 495-501، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 4 ص 216، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 9، وفي الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 67، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 980 رقم الترجمة 557.

وقد أخبرني شيخنا العارف با سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي(26) عن بعض الإخوان له دكان يبيع فيه الزيت والصابون، وجعل محلا في داخل الحانوت لقراءة جوهرة الكمال. فجاءه يوما وهو يرتعد من فزع عظيم حصل له بمشاهدة الرسول (ﷺ) مع الخلفاء الأربعة، وأبو بكر يعاتبه على إحضار النبي (ﷺ) في ذلك المحل بتلاوة جوهرة الكمال فيه، فطفق شيخنا المذكور يطمئن نفسه ويخفف عنه جزعه، ولم يلبث ذلك السيد إلا نحو ثلاثة أيام وتوفي رحمة ا عليه، فتحقق لدينا أنه من الألطاف الإلهية عدم مشاهدتنا للطلعة الشريفة يقظة حال قراءة جوهرة الكمال والصلاة الفريدة، وإني وإن كنت أعتقد أنك أهل للتحصيل على هذه المزية وهذه الخاصية الكبرى، ولكن الشفقة على أنفسنا من جهة الشفقة عليك توجب النصح لك بما نبهناك عليه، وأرشدناك إليه.

أما الصلاتان اللتان أخرجهما صاحب مؤلف التأليف المذكور، وسمعهما من سيد الوجود (ﷺ)، وهما أقصر من الياقوتة الفريدة وأعظم منها. وقد أشكل عليك في كون جوهرة الكمال وياقوتة الحقائق(27) أطول من الياقوتة الفريدة، وهي أقصر منهما وأعظم فضلا. فإن الصلاتين اللتان أخرجهما غير الصلاتين اللتين ذكرتهما بلا شك. أما أحدهما فهي الصلاة الجامعة(28)، وقد من ا بها علينا، إلا أنه لا إذن لنا في الإذن بتلقينها للغير. وأما الصلاة الثانية فقد طالما بحثت عنها فلم أعثر على من لديه علم بها من غير المدعين لمعرفة الأذكار والأسرار، ولم أحصل على إذن خاص فيها حتى يمكنني الإذن لكم فيها وفيما قبلها. وقبل عثوري على الصلاة الجامعة كنت في اهتمام من أجلها حتى شاهدت شيخنا العبدلاوي في رؤيا في الزاوية الشريفة في جمع حفيل، وهو جالس قبالة الضريح الشريف بسارية الذهب(29). فقال لي أو قيل لي بمحضره : إن الصلاة الجامعة هي بهذه الصيغة : اللهم صل على سيدنا محمد الجامع لجميع الأسماء والمسميات، وعلى آله وصحبه وسلم، فاستيقظت وأنا حافظ لها، فأخبرته رضي ا عنه، فتبسم في وجهي وقال لي : إن الصلاة المذكورة غير هذه الصيغة، ثم أخبرني بها. وما أدري هل أجازني فيها على الخصوص، أو داخلة في عموم ما أجازني به، ولذاك لم أستعملها للتحصيل على خاصيتها التي هي

---

(26) سبق التعريف به في ج 1 ص 27 من هذا المؤلف.

(27) صيغة من صيغ الصلاة على النبي (ﷺ)، وتسمى : ياقوتة الحقائق في التعريف بسيد الخلائق، أولها : ا ا ا اللهم أنت ا الذي لا إله إلا أنت العلي في عظمة انفراد حضرة أحديتك إلخ ... وهي من الأوراد الإختيارية في الطريقة الأحمدية التجانية، أنظر جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم ج 2 ص 226-260، حيث أتى بشرح نفيس عليها أملاه عليه شيخه العارف با أبو العباس التجاني رضي ا عنه، وسماه : جوهرة الحقائق في شرح ياقوتة الحقائق، وللعلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد السلام كنون شرح آخر عليها طبع على الحجر بفاس.

(28) سبقت الإشارة إليها في ج 1 ص 316 من هذا المؤلف.

(29) حول سبب تسميتها بسارية الذهب قال العلامة سكيرج : اعلم أن سيدنا رضي ا عنه لما شرع في بناء الزاوية المباركة، أمر بحجر فصنع على هيئة مخصوصة، ثم نقش فيه اسم ا العظيم الأعظم، ثم كتب معه : اللهم إني أسألك يا مولاي بحق اسمك العظيم الأعظم أن تحفظ أصحابي من قاف إلى قاف، ثم أمر به فدفن في أساس جدار الزاوية المباركة، وقيل فوق الحائط هناك، وممن حضر نقشه ودفنه بالزاوية، الشريف البركة، المقدم في صدر المكرمات في السكون والحركة، سيدي عمر حفيد القطب الكبير، والعارف الشهير، سيدي عبد العزيز الدباغ رضي ا عنه، وأفراد من أمثال الخاصة من أصحاب سيدنا رضي ا عنه.

ولعل الموضع الذي دفن فيه هذا الاسم العظيم هو السارية الثانية، عن يمين المقابل للضريح الشريف، المعروفة عند الخاصة بسارية الذهب، إلخ ... أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 55.

الإجتماع برسول ا (ﷺ)، كما يعمل بها الواسطة المعظم صاحبها سيدي محمد بن العربي الدمراوي(30) رضي ا عنه، كان يقرؤها فيجتمع به يقظة، فكان يجتمع به في اليوم أربعا وعشرين مرة مع صغر سنه، وذلك من فضل ا عليه بمحبة الشيخ التجاني رضي ا عنه حسبما بلغنا ذلك على لسان الثقاة من مقدمي الطريقة المحمدية التجانية.

فتبين لك بحمد ا أن الصيغة الخاصة بالسالكين التي لا تنال إلا بإذن خاص هو ذكرها عددا خاصا للإجتماع برسول ا (ﷺ) يقظة، وأن الصلاة القصيرة من الصلاتين المشار إليهما هي الصلاة الجامعة، والفضل المنوط بها في الأفضلية إنما هو من حيثية تقريب المسافة على السالك في الإجتماع بسيد الوجود (ﷺ). ولا ينبغي مجادلة ما في الخواص، ولا من يعارض فيها بكون الرسول (ﷺ) لا يحضر لتاليها. فالإعراض عن مثل هذا المنتقد من المتعين، وكفاه حرمانا وجود غيره المصدق بالخواص ما لم يجده، وبا التوفيق.

KJlkl ülDsJl : حصل لنا إشكال في قول الشيخ الأكبر قدس سره، فإنه بعد أن ساق حديث أعمار أمتي بين الستين والسبعين وأقلهم من يجاوز ذلك. قال : اعلم أن هذا الحديث إشارة إلى أمر الإختصاص، وهم الأولياء المحمديون خاصة، فمن زاد على السبعين سنة فما هو بمحمدي المقام، وإنما هو وارث لمن شاء ا من الأنبياء من آدم عليه السلام إلى خالد بن سنان(31) عليه السلام إهـ ... كلامه. والإشكال المذكور هو طلب سيدنا رضي ا عنه التعمير ثمانين سنة من ا تعالى، واستجاب ا دعاءه، فلم ينتقل رضي ا عنه من هذه الدار حتى جاوز السبعين إلى الثمانين، ولا شك عندنا أنه من كبار الأولياء المحمديين.

اااواf : اعلم أن هذا السؤال طالما أورده الوارد علي وأنا في حيرة منه، وكنت أظن أنه لا يتفطن له أحد لا من إخواننا التجانيين ولا من غيرهم. ومنذ تعرفنا بكم وعرفت ما أنت عليه من صدق المحبة في هذا الجناب، وخوضك في بحر المعارف، ومطالعة كتب القوم التي ما حرم منها إلا مغبون الصفقة. فخسر منها خيرا كثيرا وربحا عظيما. وأنا أقول : ربما تلقي علي هذا الإشكال أو ألقيه عليك، لعل أن نطرح عنا فيه ثقيل الإشكال. فكان الأمر كما تفرسته فيك، فتعين الجواب عنه بما فتح ا به إقناعا لكم. وقمعا للمنتقدين من الذين لو وقفوا إليه أو وقفوا عليه لأقاموا ضجة على الإخوان بقطع الطريقة عنهم به، وشوشوا أفكار العامة بينهم، ولابد أن يفعلوا بعد مطالعتهم لإشكالك ويكتموا الجواب عنه، أو يزيدوا فيه وينقصون على عاداتهم فيما به على المريدين يشوشون.

---

(30) سبق التعريف به في ج 1 ص 312 من هذا المؤلف.

(31) خالد بن سنان العبسي، من أنبياء العرب في عهد الجاهلية، كان في أرض بني عبس يدعو الناس إلى دين عيسى عليه السلام، وقد قيل أنه لم يكن في بني إسماعيل نبي غيره قبل سيدنا محمد (ﷺ)، وقال ابن الأثير في تاريخه : من معجزاته أن نارا ظهرت بأرض العرب فافتتنوا بها، وكادوا يدينون بالمجوسية، فأخذ خالد عصاه ودخلها ففرقها وهو يقول : بدا بدا، كل هدي مؤدى، لأدخلنها وهي تلظى، ولأخرجن منها وثيابي تندى، وطفئت وهو في وسطها، وثبت في الحديث الصحيح أن حفيدة النبي خالد بن سنان وفدت على رسول ا (ﷺ)، فبسط لها رداءه وأجلسها عليه، وقال : ابنة نبي ضيعه أهله، وفي رواية أخرى : مرحبا بابنة أخي، أنظر الإصابة لابن حجر العسقلاني ج 1 : 466 -469، وفي تاريخ الخميس لحسين بكري ج 1 ص 199 وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 296.

وإذا كان لديك العلم بمعرفة الولي المحمدي والتفرقة بينه وبين غيره فكثير من الناس لا يعلمون ذلك. فلهذا لا بأس بذكر فذلكة منوطة بتمييز القطب المحمدي من غيره هنا، فإن الأقطاب المحمديين على نوعين كما قاله الشيخ الأكبر قدس سره : أقطاب بعد بعثة النبي (ﷺ). وهم من أمته إلى يوم القيامة. وهم اثني عشر في كل زمان، قلب كل واحد منهم على قلب واحد من الأنبياء عليهم السلام، وأقطاب قبل بعثته عليه السلام، وهم الرسل، وعددهم 313 نبيا. ثم القطب الذي لا يكون في كل عصر منه إلا واحد من المحمديين ليس هو من هذا العدد، لأن القطب المحمدي هو الذي ورث النبي سيدنا محمدا (ﷺ) فيما اختص به من الشرائع والأحوال، مما لم يكن في شرع تقدمه، ولا في رسول تقدمه.

ومما يتميز به القطب المحمدي عن غيره أنه لا يتميز بمقام، ومقامه أن لا مقام، فهو كالحرف، ترك العلامة له علامة، فلذلك لا يعرفه أحد إلا بتعريف منه، فإذا تقرر هذا وهو زبدة ما عرف به أهل الحق القطب المحمدي نقول : ما عرفنا الشيخ قطبا محمديا إلا بالإخبار عن نفسه بذلك. فهو قطب محمدي من أمة الإختصاص، ولا إشكال في ذلك إلا من حيثية النقل الذي ذكرتم عن الشيخ الأكبر في حمل الحديث المذكور على الأولياء المحمديين، وأنت إذا أمعنت لنص الحديث الذي يصرح فيه بأن أقلهم من يجاوز ذلك تحقق لديك أن الشيخ قدس سره من الأقلية الذين جاوزوا السبعين. فقول الشيخ الأكبر فمن زاد على السبعين سنة فما هو بمحمدي المقام محمول على أكثر الأولياء، لا على الأقل منهم.

وقد عرف الشيخ التجاني أن الأكثر من المحمديين لا يتجاوز عمر النبي (ﷺ)، فلا يتجاوز الثلاث والستين عاما، وهاهنا جواب آخر وهو أن خاصة أهل الإختصاص من هذه الأمة يشملهم حكم العامة منهم. فالقطب المحمدي لا يتنزل منزلة مطلق الولي المحمدي، وكلام الشيخ الأكبر في مطلق الأولياء المحمديين الذين هم أمة الإختصاص. فهو لم يتعرض في حمل الحديث إلا لعموم الأولياء المحمديين. وقد يختص الخواص منهم بما ليس لعمومهم، وهناك جواب آخر، وهو أن كلام الشيخ الأكبر في الولي المحمدي المقام، وقد عرفت أن القطب الخاص من المحمديين لا مقام له يتميز به عن غيره إلا بتعريف منه بقطبانيته.

وقد أعرب الشيخ التجاني رضي ا عنه عن ولايته المحمدية وقطبانيته وختميته وكتميته، فلم يبق إلا تصديق المعتقد لما أخبر به عن نفسه اقتداء بالنبي (ﷺ) في قوله : أنا النبي لا كذب، حيث أعرب عن نفسه، فصدقه من أراد ا سعادتهم، وأما المنتقد المكذب فلا كلام لنا معه، ثم إنه لا يخفى عنك أن أمر القطب التجاني الذي ثبت لدينا أنه هو الختم المكتوم قد خفي أمره.

وقد تتبع الشيخ الأكبر جميع ما لديه من الطرق العرفانية من كشف وغيره، وتطبيق القواعد المحققة لديه، فلم ينفعه إلا الرجوع إلى العجز عن تعيينه وتعيين زمانه، فسماه مكتوما، فقد انخرقت فيه عادة معرفته مما قرره حتى في قاعدة عدم تجاوز عمر الولي المحمدي السبعين، فلا يدخل عمر الشيخ التجاني في هذه القاعدة التي بنى عليها في تمييز المحمديين من غيرهم في الزيادة على السبعين في العمر، مع أن الشيخ الأكبر أيضا لم يستوفي ذكر الأقطاب المفتوح عليه في التعرف بهم من زمانه إلى يوم القيامة.

وقد ذكر السبب المانع من ذلك في الباب 555 من الفتوحات المكية، ولا بأس أن ننقل هنا من كلامه ما يعرف به الخائض في الأولياء ظهور العارفين مما يوقع الناس في محذور، مما جعله ا في قلوبهم من الشفقة عليهم، فإنه قال رضي ا عنه ما نصه : ولابد في كل زمان من وجود قطب يكون عليه مدار ذلك الزمان، فإذا سميناه وعيناه قد يكون أهل زمانه يعرفونه بالإسم والعين ولا يعرفون رتبته، فإن الولاية أخفاها ا في خلقه، وربما لا يكون عندهم في نفوسهم ذلك القطب بتلك المنزلة التي هو عليها في نفس الأمر، فإذا سمعوا في كتابي هذا بذكره أداهم إلى الوقوع فيه، فينزع ا نور الإيمان من قلوبهم، كما قال رويم(32)، وأكون أنا السبب في مقت ا إياهم، فتركت ذلك شفقة مني على أمة محمد (ﷺ). وما أنا في قلوب الناس ولا في نفس الأمر ولا عند نفسي بمنزلة الرسول (ﷺ) يجب الإيمان بي عليهم وبما جئت به. ولا كلفني ا إظهار مثل هذا فأكون عاصيا بتركه، ولا هذه المسألة بمنزلة قوله تعالى : وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر(33). إلى آخر مقاله(34)، فقد ترك له قدس سره للسبب المذكور تعيين جل الأقطاب، فأحرى تعيين القطب المكتوم، إلا ما ذكره في حقه من كونه رآه كثير الإنكار عليه من الناس عندما تكلم عليه في غير هذا الباب.

وهاهنا أيضا إشكالات قلما تفطن لها كل من المعتقد والمنتقد، ليصرح الأول برفعها، ولا يقنع الثاني بالجواب بدفعها إلا مع إنصاف، وقلما أنصف المنكرون، فقد ذكر الشيخ الأكبر في الباب 463 من الفتوحات المكية أنه ليس في الأقطاب من هو على قلب محمد (ﷺ). وأما المفردون فمنهم من هو على قلب محمد (ﷺ). والختم منهم أعني خاتم الأولياء الخاص، وقال قبل هذا الكلام : وأما المفردون فكثيرون، والختمان منهم أي من المفردين، وما هما بقطبين، فكيف الجواب عن كون القطب التجاني محمديا على قلب النبي (ﷺ)، وهو ختم، والختم غير القطب طبق ما

---

(32) أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد بن رويم، بغدادي الأصل، صوفي شهير، من كلامه : من حكمة الحكيم أن يوسع على إخوانه في الأحكام ويضيق على نفسه فيها، فإن التوسعة عليهم اتباع للعلم، والتضييق على نفسه من حكم الورع، وسئل رضي ا عنه عن المحبة فقال : هي الموافقة في جميع الأحوال، وأنشد :

ولو قيل لي مت قلت سمعا وطاعة ... وقلت لداعي الموت أهلا ومرحبا

توفي رحمه ا بالشونيزية عام 303هـ، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 88 رقم الترجمة 168، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 37، وفي طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي ص 180.

(33) سورة الكهف، الآية 29.

(34) أنظر الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي ج 4 ص 194.

صرح به الشيخ الأكبر هنا، فنقول : إن الختمين الذين هما غير قطبين ختمان خاصان من الأفراد بدليل قوله : والختم منهم، أعني خاتم الأولياء الخاص، والختم التجاني كما علمت قطب فرد، بل هو القطب الجامع الحائز لكمال الظهور في الختمية طبق ما أخبر بذلك عن نفسه. وحددناه في غير محل من تآليفنا، وبالأخص تأليفنا المعنون بنهج الهداية في ختم الولاية(35)، فهو بلا شك عندنا أنه القطب المحمدي الختم الأكبر، حسبما علمناه وصدقنا به وا أعلم.

وذكر الشيخ الأكبر أيضا في الباب 557 من الفتوحات المكية في ختم الأولياء على الإطلاق أن عيسى عليه السلام لا يختم إلا ولاية الأنبياء والرسل. وخاتم الأولياء المحمدي يختم ولاية الأولياء لتتميز المراتب بين ولاية الولي وولاية الرسل. فإذا نزل وليا فإن ختم الأولياء يكون ختما لولاية عيسى من حيث ما هو من هذه الأمة حاكما بشرع غيره، كما أن محمدا (ﷺ) خاتم النبيئين، وإن نزل بعده عيسى. كذلك حكم عيسى في ولايته بتقدمه بالزمان خاتم ولاية الأولياء وعيسى عليه السلام منهم(36). فكيف الجواب عن كون القطب التجاني خاتما للولاية المحمدية قبل عيسى عليه السلام þ فنقول إن سوء التعبير وسوء الفهم لازال يوقع الناس في تحير كبير، ولازال الناس إلى الآن لا يفرقون بين خاتم الأولياء وبين خاتم الولاية، وكثير من الجهال لا يعلمون أن الختمية رتبة من مراتب الولاية، كالقطبانية وغيرها، ومن وصل إلى تلك المرتبة يسمى ختما أو قطبا وهكذا في سائر مراتب الولاية، لا أنه خاتم الولاية، لا ولي بعده، فهذا غير مقصود لا للقطب التجاني، ولا لأحد من أصحابه العارفين بمقاله ومقامه، والذي تكلم عليه الشيخ الأكبر من الأختام هو غير الشيخ التجاني قطعا، ويحتاج في بيان ذلك بسط كلام. لا نبخل منه هنا بما يتضح به المقام، وإني وإن لم أكن وليا في أدنى مقام، فأحرى أن أزاحم مناكب الأختام، فقد من ا علي بتحصيل ما في الموضوع من كلام.

فنقول إن الأنبياء عليهم السلام لهم نبوة وولاية، كما للرسل رسالة وولاية، ثم للأولياء ولاية هي دون ولاية الأنبياء التي هي دون ولاية الرسل. فالنبي ولي كالرسول من جهة ولايته، ولاحظ للولي غير النبي في نبوة النبي، كما لاحظ له في رسالة الرسول، إلا من جهة الإرث المختص به من جهة ولاية الجميع، وإن تفاوتت في المقام وعلو المكانة، ومتى أطلق الولي من غير قيد حمل في كل محل على ما يناسبه، ولا يتسارع للإنكار إلا جهول، فإذا قال قائل إن الولي هو خالق الوجود أو موجده أو نحو هذا مما هو خالص با تحقق المومن الحقاني بأن المراد بالولي هنا هو ا تبارك وتعالى، لأن الولي من أسمائه، وقد يلبس مطلق الأولياء من عباده حلة من حلل أنوار هذا الاسم، فيتصرف في الكون تصرف مولاه الذي ولاه، بمقتضى كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها، إلى آخر الحديث القدسي القاضي بهذا من غير تأويل.

فلا جرم أن الأنبياء أولياء، لذلك قال من قال وهو الشيخ الأكبر في الفصوص وغيرها وتبعه أنصاره : الولاية أفضل من النبوءة والرسالة، ومقصودهم ولاية النبي أفضل من نبوته،

---

(35) أنظر ج 1 ص 96 من هذا المؤلف.

(36) أنظر الفتوحات المكية لابن عربي الحاتمي ج 4 ص 195.

وولاية الرسول أفضل من رسالته، من جهات مفهوم بعضها وبعضها مكتوم، حيث يقولون إن النبوة مع الرسالة تنقضي بوفاة صاحبها، بخلاف الولاية فهي لصاحبها دنيا وأخرى. وفي اضطراب فهم ما قالوه هنا زلت أقدام بإنكار العامة على الخاصة، ونتبرأ إلى ا من كل ما يقضي إلى سوء الأدب المؤدي إلى فساد العقيدة في ساداتنا الأنبياء عليهم السلام.

وقد قضى علينا الإيمان بنزول عيسى عليه السلام حاكما بالشريعة المحمدية أن نصدق ساداتنا أهل ا فيما أفادونا به من كونه معدودا من هذه الأمة من أولياءها، لا أنه نبي أو رسول فيها، فإن الأنبياء ختموا بالنبي سيدنا محمد (ﷺ)، وهو كما قدمناه خاتم الولاية. ومن قال فيه خاتم الأولياء فقد ساء تعبيره، بخلاف خاتم الأنبياء في حق سيد الوجود، فيقال فيه خاتم النبوءة وخاتم النبيئين، ولذلك قال الشيخ الأكبر في حق عيسى عليه السلام : لا يختم إلا ولاية الأنبياء والرسل. فهو خاتم لولاية النبي (ﷺ) كما ختم النبي (ﷺ) نبوة هذا الخاتم. فهو غير نبي في هذه الأمة، أما الخاتم المحمدي وهو غير عيسى عليه السلام فهو خاتم لولاية عيسى. إلا أن قول الشيخ الأكبر المتقدم (من حيث ما هو من هذه الأمة) لعل لفظة ما زائدة هنا حسبما ظهر لنا وا أعلم.

وما قلناه من أن الخاتم المحمدي خاتم لولاية عيسى ليس فيه غموض ولا إبهام، لأنه من جملة الأولياء، والخاتم المحمدي خاتمة لولاية الجميع، وعيسى عليه السلام منهم، وهذا الخاتم المحمدي متقدم على عيسى في الوجود، وغير مستبعد وقوع ختمية المتقدم لولاية المتأخر في الوجود حسبما يفهم من كلام الشيخ الأكبر هنا، ولاشك أن مراده بخاتم الأولياء هنا غير الختم التجاني رضي ا عنه، فإن الختم التجاني خاتم الأولياء لا خاتم الولاية، فله قدس سره كمال الظهور في مرتبة الختمية التي يتصف بها كل من حل في رتبتها كما بيناه وا أعلم.

Ulpl ülDsl : حصل لنا إشكال في قول الشيخ الأكبر قدس سره ونصه : وكان بعضهم يقول في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، المراد أنهم لم يكن في حسابهم أن ا تعالى يدخلهم الجنة لسوء ما تعاطوه، وليس المراد أن الحق تعالى لا يحاسبهم على أعمالهم، قال الشيخ الشعراني رضي ا عنه فليتأمل. وحيث ساق الشيخ رضي ا عنه كلام ذلك البعض ففيه استنشاق رائحة قبوله، وإن قال الشيخ الشعراني رضي ا عنه فليتأمل، إذ العارفون لا ينطقون إلا بالحق، ولا ينقلون في كتبهم إلا القول الحق، وإن قلنا بأحقية القول من ذلك البعض فالسؤال على كل حال والحساب لا بد منه، وظاهر الأحاديث وشراحها وكذا قول سيدنا رضي ا عنه يشير إلى عدم حساب وسؤال أصحابه، وكذا الزمرة التي تدخل الجنة قبل الحساب، فأوضح للناس ذلك زادك ا نورا على نور، لأن له تعلقا بكلام سيدنا رضي ا عنه، وسقناه في مذاكرة الإخوان فحصلت لنا من ذلك وقفة وإشكال.

ƒllll : اعلم أن حسن ظنك هو الذي حملك على استنشاق رائحة قبول كلام العارفين فيما يقولونه وما ينقلونه وإنهم لا يقولون إلا الحق، وقد ورد في الحديث : حبك الشيء يعمي ويصم، مع أن كل كلام فيه المقبول والمردود إلا كلام الرسول عليه السلام. ومن الإنصاف أن يعطي الشخص لكل ذي حق حقه، ولا يمنعه مما استحقه، لذلك جرت عادة العارف الشعراني

رضي ا عنه فيما ينقله من كلام الشيخ الأكبر وغيره من شيوخه مثل العارف سيدي علي الخواص، مما يجده في الظاهر مخالفا للقواعد المقررة. وبالأخص ما يراه حائدا عما قرره أهل السنة وذهبوا فيه مذهب الحق، فإنه ينبه على ما ينقله من ذلك على التأمل فيه لأمور منها : أن لا يتمسك به من لا تحقيق له في مخالفة مذهب أهل الحق فيتأمل في المنقول ليفهمه على الوجه المقصود منه، ويقابل ما فهمه بما عند غير المنقول عنه، ومنها التثبت فيما يفهمه المطالع على ذلك. وأن لا يتسارع للإنكار إلا بعد تحصيل ذلك على أتم وجه، فإنه ربما لا يعرف المقصود من ذلك ويكون إنكاره غير محمود. ومنها الإرشاد إلى أن في الكلام المنقول شيئا يحتاج إلى التأمل، ليرد إليه المطالع باله وأن لا يمر عليه مر السحاب، في مطالعة ذلك القول مما لا يظهر له وجهه من خطأ وصواب، ومنها إعلامه بأنه على بصيرة من ذلك القول الذي نقله عن صاحبه، وأنه ما حكاه إلا لينبه عليه أو يقيد به غيره، ونحو هذا من التعقبات التي توقظ الوسنان من غفلته عند مطالعة ذلك.

وعلى كل حال ما نبه على ذلك إلا لأمر مهم تدرك وجهه بالتأمل، ولربما ذكر ما ظهر له فيه حتى لا يدع ما نقله في ناحية الإبهام والإيهام، والتشويش على الأفهام. أما تسليم الشيخ الأكبر لما نقله مما يشم منه رائحة قبوله فإنه لا يقضي بأنه غير متعقب عند غيره، لا سيما وذلك التوجيه مخالف لظاهر نص الحديث المذكور في السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب، فإن الذهن لا ينصرف في فهم معنى الحساب إلا للحساب المعروف. فهي بشارة للمومنين الذين لا يحاسبون ولو حسابا يسيرا، لورود كثير من الأحاديث فيمن يدخلون الجنة بدونه، ولا معنى لتأويل ذلك بتحويل اللفظ إلى معنى لا دلالة عليه ولا موجب له، وكأنه ما ذكره الشيخ الأكبر إلا تنبيها للمكلف حتى لا يركن إلى الأمن من مكر ا . وأن ما ورد في الدخول للجنة بلا حساب قد يكون المراد من الحساب ما ذكره ذلك العارف. وإن كان مخالفا للمعنى المقصود من الحساب في لسان التخاطب. والحق يقول في بعض الأحاديث القدسية في هذا الموضوع : هؤلاء للجنة ولا أبالي، وهؤلاء للنار ولا أبالي.

وما قلناه من كلام الشيخ الأكبر قد يكون أراد بنقل ذلك القول تحذير الناس من الأمن من المكر، فهو الذي جرى عليه أهل ا في مبشراتهم لمريديهم وأحبابهم، مثل الشيخ التجاني رضي ا عنه، فإنه يحذر من الركون للأمن من مكر ا حيث يقول : إن أصحاب طريقته لهم كذا وكذا من الفضل العظيم، حتى أنه بشره النبي (ﷺ) بأنهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عقاب، ثم يقول محذرا لهم : فلا تامنوا مكر ا ونحو هذه العبارة مما لا يبقى معها للمريد ركون للأمن من المكر. "ولا يأمن مكر ا إلا القوم الخاسرون"(37). وقد يكون ذكر ذلك البعض في ذلك الحديث مقصودا في حق بعض الناس الداخلين في مجموع ذلك العدد، وهم بالنسبة لمن يدخلون الجنة بالحساب كلا

(37) سورة الأعراف، الآية 99.

شيء في جانب فضل ا ، فإن الرجاء في ا أن يدخل الجنة بلا حساب ما لا حصر له من الملايين، وا ذو الفضل العظيم(38).

إلا أن جزم ذلك العارف بكون المراد ما ذكره يحتاج فيه إلى ما يعاضده ليخرج من عهدة تحويل اللفظ عن مدلوله المطابق له في الوضع العربي، لا سيما وجزمه بذلك يؤيده قوله وليس المراد أن الحق تعالى لا يحاسبهم على أعمالهم، وهو مخالف فيه لما دل عليه اللفظ، ولا قرينة تدل على صحة مقاله، ولهذا قال العارف الشعراني رحمه ا فليتأمل، فهذا ما ظهر لنا وا أعلم.

السؤال الخامس : عن أعظم الأعمال ثوابا هل الشاق على النفس الذي يؤذيه الإنسان بكزازة ومشقة أو الذي يؤذيه بنشاط وفرح وخفة، لأن كلام العارفين تعارض لدينا، فقد رأيت أن بعض العارفين قال : كنت أؤدي الأفعال التكليفية بكل نشاط مدة. فظهر لي أن تأديتها مع المشقة أعظم أجرا، فطلبت من المولى رفع تلك الخفة عند أداءها، فصرت أؤدي التكاليف بمشقة وكزازة. وقد قال بعضهم : السعداء يأخذون الأعمال بالإرادة والقصد، ويأخذون النتائج بالشهوة في حال العمل، فالتذوا بالعمل التذاذا بنتيجته، فقد عجل له نعيمه، ومن رزق الإرادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة ينال النتيجة بشهوة، ولكنها مرتبة دون الأولى، وقال الشعراني : الكامل تصير عبادته روحانية لا جسمانية. وقال الشيخ الأكبر قدس سره : إذا وقعت للنفس لذة عظيمة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهناك علة خفية. إلى أن قال : فالعدول إلى الشاق واجب، فأوضح لنا سيدي شرح هذا الإضطراب الحاصل لنا من كلامهم، هل ذلك الإضطراب حاصل من تفاوت المقامات فصار كل واحد يعبر عن حاله أو لأمر واحد ؟ وحينئذ أوضح لنا ما هو الأعظم ثوابا هل تأذيتها بلذة أو مع مشقة ؟ لأن الثواب على قدر النصب والتكليف والتزام ما فيه كلفة. ولا ينفك أحد عن التكليف مادام في الحياة سواء الصفوة العليا والعامة.

السادس : أعلم أن الحق سبحانه قد تكرم على أمة سيدنا محمد (ﷺ) بنفي الحرج عنها حيث يقول : وما جعل عليكم في الدين من حرج(39)، وفي الحديث لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه، والنبي (ﷺ)

لم يمتحنا بما تعيا العقول به   حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

فلا جرم أن دين ا يسر، وأركان الدين معروفة من قام بها مع اجتناب ما نهي عنه عد مطيعا. وهذا شيء معروف ليس السؤال عنه، وإنما السؤال عن الأعظم ثوابا هل الشاق على النفس أو غير الشاق، وقد عرفت معنى التكليف الذي هو إلزام ما فيه كلفة، فتبين به أن الأمر

---

(38) كان الشيخ التجاني رضي ا تعالى عنه غالبا ما يوصي أصحابه بتقوى ا وعدم الأمن من مكره، وكثيرا ما كان يحث على هذا عقب ذكره لبعض البشارات التي تفضل ا به على أصحابه وأحبابه، وفي كتاب الإفادة الأحمدية لمؤلفه البركة سيدي الطيب السفياني، باب حرف الكاف، قال : قال سيدنا رضي ا عنه : كل ما ذكرت لكم في هذا الطريق واقع إن سلمنا من مكر ا ، فالرسل عليهم الصلاة والسلام على جلالة قدرهم وعلو منصبهم ما أمنوا مكر ا ، فلا يا من مكر ا إلا القوم الخاسرون.

(39) سورة الحج، الآية 78.

الشاق على النفس فيه ثواب لمن قام بما أمر به، غير أنه لا بد من مراعاة حق ا وحق النفس. وما كاف ا نفسا فوق طاقتها، كما قال تعالى : لا يكلف ا نفسا إلا وسعها(40)، ومفهومه أن ما لا يسع النفس لم يكلفها به، والثواب إنما هو منوط بما كلفها به لتؤدي الأمانة فيه على وجهها. ثم نرجع إلى تصويب نظريتكم من كون العارفين هنا يعبر كل واحد منهم على حسب مقامه وذوقه، وهم في مذاقهم على أحوال. وصاحب الحال مسلم له فيما قال، ولا يقتدى به في سائر الأفعال، ولا في سائر الأقوال، فمنهم من لا يلتذ بالجلال وإنما يلتذ بالجمال، وهؤلاء أهل شكر، ومنهم من يلتذ بالعكس، وهم أهل الصبر، فأهل الشكر ميسر لهم المزيد، وأهل الصبر يوفون أجرهم بغير حساب، وما أظن أنه يوجد من أهل ا من يتحمل المشقة في طاعة ا بلا لذة له فيها، وكيف يتأتى للعارف أن يعملها أو يجتنب شيئا من غير لذة في امتثال أمر مولاه، واجتناب ما عنه نهاه، بل تجد العارف منهم إذا لم يلتذ بشيء من النصب يتمنى أن يمتحن ليجد لذة المحنة، كما قال أبو يزيد البسطامي(41) رضي ا عنه :

وكل مآربي قد نلت منها سوى ملذوذ وجد بالعذاب

فتمنى العذاب ليذوق لذته، ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به، وقد عرفت أن أصحاب الأحوال في واد وغيرهم في واد. وكل يعمل على شاكلته، ومن ألقى نظرة إجمالية إلى أحوال الصحابة رضوان ا عليهم وتحقق بأنهم خير من قاموا بطاعة ا على الوجه المشروع لم يجد منهم واحدا ألزم نفسه غير ما ألزمها الشرع به، ولم يحرموا أنفسهم من الإستكثار من نوافل الخير عن طيب نفس والتذاذ تام بها، ولم يسلك واحد منهم طريقة التشديد على النفس من غير الوجه المشروع، وقد اقتدوا بالنبي (ﷺ) في تلك الأعمال التي شكروا ا بها وصبروا فيها صبرا جميلا.

وقد تقدمت لنا الإشارة إلى مشرب أهل الشكر ومشرب أهل الصبر، وقد يكون الصبر شكرا والشكر صبرا. واللذة ملازمة للعارف في ذلك كله، يدل عليه قوله (ﷺ) لما قيل له وقد وقف في مصلاه حتى تورمت قدماه : أتتكلف هذا وقد غفر ا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال : أفلا أكون عبدا شكورا، وهو في مقام التلذذ بعبادة ربه في حال لم يجده إلا ورثته، والدليل أيضا على كون العمل بالشهوة له أجر قول النبي (ﷺ) لما قال له الصحابة ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضل أموالهم، فبين لهم جملة من طرق الأجور منها : وفي بضع أحدكم أجر، فقالوا : يا رسول ا أو يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر þ فقال : أرأيتم لو وضعها في الحرام أكان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له

---

(40) سورة البقرة، الآية 286.

(41) طيفور بن عيسى، المشهور بأبي يزيد البسطامي، نسبة إلى بسطام، بلدة بين خرسان والعراق، ولد بها عام 188هـ، وبها توفي عام 261هـ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية، وكان الشيخ ابن عربي الحاتمي ينوه به كثيرا ويسميه أبا يزيد الأكبر، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 76 رقم الترجمة 148، وفي حلية الأولياء لأبي نعيم ج 10 ص 33، وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 1 ص 481، وفي طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي ص 67-74، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 240، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 335.

فيها أجر.

وفي هذا الحديث من طريق التصريح نجد أن الأجر ثابت لمن وضع شهوته في الحلال، ومن طريق التلويح نجد الأجر ثابتا لمن حبس نفسه عن شهوته في الحرام، لأنه يأثم في شهوة الحرام، وفي كفه عنها في الحرام أجر. مثل الرجل الذي قالت له ابنة عمه : اتق ا ولا تفك الخاتم إلا بحقه، فقام من بين شعبيها رغما على نفسه، فترك شهوته من خشية ا ، فهو يثاب على تحمل هذه المشقة بإرغام نفسه، أما أصحاب المجاهدات فهم من قبيل أصحاب الأحوال، وإني لأرى أن أعمال السادات الصوفية التي يتكلفونها زيادة على القيام بما أمرهم ا به واجتناب ما نهاهم عنه قد صدرت منهم عن حال قوي أو ضعيف، حسب الظروف الزمانية والمكانية، ومنهم من يظلم نفسه بتكليفها ما لاتطيق، ولولا أنها تجد في عاقبتها الجزاء الأوفى لطلبت الإنصاف من مكلفها بما فيه مشقة عليها، ولا يخفى أن تحمل المشاق في العبادة على وجوه، منها ما يكون الأجر فيه على قدرها أو أعظم، كمن يشق عليه القيام لصلاة الصبح في وقته فيتحمل مشقة القيام، فإنه يثاب على تحمله لهذه المشقة، وقد يقوم غيره لهذه الصلاة بنشاط، فلاشك أنه يثاب على نشاطه لأداء أمر ربه عن طيب نفس. وأظن أن هذا أعظم ثوابا ممن تحمل المشقة للقيام في هذا الوقت، لأنه شتان ما بين المطيع لأداء الأمر عن طيب نفس وبين من يثقل عليه أداؤه له عن كزازة، وا يقول : وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين(42)، فأثنى على من قام بها من غير استثقال لها، وهو دليل على أن الخاشعين يستلذون بالطاعة، وقد يصح أن يكون دليل أفضلية العمل الثقيل على النفس قوله تعالى : وأن تصوموا خير لكم(43) فقد رخص في الفطر في السفر، وهو ما تشتهيه النفس ويثقل عليها الصوم.

وفي هذه الحالة التي هي الصوم قال : خير لكم، وبعضهم يرى هذه الأفضلية في حق القوي الذي لا يتضرر بالصوم، أما الضعيف فلا خير له في الصوم في السفر، ولذلك قال (ﷺ) على لغة حمير : ليس من امبر امصيام في امسفر، يعني ليس من البر الصيام في السفر. بل يحرم في بعض الأحوال تحمل المشاق في العبادة، ولذلك تبرأ رسول ا (ﷺ) من التكلف فقال : أنا وأمتي برءاء من التكلف، وقال ا على لسانه عليه السلام : وما أنا من المتكلفين(44)، ولاشك أن التكلف في معنى تحمل المشقة في الشيء عبادة وغير عبادة، وقد ينفرد الشخص بالتكلف في خاصة نفسه فتكون في حقه أفضل منها في حق غيره، كما خص النبي (ﷺ) بالتهجد والضحى ونحو ذلك من الخصائص، وله في ذلك لذة كبيرة في الصلاة وغيرها، وأفعاله (ﷺ) كلها عبادة بلذة فاق فيها غيره بمقتضى : وجعلت قرة عيني في الصلاة، لما فيها من لذة المناجاة وأمور أخرى لا علم لنا بها، وحبب إليه مما هو من الشهوة الطيب والنساء، وتلك المحبة عبادة في حقه وتشريع لنا لنحب ذلك بمحبته، وتكون شهوتنا ممزوجة بالطاعة والعبادة اقتداء به.

---

(42) سورة البقرة، الآية 45.
(43) سورة البقرة، الآية 184.
(44) سورة ص، الآية 86.

وأما ما نقلته عن بعض العارفين الذي دعا ا تعالى وطلب منه أن يرفع عنه الخفة التي كان يجدها في أداء الأفعال التكليفية فاستجاب دعائه وصار يؤديها بمشقة وكزازة. فلا يدل على أن ذلك التعب الحاصل له ثانيا أعظم ثوابا من العمل بالخفة التي كان يجدها. وإنما يحمل فيها على أنه صاحب حال، مع أن صاحب الحال لا يخلو من التلذذ بمقتضى هواه. فإن هذا البعض ما تشوف للعمل بمشقة إلا عن تلذذ آخر، ليذوق ذلك عن وجد مثل أبي يزيد فيما تشوف له من حصوله على مطلبه من التلذذ بالعذاب في البيت الذي ذكرناه عنه.

وأما قول البعض الآخر من كون السعداء يأخذون النتائج بالشهوة في الأعمال التي التذوا بها وقد عجل لهم نعيمهم، فهو قول وارد عن غير معصوم من الخطأ في النظر، ولا يبعد أن يكون الملتذ بالطاعة الذي جعل هذا البعض التذاذه بها نعيما معجلا له قد ادخر له عند ا الثواب الأعظم على عبادته وعلى التذاذه بها بخلاف غير الملتذ. ألا ترى إلى من كان جائعا وحضر العشاء والعشاء، كيف يثقل عليه ترك العشاء وقد رخص له الشارع في تقديم العشاء الذي هو الأكل على العشاء التي هي الصلاة الفريضة حتى لا يقوم بطاعة عن ثقل نفس. وكذلك من غلبه النوم على القيام بواجب الصلاة كيف أمر بتركها وينام، ولم يكلفه الشارع بتحمل ثقل القيام لها، فدل هذا على أن العمل عن خفة أفضل من العمل عن ثقل نفس.

وأما قول العارف الشعراني : الكامل تصير عبادته روحانية فهو مما يدل على أن العمل عن خفة نفس أفضل مما ثقل عليها، لأن العمل الروحي خفيف ولو كان من أثقل الأحمال، وما ذكره الشيخ الأكبر من كون العبادة بلذة لا تخلو من علة فلا يدل أيضا على الأفضلية، وإنما نبه على أن ذلك يكون عن لذة، واللذة تكون عن علة من إتقان العبادة رياء وسمعة، ففيه ما للعامل بمقتضى ذلك لذة، وهذه اللذة غير مقصودة لنا في هذا المقام. وإنما المقصود النشاط بالعبادة لا عن حظ نفساني، وإنما دخلت به في طور آخر ربما تحرم القيام بتلك العبادة فيه، حتى قيل بعدم إجزاء إخراج الزكاة برياء. ويتعين النيابة في توزيعها من أجل ذلك، وهو القول المشهور، وهو مأمور هنا بمخالفة نفسه في إخراجها طبق هواها، وقد بنى السادة الصوفية طريق السلوك في نجاح سعي المريد على مخالفة النفس، لأن النفس لا تأمر إلا بسوء بمقتضى : إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي(45). ولذلك يقول المادح البوصيري(46) في بردته رحمه ا :

وخالف النفس والشيطان واعصهما	وإن هما محضاك النصح فاتهم
ولا تطع منهما خصما ولا حكما	فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

(45) سورة يوسف، الآية 53.

(46) أبو عبد ا سيدي محمد بن سعيد بن حماد بن عبد ا الصنهاجي البوصيري، ناظم بردة المديح والهمزية، أصله من بلاد المغرب، هاجر والده إلى مصر واستوطنها، ولهذا غلبت عليه نسبته لبوصير، وهي من أعمال بني يوسف بمصر، وكانت وفاته رحمه ا عام 696هـ، أنظر ترجمته في الخطط التوفيقية لمبارك ج 7 ص 70، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 2 ص 205، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 139، وفي الوافي بالوفيات للصفدي ج 3 ص 105-113.

فما ثقل على النفس في الأمور أفضل غالبا من الخفيف عليها، لأن الصلاح في الثقيل عليها غالبا، وقد بسط القول في هذا الموضوع شراحها هنا، ومع ذلك فلا يدل ذلك على الأفضلية في الثواب، والحاصل أن الإضطراب الحاصل من كلام العارفين في هذا الموضوع هو طبق ما قلت من تفاوتهم في المقامات، فصار كل واحد يعبر عن حاله، ونحن نطلب المولى أن يرزقنا حلاوة كبرى لنكثر من الطاعات عن طيب نفس ولذة كاملة، فإن النفس من عاداتها أن يثقل عليها أداء جميع المأمورات، وتجد لها خفة عند الأمور المنهيات. ولربما وهو من غالب أحوالها لتمسكها بحبل الغرور أن يحصل لها نشاط بالاشتغال بأعمال القربات من نوافل خير محدثة وأذكار غريبة، مع استثقالها لأداء الفرائض على الوجه المطلوب، وتستلذ ضياع الوقت في اللهو وإتقان ما ليس بلازم، وتتكاسل عما هي مطالبة بإتقانه وهو سر في مذاقها.

ومثال ذلك في المخذولين من المريدين أن يثقل عليه إتقان صلاته، وهو مشغول البال حالتها باستعجاله لطرح حمل أدائها عنه ليتفرغ لورده الذي التزمه بنفسه أو بإذن من شيخه له فيه، وكأن ذلك الورد أهم لديه من الغرض المطالب به، ثم إنه حالة أداء هذا الورد تجده مشغول الفكر عنه بالتشوف لأذكار آخر أو عمل نفل زائد عما هو مطالب به، فهو يستثقل الفرض، ثم يستثقل النذر ليتضرع بما هو غير مأمور به، ليعمله بلذة ونشاط، شأن كل بطال لم يصاحب أحدا من أهل ا ليطلعه على عيوب نفسه، ليحاسبها على ما يصدر منها، ولقد سنح لي يوما أن أتفكر سويعة فيما جرى مني فيه بعد ما ظننت أنني لم يصدر مني ما ألومها عليه، فلما حاسبتها باستقصاء بعض الأمور التي أوقفتها عليه في تلك السويعة من ذلك اليوم كدت أن أغيب عن حسي بما تحققته من اغترار نفسي، وقد كتبت ذلك في كراسة صغيرة سميتها تفكر ساعة، وقد دخلت بين أوراقي، ولو عثرت عليها أوجهها إليك، وا يعصمنا من الزلل، ويوفقنا لصالح القول والعمل.

السؤال السادس عن ذكر صلاة الفاتح لما أغلق بنية المراتب الثلاث، هل ذلك الثواب الموعود به على كل مرتبة حاصل لمن له الإذن في ذلك من أربابه بالنسبة لتلك المرتبة فقط لا الصورة كما يعطيه الكلام المنقول في رفع النقاب، المعزو لسيدنا رضي ا عنه وأرضاه وعنا به آمين، ونصه : إن الصورة والعين لا تدرك بخلاف الثواب، وهل سيدي لنا إذن في المراتب الثلاث من حضرتكم السعيدة، فإني سيدي منتظر إذنكم فيها بفارغ صبر، مع تبيين ذلك كمية وكيفية وتوجها وقصدا إلى آخر كلامكم باستعطاف مع طلب إلزامنا أن نعجل بالجواب عما سألتموه، وا يحقق ظننا وظنكم.

الجواب : لقد رأينا من أحوال كثير من أحبابنا الصادقين ممن أجزناهم وأذناهم يتهمون أنفسهم فيما حصل لهم من الإجازة والإذن فيه، فيتكرر منهم الطلب بإلحاح حتى كأنه ما عندهم إذن ولا إجازة فيما لديهم، وذلك صادر منهم لزيادة التثبت أو خشية انقطاع حبل السير المتصل فيه، فيريدون التجديد ولو على سبيل التبرك، أو عدم اكتفاءهم بالإذن الأول، أو لشيء آخر مما يدل على تشككهم، أو زيادة رابطة سرية قوية، مع أن الأول كاف لهم عند شيخنا التجاني رضي ا عنه، وذلك مثل الخاطر الأول الذي ينبغي للمريد اغتنام الفرصة فيه.

وقد كان شيخنا العارف با سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي ا عنه لا يحب طلب التجديد منه فيما أذن فيه أولا، ولا يحب التجديد في الإذن الصادر منه لغيره، ويقول الإذن الأول من ذلك المجيز لك فيه كفاية. ولربما يجدد لذلك الطالب الإذن لأمر يتحقق به في سره، وأعتقد أن ذلك للكشف عن صدق نية ذلك الطالب للتبرك بإذنه، ليتصل حبله بحبله، أو يتحقق من جهة الكشف أن ذلك الطالب لا إذن له في ذلك الذكر الذي طلب فيه إذنه، أولا إذن لمن أذن له فيه، ونحو هذه الأمور مما لا يتسارع للتجديد له فيه إلا بعد التحقق منه لموجب طلب التجديد، لأنه لا ينبغي التجديد للمتهاون إلا بعد تـأكد الطلب، وأخذ العهد ثانيا أن لا يعود لنقضه، خصوصا في الورد اللازم في الطريق، حيث أن تجديد الإذن فيه للمتهاون به يحتاج لتأديبه وزجره حتى يتحقق بصدق طلبه وعدم العودة إلى نقضه للعهد فيه، كما هو معروف عند خواص المقدمين، وكاد أن يتناساه المتأخرون منهم.

وقضية امتحان الشيخ رضي ا عنه لصاحبه الذي جاءه لطلب التجديد منه مذكورة في كتب الطريقة فلا نطيل بذكرها(47)، وإنما ذكرنا هذا هنا توطئة لتنبيهكم على أن الإذن الذي صدر منا لكم أولا فيه كفاية، فقد شافهناكم به وتفرسنا فيكم الأهلية وصدق النية، فلكم العمل عليه في كل ما وقفتم عليه في مؤلفاتنا في الطريقة التجانية وما ألفناه في غيرها، وإنني أحرص الناس على نفع الإخوان بما عندنا عن إذن صحيح و الحمد، ولا نبخل بما نراه صالحا ومصلحا لأحوالهم، وأستنكف من منع طالب الخير في الدلالة عليه، وبالأخص في الأعمال الخيرية النافعة في الآخرة، وا يتولى هداية الجميع بجاه النبي الشفيع (ﷺ).

ثم لا شك أن ثواب هذه الصلاة العظيمة القدر لا يدرك إلا بإذن، وقد أخبر الشيخ رضي ا عنه فيما بلغنا أنه ليس لأحد أن يأذن فيها إلا عن إذن منه بلا واسطة، أو بواسطة من عنده الإذن الصحيح منه فيها له. ولقد أمر رضي ا عنه أصحابه الذين لهم الإذن منه أن يلقنوها الناس ليموتوا على الإيمان، وقد تحقق لدى العارفين بالأسرار أن السر لا يظفر به إلا أهله، وهم من انشرحت صدورهم لقبول ذلك السر. فلابد من القابلية من الشخص، وإقباله على الشيء ذي الخاصية وقبوله لها، وكثير من الناس ممن يذكرون الشيء ذا الخاصية وهم ليسوا من أهلها، لأنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون.

فمرتبة الصلاة المذكورة الظاهرة لكل من ظفر بها حاصل بالإذن وبلا إذن، لأن صاحبها(48) أخبر عن نفسه بأن من ذكرها مرة ودخل النار فليقبضه بين يدي ا . وذكر من

(47) أنظر بغية المستفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 307 وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 525 وفي رفع العتاب عمن ترك الزيارة من الأصحاب للعلامة سيدي محمد فتحا كنون ص 28 .

(48) إشارة للعارف با القطب الشهير سيدي محمد البكري الصديقي، وهي ليست من تأليفه، بل توجه إلى ا تعالى وسأله أن يمنحه صلاة فيها سر جميع الصلوات، وطال طلبه مدة، ثم أجاب ا دعوته، فأتاه الملك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور، أنظر جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم ص 137.

فضلها أن المرة الواحدة منها بستمائة ألف من غيرها. وقد بين الشيخ رضي ا عنه من هذه المرتبة ما لم يبينه غيره(49)، وهو يحصل بحسب نية الذاكر، وقد لا يكون لذاكرها نية في تحصيل شيء من فضلها، فلا يكون صاحب خاصية، لأن الخاصية لا تدرك إلا بنية صادقة مصدقة، وإلا كان العمل كعمل مطلق الناس في نيل مطلق الثواب.

فمن لم يصدق صاحبها فيما أخبر به من فضلها أو لم يبلغه ذلك الفضل فما له إلا الثواب العام للمصلي بغير صيغتها، لأنه لم يعرف مرتبتها ولا هو صاحب مرتبة، وإنما المدار في الفضل المخصوص للمرتبة وصاحبها(50).

أما المرتبة الباطنة وباطنة الباطنة فلا بد من الإذن في كل واحدة منهما، ومعرفة الفضل المنوط بها، لأنه بعلم الفضل تحصل المرتبة الفضيلة، وبهذا تميزت فضيلة العالم في العبادة على عبادة الجاهل إلى أن يصير صاحب مرتبة، وعبادة صاحب المرتبة من أصغر ولي إلى أكبر نبي بحسبه، فليس الذكر بلساني مثلا مثل ذكري بنية ذكر لسان الشيخ رضي ا عنه، ولا مثل ذكري بنية ذكر لسان النبي (ﷺ)، وفضل كل مرتبة ليس بمتساو في النية ولا القدر المترتب عليها، فالمرتبة الظاهرة شيء، والباطنة شيء، ومن له الإذن في ذلك حصل له فضل المرتبة التي ذكرها بنيتها، لأن الأعمال بالنيات، غير أن ذكرها بنية مرتبتها الأولى له فضلها الخاص بها على قدر ماله من العلم به من ستمائة ألف إلى آخر ما عرفه من التضعيف المنوط بالفضل على حسب مبلغه من العلم.

وذاكرها بنية المرتبة الثانية التي هي الباطنية يحصل له الفضل بها كذلك مع فضلها في المرتبة الظاهرة، كما يحصل فضلها في هذين المرتبتين لذاكرها بنية مرتبتها الثالثة، زيادة على فضل هذه المرتبة بالنية المنوطة بها بقدر ما لها من الفضل الذي لا يكاد يسعه عقل المصدق من خاصة أصحاب اليقين، فضلا عن غيرهم إلا بتوفيق من الحق.

ولقد أشار الخليفة المكرم سيدي الحاج علي حرازم برادة في كتابه جواهر المعاني إلى المراتب الثلاث مع فائدة منوطة ببيان كيفية تضعيف فضل هذه الصلاة الشريفة أملاها عليه الشيخ رضي ا عنه. إلا أن فيها بعض البتر في الأصل، ويحتاج من يريد الوقوف على صحة العدد الحاصل لذاكرها إلى تأمل وتثبت، مع سعة الصدر ليتحقق بالكمية الغير النهائية فيها، مع كيفية استخراج تلك الأعداد المنوطة بمراتبها(51).

---

(49) أنظر جواهر المعاني للعارف با سيدي الحاج علي حرازم برادة ص 135-149.

(50) حول هذا الموضوع قال العلامة الشهير ابن بابا العلوي الشنجيطي في نظمه المسمى بمنية المريد :

وفضلها يحصل مع شرطين ... من ذاك إذن الشيخ دون ميـــــن
ثم اعتقاد أنها قد بـــرزت ... من حضرة الغيب لمن له ســـــرت
ومرة من الجحيم فـــديـه ... يوم القيامـــة بـغـيـر مـريـــه
وما على النبي صلى أحـــد ... بمثلهـــا ســمــع ذا ذا الأوحــــد

(51) أنظر جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة ص 135-149.

أما التوجه بها فقد وقفت على طرق فيه منسوبة للشيخ رضي ا عنه، وليست عندي رواية صحيحة في ذلك مما يخالف كتب الطريقة، والذي تحصل لي فيها أنها من الأمور المستعملة مما لا أصل له في الطريقة، ويتظاهر من لا تحقيق له أنها من الأسرار المكتومة. وقد ولع الناس بكل مستغرب، فيظن من يقف على شيء من ذلك أنه من هذا الباب السري. وقد بسطت القول في هذا ومثله في تأليفنا المعنون بجناية المنتسب بما نسبه للشيخ التجاني بالكذب(52). فلنقف هنا عند هذا الحد، ولكي نؤكد لك أن الخاصية العظمى في هذه الصلاة الشريفة لا بد في الإحراز عليها من الإذن الصحيح ممن له الإذن الصحيح فيها.

ولدينا و الحمد الإذن المقيد في الطريقة وأذكارها بأسرارها مع الإذن المطلق، وقد كنا أذناك على وفق ما رمته منا، ولم نبخل عليك بشيء من ذلك، ولم نستحضر إلى الآن معنى الصورة والعين المتعلقة بهذه الصلاة. مع أنه لا غرض يتعلق بغير الثواب الذي تفضل الحق به على ذاكرها، وا ذو الفضل العظيم، ثم لا ينبغي أن يتصدر لتلقين هذه الصلاة من لا إذن له في مرتبة من مراتبها. وليس له أيضا إذن في تلقينها بنية ذلك، وإلا فقد خاطر بنفسه في ادعاء ما لا إذن له فيه، فيكون من المحرومين. اللهم إلا إذا أرشد غيره لذكرها من غير دعوى إذن في تلقيها أو تلقينها، فإن الدال على الخير كفاعله. وصاحب الإذن في فضلها هو الشيخ قدس سره، أو من سرى له الإذن منه كما أشرنا له فيما تقدم. وا الموفق.

الƨDاü الƨابU : عن تراكيب الإسم الأعظم التي ذكرها سيدي في كتابه الروض المنيف(53)، المستخرجة من الآيات القرآنية على نظمها ونمطها. هل هذه التراكيب مراد سيدنا رضي ا عنه بقوله : منحني ا تبارك وتعالى ثلاث تراكيب من تراكيب الإسم الأعظم. واحدة من الغيب إلى آخر كلامه، أو تلك التراكيب غير هذه، كما أطلب من سيدي تبيين كيفية ذكر تلك التراكيب لمن عنده إذن فيها، وهل سيدي عندي إذن فيها Þ فإني طلبت من سيدي الإذن فيها وكيفية ذكرها والتوجه بها إلى الحق المولى طلبا لمرضاته لا لغرض دنيوي ولا أخروي.

ما كنت أهلا وهم رأوني لذاك أهلا فصرت أهلا

الااوƒ : اعلم أيها الولي الحميم أن الإسم الأعظم مضروب بيننا وبينه حجاب، سيان الاسم الأعظم الذي إذا سئل به ا أعطى، وإذا دعي به أجاب، والإسم الأعظم المنوط بعظيم الثواب. ومتى أطلق الإسم الأعظم في لفظ العموم لا ينصرف إلا للأول، وقليل منهم من ينصرف منه فهمه للثاني، وإنه لا يمكن لغير المفتوح عليه الذي يقرأ سطور الكائنات في لوحها المحفوظ أن يطلع على المخصوص بالإجابة من هذين الاسمين، لأنه هو المأذون له في الدعاء في الأمر الذي

---

(52) أنظر ج 1 ص 98 من هذا المؤلف.

(53) الروض المنيف في الجواب عن أسئلة أمين محمود الشريف، من تآليف العلامة سكيرج، تطرق فيه لموضوع الإسم الأعظم الكبير، فأظهر فيه علوما وأسرارا جليلة، بحيث يتبين لمتصفحه من أول وهلة ما كان يتمتع به مؤلفه من خبرة واسعة عريضة في هذا المجال، وقد أبان رحمه ا في هذا الكتاب عن مقدرة هائلة، مع تبسيط محكم قلما تجده في كتاب آخر، وساعدته على ذلك كثيرا معرفته الكبيرة بالإسم الأعظم وتنوع تراكيبه وصيغه.

لا يرد الدعاء فيه، ويستجاب فيه في الحين، فيدعو فيه بمقتضى الفتح المنوط به، وكل من يدعي التحصيل على هذا الإسم فلسان المشاهدة يكذبه، ولا يتظاهر أبدا صاحبه وإلا خوطب بلسان الحال إن لم يكن الخطاب بالمقال فيمن قيل في حقهم : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين في حضرات التحدي بالكرامة، ولا يكون التحدي إلا بالمعجزة في حق المعصوم، وأما الكرامة فلا يكون بها التحدي كما هو معلوم بين القوم عامة وخاصة، فينبغي لغير من يتحقق من نفسه الإستحقاق للحصول عليه أن لا يطلبه، لأنه يصير كطالب العثور على كنز بين القبور، ينبش عليها ليجد فيها مطلوبه، وما نصيبه من ذلك إلا الخيبة وسؤال الحال والمآل، لأن نيته فاسدة لتشوف نفسه لقضاء أغراض لا نفع له في الآخرة بها، حيث أنه لا يريد بالوقوف عليه التعبد به، وإنما يريده للتصرف في الخلق طبق ما يعترف بهذا في نفسه طالبه. وقليل من قليل من طلابه من يقصد به وجه ا .

وأما الإسم الأعظم المنوط بعظيم الثواب، وهو الذي تكلم عليه الشيخ التجاني رضي ا عنه، وهو محط بحث أصحابه وأحبابه، فقل من له الإذن فيه مع الوقوف على عينه بتعيين لفظه المتعبد به. وإن كان داخلا في الإجازات المصرح فيها بالإذن في الأسماء والمسميات، فالمجاز بهذا التعميم له حظ من ثواب هذا الإسم الأعظم الكريم وإن لم يطلع على تركيب صيغته الخاصة.

ولقد شاع وذاع وملأ الأسماع تركيب الأهمية ذي الحروف الإحدى عشر بين الإخوان وغيرهم(54)، وأنه هو هذا الإسم، ولم نجد أحدا يرفع سنده به إلى الشيخ التجاني رضي ا عنه، وإنما هي رواية بيان عن هيان. مجهول عن مجهول في مجهول، فالإشتغال بذكر صيغة الأهمية من البطالة وتضييع العمر في لا طائل، وما يدريك في هذه الألفاظ العجمية أنها كفر. كما قال الإمام مالك رضي ا عنه في نظائرها.

نعم إنه قد من ا على عبده بالوقوف على الثلاث صيغ من تراكيب هذا الإسم بخط الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي رحمه ا في رسالة وجهها للشيخ رضي ا عنه، ونقلتها عندي مباشرة من خطه، وهي عندي بلا شك الصيغ التي أشار لها في جواهر المعاني وغيره من كتب الطريقة. وما حظي في ذلك سوى الوجادة(55)، وهي من أقسام الإجازة.

وقد صرح الشيخ رضي ا عنه كما صرح غيره من أهل ا أن الحق سبحانه يكرم من شاء إكرامه باطلاعه على هذا الإسم الشريف بالوجادة، أو بتوفيق له من العارفين به من أهل ا ،

---

(54) تطرق العلامة سكيرج لموضوع تركيبة الحروف الأهمية في الكثير من كتبه، حيث بين جليا أن هذه الحروف ليست سوى مجرد رمز جامع لحروف الإسم الأعظم الكبير، ويحتوي هذا الرمز المبارك على أكثر من 40000 صيغة من صيغ الإسم الأعظم، ووسط هذا الكم الهائل من الصيغ هناك تركيبة واحدة هي الخاصة بمقام رسول ا (ﷺ)، وهي المعروفة عند خاصة العارفين بالفضل والثواب الكبير.

(55) الوجادة (بكسر الواو) اصطلح المحدثون على إطلاقه على أخذ العلم من صحيفة من غير سماع ولا إجازة ولا مناولة، وذلك إذا وجد الشخص حديثا بخط شيخ كان قد لقيه فألف خطه وعرفه ووثق به، أو لم يلقه ولكنه استيقن من أن هذا المخطوط صحيح النسبة إليه، فللشخص الذي تقع يده على شيء من هذا أن يرويه عن الشيخ على سبيل الحكاية.

أو بتلقيه في المنام كما وقع لكثير من أحبابنا الذين أكرمهم الله به لصدق نيتهم، ومنهم محل ولدنا البار الذي أجبناه بتويلفنا المعنون بالروض المنيف، ووقع لشيخه الحافظ المحفوظ بالله تلقيه في حضرة روحانية طبق ما حصل لتلميذه المذكور.

وقد كان شيخنا العارف بالله سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه يقول لي : من لقنه الشيخ رضي الله عنه شيئا في المنام فهو مأذون فيه بالإذن الخاص، فله أن يعمل بمقتضاه، وليس بمستبعد العثور على هذا الإسم المنوط بالثواب، ولم يبق الكلام إلا في ذكره بإذن أو بلا إذن، فيكون القول الفصل فيه ما صرح به العارفون به خصوصا أهل الإختصاص بالإذن به من القطب الجامع ومن تلقاه منه، فقد قال شيخنا القطب التجاني رضي الله عنه : إن الفضل المذكور في الإسم الكبير خاص بالصيغة التي هي خاصة برسول الله (ﷺ)، ولا يلقنها ولا يأذن فيها إلا القطب الجامع، وأما غيرها من صيغ الإسم ففيها النصف من ثواب الكبير كما تقدم، وهذا الفضل لكل من أخذ صيغة من صيغ الإسم الأعظم بسند متصل. وأما من عثر عليه في كتاب أو غيره وذكره من غير إذن فثوابه حرف بعشر حسنات فقط لا غير(56).

فالمدار حينئذ في تلاوة هذا الإسم وتحصيل ثوابه الخاص على الإذن، وأما ذكره بغير إذن فبكل حرف عشر حسنات كما صرح بذلك سيدنا رضي الله عنه، فيكون عدد الحسنات في الصيغة الواحدة من الثلاث صيغ التي عثرنا عليها ثلاثمائة حسنة، لأن الصيغة فيها ثلاثون حرفا، مع حصول المزية الحاصلة لمن عرف حروفه من الأمن من السلب، كما نص على ذلك العارف بالله أبو المواهب سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه في بغيته، وأنه لا يقدر على سلبه إلا القطب.

وقد عرفنا حروفه ولله الحمد من الجهة التي لا يتطرق إليها احتمال، والإحتمال من الشك، والشك فيه من السلب منه، ولا يمكن لنا الشك فيه بحال، وما أرى أحدا حصل له الإذن فيه مثل ما عندنا، ولا حصل عليه إلا من وجادتنا عن يقين تام، ومن ادعى أنه حصل له من غير وساطتنا فيكفيه حرمانه من رابطة سر الإذن بالوجادة، وعدم ظفره بنور الإستفادة، وما ذكرت لك هذا إلا تحدثا بالنعمة، ولله الحمد على ذلك(57).

وإذ فاتنا الإذن بالسند إلى سيدنا رضي الله عنه بتلقين هذا الإسم لتحصيل الفضل الخاص، فإنه لم يفتنا والحمد لله تحصيل الإذن في تلاوة الفاتحة بنيته، ولنا الإذن في تلاوتها بالنية دبر

---

(56) أنظر جواهر المعاني للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة ج 1 ص 74.

(57) لا يشك في هذا القول إلا جاهل بمكانة العلامة سكيرج ودوره البارز في نشر وتدعيم الطريقة الأحمدية التجانية، مع اطلاعه الكبير على جل أسرارها وخباياها من أسماء وأدعية وأحزاب وأذكار، وقد ساعده على ذلك اجتماعه بجماعة من أعيان رجالات هذه الطريقة، وفي مقدمتهم العارف بالله سيدي أحمد العبدلاوي الذي يعد بمفرده خزانة شاملة محيطة بأمهات الأسرار الخاصة، وكان هذا من أهم الدوافع التي أهلت العلامة سكيرج للبحث والتدقيق والتحقيق في مجالات هذه الطريقة الشريفة.
ولا يختلف اثنان على أن معظم الأسرار الموجودة لدا الإخوان الفقراء اليوم قد تسربت إلى أيديهم عن طريقه رحمه الله، من خلال تصانيفه الكثيرة، أو بواسطة رسائله وكنانيشه المخطوطة.

الصلاة 4 مرات من شيخنا العارف العبدلاوي المذكور، وقد أجزناكم بذلك طبق الإجازة الشفاهية المؤكدة لما كتبناه لكم مرارا، وقد تلقيتم منا كيفية ذكر الإسم المذكور وكيفية التلفظ به طبق ما علمناه، فلتقف عند حد ما لإخوتكم لقناه، وا يفتح علينا وعليكم فتح العارفين به، وله الحمد في الآخرة والأولى.

إن كنت أهلا لحمل سر   ياتيك حقا سرا وجهرا

أما مراد الشيخ رضي ا عنه بقوله منحني ا تبارك وتعالى ثلاث تراكيب من تراكيب الإسم الأعظم، فإنه لم يبلغنا تعيين مراده طبق ما أشرنا إليه، غير أنه لا يبعد أن تكون تلك التراكيب الثلاث هي المرادة لديه، لأنه يعتمد على ما يخبره به الواسطة المذكور، ونحن قد عثرنا عليها بفضل ا من الطريق التي صرحنا لكم بها.

وليس عندي في ذاك شك   فلتك ممن قد صر سرا

Dǅlƙl ülDsl : عن تبيين كيفية ذكر اللطيف الكبير جماعة المذكورة في اليواقيت الأحمدية، وهل ذكرها بتلك الكيفية بعدد من الإخوان خاص لا يمكن التبديل في هؤلاء الأشخاص الذين أنشأ عنهم الذكر، وبنى عليهم أولا þ أو لا عبرة بالعدد ولا بتعيين الأشخاص كما رأينا بعض الأحباب الأحمديين يفعل ذلك þ وكذا اعلم سيدي أننا كنا نقرأ جماعة اللطيف بعدده الوسط 16641 جماعة بعد الوظيفة بنية الفرج عن المسلمين لا غير. جعلناه وقفا على ذلك هذه مدة، ونحن نذكره جماعة، لكن من حضر في الوظيفة يذكره معنا سواء قل العدد أو كثر من الحاضرين، فلما رأيت كلام سيدي في اليواقيت المصرح ببدعية اللطيف بعد الوظيفة تمادينا على ذكره بتلك الطريقة المذكورة حتى نستأذن سيدي هل نتمادى على ذكره بهذه الكيفية أو نقطعه þ

اللاوا ƒ : إن ذكر اللطيف على هذه الكيفية يحتاج فيه إلى لطيف، كما قيل استغفارنا يحتاج فيه إلى استغفار. وقبل أن نبين ما عليه أهل فن الأسماء في كيفية الذكر نذكر لك فائدة عظيمة استفدناها من الشيخ رضي ا عنه، فيما وقفنا عليه بخط يده الشريفة، في أن سر الإسم هو في عدده بالجمل وصيرورته ألوفا. فعدد إسم الودود مثلا عشرون، فيصير بقاعدته عنده 20000، كذلك عدد اسم اللطيف 129، فيذكره بعدد سره ألوفا فيكون عدده 129000، فدخل في هذا العدد العدد المنسوب لابن حجر(58) وهو 4444، وكذلك العدد الكبير والعدد الصغير المنوط بهذا الإسم

---

(58) أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، فقيه، محدث، صوفي، باحث، ولد بمحلة أبي الهيتم بإقليم الغربية بمصر عام 909هـ، وتوفي بمكة المكرمة عام 974هـ، وله تصانيف كثيرة منها : مبلغ الأرب في فضائل العرب، والصواعق المحرقة على أهل البدع والضلال والزندقة، والفتاوي الهيتمية، وتحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، والدرر الزاهرة في كشف بيان الآخرة، والمنهج القويم في مسائل التعليم، والخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان، وغيرهم.

أنظر ترجمته في خلاصة الأثر للمحبي ج 2 ص 166، وفي النور السافر لعبد القادر العيدروس ص 287، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 337-340 رقم الترجمة 137، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 420 رقم الترجمة 914، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 234.

والعدد الأوسط الذي ذكرته، ثم الأصل في كيفية الذكر أن يكون بلسان واحد في وقت واحد، عدد الأيام التي يذكر فيها الإسم المطلوب ذكره، ويليه ذكر جماعة خصوصية موزع عليهم عدد الإسم من غير أن يزيدوا أو ينقصوا إلى تمام العدد والمدة، كما كان يفعل الشيخ رضي ا عنه، فقد كان مرتبا لذكر عدد من بعض الأسماء بنيته عشرة من أصحابه(59)، لا يدخل معهم غيرهم، فيوزع عليهم العدد المنوط بذلك الإسم على السواء، ولا يذكر الواحد منهم أكثر مما يذكره الآخر، إلا ما كان كسرا فيستبد به بعضهم، ولعله الإمام الفاتح للذكر منهم، فإذا نقص حضور أحدهم يوزع جميع الذكر بعده عليهم في أول الشروع، لأنهم يكونون في تلك الحالة كالذاكر المنفرد، ولا يحضر معهم غيرهم، ولا يذكر أحد غير ما تشتغل به الجماعة من ذكر عدد ذلك الإسم. وبهذا تتحقق بأنه لا بد من مراعاة عدد الذكر والمحافظة على العدد من الزيادة أو النقص لا في الأشخاص ولا في العدد المذكور، فالعبرة بالأشخاص الذين ابتدؤا الذكر ووزع العدد عليهم أولا، فلا يضاف لهم غيرهم لا في الزيادة ولا في النقص منهم لعارض من العوارض، مع مراعاة الوقت من غير انقطاع إلى انقضاء المدة، وإلا كان ذلك مانعا لحصول خاصية الإسم المذكور، ولا عبرة بما فعله بعض الأحباب الذين أشرت إليهم فيما يخالف ما ذكرناه.

أما ذكر اللطيف بأي عدد كان عقب الوظيفة فهو بدعة، وبالأخص بلسان واحد جماعة، وقد حضرنا بالزاوية المباركة أيام أبي الفتح كنون وبعده، وكان إذا حصل أمر ذكروا اسم اللطيف عقب الوظيفة في اليوم المذكور جماعة، وربما طلب من الحاضرين أن يذكروه سرا، فكان يستنكف من ذلك شيخنا العارف العبدلاوي رضي ا عنه ويقول : هذا الأمر بدعة في الطريقة، وينكر على الإخوان الذين يعملون ذلك خوف الزيادة في الطريق مما لم يكن من عمل الشيخ رضي ا عنه، وإن كان ذكر اللطيف من أذكار الشيخ رضي ا عنه في طريقه الغير اللازمة. وإنما يذكره المريد وحده بنية اللطف به بعدده الخصوصي، والوقت المنوط به، أو جماعة خصوصية في غير الوقت المعد للذكر اللازم في الطريق كما قررناه وفصلناه(60).

وبه تعلم أن ما تفعلونه بنية الفرج من الذكر جماعة سواء قل العدد أو كثر من الحاضرين لم يكن عليه عمل الشيخ رضي ا عنه ولا خاصة أصحابه، وإنما هو من المبتدع في الطريقة، فالأولى ترك الذكر جماعة بالنية المذكورة، ولهم أن يوزعوا عددا من هذا الإسم على الحاضرين بالتساوي، ولا يدخل غيرهم معهم في ذكرهم، ولا يخرج إلى أن يقع ختمه خشية الزيادة أو النقص، مع التنبيه على أن هذا الذكر غير لازم في الطريقة، وا يقول الحق وهو يهدي السبيل.

---

(59) أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 460.

(60) ذكر العلامة سكيرج في كتابه جناية المنتسب العاني ج 2 ص 45 : وقد كان سيدنا رضي ا عنه ينوه بذكر اسم اللطيف لدفع الصدمات الجلالية، وتنفيس الكربات الفعالية والإنفعالية، وبذكره في عدد من الأعداد يجلى عن الذاكر ما يهمه من ذلك، ويتجلى المتوقع من ذلك في مظهر اللطف الخفي، بما أودع ا في ذكره في عدده السري من خواص، بين العوام والخواص، مما شوهد نفعه، وقد كان رضي ا عنه يؤكد صحة قول من قال : أبواب التصرف بالأسماء والتوجه بها في قضاء المطالب قد انسدت أبوابها ولم يبق إلا باب اسم اللطيف وباب الصلاة على النبي (ﷺ).

السؤال التاسع : عن ذكر اسم الجلالة المذكور عن الشيخ سيدي محمد أكنسوس رضي الله عنه في كتاب رفع النقاب، في حضه على ذكر الإسم المقدس على كل حال من غير شرط ولا عدد، وكذا بالكيفية المنسوبة للشيخ الشعراني رضي الله عنه من ذكره بعدد الأنفاس 16000 كل يوم لمن أراد أن يعدها عدا، أو يذكره 45 درجة، وكذا رأيت معزوا له رضي الله عنه يعني العارف الكنسوسي ذكر 66000 مرة في أربعين يوما، أو ذكر 33000 مرة في ستين يوما، بشرط الخلوة بشروطها، ومن لم يقدر على الخلوة فليذكر 4000 في كل يوم بلا خلوة ولا اعتزال، ومن لم يقدر فليذكر 66 مرة دبر كل صلاة، مقدما لذكره في كل الحالات الذكر القائم بحرف الألف الذي أوله : إلاهي أسألك بسيد الأسماء إلخ ... وبعده الذكر الذي ذكره العارف البوني وهو : اللهم إني أسألك بحق اسمك يا الله يا الله يا الله يا حي يا قيوم إلخ ... واعلم سيدي أني أذكر هذه الكيفية الأخيرة دبر كل فرض، أما الكيفيات الأخرى فأطلب من سيدي الإذن فيها إن رأى سيدي ذلك لائقا بي. وإلا فنظر سيدي وفراسته أولى من كل شيء، وسيدي طبيب وأنا مريض، والطبيب أدرى بما هو لائق بالمريض.

الجواب : اعلم أنه من عادتي أن أذكر نص سؤال من يسألني من الأحباب عن شيء من غير تصرف فيه لأتتبع ما اشتمل عليه، وأنبه على ما فيه مما أرى صوابا أو خطأ وإن اشتمل على الثناء علي فيما بما أستحقه في نظره وبما لا أستحقه في نظري، ويحصل لي نشاط لإجابته بما يتبين لي بذلك من صدق نيته في الإستفادة بالجواب المطلوب عن الضالة المنشودة منه، ولا أقف عند تنبيه السائل عن ما غفل عنه أو جهله من قواعد الفن التي لم يراعيها في سؤاله نصحا له فيما أعلم، ولا ألتفت إلى ما وراء ذلك مما لا يروق في نظره أو نظر غيره بمخالفة الغير في نظريته، فإن كل كلام من غير المعصوم فيه المقبول والمردود، وعلى كل حال فإن المراد ببيان المقصود. ولقد ألقيت علي هذا السؤال الذي نحن بصدد الجواب عنه بنظرة إجمالية، وألقيت فيه أمورا إما محرفة عن الأصل، أو قصدتم عقدها بما يحتاج فيه إلى حل، فلا نبخل بما لدينا في ذلك استجلابا لدعائكم، مع دعاء من يقف عليه ممن نرجو له نفعا تاما.

فلتعلم أن طريقتنا المحمدية التجانية طريقة جمال، وأذكارها كلها جمالية، إلا ما كان من الحزب السيفي وحزب البحر، فإن التجلي على ذاكرهما أو ذاكر واحد منهما بالملازمة يقضي بالجلال الذي لا يقدر المريد في طريقتنا على حمله، ولو قرأ ذلك لغير تحصيل خاصية من فضله، وقد تحقق الشيخ التجاني رضي الله عنه بما في ذلك مما يثقل تحمله في حق المريد الطالب من الفضل للمزيد فرفع الإذن فيهما على غير الخاصة، وذلك من هذه الحيثية وحيثيات أخرى.

فهذا الذكر وإن كان من الأذكار الغير اللازمة في الطريقة فالأولى أن لا يذكرهما المريد إلا بإذن خاص ممن له الإذن الخاص فيهما، مع مراعاة الأهلية حتى لا يحصل الضرر للمريد ولا لمقدمه، ومن الأذكار الجامعة للجلال والجمال بحسب قابلية المريد لتلقي النور المفاض عليه بقوة ذكر اسم الجلالة، فنوره يحرق النفس، ويكاد يخرج بها عن الحس، وهو من أذكار الشيخ التي

لم يأذن فيها لأصحابه فيما بلغنا، وإنما يذكره في حضرته من غير لزوم عدد، وليس عندي فيه إلى الشيخ سند، وما يذكره الإخوان في الوظيفة بعدد مخصوص في غير القيام لحضرة الذكر في عشية يوم الجمعة ليس من طريقتنا، وإنما هو من أدراج بعض الداخلين فيها ممن لا يراعون قواعد الطريق(61)، ومن الدخلاء فيها على التحقيق، فيعملون على ما اعتادوه في طرق غير هذه الطريقة، ولعدم معرفة العامة لكيفية عمارة حلقة الذكر وما نريد فيها تعين سرد الهيللة يوم الجمعة إلى غروب الشمس. أو يذكر كل مريد من الألف منها إلى اثنتي عشرة مائة، طبق ما هو مقرر من غير ذكر عدد مخصوص من هذا الإسم الشريف، فنحن لا نعرف ذكره مع الهيللة في عدد محصور من أذكار الطريقة، ولا ما يذكر من الهيللة في نحو الثلاثمائة أو خمسمائة منه ونحو ذلك، لا في جماعة الذاكرين ولا على الانفراد.

ولأن الذكر عندنا إما أن يكون جماعة فيكون ابتداؤه من قبل الغروب بنحو ساعة زمانية، ولا يحتاج فيه إلى عدد، ويكفي من حضره ما أدركه معهم ولو هيللة واحدة، إلا أنه يفوته من الخير بقدر ما فاته من الذكر من غير ذكر الجلالة، لأنها ليست من أذكار الطريقة في حق المريد فيما علمناه إلا عند القيام فيذكر إجلالا(62)، ولأجل ذلك حق القيام من غير حصر في عدد كما قررناه.

وليس هو من الأذكار التي تلقن للمريد في طريقتنا، وغالب نية الذاكرين له إما للسلوك وإما لإدراك خاصية، وطريقتنا غير مبنية على نية تحصيل الخاصية، ولا على السلوك فيها على ما جرى عليه مريدوا التربية في طرق الصوفية، بل طريقتنا طريقة شكر كما هو معروف بين أهلها.

ثم إن ما ذكرناه في كتابنا رفع النقاب عن العلامة الكنسوسي وذكرته هنا في صلب السؤال فقد جرى فيه على غير ما هو في طريقتنا(63)، ولا يمنع المريد من العمل به، لأن الأذكار لا يمنع منها أحد، لأن الشارع ما أذن فيها إلا لأجل خاصية، فلا بد من الإذن الخاص للخاص كما هو مقرر في كتب الخواص، فلا شك أن ذكر الجلالة على الكيفية المذكورة يحتاج فيها إلى إذن فيما ذكره الكنسوسي عن الشعراني رضي الله عنهما.

---

(61) كان العلامة سكيرج حريصا كل الحرص على نبذ المحدثات ومحاربتها طيلة حياته المباركة، وفي هذا الصدد ألف كتابه جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، فأظهر فيه العديد من البدع التي أحدثها بعض المقدمين في مجالات مختلفة من هذه الطريقة الشريفة، فدعا رحمه ا لإنكارها ومعارضتها وعدم العمل بها، وذلك لكونها أشياء دخيلة لا أساس لها يعتمد عليه، والمعتمد عندنا في هذه الطريقة دون منازع هو عمل الزاوية الكبرى بمدينة فاس.

(62) جاء في كناش العارف با سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي ما نصه : وسألته رضي ا عنه – يعني أبا المواهب سيدي محمد العربي بن السائح – عن الذين يذكرون الإسم المفرد ا ا ... بعد الهيللة في ذكر الجمعة، هل كان ذلك في زمن سيدنا الشيخ رضي ا عنه أم لا þ فأجاب رضي ا عنه بقوله : لم يكن ذلك في زمن الشيخ وإنما أحدثه بعض الأصحاب استحسانا في الطريق إهـ ... واعلم أن سيدي العربي رضي ا عنه كان لا يحب ذلك البتة، فإذا ذكر له ذلك اغتاظ غاية ويقول : تلك زيادة في الطريق، وهو تقدم بين يدي الشيخ رضي ا عنه، فلا أفعله ولا أوافق عليه أحدا إلخ ...

(63) أنظر رفع النقاب للعلامة سكيرج، ج 2 ص 131.

أما عدد الأنفاس الذي ذكرتم أنه 16000 فهو أكثر من ذلك، وهي تختلف باختلاف طبيعة المريد عند من يريد التحقيق فيه، لأن الشخص يتنفس في الدقيقة الواحدة من 15 إلى 18 مرة، وربما كان أكثر من ذلك، وقد ذكرها أيضا الشعراني وغيره في أكثر من العدد الذي ذكرتم، وبغير هذه القاعدة لا يمكن حصر عدد الأنفاس، وقد أضحكني قوله لمن أراد أن يعدها عدا، فهو على حد قول بعضهم : وسط الأرض هو المحل الذي أنا جالس فيه ومن كذبني فليعمر الأرض.

ثم إنه فرق عظيم بين من يذكر الإسم عدد الأنفاس الذي يستغرق من الوقت أكثر من أربع سوائع، وبين من يذكر في 45 درجة التي هي ساعة إلا ربع من غير حصر في عدد، وذلك بلا شك عندنا وعند غيرنا يقضي بأن خاصية الإسم في العدد الأول غير الخاصية المنوطة بالثاني، أما ما رأيتموه معزوا للعارف الكنسوسي من ذكره 66000 مرة مدة 40 يوما، فقد علمتم ما قلناه لكم من سر الأسماء عند شيخنا التجاني رضي الله عنه في اعتبار العدد الأبجدي ألوفا كما مشى عليه العارف الكنسوسي، والأربعون التي يذكر فيها هي ثلث أيام الخلوة كما هو مقرر عند العارفين بها، وأما 33000 مرة فهو نصف روح الإسم المذكور. فلابد من اعتبار تضعيف المدة التي هي 40 يوما إلى 80 يوما.

فما ذكرتم من المدة التي هي 60 يوما تصحيف بلا شك، وأما ذكره لمن لا يقدر على الخلوة أن يعمل 4000 مرة كل يوم فلابد من زيادة صفر رابع حفظا للمراتب.

نعم ذكره عدد 66 مرة لمن لم يقدر على العدد المذكور هو المعروف من قاعدة أعداد الأسماء، إلا أن ذكر القسم القائم من حرف الألف مع الذكر المنوط به المذكور عن البوني فنحن لا عمل به عندنا في طريقتنا، ولا في الأعداد قبله ذات الخاصية، فالأولى لك أن لا تذكر بالكيفية المتقدمة ولا المتأخرة، لأن ذلك كله لا يكون إلا عن غرض كما يقال في مثله :

صلى وصام لأمر كان يطلبه   لما قضى الأمر ما صلى ولا صام

نعم إذا تجردتم عن طلب قضاء الغرض وهو المظنون فيكم فلا بأس من ذكر الإسم الشريف دبر كل صلاة في العدد المذكور، وبلا عدد محصور، ولكن بعد ذكر المشروع من نحو الباقيات الصالحات، وقد غفل كثير من المولعين بالأذكار الغريبة دبر الصلوات عنها، مع أنها أحق بالإهتمام في الذكر، وفي هذا شفاء غليلك، وتكثير قليلك، وا يتولى هداية الجميع.

[illegible] : ما سر قول العارف با سيدي أحمد بناني كلا(64) كما في رفع النقاب ونصه : وممن تلاقى به في مكة المشرفة صاحب الأذواق السليمة والفتوحات العظيمة الشيخ محمد السنوسي(65) ملقن الطريقة السنوسية، وهو أحد من أخذ عن سيدنا رضي ا عنه مشافهة كما سنتعرض لذلك في ترجمته بحول ا . واستفاد منه الفقيه المذكور علوما وأسرارا وشهد بفتحه. وبلغني عنه أنه قال في حقه : مثل الشيخ السنوسي لا تحجير عليه في الطريق، وكذا ما ذكره سيدي في كشف الحجاب في ترجمة العارف با سيدي عبد المالك الضرير(66) الشريف العلوي مما يشم منه مثل هذا، وهل هذا المسلك يسلك بما هو المعلوم من حالة الشيخ ماء العينين الشنقيطي(67) من كونه يلقن الطريقة الأحمدية مع الطريقة القادرية والناصرية وطرقا أخرى، أو هو خاص بهم سيدي لا يتعداهم þ

اشرح لنا سيدي المقام شرحا شافيا، وحاشا سيدي معاذ ا أن يتسرب لذهني تسرب التفات عن جناب سيدنا قدس سره، أو افتيات على جناب ساداتي أهل الأذواق السليمة التي لا علم لي بها ولا شممت لها رائحة، وإنما أريد الحق والحقيقة، وأسأل ا بجاهكم فتح بصيرتي وبصري للمشاهدة والعيان، حتى لا يحصل لي تزحزح ولا تزلزل، آمين، بجاه النبي الأمين (ﷺ)، على أن سيدي قد أعطى المسألة حقها من البحث في مؤلفه : تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان.

[illegible] : اعلم أن مسألة انفراد المريد في هذه الطريقة المحمدية التجانية بها وانسلاخه عن سائر الطرق غيرها، واشتراط عدم جمعها مع طريقة أخرى في حقه وحق المقدم لتلقينها

---

(64) أبو العباس سيدي أحمد بناني كلا، فقيه، حافظ، صوفي، شيخ الجماعة بفاس في وقته، أخذ العلم عن جماعة من جهابذة الفقهاء، وعمدته فيهم العلامة سيدي عبد السلام بوغالب، وقال في حقه العلامة الحجوجي عند ذكر ترجمته من كتابه فتح الملك العلام : وكان كثير الذكر والتلاوة بالخشوع والبكاء، وورده من صلاة الفاتح لما أغلق بين اليوم والليلة عشرة آلاف، وكان يقوم طرفا من الليل، وحج مرتين وزار، ودخل مصر وحصل له هناك ظهور واشتهار، وأخذ الإذن في الورد التجاني عن العارف با سيدي محمد الغالي بوطالب الحسني، وأجازه في إعطاء الأوراد البركة الصالح سيدي الحاج عبد الوهاب بن الأحمر وغيره، وكان إماما راتبا بالزاوية الأحمدية مدة طويلة إهـ ... وكانت وفاته رحمه ا قرب شروق يوم الجمعة 8 جمادى الأولى سنة 1306هـ، عن سن يناهز التسعين، وصلي على جنازته بعد صلاة الجمعة بجامع القرويين، ودفن خارج باب الفتوح بفاس. أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 64، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 145، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 193، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 28، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 27، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 363 رقم الترجمة 807، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 430 رقم الترجمة 1695.

(65) الولي الصالح البركة سيدي محمد السنوسي الجغيوبي، أنظر ترجمته في رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 186-188.

(66) سبق التعريف به في ج 1 ص 26 من هذا المؤلف.

(67) سبق التعريف به في ج 1 ص 28 من هذا المؤلف.

مسألة شغلت أفكار المريدين وغيرهم، ومن عرف مقاصد الشيوخ وما منحهم الحق من الشفقة على العامة في السلوك بهم على الطريق المفضي إلى الوصول للحق في أقرب وقت، وما لهم من الإعتناء بهم في جمع قلوبهم على ا تحققا بأن كل شيء يشترطونه على مريديهم هو من قبل الأخذ بأيديهم، وتمام النعم لهم، فلم يبق للمريد إلا الإستسلام من غير بحث في علة منع نحو ما ذكرناه حتى من زيادة غيرهم، ومن لم يعرف شيئا من ذلك لم يخرج من وحلة قيل وقال وكثرة السؤال، ولم تفد في ذلك إلا الصرامة القاطعة عن كل تشوف لغير ما أمر به الشيخ مريده، وإنما العمل في ذلك كله على ما أمره به أو نهاه عنه، ليفوز بمطلوبه على يديه منذ ساقه ا إليه. ولما كان الشيخ في طريقه كالطبيب للمريض الذي أتاه للأخذ بيديه، ومنحه مما لديه، لا ينبغي لهذا المريد أن يقول لهذا الشيخ : لم منحت هذا بهذا الشيء ومنعت هذا، ونحو ذلك مما كادت أن تنعكس القضية بينهما حتى تظن أن المريد هو الشيخ والشيخ مريد.

وهناك ينعدم النفع ولا يحصل لأحد منهما المراد، ومعلوم أن الشيخ في طريقته كالنبي في أمته، إن لم نقل مثل الرسول في قومه وملته، لأنه من نوابه في معاملة مريديه بما يوافق كل واحد منهم، فيقيد هذا بقيد، ويطلق هذا من قيود، ويحد لهذا حدا، وهذا يخرجه عن سائر الحدود، ونحو هذا مما لم تكن فائدة في استفهامه عن موجب ذلك إن كانت للمريد الثقة به فيما دله عليه لنيل مطلبه، لا في ابتداء أمره ولا في توسط سلوكه ولا في انتهائه، وإنما امتثال المريد هو المطلوب منه على كل حال من سائر أحواله في السر والعلانية. كما وقع ذلك في هذه الطريقة الأحمدية التجانية المحمدية. فقد كانت في ابتداء أمر ظهور الشيخ رضي ا عنه بها غير مشروط فيها ما آلت إليه بإذن من الحضرة المحمدية عليها السلام للشيخ رضي ا عنه بجميع تلك الشروط التي أمر بها الشيخ في تلقين أذكارها لطلابها من الحضرة المذكورة، فقيدها بالإنسلاخ عن غيرها، وبالإنفراد بها دون جمعها مع غيرها، وترك الزيارة للأولياء مطلقا أحياء وأمواتا، عن الإذن المنوط بها بشرطية تلك الشروط التي لا يكون المريد تجانيا باصطلاح الطريقة بدونها.

وقد انتقل الشيخ رضي ا عنه لدار البقاء وهو مؤكد لمراعاة شروط طريقه التي لازالت ولن تزال مشروطة في حق من يريد الإنخراط في سلك هذه الطريقة التجانية، بحيث لا يلقنها إلا من وقف مع شروطها، ولا يتلقاها المريد إلا عمن انفرد بها طبق ما دل عليه تنبيه الإخوان المشار له بأن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان، ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان، ممن قام بالإرشاد، والأخذ بأيدي العباد، والوصول إلى نيل المراد، من كل عارف خفي أمره، أو ظاهر سره، ممن تصدر في الطريق الأحمدي أو غيره، ولو انقاد له الناس وقادهم بحبل خيره، فإن هذه الطريقة طريقة جد، وقد تحقق المفتوح عليهم بما هو مشروط فيها من الحضرة التي لابد من مراعاة ما يصدر منها، فمن خالف منهم ما اشترط فيها فقد هتك

حرمتها(68)، والمفتوح عليه لا يهتك حرمة الشيوخ. وقد حذر العارفون من هتك حرمة الشيوخ حتى قال الشيخ الأكبر قدس سره :

ما حرمة الشيخ إلا حرمة ا   فقـ ـ ـم بـ ـها أدبا   بـ ـا

فمن تصدر لتلقين طريقة مع الطريقة التجانية فلا ينبغي أن يساء به الظن بافتياته فيها والتفاته عما هو مشروط فيها، إن كان ممن لا يتهم بالتساهل في أمر دينه، وعدم مبالاته بما قرره الشيوخ في طرقهم، وقد يكون تمشيهم على نهج لم يقع اشتراط تلك الشروط عليهم ممن لم يقع عليه اشتراط ذلك في نفس تلك الطريقة في مبادئ أمرها، مع أعذار أخرى ذكرنا بعضها في غير هذا الجواب.

وقد أحلنا على ترجمة الشيخ السنوسي رضي ا عنه من كتابنا رفع النقاب طبق ما نقلتموه عنا في صلب السؤال، فظهر لنا أن ننقل ما يتعلق بهذه المسألة من ترجمته المشار لها، حيث أن الجزء الذي ذكرت فيه ترجمته لم يطبع ولم ينتشر بيد الإخوان إلى الآن(69). ونص المقصود منها بعد كلام : ولا يستنكر كون طريقته على خلاف الطريقة التجانية المشهورة، فإن هذه الطريقة المحمدية التجانية بإخبار من الشيخ رضي ا عنه تفرعت فروعا كثيرة مرجعها إليها. وقد تظاهر بذلك جماعة من أهل العلم والصلاح. ولكن حجاب المعاصرة وعصبية إخوان الزمان غطى أهل الخصوصية بالإقرار لهم بتلك المزية، وربما يوسم المنتصر لهم بالنقص عن درجة الكمال في الطريق، وما ذلك إلا عن عدم الإنصاف من علماء الطريق، وإن كان ذلك منهم في حيز الرحمة بعوام الطريق، وفيه حفظ نظام الطريقة الخاصة، ولكن النفور الكبير لا يليق بذوي الحقيقة، فالوقوف مع نصح العامة بإعطاء الأدب اللائق بالخاصة فيه كمال عناية بالشيخ وأتباعه المقربين من الحضرة القدسية.

ولا يعد إعطاء طريقة أخرى قادحا في العارف المتصدر لتلقينها إلا أهل القصور الجاهلون بقدر الشيخ ومكانته وما صرح به لخاصة أصحابه وتلامذته. وهذا المقام يحتاج إلى إيضاح تام خشية الإلتباس على الخواص، ولا سيما العوام، فيتعين أن نقول أن طريقة الشيخ هي

(68) أخذ هذا الموضوع حيزا هاما من انشغالات العلامة سكيرج داخل الطريقة الأحمدية التجانية، وهذا لكونه من المواضيع التي ينبغي التعامل معها بحذر، كما لا ينبغي التساهل فيها أبدا على أية حالة كانت.

ومن هذا المنطلق ألف رحمه ا كتابه : تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقيها عمن يلقن غيرها من الطرق كيف ما كان، وهو تأليف قيم، بدأ فيه وأعاد، وأحاط بهذا الموضوع إحاطة شاملة من جميع الجهات، وأتى فيه على صحة أقواله بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة، وله رحمه ا في هذا الصدد تآليف أخرى، وتقاييد ورسائل لعبت دورا هاما في تنوير القراء، وإطلاعهم على حقيقة هذه المسألة وأبعادها ومخلفاتها العميقة.

(69) مكان هذه الترجمة في الجزء الثالث من رفع النقاب، وهذا الجزء بالإضافة للجزء الرابع لم يطبعا في حياة المؤلف، بل طبعا بعد ذلك في عام 1390هـ - 1971م بمطبعة الأمنية بالرباط.

الطريقة المشهورة في زاويته بفاس. وما كان على منهاجها القويم، مما يلقنه مقدموها ومن سلك على طريقهم من قديم من غير زيادة في الأذكار، ولا اقتصار على البعض منها دون البعض في ليل أو نهار، بل أذكارها الورد والوظيفة وذكر يوم الجمعة الملقن للكبار والصغار، لا فرق في ذلك بين ذكور وإناث من عبيد وأحرار، فكل من تمسك بذلك بشروطه فهو على الطريقة التجانية من غير إنكار، وأما الأذكار المزيدة كيفما كانت من أذكار الشيخ أو أذكار غيره، لازمة أو غير لازمة، وكذلك النقص من أركانها على أي نوع كان أو الزيادة فيه، فليس عليه عمل الطريقة، ولا يسمى ذاكره تجانيا اصطلاحا، ولكن يسلم له في ادعائه الطريقة إن أخذ ذلك عن مفتوح عليه.

غير أنه لما كانت حالة المفتوح عليه حاجبة عن معرفته، واشتبه الأمر بسوء الظن في مدعي الفتح تعين الوقوف في نسبة الطريقة لمن سلك مع العموم، ولا يقال لمن سلك غيرها تجاني حتى لا تختلط الطرق ويفضي ذلك لاضمحلالها – وحاشاها من ذلك – نعم، الواجب هو حسن الظن بالمتصدر لتلقين طريقة ليست على قانون هذه الطريقة، والتسليم له فيما يدعيه كيفما كان من أي فريق، ولذلك أكد سيدنا رضي ا عنه على محبة الأولياء والتسليم لهم، حتى لا يقع انقطاع بسوء الظن في ا ، وا الموفق(70).

فإن قيل قد قلتم بأنه لا يصح تلقينها ولا تلقيها عمن يلقن غيرها معها من الطرق كيفما كان. فكيف العمل فيما فعله الشيوخ المذكورون þ قلنا إن الطريقة التجانية في أوائلها كانت مطلقة، وانتشرت بإطلاقها قبل التقييد بشروطها، فمن جاء من ناحية الإطلاق فهو على عهده، ولا يقيد عليه خشية نفوره، وهو على الأقل داخل في ضمان المحبين. ومن جاء بتلقين طريقة متفرعة عن هذه الطريقة فهو لا يعترض عليه، لأنه على يقين مما دعا إليه. غير أنه لا يسمى تجانيا اصطلاحا، ولا ينكر على من لقن الطريقة التجانية دون ما فتح عليه به. كما كان يفعل شيخنا العارف با مولانا عبد المالك المذكور رضي ا عنه، فإنه لا يلقن مع الطريقة التجانية طريقته كما بسطنا القول في هذا المعنى في غير هذا الموضوع. ففروع الطريقة التجانية تلقن وحدها، ومع غيرها دون الطريقة المتفرعة عنها التي هي الطريقة التجانية، فإنها لا تلقن إلا وحدها، ولا يضر تلقيها عمن يلقن فرعا من فروعها طبقا لما بيناه وقررناه.

ولزيادة إيضاح المقام، وكشف ما يتطرق إليه من إيهام وإزالة إبهام، نقول : لا يصح أن يسمى تجانيا اصطلاحا من تلقاها عمن يلقن غيرها، ولا يصح لمن عنده غيرها أن يلقنها، فهو مع الأخذ عنه غير تجاني اصطلاحا، لأنه مشروط فيها عدم جمعها مع طريقة أخرى ليست متفرعة عنها، فلا يصح للمريد أن يكون تجانيا شاذليا مثلا، أو يجمع بينهما وبين القادرية ونحوها.

(70) أنظر رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 3 ص 186-188.

وقد غلط من لقن غيرها معها ممن أذن له من الشيوخ في الطريقة فظن أنه مجاز فيها، ولهذا أنكر أبو الفتح المقدم المعظم السيد الحاج محمد فتحا كنون(71) على الشيخ سيدي ماء العينين(72) في قوله : إني مؤاخ لجميع الطرق، وقوفا مع قدم الجد في الطريقة، ونسب للشيخ المذكور الغلط في فهمه الإجازة له في تلقينها، ولم يستحضر العلامة المذكور أنه ربما حصل له الإذن في جمعها مع غيرها طبق ما كان في ابتدائها وأخذها عمن صح سندهم ممن انتشروا في الصحراء، على أنه أيضا لا ينبغي التحجير على المفتوح عليه، فهو محمول على الصدق فيما يتظاهر به، ويتعين تصديقه فيما لديه، وناهيك بالشيخ ماء العينين وما قام به من الإرشاد، وتلقينه للطريقة التجانية على أي وجه كان مما يدل على شفوف الطريقة التجانية وعلو منصبها حتى صار ينتسب لها هذا الشيخ العظيم القدر وغيره من أكابر فحول العلماء، غير أن الإصطلاح شيء والإطلاق شيء، وا يقول الحق وهو يهدي السبيل.

الSÐlü الحادة ǎ Y٦β : أطلب من سري وسندي ونعمة ا عندي أن يأذن للعبيد في ذكر الفاتحة بنية الإسم الأعظم الذي فيه الثواب كامل، ويبين لي سيدي العدد والوقت والكيفية والكمية والمقصد.

اللاوا*f* : لاشك أيها الولي الحميم أنك عندي ممن يستحق أن يجاب لما سأله، لما تحققته فيك من الأهلية، ولقد أثر فينا تنزلك وتواضعك، فسحرتنا ببيانك، وإن من البيان لسحرا، والبيان في كل محل بحسبه، فقد تأثرنا كثيرا لاستعطافك لنا، فتعين علينا أن نصدع بالحق في جانبك، ونؤكد لك الإجابة والإذن لك فيما طلبته، فأنت مأذون عن استحقاق بالإذن الصحيح، و الحمد، فقد أذن لنا بقراءة الفاتحة بنية ذلك الإسم شيخنا العارف با العبدلاوي(73) رضي ا عنه أربع مرات دبر كل صلاة. من غير التزام فيها، فها نحن أذنا لك في ذلك بعددها المذكور، ووقته المسطور، وذلك متضمن لبيان الكيفية والكمية، وقد أذن لي فيها من غير مقصد ولا ذكر نيته، بل النية قلبية عند ذكرها، على أنها مشتملة عليه، ولك أن تقرأها ليلا، وتقرأها بالنية في الصلاة النافلة لتحصل على فضله وفضلها، فأنت أهل لذلك بين خاصة أهلها.

ولقد شرف ا الفاتحة بما لم يكن لغيرها، من الآيات التي كملت فيها حروف هذا الإسم الأعظم عند من يعتقد أنه فيها من غير شك ولا تشكيك، ولقد ذكر في جواهر المعاني عند تعرضه للكلام على فضل الفاتحة ما يفرح به المعتقد وينشرح له صدره، ويرتفع به قدره. غير أنه وقع في

---

(71) للعلامة المقدم سيدي محمد فتحا كنون عدة تقاييد في الرد على القائلين بجواز مؤاخاة الطرق في التلقين، وهو شعار نادى به جماعة من الشيوخ وقتئذ، ومنهم الشيخ ماء العينين بن محمد فاضل، وقد فند العلامة سيدي محمد فتحا كنون هذه المزاعم، وبين أنها واهية، ولا تقوم على أسس معرفية صحيحة، كما أظهر جليا أن المؤخاة المذكورة ينبغي أن تتناول مواضيع مختلفة أخرى، كالتعاون والإحترام والمودة وما إلى ذلك، أما تلقين الطريقة الأحمدية التجانية مع غيرها من الطرق فهو إخلال واضح لإحدى أهم شروطها، وهو كذلك افتراء وافتيات على حرمة صاحبها وشيخها سيدي أبي العباس التجاني رضي ا عنه.

(72) سبق التعريف به في ج 1 ص 28 من هذا التأليف.

(73) سبق التعريف به في ج 1 ص 27 من هذا التأليف.

المراتب العددية إجمال يحتاج إلى تصحيح، وإصلاح الخطأ الخطي والمطبعي، وبيان ما يحتاج للإيضاح مما ذكرناه في شرحنا المعنون بتيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، وتويلفنا المسمى العقد المنظم فيما يتعلق من جواهر المعاني بالفاتح لما أغلق والفاتحة والإسم الأعظم.

ولا بأس بالإشارة إلى تحقيق ذلك هنا إتماما للفائدة، فقد ذكر أن عدد حروف القرآن على قول هو 321075 فإذا ضربته في سبعة وهي عدد الحور لكل حرف يخرج لك 2247525 وقد حصل في نص الجواهر بإفراد ألف ألف، والصواب ألفا ألف بالتثنية، ثم ذكر أن عدد حروف سورة القدر هو 360000 لكونها فيها فضل صيام رمضان. وكل يوم منه باثني عشر ألفا، وإذا جمع هذا العدد مع الأول يكون 2607525 يعني إذا ضربت 12000 عدد الشهور التي هي خير منها في 30 وهي عدد أيام الشهر كاملا خرج العدد المذكور. إلى أن قال : فإذا قرأها في صلاة الجماعة فيتضاعف بمائة وثمان مرات.

فإذا نظرت إلى عدد الركعات وهي 17 ركعة بين النهار والليل يصير 1836 أعني فضلها المتقدم في عدد الحروف، وهو ألفا ألف أعني يتضاعف إلى هذا القدر، إلى أن قال : الحاصل أن من قرأها في صلاة الجماعة يعطى من الأجر في اليوم الواحد 478663900 إلى آخر ما هو مذكور في هذا المحل من جواهر المعاني(74). وفيه مع غموض لا يدرك إلا باستعمال فكر واستغراق فيه، ثم يستخلص من ذلك أن الخارج المذكور ناقص في المرتبة الأخيرة. فقد ذكر الأربعة في المرتبة التاسعة، والصواب أنها في المرتبة العاشرة، مع خطأ آخر في بعض تلك المراتب الأخرى، والصواب في الخارج من ضرب 1836 في 2607525 هو 4787415900 لأن القواعد الحسابية يظهر الصواب من الخطأ بها في أجلى المظاهر. فلنعبر عن المراتب الآن بما يقربها وهو أربعة مليارات وسبعمائة مليون وسبع وثمانون مليونا وأربعمائة ألف وخمسة عشر ألفا وتسعمائة من الحور والقصور. مع الفضل المنوط بتسبيح العالم إلى آخر ما ذكره من فضل مرة واحدة من الفاتحة في الصلاة الفريضة للمصلي قائما جماعة، أما قراءتها كذلك بنية الإسم فلا يحيط بفضلها إلا ا ، فكيف لا يتحافظ المكلف على أداء فريضة الصلاة جماعة لإحراز هذا الفضل العظيم، فنحمد ا الذي من علينا بالتصديق الذي جعلنا من أهل هذه الخاصية، وله الشكر في الأولى والآخرة.

لطيفة في بيان مقدار المليار، فإنك إن نظرت ما معك من الدقائق في الساعة ثم في اليوم ثم في الجمعة ثم في الشهر ثم في العام، وجمعت تلك الدقائق إلى الهجرة المحمدية إلى هذا الزمان الذي نحن فيه لم يستوفي عدد الدقائق مليارا واحدا، من الأربع مليارات الواقعة في المرتبة العاشرة في العدد المستخرج، مع ما معه من فضل الفاتحة مرة واحدة حسبما قررناه، فلتعرف ذلك ولا تستعظمه في جانب فضل ا ، وا يوتي فضله من يشاء، وفي هذا كفاية.

---

(74) أنظر جواهر المعاني للعارف با سيدي الحاج علي حرازم برادة ج 1 ص 149-151.

قلت : حيث كانت هذه الجواهر المنتشرة شبه جواب لكم عن كتابكم المنطوي على أسئلتكم المجاب عنها، وفيه من سحر الخطاب ما فيه مما يبرƏ العليل ويشفيه، وختمته بمسودة يتعلم من اطلع عليها كيفية استجلاب قلب المسؤول للإجابة كما أشرنا إلى ذلك فيما تقدم، سنح لنا أن ننقلها باللفظ منا تخليدا للذكر الموجب للشكر، وربما علقنا عليها ما يخطر بالفكر. فقلتم رضي ا عنكم ما نصه.

واعلم سيدي أني ما تجاسرت على سؤال سيدي حتى رأيت قول الشيخ الأكبر قدس سره العزيز ونصه : ما من سائل عن شيء إلا وفيه أهليته للجواب عن سؤاله، وزادني إقداما على سؤال سيدي مع الإلحاح ما سمعته من سيدي وقت الوداع وهو قول سيدي بمحضر من كان وقتئذ : إنك مأذون في كل شيء سمعته مني، أو نقلته عني، أو طالعته في تآليفي، إلى آخر كلام سيدي للخديم : افتح الكتابة معنا على طريق البريد في كل شيء صعب عليك أجيبك عنه، هذا هو الحامل للخديم على سؤال سيدي. وأعوذ بجلال المتعالي من كل ما تجاوزت فيه الحد وأسأت فيه الأدب مع سيدي. إني وقفت بباب سيدي أرجو النوال متلهفا عطشانا، لا يروي غلتي إلا القبول، فها أنا منطرح بين يدي سيدي لا حركة ولا سكون ولا علم ولا عمل ولا حيلة ولا رجاء، فتدارك سيدي ضعفي وقلة صبري، وجزعي وانحياشي بكلي وكليتي لجنابكم الذي لاشك فيه عنوان شفاءي، وبرء علتي وراحتي، فافتح لي سيدي الباب، وأزل لي عن المعاني والمغاني الجلباب، وتوجه سيدي بكليتك للقلب المعنى حتى يكون أهلا لما يرجوه من سيدي.

ثم أختم كتابي بما خاطب به سيدنا أكنسوس(75) سيدنا العربي بن السائح(76) رضي ا عنه كما في رفع النقاب ونصه : والمراد الآكد من سيدي إنما هو صرف عنان عنايتكم إلينا، بإخلاص التوجه في الدعاء الصالح لنا، ولأولادنا وإخواننا في ا ، في تخليص أشباحنا وأرواحنا من شر الفتن المتراكمة الدجنات في هذا الزمان، فإنكم ترون كيف تجلى مولانا جل جلاله في مظاهر المخلوقات، فإن وخامة المآل تخشى عند نظر العاقل فاحضروا بالكم أعزكم ا ، وبالغوا في طلب الألطاف بخصوصنا وعموم ضعفاء المسلمين، فلا محالة أن هذا الأوان هو الذي قال فيه سيدنا رضي ا عنه : رأيت مولانا جل جلاله قد صاغ الوجود مصاغ الهلاك، نسأل ا العظيم بجاهكم وجاه الذين إذا نظر إليهم سكن غضبه أن يخصنا وإياكم بدوائر ألطافه، بجاه صفوة بريته، وخاصة أصحابه وذريته. آمين.

fااوا : أما ما ذكرتم من السبب الحامل لكم عن السؤال من قول الشيخ الأكبر قدس سره : ما من سائل عن شيء إلا وفيه أهلية للجواب، فنعم ما فعلتم، وإن كان المسؤول منا ليس بأعلم من السائل، وحقه أن لا يتجاسر على هذه المسائل، فإن الباع قصير، مع ما أتحققه من نفسي من الجهل المركب في جل ما أخوض فيه من الفنون المتداولة وغير المتداولة، مع الدعوى

(75) سبق التعريف به في ج 1 ص 202 من هذا التأليف.
(76) سبق التعريف به في ج 1 ص 308 من هذا التأليف.

الصريحة التي أدعيها لنفسي وينسبها إلي غيري، وما هي إلا محنة في حقي، ولكن في بعض الأحيان أراها منحة لا أوفي حق شكرها، حين يتم النفع بها لمن قدر ا له ذلك، فالشيخ الأكبر قدس سره عبر في كلامه بأهلية السائل للجواب، ولكن بالنظر لاستحقاق المسؤول لعرض السؤال عليه، أما إذا كان المسؤول بخيلا أو جهولا فقد وقع الشيء من الجانبين في غير محله.

ولكن هناك لطيفة وهي أن السؤال يقضي بالإجابة، فلابد من أن يفيض الحق من يجيب عن ذلك السؤال ولو بعد حين، ولربما نفذت همة السائل في المسؤول حتى يصدر منه الجواب طبق المراد، ولو كان السؤال من الجانبين في استبعاد، فلابد من الجواب عنه بما ينفع السائل أو يضره، مع ملاحظة أدب السؤال وشروطه المقررة، فرب سؤال لا يجاب عنه بحال، وقد يقضي الجواب باختلاف ما عند السائل من اختلال، ولذلك ورد النهي عن كثرته بقوله (ﷺ) : إن ا نهاكم عن قيل وقال وكثرة السؤال، وقال : إنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، لأن الأنبياء عليهم السلام يجيبون إذا سئلوا، ويعرضون عن السائل في بعض الأحيان لحكمة تقضي بالإعراض عنه حتى يصدر الإذن الغيبي لهم بإجابته، فيقع الجواب منهم له مما لابد منه بالإلزام بمتعين تلك المسألة، فبأهلية السائل للجواب عن سؤاله كان سؤاله معروضا لسوق البضائع الفكرية وحضرة الفيض الرحماني للقبول والرد بحسب القصد.

وكل عارف بما وقع السؤال عنه ولم يجب عنه إذا ألقي عليه، لا ينبغي له أن يعرض عنه خشية الدخول في وعيد : من سئل عن علم فكتمه ألجمه ا بلجام من نار، إلا لعذر مقبول شرعا، وأما ما سمعتم منا من قول العارف با سيدي العربي بن السائح رضي ا عنه، فذلك صحيح طبق ما حدثني به سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي، بحيث كانت في باله مطالب يريد سؤاله عنها، فشعر الولي المذكور منه بالحياء المانع من طرح سؤاله، فقال له في مذاكرة : إن الشيخ رضي ا عنه كان يقول : أنا أحب من يسألني، فرفع بذلك ما كان يمنعه من سؤاله، وفرح بذلك، فسأله عن مطالبه، وحدثني رضي ا عنه بهذا حين رأى مني الحياء المانع من سؤالي له، فصرت من ذلك الوقت أسأله عن كل ما خطر ببالي، فيجيبني طبق سؤالي.

وفي غالب الأحوال أوجه الهمة إليه بالسؤال من غير تصريحي له به، فيفتح باب المذاكرة معي فيما يؤول إلى الجواب عما وجهته إليه باطنا عن كشف لا يحب أن يتظاهر به رضي ا عنه ونفعنا به، وإنما أخبرتك بهذا قصدا لنفعك، لتحقيقي باستحقاقك لما عرفته منك، والحياء يمنعك من السؤال عنه، والحياء لا يأتي إلا بخير طبق ما ساقه إليك، ولم أكتفي بالإشارة التي عملت بمقتضاها، بل صرحت لك بما رفع عنك ذلك الحجاب، مع قصد أمور منتجة لكمال السرور، وقد كان الإمام الشافعي(77) رضي ا عنه يقول فيما نسب إليه من أبيات :

(77) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أحد الأئمة الأربعة المجتهدين، وإليه ينسب المذهب الشافعي، ولد بغزة بفلسطين عام 150هـ، وتوفي بمصر عام 199 هـ، وقبره معروف في القاهرة، وله تصانيف كثيرة منها : الأم، في علم الفقه، في سبع مجلدات، والرسالة، في أصول الفقه، وأحكام القرآن، والمسند في علم الحديث، واختلاف الحديث، وفضائل

فإن يسر الله الكريم بفضله وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
بتثت مفيدا واستفدت ودادهم وإلا فمخزون لدي ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ولقد سرني كثيرا ما نقلتموه عن رفع النقاب من الرسالة الكنسوسية، فإني نقلتها في الكتاب المذكور ليقف عليها من رجوت من الحق أن ينفعه بها، وقد حققت الرجاء بانتفاعكم بها، ودليل نفعكم هو نقلكم منها ما ذكرتموه، وبمثل تلك النية نقلت منا ما جعلناه في هذه الخاتمة نفع ا بذلك الجميع بجاه النبي الشفيع (ﷺ).

plþدىsl : قد ختمتم كتابكم بالاستدراك الذي أخبرتمونا فيه بأنك أعملت الفكر في قصيدة تمدحنا بها، فإذا بالقريحة نضب ماؤها، وتركت الأمر وأسلمت القياد لمن بيده مقاليد الأمور. وهو مقلب القلوب، ثم قلتم فوجه وجهتك سيدي لباطني حتى أستطيع حل المشكلات، وفك المعضلات، وأنطق بالحكمة كيف أشاء، في الوقت الذي أشاء. واجعلوني عندكم من الأخيار الذين قال الشيخ رضي ا عنه فيهم : العارف إذا جالس الأخيار يقال له من حضرة الغيب : هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب، فالرجاء في ا أن أكون من هذه الزمرة حتى أتحف بما هنالك، وما ذلك على همة سيدي النافذة بعزيز، والسلام عائد عليكم ورحمة ا تعالى وبركاته.

فعليكم السلام والرحمة التامة والبركات العامة أولا وآخرا، فإني أيها الولي الحميم في خجل مفرط مما تظنونه فينا، وقد رفعتمونا فوق قدرنا إن كان ثم قدر، وعظمتمونا في نفسنا في السر والجهر، فاحذر أيها المحب الصادق من الإغترار بي حتى لا يصدق علينا جميعا ما يقال في

قريش، وأدب القاضي، والسبق والرامي، وغيرهم.
وللحافظ عبد الرؤوف المناوي كتاب في التعريف به سماه : مناقب الإمام الشافعي، وللحافظ بن حجر العسقلاني تأليف فيه عنوانه : توالي التأسيس بمعالي ابن إدريس، أنظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 1 ص 185، وفي تذكرة الحفاظ للذهبي ج 1 ص 329، وفي إرشاد الأريب لياقوت الحموي ج 6 ص 367-398، وفي غاية النهاية لابن الجزري ج 2 ص 95، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج 9 ص 25، وفي كشف الظنون لحاجي خليفة 1397، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 10 ص 251، وفي صفة الصفوة لابن الجوزي ج 2 ص 140، وفي تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج 2 ص 56-73، وفي الإنتقاء لابن عبد البر ج 66 ص 103، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 26.

هذا الأمر : استمسك غريق بغريق في واسع البحر، على أن نيتكم الصالحة لابد أن تنتج لكم من حضرة الغيب ما لم يكن لكم بحساب.

وقد ورد في بعض الآثار : لو اعتقد أحدكم في حجر لنفعه، ولاشك أن همتكم النافذة في خرق عادة الشخص في الشهود، لا يحتاج فيها إلى إقامة الشهود، يمدها الله من حضرات الإحسان بما يتحقق به الظن فينا وفيكم ببلوغ المقصود، وقد قالوا : إن لسان الخلق أقلام الحق، فيخلق الله طبق ما جرت به الألسنة، مما لا يكون له استعداد في الأزمنة والأمكنة، ولو كان لي أمر من الأمن أو أمن من الأمر لكنت ممن لا يبرح على إدخال السرور عليكم، عاكفا بالدخول بكم للحضرة التي بابها في قبولكم، وأمكنكم بمفاتح كنوز المواهب طبق ما أنت فيه راغب، وفوق ما له طالب. فتنال ما شئت وفق ما تشاء.

على أني وإن لم أكن بهذه المثابة فإني أرجو الله أن يمنحك،وأن لا يمنعك، فبيده الخير كله، وأما ما أعملتم فيه فكركم من القصيدة التي أشرتم لها، فالشعر قيمته بالسعر، فلا تكن ممن يتسارع إلى إظهار ما تنسجونه على منوال القريض بدون مراعاة قواعد العروض، ولا ترفعوا به قدر من كان مثلي من الحضيض لأرفع مكان، وقد قيل :

لا تعرضن على الرواة قصيدة	ما لم تكن بالغت في تهذيبها
ومتى تقول الشعر غير مهذبا	قالوا لديك وساوس تهذي بها

وكم من قصيدة أطلعني عليها الأحباب فلم ترقى في نظري، وهم بها معجبون، فنصحت لهم في السلوك بها على الطريق الصحيح بالتعلم منشدا لبعضهم :

إذا لم تستطع شيئا فدعه	وجاوزه إلى ما تستطيع

فمنهم من قبل النصح فنجح سعيه، ومنهم من لم ينجح فيه، فإن أنت عرفت العروض، وقمت بحقه المفروض. فاجعل جميع أمداحك في الحضرة المحمدية، فهي تجيزك بالجائزة السنية، وأدخلنا معك في الإستعطاف، وكن من أهل الإسعاف في ذلك لا ممن يجنح للإعتساف. وغالب من لا يتعلم هو الذي يقف على معلوماته، ولا يرضى بالتعلم أو السؤال عن مجهولاته، فيخشى من التنكيت عليه، ولا يحب أن ينسب الخطأ فيه إليه.

وقد كان حدثني شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس(78) رحمه الله أن بعض الشرفاء من سكان مدينة زرهون، كان يتعاطى الشعر ولا يحسنه، وهو معجب بما يقول، وكان الطلبة يضحكون مما ينظم، لكونه لم يتلقى ذلك عن معلم، فحصلت له عليه غيرة، فاستدعاه إلى محله من غير أن يعلم بذلك غيره، ثم تذاكر معه فيما به نفعه، وبين له أن للشعر ميزانا يوزن به النظم، وما لقائله من جودة فهم، وأوقفه على السقطات الموجودة في قصيدته، وأن تلك الجماعة التي يعرض عليها نظمه على الإستهزاء به مجتمعة، وبغير ما يبطنونه في حقه متظاهرة، فشكره

(78) سبق التعريف به في ج 1 ص 40 من هذا التأليف.

الشريف على نصحه، ولازمه حتى ظهرت عليه علامة فتحه، فبين له ما كان عليه من سوء الحال في نظم ذلك الشعر الذي كان مغرما به، وهو لا يعد حتى من وزن الأزجال، فنبغ في الشعر، وتعجبت منه تلك الجماعة التي لم تشعر بمن سلك به في ذلك المسلك الوعر.

والشعر صعب وطويل سلمه	إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه	يريد أن يعربه فيعجمه

وقد ألفت في هذا الفن شرحا لطيفا لأرجوزة ابن العم الأعلى محمد بن الطيب سكيرج(79) رحمه ا ، سميته : منهل الورود الصافي، والهدى من فتح الكافي، في علمي العروض والقوافي، يكفي مطالعه عن الشيخ، وإلى الآن لم يطبع، وهو في نحو العشرة كراريس، ألبسه ا حلة القبول آمين.

ولنا أيضا أرجوزة في فن القرض على نية التعليق عليها، وطبعها، يسر ا ذلك، وقد خرجنا في هذه الأجوبة عن الموضوع قصد الإفادة، وإتمامها وفق الإرادة، وا ينفع السائل والمسؤول، ولمن دعا لهما ببلوغ السول والمأمول، وا يأخذ بيد الجميع، بجاه النبي الشفيع، صلى ا عليه وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد رب العالمين.

(79) سبق التعريف به في ج 1 ص 11 من هذا التأليف.

طـرق الـمـنـفـعـة بـالأجـوبـــة
عــن الأسـئـلـــة الأربــعـــة

تأليف
العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج
رضي الله عنه

دراســة وتــحــقـــيـــق
مــحـــمــد الــراضـــي كــنـــون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مرشد من استرشده، ومجيب سؤال من دعاه، بتبليغه في الدارين مقصده، فهو الكريم الذي تكرم على العباد بنعمتي الإيجاد والإمداد، نحمده حمد عبد قال ربي الله ثم استقام، وأشكره شكر من أقر له بالعجز عن أداء حق الشكر ولو استغرق أنفاسه فيه على الدوام، ونصلي ونسلم على من أعطي جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصارا، سيدنا ومولانا محمد أكرم الخلق على الله سرا وجهارا، صلاة وسلاما نؤدي بهما بعض الحقوق الواجبة علينا لجنابه، ونستجلب بهما إقباله علينا وقبوله لنا بين محبيه وأحبابه، ويشملان بطيبهما الفائح جميع آله وأصحابه، وكل من تعلق بنية صالحة بأعتابه، ورضي الله عن شيخنا القطب الرباني، والختم الصمداني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، سقاني الله والمحبين فيه من عرفانه بأعظم الأواني، والسلام التام المحفوف بالإجلال والإحترام لمحل ولدنا الصالح، ذي النية الصالحة والإعتقاد السليم من كل انتقاد بين ذوي التجارة الرابحة، مع الهمة العالية والنفس العلي، أبي عبد الله السيد محمد سعيد بن علي(1) فإنه أنجح الله سعيه، وسدد رأيه، كاتبني من الإسكندرية محل استيطانه الأرفع(2)، يسألني عن مسائل أربع، ولحرصي على إدخال السرور عليه، وعلى بقية إخواننا التجانيين المقيمين لديه، سارعت لكتب هذا الجواب مصدرا له بمقاصد مهمة، وهي للأجوبة عن هذه الأسئلة كالمقدمة والتتمة، والله أسأل أن يجعلها نافعة لذوي الإعتقاد في أهل الله، ورادعة لأهل الإنتقاد بما تبديه لهم من الحق المبين الذي ما فيه اشتباه. وسميتها بطرق المنفعة، بالأجوبة عن الأسئلة الأربعة.

وليعلم المطالع عليه أن الكلام إنما هو مع المعتقدين في جانب أهل الله اعتقادا جميلا، أما المنتقدون فلا يقبلون كل ما نسب لهذا الجانب ولو رأوا الحق عيانا، فالرد عليهم لا يفيدهم نفعا، فالأولى للموفق الإعراض عنهم، ولنضرب عن ذلك صفحا، ونقول وبالله التوفيق.

---

(1) محمد سعيد بن علي أفندي، من خاصة تلامذة العلامة سكيرج بالإسكندرية بمصر، وبينهما رسائل وأجوبة كثيرة، وتمتاز رسائله عن غيرها بعدة خصائص، منها خطه النسخي الجميل الواضح، مع دقة أسلوبه وحسن اختياره للعبارات الناجعة، ويعود لهذا السيد الفضل في طباعة بعض كتب العلامة سكيرج بمصر، حيث كان يشرف على شؤونها بنفسه، ومنها ما طبع على نفقته برغبة واختيار منه، وكان العلامة سكيرج رحمه ا يحترمه ويجله وينوه بقدره بين الأصحاب.

(2) وقفت بالخزانة السكيرجية على رسالة الأديب سيدي محمد سعيد بن علي أفندي التي تتضمن هذه الأسئلة المذكورة، وهي مؤرخة في 26 جمادى الثانية عام 1345هـ، ولم يستغرق جواب العلامة سكيرج عنها أكثر من أسبوع واحد، وطبع هذا التأليف في نفس السنة المذكورة بالإسكندرية بمصر في 76 صفحة.

المقصد الأول :

في التنبيه على أن الشيوخ غير معصومين وأنه قد ينسب لهم ما هم بريئون منه

قد اتفقت كلمة علماء الظاهر وعلماء الباطن على أن الشيوخ ولو بلغوا ما بلغوه من مقام القربة في حضرة التداني التي جلسوا فيها على كراسي القبول عند الحق تعالى لا يصلون إلى مرتبة الأنبياء، ولا أن يتصفوا بالعصمة، ولو كان الشيخ من أكابر الأولياء المحمدين فإنه غير معصوم من الخطأ والخطايا، وإن كان له الحظ الأوفر من الحفظ الإلهي لاعتناء الحق به، ولكن العصمة إنما هي للأنبياء والملائكة عليهم السلام، ومن كان بهذه المثابة فإنكار ما تقضي الشريعة إنكاره عليهم متعين في حق من خاف تضليل الناس به، إن صلحت نيته وكان لديه علم واسع واطلاع تام على أصول الشريعة وفروعها، وقليل ما هم، ولهذا يتعين في حق المريد أن لا يلتفت للمنكرين على من تحققت خصوصيته، وتأسست على الكتاب والسنة طريقته، والإنكار من القاصرين لا يعود عليهم إلا بالوبال، وقل من نجا من المنكرين ولو كان من أكابر العلماء، والتسليم للأولياء ما فيه إلا الخير على كل حال، وكثير من فحول الأعلام أنكروا القول من أصله لمن نسب له، عندما تحققوا بديانة المنسوب له وعظيم منزلته في الولاية، لأنه قد ينسب لهم ما هم برءاء منه عند الله وعند خلقه.

وقد وقع ذلك بالفعل في كتب جل الأكابر من العارفين. وقد تتبعت ما ينسب لسيدنا القطب التجاني رضي الله عنه ولطريقته من الكرامات الغريبة، والمقالات الهائلة والفضائل العجيبة، من كل ما خاض فيه المنتقدون عليها، فوجدت منشأه من جهلة الطريقة الذين ينشرون كل ما يسمعون على حسب ما يفهمون، ويزيدون في الشيء أيديا وأرجلا حتى يقوم في صورة منكر لا يقبله شرع ولا عقل، وهؤلاء الجهلة على قسمين : أولهما بعض الداخلين منهم في زمرتهم ممن تظاهر في زي علماء الطريق، فيكتبون ذلك المسموع على قدر مبلغهم من الفهم، ويصممون على أن ذلك من الحق المتين والفتح المبين، وما هم من الضلال ببعيد، ثانيهما : الجهلة الذين يظنون أن ذكر ما يسمعون أو يختلقون مما يرغب الناس في الدخول في هذه الطريق، مع أن سائق السعادة يسوق إليها من عد منها، ولو لم يسمع منهم أو من غيرهم مثل ذلك، والصارف الإلهي يصرف عنها من ليس من أهلها، فيظن الجاهل أن ذلك فيه الخير له، ويعده من الطاعة للحق والتقرب إليه مع جهله الفادح، وقد أفسد به من حيث لا يشعر العمل الصالح، وقد قيل :

ذاك الذي بغير علم يعبد ... لا يصلح العمل لكن يفسد

ومنهم جهلة المقدمين لتلقين الأوراد، مع علماء الطريق الذين يجمعون عليهم الجموع، ويتقدمون على غيرهم بذكر مثل ذلك بين العوام، ويتبجحون بذكر الأسرار والخواص، وينوهون

بذلك بينهم أكثر من الذكر اللازم في الطريق(3)، ويحبون الإستيلاء على القلوب بمثل ذلك، ويظهرون أن ذلك من الأمور التي لا تفشى إلا لذوي التمكن، ويستكتمون من تلقى عنهم ذلك من الجهلة، وفي ضمن نيتهم باستكتامهم إفشاء ذلك، لأن الجاهل ومن في معناه مثل الغربال المودع فيه الماء فلا يمسكه، وربما أفشى المستكتم ذلك إذا لم يفشه ذلك الجاهل فيقول مثلا : إن فلان رجل يكتم الأسرار، وقد جربته بنفسي، فقد لقنته السر الفلاني المروي عن خواص أصحاب سيدنا ولم يفشيه لأحد، فيستلفت بمثل هذا أنظار السامعين إليه، فيتعلقون به في استفادتهم منه ذلك السر، وهناك يتسع به المجلس، وينفسح له المجال، ولا تسأل عما يقول، وما عنه يقال، لا سيما من كان من قبل متقيدا بطريقة أخرى من طرق أهل الله، وكان معتادا لاجتماع الناس عليه، فيتظاهر بالتقديم في هذه الطريقة، وينشر فيها بين العوام كل ما هو غريب أو مكذوب، والعوام مشغوفون بسماع كل غريب، ويتشوفون للتحصيل على الإذن لهم في أكثر مما لديهم من الأذكار اللازمة وغيرها، وهناك يجد أيضا ذلك المتظاهر إقبالا كبيرا عليه من العامة، ولا تسأل عما يتبجح به بينهم حتى تسول له نفسه ادعاء مقامات ارتقى فيها، ويعد نفسه من أكابر المفتوح عليهم في هذه الطريق، مع ما هو عليه من فساد النية، وسوء الطوية، نعوذ بالله من الخذلان.

---

(3) كان العلامة سكيرج رحمه ا يحض على توعية المريدين، وحثهم على التخلق بأخلاق السلف الصالح من أهل طائفتهم، مع تعريفهم بمبادئ الطريقة وشروطها اللازمة التي لا يكون المريد مريدا إلا بها، إذ بدونها يعد خارجا عن نطاق مناهجها، بعيدا عن أهدافها المنشودة وتوجهاتها، فالأخذ بالشروط اللازمة هي معول المريد الناجح في سلوكه، وإلا فالعكس صحيح.

وهذه التوعية هي من واجبات المقدم إزاء جميع المريدين على اختلاف أعمارهم ومستوياتهم، وهي الوظيفة الأساسية للمقدم، فإذا أخل بها فقد أخل بالدور الكبير المناط به، وبالتالي فلا داعي لتقدمه عليهم ما دام فاقدا لهذا الواجب المفروض.

وبهذه التوعية يرتقي المريد لدرجة تجعله ملما بالكثير من أمور طريقته، عارفا بشروطها، مميزا بين اللازمة منها والكمالية، وهذه المعرفة وإن كانت سطحية فإنها تضعه في المحل المناسب المأمون عليه فيه، كما تكسبه من القوة ما يستطيع به دفع جميع ترهات المنكرين والمنتقدين.

أما في حالة إهمال المقدم للمريدين، وتركهم بدون توجيه وإرشاد، فإنه يساهم بذلك بالقسط الوافر في تضليلهم وإبعادهم عن النهج الصحيح، فهم بذلك كمثل الغنم التي نام راعيها فتركها عرضة لمخالب الذئاب، والذئاب في هذا المثل هم المنكرون الذين يتحينون الفرصة المواتية للقض على هؤلاء المريدين، وإبعادهم عما هم يستغرقون فيه أوقاتهم من الذكر والصلاة وما إلى ذلك، وحجج هؤلاء المنكرين واهية ضعيفة لا ترقى لحدود القول فأحرى الفعل، وأكثر المستهدفين عندهم بعض المستضعفين من الإخوان ممن لا يحسن القراءة ولا الكتابة.

ويرى العلامة سكيرج أنه من أفدح الأضرار ما يقوم به بعض المقدمين الذين كانوا سابقا منضويين في طرق أخرى، فلما دخلوا في الطريقة التجانية صاروا ينتهجون في التربية والتوجيه نفس الأسلوب الذي كان عندهم من قبل، فيؤولون كلام الشيخ رضي ا عنه على غير محله، وهذه في نظره رحمه ا هي مكامن الخطأ الذريع، نظرا لاختلاف أساليب التربية في هذه الطريقة عن غيرها.

ومن هذا إقدام بعض المقدمين على بعض الزيادات فيما يتعلق بفضائل الورد والطريقة، هادفين بذلك لتحفيز الناس على أخذها، أو تحبيبها لهم، وهم بذلك خاطئون كل الخطأ، لأن هذا العمل لا يخدم الطريقة في شيء بل يضرها، ومن هنا فتحوا باب الإنكار عليهم من طرف المنتقدين والمبغضين، ولو أنهم وقفوا على ساق الجد وسلموا الأمور لأهلها لما وقع عليهم النكير.

والطريقة التجانية فوق كل هذا غنية عن هذه الزيادات، إذ فيها من الفضائل العظيمة ما ليس في غيرها، وهي مع ذلك قائمة على الكتاب والسنة الصحيحة في جميع شروطها وأهدافها وتوجهاتها، وفي هذا كفاية للعاقل اللبيب.

ومنهم جماعة ابتلاهم الله بالإنكار على أهل الله، فيشوهون وجه كل حسن مما يسمعون، ويزيدون فيه وينقصون، ليتسع لهم المجال في المقام بإطلاق عنان المقال، وربما يختلقون أمورا شنيعة ينسبونها لمن أنكروا عليه، ويستحلون بذلك الوقيعة في عرضه(4)، ويتبعهم على ذلك كل من أخبروه بذلك، بتقليده لهم فيما ينقله عنهم أو يتقوله عنه، ولربما عثر المريد على تلك الأمور المنسوبة إلى شيخه فيعتقد صحتها من غير أن يكون له بها رواية صحيحة عنه، خصوصا إذا كان جاهلا بما تضمنته من المنكر الذي يوجب النكير على شيخه إذا حدث بها في المجامع، أو سمعها من ذلك الجاهل من له أغراض في هتك الأعراض.

وقد عثرنا على شيء كثير من هذا المعنى، فتعين علينا التنبيه عليه لئلا يغتر به من بلغه ذلك، وألفت تويلفا أشرت فيه إلى بعض ما تحققت بأنه لا صحة لنسبته للشيخ رضي الله عنه، وسميته بجناية المنتسب، عما نسب للشيخ التجاني بالكذب، غير أنه إلى الآن لم يزل في مبيضته، لم يتم جمعه وتنقيحه، وذلك مما يلجم كثيرا من المنتقدين، غير أن المنتقد لا بد له من الإنتقاد، لأنه طبع عليه بطابع الحرمان، من نيل سر أهل الله، ومن نيل الخير الذي أجراه الله على يدهم للمعتقدين، وقد كان أبو تراب النخشبي(5) رضي الله عنه يقول : إذا كان حال العبد الإعراض عن حضرة الله تعالى صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى، وكان الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه يقول : من وقع في عرض ولي ابتلاه الله بموت القلب.

---

(4) يلجأ المنكرون غالبا لبعض الزيادات من باب الكذب والزور، وما يتبع ذلك من الإختلاقات التي يختلقونها لإقامة الحجة والدليل على المنكر عنه من جهة، ولإمالة الحق إلى ناحيتهم من جهة ثانية، وقد استعمل المنكرون هذه الأدوات مرارا لدا انتقادهم للطريقة الأحمدية التجانية ورجالاتها، لكن الحق دائما يعلو ولا يعلى عليه، فقد قيد ا سبحانه وتعالى لهذه الطريقة من خيرة العلماء رجالا أفذاذا تصدوا لهؤلاء المنكرين ببسالة ونجاعة، فدافعوا عن الحق دفاع المسلم عن وطنه ودينه، وقاوموهم على الساحة مقاومة الأسد عن عرينه، ومن هؤلاء العلماء الأفاضل صاحب هذا التأليف، العلامة سيدي الحاج أحمد سكيرج رضي ا عنه، فله اليد البيضاء في هذا الجانب بمقتضى قوله تعالى : "إن ا يدافع عن الذين آمنوا".

(5) أبو تراب عسكر بن الحسين النخشبي، صوفي مشهور، من أجلة مشايخ خراسان، اشتهر بكنيته حتى لا يكاد يعرف إلا بها، أخذ عن حاتم الأصم، وبعده عن أبي حاتم العطار، وأشهر الآخذين عنه الإمام أحمد بن حنبل، توفي رحمه ا بالبادية، فنهشته السباع عام 245هـ، وفي حقه قال ابن الجلاء : لقيت ستمائة شيخ، ما رأيت فيهم مثل أربعة، أولهم أبو تراب، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 83 رقم الترجمة 157، وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج 2 ص 174، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 233.

وكان الشيخ أبو عبد الله القرشي(6) رضي الله عنه يقول : من غض(7) من ولي ضرب في قلبه بسهم مسموم، ولم يمت حتى تفسد عقيدته، فيموت على أسوأ حال(8)، وكان الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه يقول : قد تتبعنا أحوال القوم فما رأينا أحدا أنكر عليهم ومات بخير أبدا، ذكر هذا القطب الشعراني في المنن، وقال في مطلب آخر، : وأجمع أهل الكشف على أنه ما أنكر أحد شيئا أخبر به أهل الكشف إلا حرم ذلك الأمر الذي أنكره ولو بلغ الغاية في السلوك، فلا يعطى ذلك الأمر عقوبة له على إنكاره وتكذيبه أولياء الله تعالى، الذين هم آياته في الأرض، وبهم يرزق الناس، وبهم يمطرون، وبهم يدفع الله البلاء عن عباده إهـ... والمحروم من سرهم هو من سمع ذلك العارف، وهو الشيخ والولي ومن في معناهما، وأنكر ذلك بعد صحة ذلك لمن نسب إليه، وأما من لم تصح لديه نسبته لذلك العارف وأنكره بنية صالحة فإنه يثاب على ذلك، سيما إن تحقق بجلالة المنسوب إليه ذلك المنكر.

وإنه ليعجبني كثيرا ما يقوله لي المرة بعد المرة العلامة المتضلع، مندوب المعارف بالإيالة الشريفة المغربية، صادق المحبة سيدي محمد الحجوي(9)، من أنه يتعين على الصادقين في الطريقة التجانية أن يبادروا بنفيهم عن الشيخ رضي الله عنه كل ما يوجب النكير، لما للشيخ رضي الله عنه من شفوف المرتبة في الولاية، التي تأبى ما يشيعه عنه عوام الإخوان لقصور فهمهم عن كلامه، فتقصر عباراتهم عن استيفاء المعنى المقصود لديه، فيقع النكير، وليس الإنكار في الحقيقة إلا عليهم لا عليه، إذ ذلك منسوب إليهم لا إليه، كما وقع ذلك في بعض الكتب المؤلفة في هذه الطريقة، وقد طبع منها ما اشتمل على ما يتحاشى جانب الشيخ رضي الله عنه، وجانب خواص أصحابه منه، وقد صدق أيده الحق في هذا الأمر، فلو نفى علماء الطريقة ما ينسب للشيخ بالكذب ما قامت قيامة المنكرين المحرومين من خصوصية الأوراد، التي لم تزل منتجة للأمداد، وإني وقفت على ما تقشعر منه الجلود مما طبع منها وما لم يطبع، فخشيت على كل من طالع ذلك الفتنة الكبيرة، فمن ذلك ما طبع بالجزائر من تويلف سماه طابعه بالكنز المدفون(10)، وإنه والله لمكذوب على الشيخ رضي الله عنه، بما اشتمل عليه من الهذيان الذي لا طائل تحته، مما يقال في حق مثله :

---

(6) أبو عبد ا محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي، من أعلام الصوفية، أصله من الجزيرة الخضراء ببلاد الأندلس، أقام بمصر مدة غير قصيرة، ثم سكن بعدها القدس، وبها توفي عام 599هـ، عن 55 سنة من عمره، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 159 رقم الترجمة 281، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 319.

(7) غض : بمعنى نقص

(8) أنظر الطبقات الكبرى للشعراني، ج 1 ص 159.

(9) سبق التعريف به في هذا المجموع ج 1 ص 104.

(10) حول هذا التأليف قال العلامة سكيرج في كتابه : جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني ج 2 ص 62 : ولنكتف هنا بالإشارة إلى ما ظهر في عالم المطبوعات في هذه الأيام من تأليف سماه طابعه : بالكنز المدفون، وجله مكذوب متقول على الشيخ رضي ا عنه، وقد اشتمل على طامات من التقولات، بعبارة ركيكة، يقطع ويجزم من يعرف ما لسيدنا رضي ا عنه من الإقتدار على إفراغ المعاني البديعة في قوالب الكلم الجامعة بأن هذه المطالب متقولة عليه وليست من كلامه قطعا، الخ ...

أسمع جعجعة ولا أرى طحنا، بل رأيت فيه من الركاكة وتكرار الأعداد التي تخل بالمراد، مما يدل على جهل منشئه الذي نسبه للشيخ، وما أراد بذلك إلا فتنة العباد حسيبه الله، ومن ذلك تويلف وقفت على نسختين منه، سماه مؤلفه : يعسوب السر الرباني في مناقب التجاني(11)، ولم أتمالك نفسي حين طالعته بما اشتمل عليه من الضلالات التي لا يحل لأحد أن يفوه بها في شأن الشيخ رضي الله عنه وشأن طريقته، وما ذلك إلا من دس بعض المبغضين في هذا الجانب، ليضلل به من اطلع عليه من جهلة هذه الطريقة، فيحدثون بذلك الناس، فتقوم قيامة الإنكار على الشيخ البريء من تلك الكرامات وتلك الفضائل التي لا يقول بها فاضل عاقل، وبالبداهة لا يقبلها الغريق في الجهل من هذه الطريقة فضلا عن غيره.

ولقد بلغني أن ولد الشيخ رضي الله عنه سيدي محمد الحبيب، أو ولده سيدي البشير رحمه الله، جيء له بنسخة من هذا التأليف فأنكره وقال : هذه الكرامات وما انضاف لها من الفضائل لا نقبلها ولا نقول بها، وأمر بحرقه، وتبرأ من كل من وقف على نسخة منه وصدق ما اشتملت عليه، ومن ذلك جل المشاهد المنسوبة للخليفة سيدي الحاج علي حرازم برادة، فجلها مكذوبة عليه، حيث نسج على منوال مشاهده المسماة بالكنز المطلسم من لم يراقب المولى في أهل الخصوصية، فكتب جملة متفرقة على مقتضى هواه ونسبها إليه، وقد كنت وقفت على الكنز المطلسم بخط يده فلم أعثر فيه على شيء مما كنت أنكره(12)، مما أقف عليه من تلك المشاهد التي يظن من ظفر بواحد منها أنه حصل على طائل، وليس منها خير حاصل.

ولهذا يتعين على من يريد السلامة في هذه الطريقة من الإخوان وغيرهم أن لا يعتمدوا إلا ما حصلت لهم به الراوية الصحيحة عن أهل الخصوصية، والمعرفة التامة بما اشتملت عليه الطريقة، مما روي عن الشيخ وعن خاصة أصحابه خشية الوقوع فيما يقع فيه أهل الوقيعة في جانب أهل الله، وقد استشعر سيدنا رضي الله عنه بما منح من نور الفراسة والإلهام الحقي أنه سيكذب عليه فقال : إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع(13)، وهكذا قال الأئمة الأربعة وغيرهم من ذوي المناصب العالية، حتى لا يقع أحد في الضلال بما نسب إليهم، ويتعين على العاقل أن لا يعتمد إلا على ما صح لديه بالرواية الصحيحة، ولا يرمي ميزان الشريعة من يده، ومما أنشده الشيخ الأكبر ابن عربي قدس سره :

---

(11) حول هذا التأليف قال العلامة سكيرج في كتابه : جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني ج 2 ص 64 : وقد وقفت عند بعض الإخوان في قبيلة بني يزناتن من دائرة مدينة وجدة، من الإيالة المغربية، وأنا متول لخطة القضاء بها، على تويلف في نحو كراسين، ذكر فيه مؤلفه بعض فضائل الطريقة التجانية، وما هو من الكرامات والفتوحات الربانية، مما رآه في نظره من المناقب المختصة بالشيخ التجاني رضي ا عنه، وبأصحابه العامة منهم والخاصة، ونوه غاية التنويه بصاحبي الشيخ رضي ا عنه السيد عبد المالك بوطيبة، والسيد عبد الباقي المرشدي، وأفرط غاية الإفراط فيما نقله عنهما من ذلك بعبارة عامية دالة على أن ذلك الكلام لا يصدر إلا عن جاهل بالطريق، أو أمي زنديق، أو مبغض في الشيخ وفي صاحبيه المذكورين، وفي طريقته الأحمدية، ليتداول العامة ذلك، فيقوم ضجيج الإنكار بما نسبه إليهم من تلك التقولات، التي هي من قبيل الترهات والتهورات، التي تشغل الأفكار، وتشتعل بها نار الإنكار.

(12) انظر جناية المنتسب العاني للعلامة سكيرج ج 2 ص 56-61.

(13) انظر الإفادة الأحمدية للبركة سيدي الطيب السفياني، باب حرف الألف، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 177، ونص هذا القول : إذا سمعتم عني شيئا فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما خالف فاتركوه.

لا تغترر بالذي زالت شريعته عنه ولو جاء بالأنبا عن الله

ومن كلامه أيضا في فتوحاته المكية : من أراد أن لا يضل فلا يرمي ميزان ظاهر الشريعة من يده طرفة عين، ويعتمد ما عليه الأئمة المجتهدون ومقلدوهم ويرفض ما عداه، وإذا تحقق بأن الشيوخ غير معصومين فلا غرابة إذا صدر منهم ما لا يقبل منهم شرعا، وإن كان الأولى بالعالم التسليم وعدم الإنكار لعدم إحاطته بأصول الشريعة وفروعها، وسيأتي زيادة نقل عن الشعراني عما يتعين في حق من يريد الإنكار، عند التعرض للجواب عن السؤال الثاني من هذه الأسئلة، وبه يزن الموفق نفسه، وليختر ما يحلو لنفسه بين أبناء جنسه، بعدما تحقق بأن الأولياء غير معصومين.

ولقد ذكر الشعراني في المنن العجب العجاب من هذا الباب، حتى قال في بعض المطالب : فعلم أن العصمة شرط في النبوة لا في الولاية، وذلك لأن الأولياء دعاة بواطن وأسرار، والأنبياء عليهم السلام دعاة علانية وإظهار، فيجب عليهم إظهار المعجزة والتحدي بها لقيام الحجة على المعاندين والكفار، لأنهم يدعون الناس بحكم الإستقلال، بخلاف الأولياء فإنما يدعون الناس بحكم الإتباع لنبيهم بشرعه الثابت المقرر الذي لا شك فيه، إلى أن قال : وقد تقدم في هذه المنن عن سيدي الشيخ أبي العباس المرسي رضي الله تعالى عنه أن شخصا من الأولياء نام عنده فزنى بجاريته تلك الليلة، ثم اغتسل وخرج يمشي على الماء في بحر الإسكندرية، حتى غاب عنه، فقال له : ما هذا وذاك، فقال : هذا عطاؤه وذاك قضاؤه، ومن هنا قال الجنيد رضي الله تعالى عنه لما قيل له أيزني العارف ؟ فقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا، والحكم للسوابق لا للواحق، وفي هذا كفاية.

المقصد الثاني

في التنبيه على أن المريد لا تلزمه متابعة الشيخ في جميع أفعاله وأقواله وأحواله إلا إذا أمره بذلك

لم يبلغنا عن شيخنا القطب التجاني رضي الله عنه أنه أمر أصحابه والآخذين عنه أن يقتدوا به في أقواله وأفعاله وسائر أحواله، بالخروج عن المذهب الذي تقلدوه من بين المذاهب الأربعة والعقائد السنية، بل الثابت عندنا أن الفضل المقرر فيها بفضل الله طبق ما واعده به الرسول عليه السلام يناله كل من أذنه في تلاوة أذكارها من ورد ووظيفة وذكر جمعة بشروط ذلك لا غير، فإن هذه الطريقة مبناها على القيام بأذكارها اللازمة المذكورة بعد المحافظة التامة على امتثال الأوامر واجتناب النواهي، بقدر ما في الإمكان، في السر والإعلان.

وملاك الخير كله هو في أداء الصلوات المفروضة في غاية الإتقان لجميع شروطها، والإهتمام بها في سائر الأحيان، ثم ما زاد على ذلك فهو فضل بقدر اتباعه في مجاهدته في العبادة وإخلاص النية، وتطهير الطوية، والصدق في معاملة الحق والخلق، والتخلي عن كل مذموم، والتحلي بكل محمود، إلى غير ذلك مما كان يوصي به أصحابه حتى لا يكونوا من الآمنين لمكر الله، فإن التأدب مع الحق تعالى من المريد يكون على قدر اقتباس أنواره من مشكاة الإقتداء به، وقد قال الشيخ سيدي علي الخواص(14) رضي الله عنه : من زعم أنه يتأدب مع الله تعالى بلا واسطة شيخه أو رسول الله (ﷺ) فقد أساء الأدب، ثم لا يتم ذلك له، أو لا يستمر على الدوام معه، بخلاف الأدب مع الله تعالى مع شهود الوسائط فإنه يدوم، وذلك مما يدل على محبة المريد لشيخه، التي هي المغناطيس الجاذب لترقي المراتب، وفيه من احترام الشيخ ما يقضي عليه بإمداده بالمدد الأوفر، سيما وحرمة الشيخ من حرمات الله، قال الحاتمي قدس سره :

ما حرمة الشيخ إلا حرمة الله   فقم بها أدبا لله بالله

ولهذا يتعين القطع بما صح عن الشيخ أو الولي على المريد ليتمكن بصدقه في مقام التصديق، ثم إنه لا ينقطع المريد عن طريقته إلا بنقض العهد الذي لم يؤذن له في أذكارها اللازمة إلا بأخذه عليه مشافهة، بالتلقي عنه أو بواسطة المقدم الذي قدمه للتلقين، أو بواسطة المقدم الذي قدمه مقدمه بالإذن المقيد أو المطلق فيها، ولا ينقطع عنه مددها إلا بذلك، وربما طرأ ناقض في الحين مثل الردة نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والدين، وهنا أمور تفضي بالمريد للإنقطاع إن صدر منه شيء منها، وقد بينت في كتب الطريقة فليراجعها من أراد الإطلاع عليها فيها، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المقصد الثالث

في كون المريد لا يكون مريدا ولا يعد في زمرة شيخه إلا بتحقق المحبة الداعية لتصديقه

قد أجمع الشيوخ سلفا عن خلف أن المريد كيف ما كان لا يكون انتفاعه بشيخه إلا بصدق محبته فيه، حتى قال أهل الكمال منهم : ليس الشأن أن يحبك المخصوص، وإنما الشأن أن تحبه، لأن المحبة تقضي بامتثال ما يأمر به المحبوب، واجتناب ما ينهى عنه في حضرته وغيبته، قيد حياته وبعدها، وبصدق المحبة يمكن للمحب أن يجذب إليه عطفة محبوبه، لما تقرر عند العارفين من أن مغناطيس المحبة جاذب لحديد القلوب، وتنفعل النفس به انفعالا، بمصادمة القوة الجاذبة والقوة السالبة، على حسب الهوى المتمكن فيها بجاذبية الإتصال، أو سالبية الإنفصال، فتبرق عند ذلك بارقة مزن الأرباح لمخلص المحبة، ولا تتم تلك الخاصية المغناطيسية إلا بإلقاء الإنقياد للمحبوب، وهو الملائم لطبع المحبة الذي لا بد منه للمحب في تحصيل المطلوب، وذلك بامتثال أمره، واجتناب نهيه، وإلا عد ذلك من موانع الخاصية الجاذبية، والحكم في ذلك للطبع القوي في الجاذبية، فالحديد الرزين يجذب الضعيف من المغناطيس من غير توهين، وإن كانت الجاذبية في حقه متمكنة بالطبع، وكونها فيه هو الأصل، كالطرف الصغير من المغناطيس ينجذب للحديد لكون الحكم للرازنة. ومن هذه الحيثية تجلب محبة بعض المريدين قلوب بعض الشيوخ إليهم كما يجذب قلب الحبيب محبه فيشفق منه، ولا يقع ذلك في الغالب إلا إذا كان مستغرقا فيه، بحيث يكون واقفا عند أمره، ممتثلا له ولو في قطع نحره، ومن هذا الباب قول من قال :

---

(14) سيدي علي الخواص البرلسي، من أعيان الصوفية بمصر خلال القرن العاشر الهجري، وهو من أجل الشيوخ الذين أخذ عنهم العارف بربه سيدي عبد الوهاب الشعراني، وله رحمه ا مقالات سامية فيما يتعلق بالسلوك وآدابه ومتطلباته، إلى غير ذلك من الكشف الصريح، والفتح الكبير الفسيح، مع كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب، وقد توسع العلامة الشعراني في ترجمته في كتابه الطبقات الكبرى ج 2 ص 150-169.

ولو قيل طئ في النار والنار جمرة ... لها لهب يرمي الشرارة كالقصر
لما كان لمح البرق أسرع أن يرى ... بأسرع مني في امتثالي للأمر

وللمحبة دخل في ارتباط القلوب ولو مع بعد، ولهذا يوجد في بعض الأحيان سؤال الحبيب المشعر بمحبة محبه عما أثرت محبته فيه، ومن هذا الباب قول من قال :

قالت وقد سألت عن حال عاشقهـا ... بالله صفه ولا تنقص ولا تـــزد
فقلت لو كان رهن الموت من ظمأ ... وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

ولهذا كان (ﷺ) يحث على محبته ويرغب فيها تصريحا وتلويحا، كقوله (ﷺ) : أنت مع من أحببت(15). وقوله : المرء مع من أحب(16). وقوله عليه السلام : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله ووالده وولده والناس أجمعين(17). وغير ذلك، لأن المحبة تقضي بالمتابعة كما قال تعالى : "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله"(18). وفي هذه المقام أنشد الشيوخ :

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس شنيع
لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

ولا شك أن المريد إذا تمكنت محبة الشيخ من قلبه فإنه يكون حريصا على متابعته متابعة الظل لشاخصه، لأن المحبة قاضية عليه بذلك، بقدر تجليها واستيلائها على قلبه في حضرته، وهنالك تفاوت بين المدعين لمحبته، وعلى قدر الإتباع يكون الإنتفاع، ولا يصح من المريد الصادق أن يتوقف عندما يأمره شيخه بشيء أو ينهاه عنه، وقد تقرر عند القوم قاطبة على أن من قال لشيخه : لا أفعل أو لا أترك، أو لم هذا مثلا فإنه لا يفلح أبدا، لكون ذلك لا يصدر منه إلا عن قلة اعتقاد ورعونات نفسانية توجب طرده من حضرة أهل الله، نسأل الله السلامة والعافية.

---

(15) رواه الإمام البخاري في كتاب الأدب، باب علامة الحب في ا عز وجل، رقم الحديث 5816-5817.
(16) رواه الإمام البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي ا عنه، رقم الحديث 3485، وكذلك في كتاب الأدب، باب علامة الحب في ا عز وجل، رقم الحديث 5819.
(17) رواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول (ﷺ) من الإيمان، رقم الحديث 15.
(18) سورة آل عمران، الآية 31.

ولهذا يجب القطع بكلام الشيوخ الذين ثبتت خصوصيتهم بالشهادات المستفيضة ممن اجتمعوا بهم أو تلقوا ذلك عنهم بوسائط لا يشك المريد في عدالتهم وصدقهم، وليس كل من يدعي المشيخة أو من تلقى عنهم ذلك بمقبول في كل ما يقول، لأنه قد يصدر منهم ما نهت عنه الشريعة، مما هو في ظاهر الحال من الأمور الشنيعة، فلا يمكن لحراس حضرتها إلا المدافعة عنها والطعن في مخالفيها، وفي قضية سيدنا الخضر وسيدنا موسى عليه السلام عبرة لمن اعتبر، فلو أمكن لصاحب الشريعة أن يسكت لسكت سيدنا موسى عليه السلام فيما فعله بحضرته سيدنا الخضر. بعد أن أخذ عليه العهود على متابعته، ومع ذلك فقد أنكر ذلك بما لديه من علم الشريعة الظاهرية، لا بلسان الجحود والبغض المؤدي إلى ما لا تحمد عقباه في الدارين. ولم يمكن لسيدنا الخضر عليه السلام أن يخفي ما فعله بحضرة سيدنا موسى مع علمه بأنه نبي الله، لأنه مغلوب بالحال على أمره ونهيه، والله غالب على أمره، فإنه سبحانه أرشد صاحب الشريعة ليأخذ عن صاحب الحقيقة، ولو صبر صاحب الشريعة معه لرأى من العجائب ما يزداد به عبرة. ولذلك قال رسول الله (ﷺ) : رحم الله أخي موسى لو صبر(19). فإن ما يصدر من العارفين كله من هذا القبيل عند أهل الحق، وإن لم يقبل التأويل فإن التفويض فيه أسلم لمن يريد السلامة لنفسه في دينه ودنياه.

وأقل ما يجنيه على نفسه المنكر الجاحد عدم انتفاعه بمعارفهم(20)، والتخلق بأخلاقهم التي هي في غاية ما يكون من التهذيب بالأدب اللائق بالعبد في معاملة الحق والخلق، وكفاه ذلك حرمانا نعوذ بالله من الخذلان، وقد آن لنا أن نشرع في الأجوبة ذاكرا كل سؤال بلفظه، وبعده جوابه، وعلى الله قصد السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

السؤال الأول :

وهو أنه : ما من أحد يؤخذ منه ويرد عليه إلا مولانا رسول (ﷺ) فيجب القطع بكلامه عليه السلام، وأن كلام الأولياء رضي الله تعالى عنهم مظنون. فهل على المريد التجاني شيء إذا قطع بكلام سيدنا الشيخ رضي الله تعالى عنه، سيما وهو يعلم أن الإعتقاد بكل ما جاء به شرط من شروط الطريقة الغراء ؟

---

(19) رواه الإمام البخاري في كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل : أي الناس أعلم þ فيكل العلم إلى ا ، رقم الحديث 122، وهو حديث طويل، وفي آخره قوله (ﷺ) : يرحم ا موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما.

(20) في هذا المعنى يقول شيخ الإسلام العارف بربه سيدي زكرياء الأنصاري رضي ا عنه : الإعتقاد إن لم ينفع لا يضر، والفقيه إذا لم يكن له إلمام بطريقة القوم وملاحظهم واصطلاحهم ومؤاخذاتهم فهو جاف.

الجواب :

اعلم أن المريد لا يكون مريدا صادقا إلا إذا كان مصدقا لشيخه في جميع ما يخبره به، ويقطع ويجزم به إذا كان الشيخ في حال صحو لم يعتره حال من جذب أو شطح، لأن الشطح من نقصان السلوك، فيسلم لصاحبه حاله، ولا يقتدي بالمجذوب ما دام مجذوبا، ولا يتعين على مريده الجزم بما يخبره به حال جذبه، أما إذا كان في حال صحو فيجب على مريده الجزم بما أخبره به، ولا يشك فيه، ولو كان ذلك مما تحيله العقول في نظرنا، لأن الشيوخ قد صفت مرآة نفوسهم، وارتحلت أرواحهم إلى عوالم أخرى في درا الدنيا ودار الأخرى، فيرون ما لا نرى، ويسمعون ما لا نسمع، ويعقلون ما لا نعقل. وكل شيء عندهم في حيز الإمكان، إلا شيئا واحدا وهو وجود الشريك مع الحق، فلا يمكن وجوده، وهم في حال لا يمكن معها أن يختلقوا فرية تقضي بطردهم من حضرة الحق، فإن الكاذب ملعون ولو كان في كذبه مازحا، وإن كانوا غير معصومين فإن حضرة الحق مفتحة الأبواب للمصدقين، ولعنة الله على الكاذبين.

ولهذا كان ضرر التكذيب في حق أهل الله مما يسجل على صاحبه بالحرمان من الخير الكثير، إن سلم المكذب من الوبال في العاجل والآجل. وقد نصح صاحب موسى عليه السلام قومه في قصته معهم في قوله تعالى : "إن يك كاذبا فعليه كذبه، وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم"(21). ومنشأ الإنكار على المخبرين بالعجائب هو التوغل في الجهل، والتقيد بقيد العقل، والوقوف بالجمود على مبلغ علم هذا المنكر الذي يعد في زمرة المحصورين في قفص جهلهم المركب، وغالبا ما يقع الإنكار إلا من أهل الجحود بما أصيبوا به من داء الحسد ونحوه(22)، فيقلدهم من ضرب في صدره بسهم أصمى قلبه، وأصم أذنيه عن سماع الحق وقبول الحق الواضح نوره، ولنفرض لذلك أمثلة محسوسة تظهر بها مزية المرتقي في المعارف عن غيره. ألا ترى إلى البالغ إذا قال لمن سأله من الصبيان عن لذة الإنزال في الوطء ليصفها له فيقول : هو شيء لا يبلغ معرفته إلا من بلغ وذاقه، فهو أحلى من العسل بل أحلى من شيء لا أقدر أن أعبر لك عنه، فإنه يحصل بذلك العجب لذلك الصبي، ولو بلغ من العلم الدرجة القصوى، لأنه لم يدرك هذا الأمر، ولا يدركه إلا البالغ، فكذلك إذا أخبر المفتوح عليه بشيء عجيب فإنه لا تقبله عقول الجهال، ويبادرون بالإنكار على المخبر بذلك.

ولقد كنا نكذب بما نسمعه من غرائب الأفعال الناشئة عن الإحتكاك الكهربائي، حتى كنا نقول باستحالة مثل ذلك في الوجود، حتى شاهدنا من عجائب فعلها ما كاد أن يصير من قبيل الأمر الذي لا يستعجب منه إلا البله ومن في سذاجة البلادة والبداوة، ولا زلنا نسمع عنها وما يصدر منها ما يكاد أن نستحيله أيضا، ثم نراه ونسمع بأعجب. ألم يكن في قدرة الحق أن يجعل في الأولياء خاصية تفوق الكهرباء، أو بالأقل تماثل خاصيتهم خاصيتها، فيقول الولي في هذه الساعة وهو بثغر الجديدة مثلا : سمعت سيدي فلانا بالإسكندرية يقول كذا وكذا، وفعل كذا وكذا ونحو ذلك. ونحن نرى التيلفون اللاسلكي ونسمع كلام أهل باريز ولندن وبرلين وغير ذلك بتحقق لا شك فيه، فلا شك أن المكذب بمثل ذلك جاهل أو معاند منكر للمحسوسات، فكيف يليق به وهو يدعي أنه عاقل أو عالم أن يجحد صدور مثل هذه الأمور في حق الأولياء وينكرها، ولو كان له مسكة من العلم الحقيقي ما أنكر ما يقبله الوجود مما هو داخل في دائرة الإمكان، ولذلك لا يلزم من الرد على الصوفية فساد قولهم في نفس الأمر كما

---

(21) سورة غافر، الآية 20.

(22) غالبا ما يصدر الإنكار حول الطرق الصوفية من طرف أشخاص تغلب عليهم الرعونات النفسية من حسد وتكبر وغطرسة وما إلى ذلك، بحيث إذا ظهر للمنكر أن الصواب ليس معه سارع إلى المراوغة والتمويه بدل الإذعان للحق والإستسلام له.

وهذه من الرذائل المذمومة التي قضت على الكثير من المنتقدين الذين لا ينتقدون إلا من أجل الإنتقاد، انطلاقا من قولهم : خالف تعرف، وكان من الأولى لهذا المنتقد الرجوع إلى الحق عند ظهوره، وهذا بمقتضى قوله تعالى : "أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى".

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله : كنا ننكر على القوم أمورا حتى وجدنا الحق معهم، قال تعالى : "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله"(23)، وقال تعالى : "وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم"(24).

قال القطب الشعراني رضي الله عنه : ومما يؤيد كلام الغزالي رحمه الله قول الإمام أبي القاسم الجنيد رحمه الله : كانت عندي وقفة في قولهم : يبلغ الذاكر في الذكر إلى حد لو ضرب وجهه بالسيف لم يحس، إلى أن وجدنا الأمر كما قالوا. ولذلك يتعين في حق المشفق على نفسه أن يباعد نفسه عن الإنكار، ومن دأبهم الإنكار بحق أو باطل، وليبق على الحياد بالتسليم لأهل الله وإن لم يعمل بما قالوا أو فعلوا، ولا يكذبهم ليكون ممن أسلموا وسلموا. قال القطب الشعراني رحمه الله : أخذ علينا العهود أن لا نكذب الصالحين إذا أخبرونا عن أنفسهم أنهم وقع لهم شيء تحيله عقولنا، ما لم يعارض النصوص الشرعية، وذلك أن غاية الصالح أنه أخبرنا عن القدرة الإلهية أنها فعلت ممكنا لا غير، والله على كل شيء قدير، وقد جاءني أخي الشيخ أبو العباس الحريثي(25) رحمه الله يوما فصلي عندي المغرب، ثم جلس يقرأ القرآن، فقرأ إلى آذان العشاء خمس ختمات، ثم إني أخبرت بذلك سيدي علي المرصفي(26) رحمه الله فقال : أنا قرأت في يوم وليلة ثلاثمائة ألف ختم وستين ألف ختم، فقلت سيدي بالحروف، قال : نعم، فقلت له : كيف ؟ فقال : إذا تجردت الروح عن هذا الجسم الكثيف فعلت ذلك، فقلت له : فما الحكمة في وقوع ذلك للأولياء ؟ فقال لشرف قدرهم عنده، فإن أعمار هذه الأمة قصيرة فأقدر الله عز وجل خواص هذه الأمة على فعل ما ذكرنا ليرجح أحدهم في الأعمال على عبادة الأمم السالفة الذين عاشوا الخمسمائة سنة، والله تعالى أعلم.

---

(23) سورة يونس، الآية 39.
(24) سورة الأحقاف، الآية 11.
(25) أبو العباس أحمد الحريثي، من أعلام الصوفية بمصر، أخذ عن الشيخ سيدي محمد بن عنان، والولي الصالح الشيخ سيدي علي المرصفي، وعنه أخذ جم غفير من الناس، وهو من جملة المشايخ الذين أخذ عنهم وانتفع بهم العارف با سيدي عبد الوهاب الشعراني، توفي رحمه ا بمدينة دمياط بمصر عام 945هـ، وقبره بها ظاهر يتبرك به، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 170.
(26) علي نور الدين المرصفي، صوفي مشهور، له عدة مؤلفات في علم التصوف، من جملتها اختصاره لرسالة القشيري، وهو من أهم المشايخ الذين أخذ عنهم العارف با سيدي عبد الوهاب الشعراني، توفي رحمه ا عام 931هـ، ودفن بزاويته بقنطرة الأمير حسين بمصر، وقبره ظاهر مقصود يتبرك به، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 127.

ومن هذه الحيثية قد يمنح الله بعض الأولياء بخصائص على طريق الإلهام، ينالون بها من فضل الله ما لا تحمله إلا عقول أهل التسليم، ممن قدر لهم الإنتفاع بها أو بفضل الإعتقاد من غير انتقاد، فيصرح بها الولي لينفع الله بها من صدقه بعد انتفاعه بها هو في خاصة نفسه، وربما صرح بتزكية نفسه ليتلقى ذلك عنه بالقبول، فلا يقبل ذلك منه إلا من كان من أهل تلك الخاصية الكبرى، قال في العهود : وكثيرا ما يبين الشيخ في الطريق أو المدرس في العلم مرتبته للناس ليأخذوا عنه العلم، فلا يجوز نسبته إلى الرياء والسمعة. وكان سيدي علي الخواص يقول : ما أحوج الشيخ إلى تزكية نفسه إلى المريد الأعمى القلب، ولو أنه كان في قلبه نور لعرف مقام الشيخ في العلم، وأخذ ما يسمع منه بقبول وإيمان، وقد زكت الأكابر أنفسها لأغراض صحيحة، "قالت الملائكة : ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك"(27). "وقال يوسف : اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم"(28). وقال سيد ولد آدم عليه الصلاة والسلام : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر(29)، والغرض الصحيح أنه (ﷺ) قصد بإعلام أمته بمقامه يوم القيامة إراحتهم من التعب حين يذهب الناس من نبي إلى نبي يطلبون منه الشفاعة، وذلك لأن من علم أن محمد (ﷺ) أول شافع يوم القيامة لا يذهب لغيره حين يذهب الناس، والله أعلم.

وعدم القطع بما أخبر به الشيوخ لا يقع كثيرا إلا من ذوي النفوس التي حجبتها رعوناتها، فلم تصفو مرآتها من صدى الأوهام، فلم يتجل الحق لها في مظهر من مظاهره المقبولة عند أهله، فقطع الله حبلهم من حبله، وهم يظنون أنهم على شيء، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وغالبهم المتفقهون منهم، فتسول لهم أنفسهم أنهم صاروا في منزلة أعلى من منزلة الولي الذي أرشدهم، وربما أنكروا عليه فانقطعوا عن حبله. فلم ينفعهم الله بها عملوا أو لا ينفعهم بما يعملون ويعلمون، ولذلك يتأكد في حق الشيوخ أن لا يأخذوا العهد على المريد إذا كان ممن يتعاطى العلم إلا إذا استأنسوا منه صدق محبته في جانبهم، ويرون منه تنزله عن منزلة التعاظم بما لديه من العلم، قال في العهود : أخذ علينا العهود أن لا نأخذ العهد على أحد إلا إن علمنا أنه يرى نفسه دوننا في العلم، أما من يرى نفسه فوق شيخه فلا ثمرة لأخذ العهد عليه إلا زيادة الرعونات النفسية، وربما أمره شيخه بأمر فخالفه، بل رأيت مريدا خالف الأدب فهجره شيخه، فهجر الآخر شيخه، وصار يقع في عرضه، فقلت له : قد سمعتك بالأمس تقول : ما أعددت نفسي مسلما إلا حين اجتمعت بالشيخ، فقال : كان إبليس راكبني الخ.

وقد رأينا نحن في طريقتنا التجانية جماعة حصل لهم مثل ما حصل لهذا الشخص الذي ركب عليه شيطانه، فادعوا أنهم علماء، ونقضوا الصحيفة، وبينوا شرا في حق هذه الطريقة المنيفة،

---

(27) سورة البقرة، الآية 30.

(28) سورة يوسف، الآية 55.

(29) تتمة هذا الحديث : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر. رواه الترمذي في جامعه، وابن ماجة في سننه، والإمام أحمد في المسند، وكلهم بالسند عن أبي هريرة رضي ا عنه، وذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 1 ص 107.

وقطعوا الحبل الذي كان بينهم وبين الشيخ رضي الله عنه، فانقطعوا وصاروا من أقبح المنكرين فيها، بما اطلعوا عليه من أفعال بعض جهلة السالكين فيها، ولم يقفوا عند ما علموه من صدق حال الشيوخ المرشدين والأولياء المهتدين رضي الله عنهم، بل قاد انتقاد المنكرين إلى ما لا تحمد عقباه بإنكارهم أولا على جهلة الطرق، ومن في حكمهم من أعلام السوء، أصحاب الأغراض الذين لم تخلو منهم طريقة ولا مذهب من المذاهب، لما ولعوا به من التظاهر بين العامة بالمغربات التي تميل بها قلوبهم إليهم، فنسبوا لشيوخهم ما هم بريئون منه، وعلى فرض أنه صدر من الشيوخ ما لا يقبل شرعا فغالبهم إن لم نقل كلهم حذروا أتباعهم بما يرونه منهم أو يسمعونه عنهم من الإقتداء بهم فيما تطيش به كفة ميزان الشريعة، التي لا يدنسها الإبتداع، ولا يدانيها في حضرات الحق اختراع.

وقد أخذ الله بأيدي من أراد بهم خيرا ممن صدقوا الله في الإنكار على أهل الأسرار، فشعروا بالمكر الإلهي المحيق بالمنكرين، فرجعوا على أنفسهم بالملامة، وتابوا من كل ما صدر منهم، فنالوا بالتوبة النصوح ما فاقوا به غيرهم، ولم يقع غالبا في عين القطيعة ويبقى غريقا فيها متجلجلا بأوهام الأهواء إلا كل من يظن نفسه أنه عالم يقتدى به، فيحب التظاهر بين الناس مع الظهور بالغلبة على غيره، ولا يبالي بما يقع فيه من المكر الخفي، خصوصا إذا كان ذا شقاشق يجول بها في كل مجال، وخلا له الجو بين العوام ومن في معناهم، وهذه عادة من سجل عليهم بطابع الحرمان من قديم، وقلما سلم منهم أحد، وبالأخص إذا انتصروا لأهوائهم، فلا تسل عما يصدر منهم وممن خالطهم، لأنه يسرق طبعهم طبعه فيقع فيما وقعوا فيه. ولذلك قال سيدنا الشيخ التجاني رضي الله عنه : مجالسة المبغضين سم يسري، فلا ينبغي للمريد الصادق أن يجالسهم أو يذكر اسم ولي من الأولياء بمحضرهم، خصوصا إذا كانوا ينكرون عليه.

وقد قال الشعراني رحمه الله : أخذ علينا العهود أن لا نذكر أحدا من الأولياء الذين تكلم الناس فيهم إلا بحضرة من يعتقدهم، وإذا نقلنا عنهم أدبا أو حكمة قلنا : قال بعضهم كذا ولا نعينه، فإن من ذكر كرامات الأولياء بين يدي من ينكر عليهم فقد تسبب لمقت ذلك المنكر وسب ذلك الولي وتنقيصه، فحكمه حكم من ذكر فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما بين الروافض مع عدم أمنه من سبهم لهما إلخ ... ولا ينبغي مجادلة المخذولين من أهل الإنكار، ومن عمل على شاكلتهم من الأشرار، إلا لمن أقدره الله على الإفصاح عن وجه الحق بالبيان التام، الذي لا يبقى معه إيهام، حتى لا يحصل به الضرر على العوام، إذا غلبه خصمهم بما يلقيه من الإيرادات التي ربما حصل له في الجواب عنها إفحام، لقصور باعه، أو تمالئ حزب المنكرين عليه، أما من منحه الله من لدنه فهما ثاقبا وعلما صحيحا مؤيدا بالتوفيق فالمتعين في حقه المدافعة عن حمى أهل الله بقدر الإمكان، ولا يبالي بتحزب المبغضين ولو تحزبوا عليه وترصدوه بكل مكان.

قال القطب الشعراني رضي الله عنه : أخذ علينا العهود أن نجيب عن أئمة الإسلام من العلماء والصوفية جهدنا، ولا نصغى قط لقول من طعن فيهم، لعلمنا بأنه ما طعن فيهم إلا وهو قاصر عن معرفة مداركهم، ثم إن الراد عليهم لا بد أن يطفئ نوره ويعدم النفع بمؤلفاته كلها، لسوء أدبه مع من جعلهم الله قدوة لعباده إلى يوم القيامة، وأين رتبة بعض الناس من رتبة الإمام الأعظم أبي حنيفة

رضي الله عنه حتى يرد عليه أقواله، وأين رتبة ابن الجوزي(30) من رتبة معروف الكرخي(31) والجنيد والشبلي(32) وأبي يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري ونحوهم من السادة رضي الله عنهم حتى يرد عليهم، ويقول في كتابه المسمى بتلبيس إبليس : ولعمري لقد طوى هؤلاء الصوفية بساط الشريعة طيا، فيا ليتهم لم يتصوفوا، وقال في موضع آخر من كتابه المذكور : ولقد تعدى هؤلاء طور الجنون بطبقات، وصرح فيه أيضا بتكفير السيد أبي يزيد البسطامي وسهل بن عبد الله التستري والشبلي والغزالي وجماعة، وهو عجيب، فإن هؤلاء من أعظم أئمة القوم الجامعين بين الحقيقة والشريعة، مع أنه رحمه الله قد طرز جميع مؤلفاته من كتب الرقائق بمناقبهم وحكاياتهم، ولعل ذلك وقع منه في بدئ أمره، أو دس عليه في ذلك المؤلف.

واعلم يا أخي أنه لم يبلغنا قط عن أحد من العلماء العاملين أنه تصدى للرد على أحد من أئمة الإسلام، بل ينتحلون لهم الأجوبة الحسنة جهدهم كما صنع الشيخ العالم المحقق جلال الدين المحلي(33) في شرحه لمنهاج النووي، فيحمل كلام المؤلف على أحسن الأحوال من غير إظهار تورك عليه ولا تعصب، حتى إن غالب طلبة العلم الآن لا يشعرون بالجواب عن النووي، فرضي

(30) عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، مؤرخ، فقيه، محدث، ولد ببغداد عام 508هـ، بها توفي عام 597هـ، له نحو 300 مصنف، منها تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، والوفا في فضائل المصطفى، ومناقب بغداد، وفنون الأفنان في عيون علوم القرآن، ومناقب عمر بن عبد العزيز، ومناقب أحمد بن حنبل، ومناقب عمر بن الخطاب، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، وغيرهم. وهو من المبالغين في الإنكار على الصوفية والتشديد عليهم والرد على أقوالهم وأحوالهم وما إلى ذلك.

انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 279، وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده ج 1 ص 207، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 13 ص 28، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 316، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 429 رقم الترجمة 938. وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 308-310 رقم الترجمة 132.

(31) أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي، صوفي مشهور، عرف بالورع والزهد والإستقامة، وهو من موالي علي بن موسى الرضا، توفي رحمه ا ببغداد عام 200هـ، وبها دفن، وقبره ظاهر يتبرك به، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 72 رقم الترجمة 142، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 2 ص 104، وفي طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي ص 83-90، وفي صفة الصفوة لابن الجوزي ج 2 ص 179، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 269.

(32) أبو بكر بن جحدر الشبلي، صوفي مشهور، أصله من بلاد خراسان، ولد ببغداد عام 247هـ، وبها توفي عام 334هـ، ودفن بمقبرة الخيزران، وقبره بها ظاهر مقصود للتبرك،، وله في التصوف أشعار ومقطعات جميلة، جمع بعضها الدكتور كامل مصطفى الشيبي تحت عنوان : ديوان أبي بكر الشبلي، انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 103 رقم الترجمة 204، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 180، وفي صفة الصفوة لابن الجوزي ج 2 ص 258، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 3 ص 289، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 341.

(33) سبق التعريف به في الجزء الأول من هذا المجموع، وعنوان تصنيفه المذكور كنز الراغبين في شرح منهاج العابدين.

الله عن أهل الإنصاف، وقد شهد أئمة الطريق وعلماء الإسلام للجنيد والغزالي وغيرهما بأنهم أولياء الله تعالى، فمن حط عليهم فكأنه يريد أن يحجب ضوء الشمس عن أهل الأرض، ليس بينهما سحاب، أو كمن يريد أن يزلزل الجبال بنفخة ناموسة.

وقد شهد الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه للإمام أبي حامد بأنه من رؤوس الصديقين، وناهيك بهذه الشهادة من هذا السيد، وقد كان الشيخ محي الدين ابن العربي رضي الله عنه مع كثرة تبحره في العلوم الظاهرة والباطنة يطالع كتاب الإحياء ويستفيد منه ويجيب عنه أجوبة حسنة، وكفى بذلك شرفا ومنقبة للإمام الغزالي رضي الله عنه، وقد بلغ رضي الله عنه في علوم الشريعة الحد الذي فاق به أقرانه حتى لقب بحجة الإسلام، وكتبه الآن مرجع مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه، وبها الفتوى، وقد رأى بعض العارفين رسول الله (ﷺ) وهو يباهي بالإمام الغزالي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقال للسيد عيسى هل في أمتك حبر مثله ؟ فقال لا.

وقد أنكر عليه بعض علماء المغرب وحرق كتابه الإحياء، فرأى ذلك العالم(34) رسول (ﷺ) في المنام وهو يعرض عنه، ثم أمر بتجريده من ثيابه وضرب بين يديه (ﷺ) بسياط، فاستيقظ فوجد أثر السياط على جوانبه، ولم يزل ذلك الأثر في جوانبه حتى مات، فتاب ذلك العالم وأمر بكتابة كتاب الإحياء بماء الذهب رضي الله تعالى عنه(35)، وكان الحسن البصري يقول : إذا بلغك عن شخص أنه أخطأ في مسألة فاجتمع به، فإن أنكرها فصدقه ولا يجوز لك نسبتها إليه بعد ذلك، وإن لم تجتمع به فاحمل كلامه على سبعين محملا، فإن لم تقنع بذلك نفسك فارجع عليها باللوم وقل لها : يحتمل كلام أخيك سبعين محملا ولا تحملينه على محمل واحد منها، فعلم أنه لا يجوز لنا الحكم على أحد من أقراننا بمجرد كلام نسمعه عنهم، بل نتربص ونتثبت ونجتمع بهم، أو نراسلهم وننظر جوابهم، فإما أن يعترف ذلك الشخص به وإما أن ينكره، فإن اعترف به تعرفنا وجه الصواب الذي أراده، فإن رضيه العلماء قلنا به، وإن لم يرضوه وأنكروه جملة نظرنا، فإن رجع عنه تغاضينا عنه لرجوعه إلى دينه، وإن صمم على الخطأ فهناك يجوز لنا إشاعة ذلك الكلام عنه شفقة منا عليه وعلى من تبعه، لا بغضا له وتشفيا على وجه العداوة النفسية، وهذا الأمر قل من يفعله الآن من الناس، فإن غالب الأقران قد عمهم الحسد وكثرة الضغائن فلا يكادون قط يتثبتون في كلام سمعوه عن أحد من أقرانهم وأهل عصرهم، وذلك خوفا أن يتبين ذلك الكلام كذبا عنه فلا يحصل لهم غرضهم من الأذى لذلك الشخص، فهذا سبب ترك تثبتهم، وقد صار أكثر ما يسمع الإنسان في هذا الزمان الكذب من قلة الورع عن الخوض في أعراض الناس.

---

(34) المراد به الفقيه العلامة أبو الحسن سيدي علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد ا بن حرزهم، أحد كبار علماء فاس، توفي في شهر شعبان عام 559هـ، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 162 رقم الترجمة 500، وفي النبوغ المغربي لعبد ا كنون ج 1 ص 90، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 262 رقم الترجمة 590، وفي نيل الإبتهاج للتنبكتي ص 198، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 3 ص 71-76، وفي جذوة الإقتباس لابن القاضي ص 464 رقم الترجمة 508.

(35) توسع في ذكر هذه الواقعة العلامة السبكي في كتابه : الطبقات الشافعية الكبرى عند ترجمة العارف با الفقيه حجة الإسلام سيدي أبي حامد الغزالي.

وقد كان سيدي عبد العزيز الديريني(36) رحمه الله إذا بلغه أن أحدا اغتابه يقول له : يا أخي مالك ولتحمل ذنوبي على ظهرك، يكفيك ما على ظهرك من أوزارك، قلت : وأقل ما في الوقيعة في أعراض الناس تحكمهم يوم القيامة في أعمال من وقع فيهم، فلو أراد الواحد منهم أن يقول لا يرضيني في تنقيصي إلا جميع أعماله الصالحة كان له ذلك، فمن رضي لنفسه أن يحكم مفلسا يوم القيام في أعماله فليس معه شيء من العقل، واعلم أنه قد يضع العالم في مؤلفه شيئا أو يقرره في تدريسه ثم يرجع عنه بعد ذلك أو في المجلس، فلا ينبغي لمتدين نسبته إليه حتى يراجعه فيه وينظر ما عنده في ذلك الوقت من العلم، وقد هلك في هذا الباب خلق كثير، فأشاعوا عن بعض المؤلفين أشياء رجعوا عنها، وحرفوا عليهم أشياء هم بريئون من اعتقادها والعمل بها، إلى آخر كلامه رضي الله عنه، وهو في غاية ما يكون من التحقيق، مع بيان وجه الحق بالنصح التام لمن يتطلب الوقوف على عين الصواب، ليشرب منها لذيذ الشراب، جازاه الله خيرا.

وقد نقلنا عنه في هذه الأجوبة وغيرها لموافقته لمشربنا بما منحه الله به من التعبير عما يختلج في الضمير، وهو إنشاء الله الحق الذي لا شك فيه، وبهذا يتضح لكل ذي قلب سليم أن المؤمن يتعين عليه ترك الإنكار على أهل الله، ويتثبت فيما ينسب إليهم من كل من لا يتحرى النقل عنهم، ممن سمع منهم مباشرة أو بوسائط، فإن آفة الأخبار رواتها، ويتأكد في حق المريد الصادق القطع بما أخبره به شيخه أو بلغه ذلك على لسان الثقة، مما لا تأباه الشريعة ولا يخل بمنصب قائله أو فاعله، وكل ما لا يقبله عقله ولم يمكن تأويله وثبت عن شيخه فليعرض عن الخوض فيه مع كل خائض، ولا يلتفت لكل معترض بهواه يعارض، ولا يضر المريد الصادق قطعه بصدق شيخه، لأنه هو المطلوب في حقه عند أول قدم يضعه في طريقه، ولهذا قال الشريشي(37) :

ولا تقدمن قبل اعتقادك أنه	مرب ولا أولى بها منه في العصر
فإن رقيب الإلتفات لغيره	يقول لمحبوب السراية لا تسري

وقد تقرر في الأصول أنه يتعين على المقلد لمذهب من المذاهب، بل يتعين في حق كل مكلف أن يعتقد أن مذاهب أهل الحق كلهم على هدى من ربهم وإن اختلفت آراؤهم، إلا ما كان من أهل الزيغ والأهواء الضالة، فهم في ضلالتهم يترددون، وفي ظلمات جهالتهم يهيمون، وإلى هذا أشار في إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة(38) ناظمها فقال :

---

(36) سيدي عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري المعروف بالديريني، صوفي مشهور، نسبته إلى ديرين في غربية مصر، وله مصنفات كثيرة في التفسير والفقه واللغة والتصوف منها : التيسير في علم التفسير، والدرر الملتقطة في المسائل المختلطة، وإرشاد الحيارى، وطهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب، وكانت وفاته رحمه ا بديرين عام 697هـ، وقبره بها ظاهر يزار، انظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي ج 5 ص 75، وفي الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 202 رقم الترجمة 293، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 11 ص 72، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 13.

(37) سبق التعريف به في هذا المجموع ج 1 ص 200.

(38) إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة لناظمها العلامة المؤرخ الأديب أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني ومطلع هذه المنظومة :

يقول أحمد الفقير المقري	المغربي المالكي الأشعري

ومالك وأهل الإجتهاد	كل إلى نهج الصواب هاد
كالشافعي وأبي حنيفة	وأحمد ذي الرتبة المنيفة
وكلهم على هدى من ربهم	وفرقة الجنيد دن بحبهم
فإنهم طريقهم مرضية	قويمة لأهلها مزية

ومعلوم أنه لا يقتدي الشخص بمذهب، إلا بعد قطعه بأنه على حق لا شك فيه عنده ولا ريب، وإلا كان في ديانته على خطر عظيم، فلذلك تعين على المريد القطع بما أخبره به شيخه الذي اقتدى به في سلوك طريق وصوله إلى ربه، ولا يقال بعد التحقق بما قلناه من القطع لا سبيل إليه، لأنه لا يكون إلا من إخبار المقطوع بعصمته، وليس هنا نص منه يوجب القطع بما يقوله الشيوخ أو يخبرون به، لأنا نقول يكفي في الجواب عن هذا ما بيناه، وقد نص من يقتدى بهم أن هناك قرائن توجب القطع والجزم بالشيء، مثل القطع بكون الأئمة الأربعة ونحوهم على هدى من ربهم.

وقد وقفت في الأزهار العاطرة الأنفاس(39) على تنبيه يناسب نقله في هذا المحل، فإنه قال بعد كلام في تحقيق ولاية أبي العلاء مولانا إدريس(40) مؤسس مدينة فاس رضي الله عنه ما نصه : إذا كانت ولايته رضي الله عنه قطعية وكانت مجمعا عليها من أهل الظاهر والباطن كان رضي الله عنه من المقطوع لهم بالجنة كالجيلاني ونحوه، وعليه فإذا حلف شخص بالطلاق أو غيره أنه من الأولياء أو أنه من أهل الجنة فلا حنث عليه، كما يفيده ما ذكره شراح المختصر عند قوله في الطلاق : أو فلان من أهل الجنة أو النار(41)، وينجز عليه الحنث إلا أن يكون من المقطوع لهم بالنار كأبي لهب، أو الجنة كالعشرة ونحوهم من كل من أخبر عليه السلام بطريق صحيح أنه من أهل الجنة كعبد الله بن سلام(42) فلا حنث عليه، ومثل ذلك من شهد الإجماع بحسن الثناء عليه كعمر بن عبد العزيز على ما أفتى به ابن القاسم(43) ورجحه ابن رشد.

---

(39) الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، للعلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني طبعت على الحجر بفاس سنة 1307هـ موافق 1889م.

(40) سبق التعريف به في هذا المجموع ج 1 ص 194.

(41) مختصر خليل بن إسحاق المالكي باب الطلاق ص 142.

(42) عبد ا بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، صحابي جليل، أسلم عند قدوم النبي (ﷺ) المدينة، وكان اسمه الحصين، فسماه رسول ا (ﷺ) : عبد ا ، وهو المراد بالآية الكريمة : "وشهد شاهد من بني إسرائيل"، وكذلك بقوله تعالى : "ومن عنده علم الكتاب"، توفي رحمه ا بالمدينة المنورة عام 43هـ، انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر رقم الترجمة 4725، وفي الإستيعاب لابن عبد البر ج 2 ص 382، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 90.

(43) أبو عبد ا عبد الرحمان بن القاسم العتقي المصري، أشهر تلامذة الإمام مالك وأثبتهم رواية عنه، ولد بمصر عام 132هـ، وبها توفي في شهر صفر عام 191هـ، أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 276، وفي حسن المحاضرة للسيوطي ج 1 ص 121، وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 323، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 58 رقم الترجمة 24، وفي الفكر السامي للحجوي ج 1 ص 516 رقم الترجمة 250.

قال العارف الفاسي وقس على عمر بن عبد العزيز سائر صالحي الأمة كالجيلاني والشاذلي والسبتي والغزالي والجزولي وابن مشيش وأبي يعزى ومن لا يحصى كثرة، فإن شهود النفع بهم يحصل القطع بخصوصيتهم وقربهم من ربهم، وسريان مادتهم ونورهم متيقن عند ذوي الأذواق والبصائر، ومن له أدنى مسكة من حياة حقيقية وشم وإدراك روحاني، وكذا سائر مشايخ كل زمان، وإنما ينتفع بالقطع بخصوصيتهم، وأما من كان على ظن أوشك فيهم فإنه لا ينتفع بهم، لأن مبنى النفع ومثاره على التصديق، وهو الأصل في الطريق، ومن حرم الأصل حرم الفرع، ولذا قيل : إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول، وفي قواعد الشيخ زروق : قد تفيد الدلائل من الظن ما يتنزل منزلة القطع وإن كان لا يجري على حكمه في جميع الوجوه، كالقطع بإيمان مسلم ظهرت منه أعمال الإسلام. وكولاية صالح دلت على مقامه أفعاله وأقواله وشواهد أحواله، كل ذلك في علمنا من غير جزم بعلم الله فيه، لا في حق من جاءنا عن الله مخصوص له كالعشرة المشهود لهم بالجنة، أنظر تمام كلام العارف أبي محمد سيدي عبد القادر الفاسي(44) رضي الله عنه في جواب له في نوازله.

ثم اعلم أن الشيخ رضي الله عنه لم يلزم في طريقه أحدا من أحبابه أن يقطعوا أو يجزموا بما أخبرهم به من فضل الورد وغير ذلك مما منحه الله من المقامات التي غبطه فيها أكابر الأقطاب، كما أنه لم يثبت عنه الأمر باتباعه في طريقه بما اختاره لنفسه في سلوكه في عبادة الله من المذاهب التي عمل عليها في سره وعلانيته، فإنه رضي الله عنه قد تمسك بالمذهب المالكي وعليه نشأ من قبل اشتغاله بالسلوك في طريق الصوفية، ولا زال متمسكا بحبل هذا المذهب ولم يخرج عن تقيده به إلا في بعض المسائل التي خالف الإمام مالكا فيها لأمور اقتضاها اجتهاده، عاملا فيها بما أمره به النبي (ﷺ) بالقال والحال، ومع ذلك فإنه لم يأمر أحدا ممن تلقوا عنه إذنه في ورد طريقته بالخروج عن المذهب الذي هم متقيدون به والتقيد بالمذهب الذي هو سالك في مسلكه، وغاية ما يشترطه على المريد ما أمره به النبي (ﷺ) في مرائيه يقظة لا مناما من كون طريقته المحمدية لا تلقن مع أي طريقة، بل لا يؤذن فيها لمن عنده ورد آخر ولم ينسلخ عنه، ليتمكن سر أورادها في سره، بالإقبال في وجهة واحدة لوجه واحد، مع القيام ببقية شروطها المقررة، ولم يشترط على أحد الإقتداء به في سائر أقواله وأفعاله وأحواله، وإن كان اللائق بالمريد الصادق هو متابعته في جميع ذلك متابعة الظل شاخصه، ولكنه لم يقع منه أمر بذلك، لأن مبنى طريقته على القيام بالمأمورات واجتناب المنهيات بقدر الإمكان، مع المحافظة على الأذكار المنوطة بها طبق ما تلقى الإذن فيه من الحضرة المحمدية عليها السلام، وما زاد على هذا فإنما هو فضل على فضل، والله ذو الفضل العظيم.

---

(44) أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، شيخ مشايخ العلم في وقته، انتهت إليه رياسة الفتوى بالمغرب، ولد في شهر رمضان عام 1007هـ، وتوفي بعد زوال يوم الأربعاء 8 شهر رمضان المعظم عام 1091هـ، ودفن بالزاوية المنسوبة إليه بحومة القلقليين من عدوة فاس القرويين، قال العلامة سيدي محمد بن جعفر الكتاني في سلوة الأنفاس في ترجمته : ولم يتصدر رضي ا عنه لتأليف كتاب مخصوص، ولا لشرح متن من المتون، وإنما كانت تصدر منه أجوبة عن مسائل كان يسأل عنها فيجيب، فيبدأ ويعيد، وهي موجودة الآن، جمعها بعض أصحابه فجاءت في مجلد، وهي من الفتاوي المعتمدة الخ ...

انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 314 رقم الترجمة 1226، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 334 رقم الترجمة 748، وفي النبوغ المغربي لعبد ا كنون ج 1 ص 283، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 763 رقم الترجمة 418، وفي عناية أولي المجد للسلطان مولانا سليمان ص 37-41، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 2 ص 444، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 309-314، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 41، وقد أفرده بالتأليف ابنه العلامة عبد الرحمان الفاسي تحت عنوان : تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر.

السؤال الثاني :

هل تمنع الشريعة المريد أن يقول مثلا : الشيخ رفع فلان إلى كذا وأعطاه كذا، أو منعه وخفضه إلى كذا، أو تصرف الشيخ في فلان المنكر بكذا وكذا وضربه وابتلاه بكذا وكذا ؟ وهل للمريد أن ينادي شيخه ويطلبه في أمور دينه ودنياه وآخرته، ويستنجد به ويستغيث ويطلب معونته في مآزق الشدة ؟ وإن كان كذلك فكيف نوفق بين هذا وحديث مولانا رسول الله (ﷺ) لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله أو كما قال ؟

الجواب :

هذا السؤال اشتمل على سؤالين بالجواب عن أحدهما يتضح الجواب عن الآخر، ويحتاج في تحقيق الجواب عنهما إلى تمهيد يتعين دائما استحضاره في مثل هذا الموضوع الذي أوجب انتقادات من علماء الظاهر على الصوفية وكل من نحا منحاهم فنقول :

يتعين على كل مسلم مؤمن بالله أن يجزم ويقطع أن لا فاعل إلا الله جل وعلا طبق العقيدة المقررة، وأنه لا شريك له في ملكه، يفعل ما يشاء لا يسأل عما يفعل، وأنه لا تصرف معه لأحد في إيجاد شيء أو إعدامه، لأنه سبحانه هو الفاعل المختار، وكل من ادعى تصرفا معه في خلقه لنفسه أو لغيره على سبيل الإشراك في شيء من إبرام أو نقض من بين سائر الموجودات فهو ضال مضل كافر بإجماع كل من قال لا إله إلا الله، وهذا كله معلوم من الدين بالضرورة، ثم بعد هذا نقول : إن تصرف العبد في ملك سيده بإذنه مما لا يتوقف أحد في جواز إطلاقه، مع التقييد بالإذن دفعا للبس على غير الموحد، وقد يسوغ بدونه في البساط الذي لا يخاف فيه فتنة السامع.

وقد اضطربت في هذا المحل أقوال العلماء، فمنهم من سد الباب خوفا من تضليل الخلق أو دفعا للوقوع في عرض المدعي للتصرف في الخلق لنفسه أو لغيره. ومنهم من فصل، ولكل مشارب، على اختلاف المذاهب، وكل على بينة من ربه، في بعده وقربه، يعامله الحق تعالى على قدر نيته في مناضلته عن الحق وحزبه، فإن الحق واضح عند أهله لا تلحقهم فيه شبهة ولا ريبة، وما بعد الحق إلا الضلال، فمن تحقق العقيدة السليمة الواجبة على الموحد للحق تعالى لا يضره التسليم لمن لم يبلغ مبلغهم وهم جل الصوفية المجيزين لمثل ما وقع السؤال عنه، خلافا لمن أنكر

عليهم في ذلك، وعاقبة الإنكار وخيمة، فقد كان سيدي علي ابن وفا(45) رضي الله عن شيخنا وعنه يقول : التسليم للقوم أسلم، وربما تنصر بعض المنكرين ومات على ذلك نسأل الله العافية، بنقل القطب الشعراني عنه في المنن، وقال في كتابه "البحر المورود في المواثيق والعهود" ما نصه : أخذ علينا العهود أن لا نمكن أحدا من إخواننا يبادر إلى الإنكار على من خالف نقل بعض العلماء إلا إن أحاط علما بجميع طرق الشريعة ولم يجد ذلك الحكم فيها، وهذا عزيز وجوده، كل ذلك سدا لباب الإنكار بغير علم، وقد روى الطبراني عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : إن شريعتي قد جاءت على ثلاثمائة وثلاثة عشر طريقة، ليس منها طريقة يلقي العبد بها ربه إلا دخل الجنة، ثم قال : فإن كنت يا أخي عارفا بجميع هذه الطرق ولم تجد حكم ما أنكرته فيها فلك إنكاره، وإلا فالتسليم أفضل، والله تعالى أعلم.

ولقد وجدنا في كتب الصوفية والمعتقدين فيهم وكفى بهم سندا جواز مثل ما وقع السؤال عنه، فلا محظور فيه عند الموحدين، ولا خوف عليهم في دينهم، وهم السواد الأعظم من الأمة إلا من عاند في الحق بعد وضوحه، ولزيادة الإيضاح تعين علي في هذا المقام أن أقول : إن الحق تعالى سوغ للعبد أن ينسب لنفسه على طريق الكسب ما فعله، وأن ينسب لغيره ذلك أيضا، مع أن الفاعل في الحقيقة هو الله تعالى.

فإذا ساغ لك أن تقول : زيد قتل عمرا، والأمير ولى فلانا وعزل فلانا وأعطى فلانا، ونحو ذلك مما لا تداخلك فيه ريبة في اعتقادك ساغ لك أن تقول : الشيخ قتل فلانا وسلب فلانا ونحوها، سواء كان الشيخ أو الولي حيا أو ميتا، لأن الأولياء يتصرفون بإذن الله بهمتهم وبحالهم، وللهمة والحال بالكسب فعل وانفعال مطلقا، لا سيما من صفت مرآتهم بطاعة مولاهم، فكانوا من المخلصين لديه، فاصطفاهم بين خلقه، فهم به في حضرات الأفعال المطلقة بالتصرف التام في قيامهم مقام مولاهم، لكونهم العبيد الأحرار الذين تحققوا بمقام العبودية، وأعطوا العبودة حقها في عبادة مولاهم، ورضي الله عن الشيخ ابن عربي حيث قال :

إذا صحت عبودة كل عبد	تصح له السيادة في الوجود
فيحكم مثل سيده وتبدو	عليه بذاك أعلام المزيد
ويخبرنا لسان الحال عنه	بأن الأمر فيه من الشهود
له تعنوا الوجوه إذا تبدى	كما تعنوا الملائك للسجود
فيسمو رفعة وينال عزا	فيدعى بالمراد وبالمريد

(45) علي بن محمد بن محمد بن وفا القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي، من خيرة أعلام الصوفية بمصر، ولد بالقاهرة في ليلة الأحد 11 محرم الحرام عام 761هـ، وبها توفي في شهر ذي الحجة عام 807هـ، وله رحمه ا مؤلفات نفيسة أغلبها في التصوف، منها : الباعث على الخلاص في أحوال الخواص، والوصايا، والعروش، والكوثر المترع في أحوال الأبحر الأربع، والمسامع الربانية، ومفاتيح الخزائن العلية، وديوان شعر، وموشحات.
انظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 22-65 رقم الترجمة 315، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 240 رقم الترجمة 860، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 142، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 6 ص 21، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 7.

وقال الحلاج(46) : بسم الله من العبد بمنزلة كن من الحق، وقال وهب بن الورد(47) وكان من الأبدال : لو قال بسم الله صادق على جبل لزال، وكلام القوم من هذا المعنى كثير، وهم أصدق الخلق مع الله حالا ومقالا بالوارثة عن المنوب عنهم من الأنبياء عليهم السلام في حضرة الولاية، فإن من الأنبياء عليهم السلام من أحيا الموتى، ومنهم من قال للشيء كن فكان، وذلك من مشرب الولاية الخاصة لا من مورد النبوة، فإن النبوة تقضي بالتشريع لا بالتصريف في الخلق، إلا إذا اقتضى ذلك داعي المعجزة فتظهر في محلها، كما تظهر الكرامة بدون تحدي فيها، وذلك في حق الأولياء غير مستنكر ولا مستبعد من صدوره عنهم بإذن الله تعالى، فكل ما صدر منهم أو يصدر إنما هو بإذن خاص لهم في فعله، وإن لم يصرحوا بالإذن فهو محمول على الإذن منه تعالى، ألا ترى إلى قصة سليمان عليه السلام مع الذي أوتي علما من الكتاب، وهو آصف ابن برخيا على المشهور من أقوال المفسرين فيه، فإنه أحضر عرش بلقيس بين يدي نبي الله سليمان في أقرب وقت، طبق ما قص الحق في كتابه العزيز من قوله : "قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك(48) ولم يقل بإذن الله اعتمادا على كون ذلك واضحا، وقد أحضره له من غير أن يتحرك من محله، ولم يستعن بمخلوق في نقله، بل كان ذلك بتصرف خاص أعطاه الحق له، كما يعطي مثله أو أكثر منه لأوليائه الخواص، فهم يتصرفون في الكون بمثل هذا التصرف وبأكثر منه بإذن الله.

وفي هذه القصة من إظهار كرامة الولي ما لا يسع المعترض إلا تسليمه، فهو الذي أتى بالعرش وأوجده في محل سليمان عليه السلام وأعدمه من محل ملك بلقيس، من غير أن يسافر آصف إليه، بل ولا تحرك من موضعه، وكان العرش بأرض سبأ وسليمان عليه السلام ببيت المقدس، وتقدر المسافة بين المحلين بنحو شهر. ولا يقال كيف تصرف آصف بإحضار العرش مع أن مقام سليمان عليه السلام أمكن عند الله في الولاية الخاصة، ومع ذلك لم يتصرف هو بنفسه في إحضاره، ولا يحتاج لمن يحضره له، لأنا نقول أن الأنبياء عليهم السلام واقفون في مقام التشريع على قدم الجد لا تتصرف همتهم لمعجزة، إلا إذا طلبت منهم فيأتون بها على وفق التحدي، على أن هناك قولا بأن الذي أتى بالعرش هو سليمان عليه السلام في قول بعض المفسرين، والفاعل في قوله : قال الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان لا غيره، وقيل غير ذلك.

---

(46) أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج، صوفي مشهور، من أهل بيضاء فارس، نشأ بواسط العراق، ثم انتقل إلى البصرة، وبعدها إلى بغداد، أخذ عن عدة شيوخ منهم : الجنيد، والنوري، وعمرو بن عثمان المكي، وغيرهم. له مؤلفات كثيرة منها : الظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية، وطاسين الأزل والجوهر الأكبر والشجرة النورانية، وعلم البقاء والفناء، وقرآن القرآن والفرقان، ومدح النبي والمثل الأعلى، والقيامة والقيامات، وكيف كان وكيف يكون، وهو هو، والكبريت الأحمر، والوجود الأول، والوجود الثاني، واليقين، والتوحيد، وغيرهم. وقد ترجم بعضها إلى لغات مختلفة. قتل رحمه ا تعالى ببغداد يوم الثلاثاء 24 ذي القعدة الحرام عام 309هـ، انظر ترجمته في البداية والنهاية لابن كثير ج 11 ص 132، وفي الطبقات الكبرى للشعراني ج 1 ص 107 رقم الترجمة 209، وفي طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي ص 307، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 2 ص 314، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 260.

(47) أبو أمية وهيب بن الورد بن أبي الورد المخزومي، من خاصة العباد، توفي بمكة عام 153هـ، وكان اسمه (عبد الوهاب) فصغر فقيل : وهيب، انظر ترجمته في حلية الأولياء لأبي نعيم ج 8 ص 140، وفي صفة الصفوة لابن الجوزي ج 2 ص 123، وفي طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمان السلمي ص 44، وفي مرآة الجنان لليافعي ج 1 ص 323، وفي الأعلام للزركلي ج 8 ص 126.

(48) سورة النمل، الآية 40.

وعلى كل حال فقد وقع إيجاد العرش في محل وإعدامه من محل، مع أن الإيجاد والإعدام إنما هو لله لا غيره، ولكن لما كان ذلك بإذن الله في الباطن لم يمتنع نسبة ذلك الإتيان لآصف أو لغيره، وهكذا كل من عنده علم من الكتاب، والمراد به الإسم الأعظم، وقيل المراد بالكتاب التوراة، ومعنى ذلك العلم به والعمل بمضمنه، فكان بسبب عمله بالتوراة من الأولياء المتصرفين، وقد ظفر آصف بسر الإذن في الإتيان به من سليمان عليه السلام، فاكتسب قوة التصرف بذلك الإذن المفروغ في قالب الطلب باستفهامه عمن يحضره له في أقرب وقت من الوقت الذي فيه قال عفريت من الجن : أنا آتيك به، ولم يحصل للعفريت الإذن مثل ما حصل للذي عنده علم من الكتاب، وقد فعل ذلك من غير توقف، ولا شك أنه كان مأذونا من قبل ذلك في التصرف، ولولا اعتياده للتصرف في الكون بما لديه من العلم ما قدر على ادعاء إتيانه به، وكان سليمان عليه السلام عالما بأنه يأتيه به طبق ما تمناه، فلذلك أعرض عن العفريت، وقال أريد أسرع من ذلك كما قاله المفسر الجلال وغيره.

ومثل هذه الكرامة تساقط الرطب الجني من الجذع الذي هزته مريم عليها السلام(49)، فقد وجد لها ذلك في الحين كرامة لها وتحققا بمعجزة من أمرها بهزه مع كون الجدع يابسا، ولتحققها وتصديقها بوجود ذلك طبق مقاله وإيجاده في الحين هزت الجدع امتثالا للأمر الصادر لها، مع ما تراه من يبسه، فاخضر في الحين وأثمر في يديها، وتساقط التمر عليها، ولم تشك في كون ذلك من جنس ما أكرمت به من وجود ولدها عليه السلام من غير أن يمسها أحد، فهي أول من آمن بعيسى ولدها عليه السلام، ولم تتردد في أمره لها، فكان ذلك وفق الأمر وطبق المظنون، ولم تكن مثل قوم موسى في التشديد على أنفسهم في استفهامه عليه السلام عن أوصاف البقرة التي أمروا بذبحها ليضرب الميت ببعضها لصير حيا فيخبرهم بقاتله الحقيقي، ولو امتثلوا أمره من أول وهلة لكانت كل بقرة يتم بها المطلوب لديهم في تحقق تلك المعجزة التي كان فيها إحياء ذلك الميت، مع أن الإحياء بيد الله لا بيد غيره، سواء كان بسبب أو بدون سبب، وقد كان الإحياء بمحضرهم بذلك من غير شك، وذلك واقع بإذن الله، وقد وقع من الأنبياء عليهم السلام مثل هذا كثيرا، وهو مما يدل على تصرفهم في المكونات.

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفا من البحر أو رشفا من الديم

(49) إشارة لقوله تعالى في حق مريم عليها السلام : "وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا". سورة مريم الآية 25.

فمنهم من أحيا الموتى فنسب له الإحياء، وغير ذلك من إبراء الأكمه والأبرص كما وقع ذلك من عيسى عليه السلام مرارا، وكخلقه عليه السلام من الطين كهيئة الطير فكان طائر بإذن الله، ولولا كون الخلق يصح من المخلوق ما تشوفت له نفس نبي الله إبراهيم عليه السلام، وقد أوجد ذلك فكان على وفق مراده، كما فعل ذلك عيسى عليه السلام بعده، وخلقه عليه السلام لم يكن عبثا، بل في طيه حكم باهرة وأسرار باهضة. قال الشيخ الأكبر الحاتمي فيما نقله عنه في الكبريت الأحمر في قوله تعالى : "أفرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض"(50)، اعلم أن خلق عيسى عليه السلام للطير إنما كان بإذن الله، فكان خلقه الطير عبادة يتقرب بها إلى الله، لأنه مأذون له في ذلك، فما أضاف تعالى الخلق إلا لإذن الله، وعيسى عليه السلام عبد، والعبد لا يكون إلها، الخ ...

وكذلك يقال فيما فعله إبراهيم عليه السلام، فخلقه للطائر بإذن الله، وفيه عبادة محضة للحق تعالى، فقد قيل في قوله تعالى : أو لم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي(51). بأن المراد اطمئنان قلبه بتسليم قومه له حين يشاهدون هذه المعجزة العظيمة التي أبرزها الحق على يده، وبذلك يتم إيمانهم الذي فيه له تمام الرغبة، وفي ضمن ذلك أسرار عالية المدارك ليس هذا محل الإفصاح عن بعضها.

والحاصل أن جميع المعجزات لا طاقة للمخلوق أن يوجدها بغير إذن الله، وقد نص جمهور أهل السنة على أن كل ما جاز كونه معجزة لنبي جاز كونه كرامة لولي، لا فرق بينهما إلا التحدي، وهنا كلام طويل الذيل بين الأصوليين، والتحقيق ما ذكرناه. ولا التفات لمن أنكر ذلك، وأنظر شراح الدجنة للمقري(52) لدا قولها :

ولا تصغ لمن أبى الكرامة   للأولياء واجتنب مرامه

وشراح قول الهمزية :

والكرامات منهم معجزات   نالها من نوالك الأولياء

---

(50) سورة فاطر، الآية 40.

(51) سورة البقرة، الآية 260.

(52) أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقري التلمساني، مؤرخ، فقيه، أديب، حافظ، من مواليد تلمسان، ثم انتقل إلى فاس، حيث استقر بها مدة طويلة قبل أن يتوجه للديار المشرقية، وكانت وفاته بمصر في شهر جمادى الثانية عام 1041هـ، ومؤلفاته كثيرة منها : نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، وروضة الأنس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من علماء مراكش وفاس، وإضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة، وعرف النشق في أخبار دمشق، وغيرهم.
انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 300 رقم الترجمة 1162، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 574 رقم الترجمة 331، وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 1 ص 302، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 328 رقم الترجمة 734، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 237.

وإذا ثبتت الكرامة للأولياء في فعلهم قيد حياتهم مثل هذا فلا معنى للتوقف في جواز ما وقع السؤال عنه إلا لمن لا يصدق بذلك أو عاند في الحق الواضح، ولا كلام لنا مع الجاحد، فإنه لا يقبل الحق ولو صار عنده من قبيل المحسوس، ولقد شاهد المصدقون بالكرامات من قديم الزمان، ولا زالت واضحة عند أهلها إلى زماننا هذا وإلى ما بعدهم بحول الله، مما لا شك فيه، بتحقق التصرف لأهل الله ظاهرا وباطنا، ولا يحصل المنكر على خير بإنكاره، وكثيرا ما أفضى الإنكار بصاحبه إلى الطرد عن حمى أهل الله، فكان عاقبة أمره خسرا.

وقد رأينا كثيرا ممن امتحنوا، وقل من نجا من التهلكة في دينه ودنياه، ولم يزده مكر الحق به إلا تجلدا في تحمله للمكاره وتعصبا لهواه، تبعا لما ساقته إليه المقادير، إلا ما كان ممن تحققت نسبتهم لبيت النبوة، فقد قادتهم السعادة لمحلها، فنالوا بالتوبة النصوح عن الطعن في أهل الله مالا يكيف من فتوحات ربانية، ومواهب عرفانية، صاروا بها في عين الرضى والقبول، عند الله وعند الرسول، وما ذلك إلا إكراما للبضعة المحمدية من البلاء المحيق بأهل الإنكار، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، نسأل الله العفو والعافية في الدارين.

ولا يقال أن التصرف في قيد الحياة ظاهر بخلاف تصرف الولي الميت، لأنا نقول : تصرف الولي قيد حياته إنما كان بصفاء مرآته وغلبة روحانيته على جثمانه، فهو يتصرف بالهمة والحال، لا بإعمال يده وبقية جوارحه في تحصيله على المطلوب. وقد رأيت حضور عرش بلقيس بمحل سليمان من غير استعمال يد في نقله إليه إلا مجرد التوجه، فكان إعدامه وإيجاده بالهمة والدعاء الخاص الذي تم به المطلوب بإذن الله تعالى، وإذا تحقق لديك أن الأمر في هذا الباب إنما هو على صفاء الروح وقوة الهمة والحال ثبت لديك أن الحق مع من يقول : تصرف الولي بعد موته أكثر منه في قيد الحياة، لتجرد الروح وأحقيتها بالتوجه، ولذلك قال ابن باديس في سينيته في ترجمته لبعض الأولياء :

ولا تسمعن من قاصر النفع فيهم ... على من يكن حيا فذاك من الطلس
فإن شهود النفع ينفي مقاله ... ولا سيما والقوم نصوا على العكس

والمدار الذي تدور عليه دائرة تصرف الأولياء قيد الحياة وبعدها هو دخولهم في كنف الحق الذي نظر إليهم بعين محبته الخصوصية، التي اقتضت أن ينتصر لهم في حضورهم وغيبتهم، حتى أنه جل علاه واعد بمحاربة من عاداهم، وقام مقامهم بما كفاهم به أمرهم في دنياهم وأخراهم، فقد روينا في الصحيح قول الله تعالى في الحديث القدسي : "من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشي أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه"(53).

(53) انظر صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم الحديث 6137.

قال العلامة الشبراخيتي(54) في شرحه للأربعين النووية عند التعرض للكلام على هذا الحديث، وطرق فيه احتمالات سبعة، والتحقيق أنه مجاز وكناية عن نصرة الله لعبده المتقرب إليه بما ذكروا تأييده وإعانته وتوليته في جميع أموره، حتى كأنه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات والجوارح التي يستعين بها، ولهذا جاء في رواية أخرى : فبي يسمع وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي، أي أنا الذي أقدرته على هذه الأفعال وخلقتها فيه، فأنا الفاعل لذلك لا أنه يخلق أفعال نفسه خلافا للمعتزلة، وزعم الإتحادية والحلولية أن الحديث على حقيقته وأن الحق عين العبد أو حال فيه، فهو ضلال مكفر إجماعا، ويرد حملهم قوله في بقية الحديث : ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعيذنه(55) الخ ...

وعلى كل حال فإن هذا الحديث الصحيح مصرح بإجابة الحق لعبده المحبوب في كل ما طلبه من المطالب الدنيوية والأخروية لنفسه ولغيره، وذلك كله يحسب من أفعاله، والفاعل الحقيقي هو الله تعالى، وقد ورد في بعض الآثار : من قتل بدعائه فكأنما قتل بسيفه، فيعد القتل من فعله مع أنه من فعل الحق تعالى، ولذلك أدب الحق جل ذكره من افتخر من ساداتنا أهل بدر بعد الوقعة بقتلهم لعداهم فقال تعالى : "فلم تقتلوهم، ولكن الله قتلهم"(56)، فكان هذا على حد قوله تعالى : "لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان"(57). مع أنهم قد باشروا القتل بأنفسهم فكان من فعلهم، ولكن القاتل في الحقيقة هو الله، والحكمة في قوله تعالى في خطاب النبي (ﷺ) : "وما رميت إذا رميت ولكن الله رمى"(58). هي إظهار المعجزة الصادرة منه وتقريرها لتذكر من جملة معجزاته التي أمر بالتحدث بها، وإلا فهو (ﷺ) الذي رمى، والرمي من فعله، وإن كان الرامي في الحقيقة هو الله تعالى، وقد يشتبه الأمر في الفعل على الشخص فينسب الفعل لنفسه استقلالا، إما لجهل أو لتعنت في الكفر، كما وقع للنمرود في قصته مع سيدنا إبراهيم عليه السلام ومحاججته له،

---

(54) برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن مرعي بن عطية الشبرخيتي، من أفاضل المالكية بمصر، أخذ عن الشيخ الأجهوري وهو عمدته، وأخذ كذلك عن الشيخ يوسف الفيشي، والعلامة سيدي محمد البابلي، وغيرهم، وله مؤلفات نفيسة منها شرح على مختصر خليل في أربع مجلدات، والفتوحات الوهبية بشرح الأربعين حديثا النووية، وشرح على العشماوية، وشرح على ألفية السيرة للعراقي، وغيرهم. توفي رحمه ا غريقا في النيل وهو متوجه إلى رشيد عام 1106هـ، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية ص 317 رقم الترجمة 1236، وفي معجم المطبوعات لإليان سركيس 1096، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 73.

(55) للشيخ أبي العباس التجاني رضي ا تعالى عنه شرح مفيد على نص هذا الحديث، أنظره في جواهر المعاني للعارف با سيدي الحاج علي حرازم ج 2 ص 12-33.

(56) سورة الأنفال، الآية 17.

(57) سورة الحجرات، الآية 17.

(58) سورة الأنفال، الآية 17.

وقد حكى الله في كتابه العزيز عنه ذلك فقال جل من قائل : "ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت، قال فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر"(59). فكان هذا من سيدنا إبراهيم عليه السلام فيه إقحام لهذا المتعنت الكافر كما أخبر عنه بقوله : فبهت الذي كفر.

ولقد حبس الله ألسنة الأمم عن طلب مثل هذا من الأنبياء عليهم السلام ليروها من معجزاتهم، ومع ذلك فقد رد الله الشمس لنبي الله يوشع إجابة لدعائه. كما ردها في حق سيدنا علي كرم الله وجهه كرامة في حقه ومعجزة في حق الرسول عليه السلام, وفي ذلك يقول صاحب المقصورة(60) :

والشمس ما ردت لغير يوشع		لما غزا ولعلي مذ غفا

والراد لها بعد الغروب، والحابس لها عن الغروب، هو الله تعالى، وهكذا سائر التصرفات، فالمتصرف في الحقيقة هو الله تعالى. ولكنه سبحانه سوغ نسبة ذلك لعبده ليقوم بأعباء العبودية، وإن كان هو المقيم والقائم على كل نفس بما كسبت، وبمقتضى الكسب الموهوب للعبد عومل بالثواب في الخير وبالعتاب والعقاب في الشر. وهو مذهب أهل السنة خلافا لأصحاب الأهواء الذين من جملتهم الجبرية، وقد قال قائلهم :

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له		إياك إياك أن تبتل بالماء

فإنهم يستدلون على الحق بأنه هو الفاعل الحقيقي، وإنما هم مجبورون على الفعل والترك، وينحو منحاهم في ترك العمل اعتمادا على السابقة المرجئة، وهي طائفة تلاطمت عليها أمواج الضلال في سفينة ظلام الهوى، لعدم اكتراثهم بالذنوب، حتى قال قائلهم :

مت مسلما ومن الذنوب فلا تخف		حاشا المهيمن أن يرى تنكيدا
لو رام أن يصليك نار جهنم		ما كان ألهم قلبك التوحيدا

وقد نطق القلم في هذا المقام في رد هذا المقال فقال :

كن مسلما واحذر ذنوبك دائما		إن الذنوب تلطخ التوحيدا
واحذر من النفس التي بغرورها		تجني عليك وتبتغي التأييد

---

(59) سورة البقرة، الآية 258.

(60) هو العلامة الأديب محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، وقد سبق التعريف به في ج 1 ص 108 من هذا المجموع.

ثم إن الحق سبحانه بعميم فضله، وكمال عدله، نسب لخلقه أعمالهم ليكونوا متصرفين بمقتضى السابقة فيها، وكل يعمل على شاكلته، وفي ذلك بلاء أحسن لهم، وفيه يقول : "إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا"(61). فهو سبحانه الفاعل الحقيقي، ولكن تفضل بنسبة ذلك لعبده. وفي الحكم العطائية : إذا أراد أن يظهر فضله عليك، خلق ونسب إليك. وفي بعض الأحاديث القدسية يقول الحق سبحانه : "أنا الله لا إله إلا أنا خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما أهلا، فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه، وويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه". فالخالق للخير والشر في الحقيقة هو الله جل علاه كما قال وهو أحكم الحاكمين : "قل كل من عند الله"(62). ولكن مقتضى الأدب أن ينسب العبد الحسن لمولاه والسيء لنفسه، وقد علمنا ذلك بقوله : "ما أصابك من حسنة فمن الله، وما أصابك من سيئة فمن نفسك"(63). ولا شك أن كل ما أصيب به الشخص فهو على وفق القضاء والقدر بمقتضى قوله عليه السلام : جف القلم بما أنت لاق.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك، وفي رواية أخرى : واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قدره الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف(64). ولا ينافي هذا قوله تعالى : "يمحو الله ما يشاء ويثبت"(65). لأن المحو والإثبات مما جفت به الصحف أيضا.

وهذا المقام يستدعي بسط الكلام فيه ليندفع ما يرد على الشخص من الإيرادات، ولكن فيما قدمناه كفاية، غير أنه بقي علينا أن نقول : يتعين على المريد أن يتحرى الصدق فيما يخبر به من قوله مثلا : الشيخ رفع فلانا إلى مقام كذا وأعطاه كذا، لأن ذلك شهادة منه، فإن صادفت الواقع كان صادقا، وإلا فهو كاذب فيما أخبر به، لا يجوز له عند الله ولا عند العباد أن يشهد أو يخبر بما ليس له به يقين علم بمشاهدة أو سماع مستفيض أو أخبار صحيحة، فإذا لم يكن لديه بذلك اطلاع تام وشاهد ذلك بقرائن الأحوال فله أن يقول : لعل الشيخ أو الولي سيدي فلان تصرف في فلان بكذا وكذا، اعتمادا على تلك القرائن، مع سلامة الإعتقاد بكون الفاعل هو الله، وإلا كان على خطر في دينه.

وقد تساهل العوام في هذا الإطلاق من غير تحقق بكون ذلك الواقع بالشخص هو من تصرف الشيخ أو الولي الفلاني، وذلك منهم إخبار بما يحتمل الكذب، أو هو نفس الكذب على الشيخ الذي نسب له ذلك مع الشهادة بالباطل، فيكون من جملة من أخبر عنهم الحق بقوله : "ستكتب شهادتهم ويسألون"(66).

---

(61) سورة الكهف، الآية 7.
(62) سورة النساء، الآية 78.
(63) سورة النساء، الآية 79.
(64) رواه الإمام الترمذي عن عبد ا بن عباس، وقال حديث حسن صحيح.
(65) سورة الرعد، الآية 39.
(66) سورة الزخرف، الآية 19.

ولهذا ونحوه يتعين على المريد الصادق أن يجتنب مثل هذا الأمر، فلا يخبر إلا بما علمه وتحققه. وقد قال عليه الصلاة والسلام: عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا(67)، وهو حديث في الصحيح مروي عن أبي مسعود عن النبي (ﷺ)، وأما مناداة الشيخ أو الولي مطلقا، والإستغاثة به وطلب معونته، ونحو ذلك مما يماثل ما اشتمل عليه السؤال، فقد تشعبت فيه أقوال العلماء وآراؤهم، وانتصر بعضهم لبعض فيما يقول أنه الحق على اختلاف المذاهب، وكبر ذلك في عين ابن تيمية(68) ومن نحا نحوه، وأغلظ بعضهم في الطعن في نحر فاعل ذلك، مع أن الخطب سهل إن سلمت عقيدة قائل ذلك وسامعه منه، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتعلقون بالرسول (ﷺ) ويستغيثون به وينادونه ويستسقون به، وأنشد في الصحيح فيه (ﷺ):

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقال سواد بن قارب الصحابي(69) مخاطبا له:

فكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة ... بمغن فتيلا عن سواد ابن قارب

ومثل هذا كثير، وقد استسقى الصحابة بعده بعمه سيدنا العباس(70) رضي الله عنه، ولا زال عمل الناس مع سلامة العقيدة على جوازه خلافا لمن منع ذلك مطلقا، حتى بالغ المتمسكون بالظاهر في تكفير فاعل ذلك، مع أن تكفير المسلم ليس بالأمر الهين عند الله وعند خلقه، والتحقيق

---

(67) انظر صحيح الإمام البخاري، كتاب الأدب، باب قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا ا وكونوا مع الصادقين، رقم الحديث 5743، وفي صحيح الإمام مسلم رقم الحديث 2607.

(68) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي، المعروف بتقي الدين ابن تيمية، له مؤلفات كثيرة، قيل أنها تبلغ ثلاث مائة مجلد، توفي في معتقله بقلعة دمشق عام 728هـ، انظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 1 ص 144، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 14 ص 135، وفي النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 9 ص 271، وفي فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ج 1 ص 35-45، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 144، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 433 رقم الترجمة 950، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 274 رقم الترجمة 112.

(69) سواد بن قارب الأزدي الدوسي، صحابي جليل، توفي بالبصرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي ا عنه عام 15هـ، انظر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني رقم الترجمة 3576، وفي الروض الأنف للسهيلي ج 1 ص 139، وفي عيون الأثر لليعمري ج 1 ص 72، وفي بلوغ الأرب للآلوسي ج 3 ص 299.

(70) انظر صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر العباس بن عبد المطلب رضي ا عنه رقم الحديث 3507.

ما لخصه العلامة ابن جعفر الكتاني في كتابه سلوة الأنفاس، بعد كلام قال : وفي المدخل(71) ما نصه : فإن كان الميت المزور ممن ترجى بركته فيتوسل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل به إلى النبي (ﷺ)، يعني ولا يعكس، إلى أن قال : ويجأر إلى الله تعالى بالدعاء عندهم ويكثر التوسل بهم، لأنه سبحانه اجتباهم وشرفهم وكرمهم، فكما نفع بهم في الدنيا ففي الآخرة أكثر، فمن أراد حاجة فليذهب إليهم ويتوسل بهم، فإنهم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه، وقد تقرر في الشرع وعلم ما لله تعالى من الإعتناء بهم وذلك كثير مشهور(72)، ثم قال : وفي الإبريز أن من جملة الأسباب الموجبة للإنقطاع عن الله عز وجل الطارئة على هذه الأمة من غير شعور لأكثرهم بها التوسل إلى الصالحين بالله عز وجل ليقضوا الحاجة، فيقول الزائر قدمت لك وجه الله يا سيدي فلان إلا ما قضيت لي حاجتي، قال : وإنما كان سببا للإنقطاع لأن الزائر قلب الواجب وعكس القضية، فإنه كان من حقه أن يتوسل لله عز وجل بأوليائه لا أن يعكس(73).

ثم قال في السلوة المنقول عنها، قلت : وسبب هذا الجهل العظيم الصادر منهم أنهم يعتقدون في الأولياء أنهم يضرون وينفعون. ويعزون ويذلون، ويعطون ويمنعون، ويولون ويعزلون، إلى غير ذلك مما هو مختص بالباري تبارك وتعالى، ولذلك تجد أحدهم يأتي إلى ضريح الولي ويقول له : يا سيدي فلان أسألك بالله إلا ما شفيتني، أو إلا ما رفعت عني هذا الضرر، أو إلا ما أعطيتني كذا، أو إلا ما سهلت علي كذا، إلى غير ذلك من سؤالاتهم الفظيعة، وأحوالهم الذميمة الشنيعة، التي يوهمون بها وجود شريك مع الباري سبحانه، وقائل ذلك ونحوه إن اعتقد أن الولي هو الذي يؤثر في قضاء حاجته ويوجدها بقدرته على حسب إرادته كما يوجدها الباري سبحانه كفر وكان مرتدا، لأنه أشرك مع الله غيره، وإن اعتقد أنه يؤثر فيها بما جعله الله فيه من القوة والسر كان مبتدعا وفي كفره خلاف، وإن اعتقد نفي التأثير عنه رأسا وكان يرى أن الفاعل المختار في جميع الأشياء هو الله سبحانه لا غيره من جميع المخلوقات، ولكنه يرى أن هذا الولي العظيم بمكانته عند مولاه ورفيع منزلته لديه رزقه الله التصرف في مملكته، فهو يولي فيها ويعزل ويعطي ويمنع، ويضر وينفع، بإذن منه سبحانه على حسب ما جرى به علمه تعالى وتعلقت به إرادته في سابق أزليته، بحيث لا يولي إلا من أراد الله توليته، ولا يعزل إلا من أراد عزله،

---

(71) كتاب مدخل الشرع الشريف، طبع في ثلاثة أجزاء، من تأليف العلامة الشهير سيدي محمد بن محمد بن محمد بن الحاج العبدري المالكي الفاسي، فقيه، محدث، صوفي، توفي عام 737هـ، من مؤلفاته الأخرى : شموس الأنوار وكنوز الأسرار، وبلوغ القصد والمنى في خواص أسماء ا الحسنى، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 218 رقم الترجمة 769، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 281 رقم الترجمة 629، وفي الديباج المذهب لابن فرحون ص 327، وفي الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 237، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 35.

(72) انظر المدخل للعلامة سيدي محمد بن الحاج ج 1 ص 255.

(73) انظر الذهب الإبريز لسيدي أحمد بن المبارك ص 294.

وهكذا كان مصيبا في اعتقاده المذكور، موافقا فيه لاعتقاد أهل السنة والجماعة(74)، إلا أنه مخطئ من جهة إسناده الفعل ظاهرا إلى من ليس له على الحقيقة، مع أن المقام لا يصلح لذلك لما فيه من شدة إيهام التأثير لغيره، سيما إن وقع ذلك بحضرة الجهال ومن لا علم عندهم بالعقائد، ووقع من شخص مقتدى به ولو في الجملة، فإنه ربما يوقعهم بكلامه في اعتقاد الكفر من حيث لا يشعر ولا يشعرون. فاجتنب ذلك هداك الله ووفقك، ولا تنسب الأشياء إلا إلى خالقها وبارئها، ولا تسألها إلا منه سبحانه، نعم التوسل إليه سبحانه بأوليائه لا بأس به كما سبق، بل هو مطلوب محبوب، لكونهم أبواب الله تعالى وحجاب حضراته، فلا يخرج منها خير لأحد إلا من جهتهم وعلى أيديهم إلى آخر كلامه(75).

وهذا كله في حق من توسل للأدنى بالأعلى ليقضي حوائجه، فإن الإيهام واضح، كمن توسل للولي بالله في إعطائه ما يسأله منه، فإن حكمه من هذه الجهة بمحضر الجهال لا يتوقف في منعه أحد، وإلا فحكم طالب الشيء من الولي بل من مطلق الناس في قيد الحياة سائغ، ما لم يكن ذلك بالتوسل إليه بمن هو أعلى منه قدرا، فيقال للأمير مثلا : أداخل عليك بوجه الله وبوجه رسول الله، فإن السؤال بمثل هذا فيه محذور، وهو عند من يعتد بكلامهم محظور.

وقد علمت أنه لا فرق بين طلب الميت وطلب الحي، مع أن الميت له لطيفة روحانية قوية في التصرف بإذن الله في العوالم العلوية والسفلية على حسب مكانته عند الحق تعالى، ولا معنى لمنع تصرف الروح مع شهود المنفعة التامة الحاصلة لمن تعلقت همته بها في استحضارها لقضاء حوائجه، وقد ضربت أعناق علماء المادة المانعين لبقاء الروح بعد موت صاحبها بسوط فن التنويم المغناطيسي، وعلم استحضار الأرواح الذي شاع وذاع في نواحي المعمورة حتى صار من قبيل المحسوس لا يشك فيه عاقل. وليت شعري هل همم مستحضريها أقوى من المعتقد في الأولياء، أو الأرواح الحاضرة أقوى من أرواح الأولياء في تلك التصرفات، وإن كان عندي ملحظ في تلك الروح الحاضرة بقوة همة المنوم من حيثية كونها ليست روح إنسان، وإنما هي نفس جني من المردة الذين دأبهم التضليل، فإنه يحضر عندما تتوجه همة ذلك المنوم الذي اكتسبت همته سيطرة روحانية على عالم الخيال في إظهاره للعيان، وذلك من أنواع السحر التي منها الشعبذة السيماوية، التي يستعان فيها بالأرواح العلوية

---

(74) قال العلامة السيد علوي المالكي المكي في كتابه : مفاهيم يجب أن تصحح، عند تطرقه فيه لهذا الموضوع : الواسطة لا بد منها، وهي ليست شركا، وليس كل من اتخذ بينه وبين ا واسطة يعتبر مشركا، وإلا لكان البشر كلهم مشركين با ، لأن أمورهم جميعا تنبني على الواسطة، فالنبي (ﷺ) الواسطة العظمى للصحابة رضي ا تعالى عنهم، فقد كانوا يفزعون إليه في الشدائد، فيشكون إليه حالهم، ويتوسلون به إلى ا ويطلبون منه الدعاء، فما كان يقول لهم أشركتم وكفرتم، فإنه لا يجوز الشكوى إلي ولا الطلب مني، بل عليكم أن تذهبوا وتدعوا وتسألوا بأنفسكم فإن ا أقرب إليكم مني، لا بل يقف ويسأل، مع أنهم يعلمون كل العلم أن المعطي حقيقة هو ا ، وأن المانع والباسط والرزاق هو ا ، وأنه (ﷺ) يعطي بإذن ا وفضله، وهو الذي يقول : إنما أنا قاسم وا معطي، وبذلك يظهر أنه يجوز وصف أي بشر عادي بأنه فرج الكربة، وقضى الحاجة، أي كان واسطة فيها.
ثم قال بعد كلام : ألم يقل النبي (ﷺ) كما جاء في الصحيح (من فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا)þ فالمؤمن مفرج الكربات، ألم يقل (ﷺ) (من قضى لأخيه حاجة كنت واقفا عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له) þ فالمؤمن قاضي للحاجات، ألم يقل في الصحيح (من ستر مسلما) الحديث þ ألم يقل (ﷺ) (إن عز وجل خلقا يفزع إليهم في الحوائج) þ ألم يقل في الصحيح (وا في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه) þ ألم يقل في الحديث (من أغاث ملهوفا كتب ا له ثلاثا وتسعين حسنة) þ رواه أبو يعلى والبزار والبيهقي، فالمؤمن هنا فرج وأعان وأغاث وقضى وستر وفزع إليه، مع أن المفرج والقاضي والستار والمعين حقيقة هو ا عز وجل، لكنه لما كان واسطته في ذلك صحت نسبة الفعل إليه.

(75) انظر سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج ص 52-54.

والسفلية، وعلى كل حال فقد أثبتوا للأرواح تصرفات خارقة للعادات. وقد بسطت القول في هذا المعنى في تويلف سميناه : طرب الحي، بكون الأخذ عن الميت أفضل من الأخذ عن الحي(76).

وبعد كتبي لهذه الكلمات عثرت على كلام نفيس للعلامة الحجة الشيخ محمد بخيت المطيعي(77)، في مقدمته لشفاء السقام المسماة : تطهير الفؤاد من دنس الإعتقاد، حبب إلي نقله هنا لما اشتمل عليه من التحقيق، فقال شكر الله سعيه بعد كلام ما نصه : وقد تقرر عقلا ونقلا أن توقف الممكنات بعضها على بعض لنقص في الممكنات لا لعجز في الفاعل جل شأنه، وهذا مما كاد أن يكون بديهيا، وكما جاز أن يتوسط حي في قضاء مصلحة حي، والفعل لله وحده، يجوز أن تتوسط روح ميت في قضاء مصلحة حي أو ميت، والفعل لله وحده، والأرواح باقية على الحياة، وأفعالها في عالم الملك إنما تظهر بواسطة البدن ما دام حيا بالحياة الحيوانية، فإذا مات وفقد الحياة الحيوانية بقيت نفسه وروحه على حياتها الملكوتية، وتعلقت بجسمه تعلقا آخر على وجه آخر يعلمه الله تعالى، كما دل عليه القبر وعذابه، فإذا كان الفعل في الواقع ونفس الأمر إنما هو للنفس والروح، والجسم آلة يظهر به الفعل، والروح باقية خالدة، ففعلها باق، وتصرفها في أفعالها لا يتغير إلا بعدم ظهور الأفعال بواسطة البدن، فلا مانع عقلا أن يكون بعض أرواح الأولياء والصالحين بعد موت الأجساد سببا بدعائها وتوجهها إلى الله تعالى في قضاء حوائج بعض الزائرين لهم المتوسلين بهم بدون أن يكون لها مدخل في التأثير.

---

(76) طرب الحي، بكون الأخذ عن الميت أفضل من الأخذ عن الحي، من أهم مصنفات العلامة سكيرج رضي ا عنه، ألفه في الرد على من زعم أن التربية والسلوك ينحصران في الأخذ عن الشيخ الحي، وكان من جملة القائلين بذلك العلامة الحافظ عبد الحي الكتاني، ومما يتأسف له أن هذا التأليف واحد من عشرة تآليف مهمة ضاعت في حياة مؤلفها العلامة سكيرج، وقد صرح رضي ا عنه بأسماء عناوينها في آخر كتابه : الإغتباط في الجواب عن الأسئلة الواردة من الأغواط، وهو من جملة تصانيفه المنضوية داخل هذا المجموع، انظر ج 1 ص 116.

(77) محمد بخيت بن حسين المطيعي الحنفي، مفتي الديار المصرية، ولد في بلدة (المطيعة) من أعمال أسيوط، عام 1271هـ، فدرس بجامعة الأزهر، ثم عين مدرسا بها، وفي سنة 1333هـ عين مفتيا للديار المصرية على مدا ست سنوات، من تآليفه : إرشاد الأمة إلى أحكام أهل الذمة، وأحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدع من الأحكام، والقول المفيد في علم التوحيد، والبدر الساطع على جمع الجوامع، ورفع الإغلاق عن مشروع الزواج والطلاق، وغيرهم، وتوفي رحمه ا بالقاهرة عام 1354هـ، انظر ترجمته في الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 234 رقم الترجمة 550، وفي معجم المطبوعات لسركيس 538، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 50، وفي صفوة العصر لزكي فهمي ج 1 ص 501، وفي مرآة العصر لزخوره ج 2 ص 467.

وأي فرق بين التوسط بالأحياء في قضاء الحوائج مع اعتقاد أن لا فاعل إلا الله وبين توسط أرواح الأموات مع اعتقاد ذلك، والقول بأن ملوك الدنيا إنما يحتاجون إلى الوسائط لجواز الغفلة عليهم عن حوائج الخلق بخلاف العليم الخبير سفسطة ظاهرة وتمويه على العقول، فإن الملك ووسائطه واسطة في قضاء حوائج الطالب من الله تعالى، إذ لا فاعل سواه، فلو كان اتخاذ الواسطة شركا بعد اعتقاد أن المؤثر هو الله وحده لكان معاونة بعضنا لبعض في قضاء المصالح شركا، وهذا باطل بالضرورة لما يترتب عليه من بطلان الشرائع وفساد العالم وعدم نسبة الأفعال الإختيارية إلى فاعليها، فتبطل الحدود والزواجر، ويختل النظام، فعليك بالإنصاف إهـ... المقصود منه وكله نفيس.

وقال شهاب الدين الحموي في كتاب : نفحات القرب والإتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الإنتقال ما نصه، في نسق كلام نقله عن الإمام التاج السبكي(78) : ثم إن تصرف الأولياء في حياتهم وبعد مماتهم إنما هو بإذن الله تعالى وإرادته لا شريك له في ذلك خلقا وإيجادا، أكرمهم الله تعالى به وأجراه على أيديهم وألسنتهم خرقا للعادة، تارة بإلهام وتارة بمنام، وتارة بدعائهم وتارة بفعلهم واختيارهم، وتارة بغير اختيار ولا قصد ولا شعور منهم، بل قد يحصل من الصبي المميز، وتارة بالتوسل إلى الله بهم في حياتهم وبعد مماتهم مما هو محكي في القدرة الإلهية، ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك قبل الموت وبعده نسبتهم إلى الخلق والإيجاد والإستقلال بالأفعال، فإن هذا لا يقصده مسلم، ولا يخطر ببال أحد من العوام فضلا عن غيرهم، فصرف الكلام فيه ومنعه من باب التلبيس في الدين، والتشويش على عوام الموحدين، فلا يظن بمسلم بل ولا بعاقل توهم ذلك فضلا عن اعتقاده، وكيف يحكم بالكفر على من اعتقد ثبوت التصرف لهم في حياتهم وبعد مماتهم، حيث كان مرجع ذلك إلى قدرة الله تعالى خلقا وإيجادا، كيف وكتب جمهور المسلمين طافحة به، وأنه جائز وواقع لا مرية فيه بوجه البتة(79)، حتى كاد أن يلحق بالضروريات بل بالبديهيات، وذلك لأن كرامة جميع أولياء هذه الأمة في حياتهم وبعد مماتهم تصرفا أو غيره من جملة معجزات النبي (ﷺ) الدالة على صدق نبوته وعموم رسالته الباقية بعد موته، التي لا ينقطع دوامها ولا تجددها بتجدد الكرامات في كل عصر من الأعصار إلى يوم القيامة، ثم المنكر للكرامات بعد الموت، والتصرف حال الحياة وبعد الموت، إما أن يصدق بكرامة الأولياء أو يكذب، فإن كان ممن يكذب بها فقد سقط البحث معه، فإنه يكذب ما أثبتته السنة بالدلائل الواضحة، وإن كان ممن يصدق بها فالكرامة بعد الموت والتصرف في حال الحياة وبعد الممات من جملة الكرامات، إلى آخر كلامه النفيس، فليطالعه من أراد تحصيل الحق الذي لا يقف في وجهه باطل.

---

(78) سبق التعريف به في ج 1 ص 227 من هذا المجموع.

(79) ذكر العلامة السيد علوي المالكي المكي في كتابه : مفاهيم يجب أن تصحح، في معرض كلامه على جواز التوسل بالأموات من الأنبياء والأولياء والصالحين، ما نصه بعد كلام : ومما يدل على جواز التوسل بالأموات توسل النبي (ﷺ) بحقه وحق الأنبياء والصالحين، جاء في مناقب فاطمة بنت أسد أم الإمام علي بن أبي طالب كرم ا وجهه، أنها لما ماتت حفر رسول ا (ﷺ) لحدها بيده، وأخرج ترابه بيده، فلما فرغ دخل رسول (ﷺ) فاضطجع فيه، فقال : ا الذي يحيي ويميت : وهو حي لا يموت، اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي، فإنك أرحم الراحمين، وكبر عليها أربعا، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي ا عنهم، رواه الطبراني في الكبير والأوسط، ونلاحظ هنا أيضا أن الأنبياء الذين توسل (ﷺ) بحقهم على ا في هذا الحديث وغيره قد ماتوا، فثبت جواز التوسل إلى ا بالحق وبأهل الحق أحياء وأمواتا.

فتحصل مما بسطناه ثبوت كرامة الأولياء الذين من جملتهم الشيخ رضي الله عنه، وصحة تصرفهم في الكون بإذن الله، وأن نسبة تصرفهم برفع فلان مثلا إلى مقام كذا وإعطائه كذا أو منعه أو نحو ذلك مما ذكر في السؤال لا تمنعه الشريعة، وأن منع ذلك لا يكون إلا بسبب عارض بنحو التوسل للأدنى بالأعلى، وأما التوسل للأعلى بالأسفل كالتوسل لله بالولي فلا بأس به، كما تجوز الإستغاثة بالأولياء ومناداتهم في المآزق والتعلق بهم في تفريج الضيق، وليس في ذلك محظور أو محذور، وكل ما ورد مما يدل على المنع فهو لعارض عرض وقع الحكم لأجله، وربما تتطرق فيه احتمالات بالنظر إليها ليندفع المنع(80)، كالحديث الذي طلبتم كيفية التوفيق بينه وبين جواز مناداة الشيخ والإستغاثة به من قوله (ﷺ) : لا يستغاث بي الخ ... وقد رواه الطبراني، وفي سنده رجل متكلم فيه.

قال الإمام التاج السبكي في شفاء السقام : روينا في المعجم الكبير للطبراني حديثا ظاهره قد يقدح في هذا، يعني جواز الإستغاثة بالنبي (ﷺ)، قال الطبراني : حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة المصري، حدثنا سعيد بن عفير، حدثنا بن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح، عن عبادة قال : قال أبو بكر رضي الله عنه : قوموا نستغيث برسول (ﷺ) من هذا المنافق،

---

(80) قال الأستاذ عبد الغني حمادة في كتابه : فضل الذاكرين والرد على المنكرين : قال المبتدعون لا يجوز سؤال التوسل والإستغاثة والشفاعة من غير ا تعالى لقول النبي (ﷺ) : وإذا سألت فاسأل ا ، ثم قال بعد كلام تقدم : فلو صح قولهم بأنه لا يسأل أحد أحدا غير ا تعالى لما جاز أن يسأل جاهل عالما، ولا مريض طبيبا، ولا غريق مغيثا ينقذه من الغرق، ولا يطلب أحد حاجة من إنسان.
وهذا من المبتدعين كلام باطل لم يقله جاهل، لأن سؤال غير ا ورد في كثير من الآيات القرآنية، وفي الأحاديث الصحيحة، قال تعالى : "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"، وقال تعالى : "واسأل القرية التي كنا فيها"، وقال تعالى : "فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك"، وقال تعالى : "فاسأل به خبيرا"، إلى آخر الآيات القرآنية الكثيرة، هذا ولا يفوتنا أن نبي ا سليمان سأل أحد أصحابه أن يأتيه بعرش بلقيس، والقصة مشهورة، وقال تعالى : "واستعينوا بالصبر والصلاة"، وقال تعالى : "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة"، وحكى عن العبد الصالح ذي القرنين قوله : فأعينوني بقوة، وفي مشروعية صلاة الخوف الثابتة بالكتاب والسنة مشروعية استعانة بعض الخلق ببعض، وكذا في أمره تعالى المومنين بأن يأخذوا حذرهم من عدوهم الخ ...
وقال عليه الصلاة والسلام : سلوا أهل الشرف (أي أهل التقى) عن العلم، فإن كان عندهم علم فاكتبوه فإنهم لا يكذبون، وقد سـأل كثير من الصحابة الكرام رضي ا عنهم رسول ا (ﷺ) كما جاء ذلك بالأحاديث الصحيحة، سأله أحدهم أن يرد له عينه، وسأله أحدهم أن يذهب العمى من عينيه ويبصر بهما، وسأله أحدهم شفاءه، وسأله أحدهم أن يشفع له، وسأله أحدهم أن يكون رفيقه في الجنة، وسألوه أن يزيل عنهم القحط والجدب، وسألوه نزول المطر، وسألوه انشقاق القمر، وسألوه، وسألوه، وسألوه، وهو كثير جدا في كتب الأحاديث الصحيحة.

فقال رسول الله (ﷺ) : إنه لا يستغاث بي إنما يستغاث بالله عز وجل. وهذا الحديث في إسناده عبد الله بن لهيعة(81). وفيه كلام مشهور، فإن صح الحديث فيحتمل معاني، أحدها أن النبي (ﷺ) كان قد أجرى على المنافقين أحكام المسلمين بأمر الله تعالى، فلعل أبا بكر ومن معه استغاثوا بالنبي (ﷺ) ليقتله، فأجاب بذلك بمعنى أن هذا من الأحكام الشرعية التي لم ينزل الوحي بها، وأمرها إلى الله تعالى وحده، والنبي (ﷺ) أعرف الخلق بالله تعالى، فلم يكن يسأل ربه تغيير حكم من الأحكام الشرعية، ولا يفعل فيها إلا ما يأمره به، فيكون قوله (لا يستغاث بي) عاما مخصوصا، أي لا يستغاث بي في هذا الأمر، لأنه مما يستأثر الله تعالى به.

ولا شك أن من أدب السؤال أن يكون المسؤول ممكنا. فكما أنا لا نسأل الله تعالى إلا ما هو في ممكن القدرة الإلهية كذلك لا نسأل النبي (ﷺ) إلا ما يمكن أن يجيب إليه. والثاني أن يكون ذلك من باب قوله : ما أنا حملتكم ولكن الله حملكم. أي أنا وإن استغيث بي فالمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى، وكثيرا ما تجيء السنة بنحو هذا من بيان حقيقة الأمر، ويجيء القرآن بإضافة الفعل إلى مكتسبه، كقوله (ﷺ) : لن يدخل أحد منكم الجنة عمله، مع قوله تعالى : "ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون"(82). وقال (ﷺ) لعلي : لأن يهدي الله بك رجلا واحدا الخ ... فسلك الأدب في نسبة الهداية إلى الله تعالى. وقد قال تعالى : "وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا"(83)، فنسب الهداية إليهم وذلك على سبيل الكسب. ومن هذا قوله تعالى لنبيه (ﷺ) : وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم"(84)، وأما قوله تعالى : "إنك لا تهدي من أحببت"(85). فالأحسن أن يكون المراد به التسلية والحمل عن قلب النبي (ﷺ) في عدم إسلام عمه أبي طالب، فكأنه قد قيل : أنت وفيت بما عليك، وليس عليك خلق هدايته لأن ذلك ليس إليك، فلا تذهب نفسك عليه.

وبالجملة فإطلاق لفظ الإستغاثة بالنسبة لمن يحصل منه غوث إما خلقا وإيجادا وإما تسببا وكسبا أمر معلوم، ولا شك فيه لغة وشرعا، ولا فرق بينه وبين السؤال، فتعين تأويل الحديث المذكور إلى آخر كلام السبكي في كتابه المذكور، وهو الحق الذي لا مرية فيه، ولا ينبغي للمخالف أن يحمل الناس على ترك ما تقلدوه، والميل بهم إلى ما اقتضاه نظره، كما فعله مقلدو ابن تيمية فطعنوا في الصوفية، فوقعوا فيما لا تحمد عقباه، فضرب الحق بسهم صائب لقلوبهم فأصماهم

---

(81) أبو عبد الرحمان عبد ا بن لهيعة بن فرعان الحضرمي، قاضي الديار المصرية وعالمها ومحدثها في عصره، توفي بالقاهرة عام 174هـ، قال فيه ابن قتيبة، كان ضعيفا في الحديث، ومن سمع منه في أول أمره أحسن حالا ممن سمع منه بآخره، انظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ج 2 ص 77، وفي ميزان الإعتدال للذهبي ج 2 ص 64، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 249، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 115، وفي الفكر السامي للحجوي ج 1 ص 495 رقم الترجمة 209.

(82) انظر صحيح الإمام البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم الحديث 6099.

(83) سورة السجدة، الآية 24.

(84) سورة الشورى، الآية 52.

(85) سورة القصص، الآية 56.

وأصمهم، فلم يسمعوا إلا ما يوافق هواهم، فضلوا ونسبوا الضلال لغيرهم، فحرمهم الله من خيرهم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رب إن الهدى هداك وآياتك نور تهدي بها من تشاء

السؤال الثالث :

قال سيدنا الشيخ رضي الله عنه في الإفادة الأحمدية ما معناه :

عصاة أهل البيت يسلك بهم مسلك أهل بدر، يقال لهم اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم، والموفقون منهم لا يلحقهم أحد(86). فلما سمع ذلك أحد علماء الظاهر. قال : وكيف نوفق بين هذا وقول رسول الله (ﷺ) ما معناه : الجنة لمن أطاعني ولو كان عبدا حبشيا، والنار لمن عصاني ولو كان شريفا قرشيا، وقوله تعالى : "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"(87)، وقوله تعالى : لا أنساب بينهم"(88) الآية.

الجواب :

اعلم أن ما نقله في الإفادة الأحمدية عن سيدنا الشيخ التجاني قدس سره من هذه المقالة دليل على استغراق الشيخ رضي الله عنه في محبة ساداتنا آل البيت، ولسلطان المحبة استواء على عرش القلوب، بالإغضاء عن كل ما يصدر عن المحبوب من العيوب، بمقتضى قوله (ﷺ) : حبك الشيء يعمي ويصم(89)، بمعنى أن المحب للشيء لا يرى في محبوبه عيبا، ولا يسمع فيه لوما، وإنما يرى ما يسره في سائر أحواله، تحققا بأن كل ما يفعله الحبيب حبيب، ومن هذا قول القائل :

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد ... جاءت محاسنه بألف شفيع

وقلت في إصلاح معناه :

وإذا الحبيب أتى بألف خطيئة ... جاءت محاسنه بخير شفيع

لأن الحبيب في عين الرضى دائما محبه :

وعين الرضى عن كل عيب كليلـة ... ولكن عين السخط تبدي المساويـا

(86) انظر الإفادة الأحمدية لسيدي الطيب السفياني، باب حرف العين، وفي كشف الحجاب لعلامة سكيرج ص 183.

(87) سورة الحجرات، الآية 13.

(88) سورة المؤمنون، الآية 101.

(89) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير ج 1 ص 146، وعزاه فيه للإمام أحمد في المسند، وللبخاري في التاريخ، ولأبي داوود.

وقد كان الشيخ رضي الله عنه في حب هذا الجانب، بما علت به مرتبته لأعلى المراتب، ورأى الناس من إخلاصه في موالاة آل البيت وصدق محبتهم قيد حياته ما بهر المتمسكين بحبل حبهم، فتنافسوا معه في المحبة فلم يدركوا شأوه(90). وقد كان يوصي أصحابه وأحبابه على تعظيم آل البيت والصدق في محبتهم في السر والعلانية بإخلاص نية، ويؤكد على الشرفاء في تعظيم بعضهم بعضا ويقول ما معناه : لا ينبغي للشريف أن يتهاون بحق الشريف، فإن العوام غير مخاطبين وحدهم بولائهم، ومما أنشده الإمام ابن عربي في فتوحاته :

فلا تعدل بأهل البيت خلقا — فآل البيت هم أهل السيادة
فبغضهم من الإنسان خسر — حقيقي وحبهم عبادة

ولا شك أن البضعة المحمدية وهم سادتنا آل البيت، ولو صدرت منهم الذنوب، وتلطخوا بعيوب، ليسوا بمعصومين، فيتنزلون منزل الذهب الإبريز، لا يزال على نفاسته، ورفع قيمته، ولو طرح في المزابل، لأنه في حد ذاته كامل فاضل، وكان رضي الله عنه ينوه بشأنهم في مجالسه بما صار معروفا به بين الناس من شدة محبتهم والتحبب لهم بأنه المحب المخلص مع أحبابه في هذا الجانب، وللمحبة أحكام لا يقاس عليها غيرها عند من عرف ما تقضي به على من شرب خمرتها، ولهذا يتعين على المشفق على نفسه أن يتثبت في هذا المقام، وأن لا يحجبه عن صدق محبة آل البيت ما يقع منهم من ذنوب وآثام، وقد حفظت هذه الأبيات في المنام بعد قضية وقعت لنا مع بعض الأعلام وهي :

خذ سنة الله بين خلقه أبدا — ولتجعلنها لديك خير قسطاس
ما عظم المرء آل البيت دون مرا — إلا وعظم عند الله والناس
فالحظ بعين كمال الفضل قدرهــــــم — واخضع لهم دائما بالقلب والراس(91)

---

(90) ذكر العلامة الفقيه سيدي محمد الحجوجي رحمه ا ، في كتابه : إتحاف أهل المراتب العرفانية، ما نصه : وما بلغنا عن أحد من أهل وقته أنه كان يعظم أهل البيت كهو رضي ا عنه (يعني الشيخ أبا العباس التجاني) وكان لا يهدي لهم إلا الذهب، وما ثبت لدينا أنه أعطى لشريف فضة، وكان رضي ا عنه يقول فيهم : أهل بيت رسول ا (ﷺ) أبحت لهم عرضي. ومن عادته معهم أنه كان لا يترك أحدا من الأشراف يقبل يده، ولا يمد رجله بحضرة شريف أبدا، وإن دخل شريف وهو ماد رجليه جمعهما ولو كان نائما.

(91) ذكر العلامة سكيرج في كتابه : نسمات الأسحار في نظم الأشعار ص 108 : رأيت في رؤيا كأني أطالع في كناش بعض أشياخنا قصيدة في مدح سيدنا العباس عم النبي (ﷺ)، وهي مرسومة بالمداد، وفي آخرها ثلاثة أبيات مشتملة على التنويه التام بفضل ساداتنا آل البيت عليهم السلام، وهي مكتوبة باللون الأحمر، فصرت أكررها، فاستيقظت مستحضرا لما اشتملت عليه من المعاني، فدعاني داعي المحبة في هذا الجناب العالي إلى استعمال قصيدة على نحو ما رأيته، وأختمها بالأبيات الثلاثة تصديقا للرؤيا، وعلى ا قصد السبيل، وهي هذه :

قلبي لعهد حبيبي لا يرى ناسي — لم لا ولي ذكره الأنيس في ناسي
شغلي التذكر في بديع صورته — وفي محاسنه استغرقت أنفاسي

إلخ ... القصيدة، وهي من بحر البسيط، في 36 بيتا، وقد ختمتها بالأبيات الثلاثة المذكورة، إهـ... كما بعث رحمه ا إلى أكثر من مائة عالم وأديب بالمغرب والمشرق طالبا منهم تخميس الأبيات المنامية الثلاثة، فاستجاب معظمهم لذلك، فلما توصل رحمه ا بهذه التخاميس فرح بها غاية، وأفردها بتأليف سماه : شرب المدام، بتخميس أبيات رأيتها في المنام، ثم أفردها بتأليف آخر ترجم فيه للعلماء ممن خمس تلك الأبيات، وسماه : تحفة الأنام، بتراجم من خمس أبياتا حفظتها في المنام.

وليس في قوله رضي الله عنه : عصاة أهل البيت يسلك بهم مسلك أهل بدر إلخ ... ما يدل على إباحة ارتكاب المعاصي في حقهم، وإنما يدل ذلك على التنويه بالبضعة المحمدية وأنهم ملحوظون بعين الرضى عند الحق على أي حالة كانوا عليها، لكون الشريف الحقيقي لا تسول له نفسه انتهاك حرمة مولاه، وإن صدر منه شيء مما نهى عنه فإنه يبادر بالتوبة، ولا يموت حتى يتوب التوبة النصوح، فتتحقق المغفرة في حقه لكونه في عين الرضى. وقد أجاد القائل في مخاطبة محبوبه، مشيرا للحديث الوارد في السادة أهل بدر رضي الله عنهم :

يا بدر أهلك جاروا ... وعلموك التجري
وقبحوا لك وصلي ... وحسنوا لك هجري
فليفعلوا ما يشاءوا ... فإنهم أهل بدر

وقال سلطان العاشقين(92) :

فليصنع القوم ما شاءوا لأنفسهم ... هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وليس المقصود من هذا كله ظاهر العبارة، كما نص عليه شراح الحديث المشار له، فقد حملوه على أن الله تعالى يوفقهم للتوبة قبل الموت طبق ما قلناه، وقيل أنه تعالى شرفهم بعدم المؤاخذة بما يصدر منهم، لأن غاية ما يصدر منهم لا يبلغ بهم لمرتبة الكفر، لأنه لا يمكن عند محبهم أن يموت واحد منهم على الكفر، لأن البضعة المحمدية قطعة نور لا تنطفئ بظلمة الكفر، فالإيمان فيها غريزي والشرف ذاتي، بخلاف ذلك في حق غيرهم، وفي هذا المعنى قلت :

شرف الآل لهم ذاتي يرى ... ولدينا شرف الغير عرض
فلتكن خادمهم متصفا ... بكمال الحب من غير غرض

(92) سلطان العاشقين، أبو حفص عمر بن علي المشهور بابن الفارض، ولد بمصر عام 576هـ، وبها توفي عام 632هـ، وهو من أشهر صوفية القرن السابع الهجري، انظر ترجمته في ميزان الإعتدال للذهبي ج 2 ص 266، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 383، وفي لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج 4 ص 317، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 59، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 55.

ولبعض الأعلام(93) وقد أجاد غاية :

آل النبي لهم في نفس نسبتهم قدر عظيم له في المجد غايات
والأولياء وإن علت مراتبهم في رتبة العبد والسادات سادات

وفي معناها قلت :

آل النبي لهم في الكون منقبة خصوا بها في الورى بفضل ربهم
والأولياء على اختلاف مشربهم لم يحرزوا مطلبا إلا بحبهم(94)

قال الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي قدس سره : الذي أقول به أن ذنوب أهل البيت إنما هي ذنوب في الصورة لا في الحقيقة، لأن الله تعالى غفر لهم ذنوبهم بسابق العناية بقوله تعالى : "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا"(95)، ولا رجس أرجس من الذنوب الخ ...

---

(93) إشارة للعلامة الفقيه سيدي أحمد بن محمد الزكاري، المعروف بابن الخياط الفاسي، سبق التعريف به في ج 1 ص 31 من هذا المجموع.

(94)المعروف عن العلامة سكيرج رحمه ا أنه كان على قدم شيخه أبي العباس التجاني رضي ا عنه، في تعظيمه لآل البيت الكرام وشدة اعتنائه وتعلقه بهم، وله رحمه ا في مدح هذا الجناب الطاهر عدة قصائد، منها قوله في مطلع إحدى قصائده :

كلي لكم سادتي وأنتم أملي وحبل حبي فيكم غير منفصل
رضاكم هو غايات المنى فإذا رضيتم نلت آمالي بلا ضلل
والله يا أهل بيت المصطفى لأنا خديمكم وبهذا الفخر يحصل لي

وقال في مطلع قصيدة أخرى في مدح مولاتنا فاطمة الزهراء رضي ا تعالى عنها :

لفاطمة الزهراء فخر على الناس وفضل عظيم لا يحد بمقياس
فما حسنها يحكيه حسن لأنه بدا جوهرا فردا محوطا بحراس

وقال في مطلع قصيدة أخرى في مدحها كذلك :

ما لي سوى من حبها أفناني وبحبها قد أينعت أفناني
ولأجل ما لاقيته من حبها أصبحت لا أصغى لمن يلحاني
وخلعت عني خلعة الصبر التـــــي نسجت بكتم الحب منـــذ زمـــــان

(95) سورة الأحزاب، الآية 33.

وإذا نظرت إلى ما قاله سيدنا رضي الله عنه وجدته جاريا على منهج الكمل الصادقين في محبة ساداتنا آل البيت(96)، وليس في ذلك ما يجرئ الشريف على المعصية، لأن ذلك في حق الشريف الحقيقي، وهو الذي ثبت نسبه بالحضرة المحمدية، بحيث لو كشف الحجاب عنه لوجد من بيت النبوة حقيقة ليس من الأدعياء في شيء، ولهذا يتعين في حق كل من انتسب لهذا البيت وإن ثبت شرعا نسبه الشريف أن لا يغتر بالنسبة الشريفة، وليعمل على أنه مجرد مسلم، ولا يعتمد على شرفه إلا إذا تحقق بشرفه بإخبار من لا ينطق عن الهوى.

وقد طوى بساط الخبر الذي لا يتطرق إليه احتمال بانتقال النبي (ﷺ)، ولم تبق إلا البشارات التي منها الرؤيا الصالحة، وكشف الحجاب بمشاهدته (ﷺ) لمن يراه يقظة، ولا يقع ذلك غالبا إلا لمن حفظ دينه فكان من الأولياء، والأولياء سريعوا التوبة بالرجوع إلى مولاهم كلما صدر منهم ذنب، فيتنزلون منزلة أهل بدر إذا كانوا من أهل البيت، وهذا المقام يحتاج إلى زيادة تلطف في المقال، مع كمال احترام لساداتنا أهل البيت الكرام، خشية تغير خاطرهم بسماع مثل هذا القول الذي يقضي بالطعن في الأنساب الطاهرة، الباطنة والظاهرة، وإن كان الكلام إنما هو في المدعين للنسب الشريف، وهم كثير، وإليهم يتوجه القول ليتداركوا أمر نفوسهم قبل فضيحتهم بعدم صحة نسبهم يوم الهول، وكل من ليس عنده القطع بما عند الله في نسبه فلا ينبغي أن يعتمد عليه ويفعل ما بدا له، وإن كان اللائق بالمكلفين أن يحترموا كل من ادعاه محقا كان أو مبطلا خشية الوقوع في المحظور في إخراجه من نسبه.

وقد كان العارف بالله سيدي إبراهيم المتبولي(97) رضي الله عنه يقول : لا ينبغي لمن يؤمن بالله ويحب رسول الله (ﷺ) أن يتوقف عن تعظيم الشريف والإحسان إليه حتى يعرف صحة نسبه، بل يكفيه تظاهر الشريف بالشرف، وذلك أوجه للمؤمن عند رسول (ﷺ) من حيث إنا عظمناه ووقرناه من غير توقف على صحة النسب.

---

(96) ومن شدة محبة الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه بساداتنا أهل البيت الكرام، ما ذكره الفقيه العارف بربه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي في كناشه عن الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح أنه قال : وجه السلطان مولانا سليمان مبعوثا للشيخ سيدي أحمد التجاني رضي ا عنه يسأله عن سبب امتناعه لدخول ضريح مولانا إدريس رضي ا عنه، فأجابه بأن القبة مشحونة بمقابر الأشراف، فلا يحل المشي فوق مقابرهم، ومن عرف قبر الشريف واعتمد المشي عليه دخل النار. إهـ...

ومن أدبه معهم كذلك، أنه كان من عادته رضي ا عنه أن لا يمكن يده لأحد لتقبيلها، خصوصا ساداتنا الشرفاء، وحدث يوما أن الشريف سيدي الطيب السفياني قبل يده على حين غفلة، فأمره الشيخ رضي ا عنه أن يمكنه هو الآخر من يده ليقبلها، فقال له سيدي الطيب السفياني : وا يا سيدي إن قطع يدي لأهون علي من أن تقبلها، فأجابه رضي ا عنه قائلا : كيف يقبل يدي واحد من آل البيت، وا حتى تمكنني من يدك، فمد وقتئذ سيدي الطيب السفياني يده فقبلها الشيخ رضي ا عنه. انظر مضمن هذه الواقعة في رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 2 ص 239.

(97) برهان الدين إبراهيم بن علي بن عمر الأنصاري المتبولي، صوفي مشهور، توفي عام 877هـ، أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 83-87 رقم الترجمة 322، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 1 ص 85، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 52.

وليحذر المكلف كيف ما كان شريفا أو غير شريف من إطلاق لسانه في كل من ادعى هذا النسب أو النسبة لأهل الله. ولو تحقق كذبه في ظاهر الحال(98)، وإنما يطعن فيه من حيثية الطعن الشرعي، فيقول مثلا نسب هذا السيد لم يثبت إذا ثبت لدا هذا الطاعن عدم صحة نسب المطعون فيه بمواجب شرعية، وقد كان الإمام مالك رضي الله عنه يقول : من ادعى الشرف كاذبا يضرب ضربا وجيعا ثم يشهر ويحبس طويلا حتى تظهر لنا توبته، لأن ذلك استخفاف منه بحقه (ﷺ)، ومع ذلك كان يعظم من طعن في نسبه ويقول : لعله شريف في نفس الأمر.

وقد تنافس الناس في محبة هذا الجانب، ولكل واحد منهم على قدر ما هو من محبتهم شارب، ورضي الله عن الإمام الشافعي الذي يقول :

لو شق قلبي لبدا وسطه	سطران قد خطا بلا كاتب
الشرع والتوحيد في جانب	وحب آل البيت في جانب

وصرح رضي الله عنه بمذهبه في محبتهم الصادقة فقال :

يا راكبا قف بالمحصب من منى	واهتف بقاعد خيفها والناهض
إن كان رفضا حب آل محمد	فليشهد الثقلان أني رافضي

وإذا تقرر هذا لديك عرفت المقصود من كلام سيدنا رضي الله عنه وأنه جرى في هذه المقالة مجرى العاشقين لهذا الجناب الخليق بكل احترام، فنبه بذلك أحبابه ليقدروا قدر آل البيت على أي حال كانوا عليها، وأن العيوب البشرية لا تزري بمقامهم عند خالقهم، وإن كانت الأحكام الشرعية تجري عليهم فيما يصدر منهم لكونهم غير معصومين، ولم يرفع عنهم التكليف الشرعي بين الخلق في هذه الحياة الدنيا ودار القرار، ولكن الفضل بيد الله الذي أراد تطهيرهم من الرجس، فيحمل ما ورد في حديث : الجنة لمن أطاعني ولو كان عبدا حبشيا، والنار لمن عصاني ولو كان شريفا قرشيا على فرض صحته محمل التخويف من الوقوع في العصيان، مع كون ذلك من الوعيد الذي إخلافه في جانب الكريم مما يمتدح به كما قال العربي :

وإني إذا أوعدته أو وعدته	لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

---

(98) ذكر العلامة سيدي محمد الحجوجي، في كتابه إتحاف أهل المراتب العرفانية، ج 1، في ترجمة العارف با سيدي المفضل بن بوعزة المكناسي، قال : ذكر الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي ا عنه أن سيدي المفضل بن بوعزة المكناسي سمع رجلا يسب شريفا، فقيل له : إنه شريف وتسبه þ فقال : وإن كان، فحلف أن لا يقيم ببلد يسب فيها الشريف، وارتحل لتطوان وبها توفي.

على أن الجنة أيضا في حق من أطاع الحق ليس من الواجب على الله، بل له سبحانه أن يدخل الجنة من عصاه والنار من أطاعه، لكونه هو الفاعل المختار، فلا يجب عليه شيء طبق العقيدة السالمة من زيغ الأهواء المضلة، وبهذا ينتفي الإشكال بين قول الشيخ والحديث المذكور، والتوفيق بين ذلك وبين قوله تعالى : "إن أكرمكم عند الله أتقاكم"(99) واضح من قوله رضي الله عنه : والموفقون منهم لا يلحقهم أحد. فآل البيت مراتبهم متفاوتة بحسب أعمالهم في الإكرام، وإن كان النسب لا تفاوت فيه، ولا يقضي كونهم مع جدهم في دار النعيم أنهم أفضل من الأنبياء، ولو بلغ الشريف ما بلغ لم يبلغ درجة الكرامة التي يحرز عليها الأنبياء عليهم السلام، لأنهم أتقى الخلق وأكرمهم على الحق، وإن كان الكلام إنما هو في كون عصاة أهل البيت يسلك بهم مسلك أهل بدر في المغفرة لذنوبهم، لا يقال أن ما قاله الشيخ رضي الله عنه لم يرد عن الشارع حتى يقطع به، لأنا نقول إنه لم يأمر رضي الله عنه الناس بالقطع بقوله، وإنما ذكره لأهل الإعتقاد في جنابه ليقوموا بما اقتضته المحبة الصادقة في هذا النسب الشريف، ولا عليه فيمن لم يقطع بمضمن مقاله، وقد تقدم لنا التنبيه على هذا المعنى فيما بيناه أتم بيان، وأما التوفيق بين مقاله وبين قوله تعالى "فلا أنساب بينهم يومئذ"(100) إلخ ... فقد نص المفسرون على أن ذلك عند النفخة الأولى في قول ابن عباس رضي الله عنهما، أو النفخة الثانية في قول ابن مسعود رضي الله عنه، ومعناه : لا أنساب بينهم يتفاخرون بها، وإلا فالأنساب ثابتة بينهم لا يصح نفيها، وقد ذكر العلامة السيوطي رحمه الله في كتابه إحياء الميت بفضائل أهل البيت(101) أحاديث صريحة بأن قوله تعالى لا أنساب بينهم في غير آل البيت، قال أخرج الطبراني في الأوسط عن جابر أنه سمع عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما يقول للناس حين تزوج بنت علي رضي الله عنه : ألا تهنئوني، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ينقطع يوم القيامة كل سبب ونسب إلا سببي ونسبي(102)، وقال فيه أيضا أخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله (ﷺ) : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلى سببي ونسبي(103)، وقال فيه أيضا أخرج ابن عساكر(104) في تاريخه عن ابن عمر رضي الله عنهما

---

(99) سورة الحجرات، الآية 13.

(100) سورة المؤمنون، الآية 101.

(101) إحياء الميت بفضائل أهل البيت، من تأليف العارف با العلامة جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الشافعي السيوطي، طبع سنة 1415هـ - 1995م ببيروت، بتحقيق وتعليق الشيخ كاظم الفتلي.

(102) رواه الطبراني في المعجم الكبير (مسند الإمام الحسن عليه السلام) ج 1 ص 124، بسنده عن جابر، كما رواه أيضا أبو نعيم في حلية الأولياء ج 7 ص 314، وهو الحديث الثاني والثلاثون من كتاب إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي.

(103) رواه الطبراني في المعجم الكبير (مسند ابن عباس) ج 1 ص 129، كما أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ج 9 ص 173، وهو الحديث الثالث والثلاثون من كتاب إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي.

(104) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة ا الدمشقي الشافعي، المعروف بابن عساكر، المؤرخ الحافظ الرحالة ولد بدمشق عام 499هـ، وبها توفي عام 571، له تصانيف كثيرة منها : تاريخ دمشق الكبير، والإشراف على معرفة الأطراف، وكشف المغطى في فضل الموطا، وأربعون حديثا من أربعين شيخا من أربعين مدينة، ومعجم الصحابة، ومعجم النسوان، وغيرهم من المصنفات الكثيرة.

أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ج 1 ص 335، وفي البداية والنهاية لابن كثير ج 12 ص 294، وفي طبقات الشافعية للسبكي ج 4 ص 273، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 273، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 398 رقم الترجمة 858.

قال رسول (ﷺ) : كل نسب وصهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري(105)، وبهذا انتفى الإشكال، وتم التوفيق في أحسن حال، والله الموفق.

السؤال السابع :

هل على المريد التجاني من شيء إذا دخن التبغ الدخان ؟

اعلم أنه قد وقع خلاف بين المتأخرين في التدخين بهذه العشبة الخبيثة من الإباحة إلى المنع، وكل استدل بما اقتضاه نصيبه من العلم والورع، فمن مبيح له يقول لا شيء على مدخنه وعليه جل الأجاهرة، وينشد فيه للقطب سيدي عبد الغني النابلسي(106) رضي الله عنه قوله :

شربنا دخان النتن لا عن مودة	له بل هو الممقوت عند ذوي الحجا
ولكن عفريت الهموم بصدرنا	دهانا فدخنا عليه ليخرجا

ومن قائل بالمنع من تدخينه واستنشاق غباره، ومن فعل ذلك فقد عصا الله تعالى، والمريد التجاني في هذا الحكم مع غيره على حد السواء، ولا ينقطع عن الطريقة بشربه أو استنشاقه، وإنما ينقطع عنها بنقيض العهد الذي أخذ عليه عند تلقي الإذن فيها مما هو مقرر، وتقدم لنا التنبيه عليه، وقد بالغ الشيخ رضي الله عنه من التحذير من الوقوع في المعاصي والإصرار على الذنوب صغائرها وكبائرها، لأنها تؤدي إلى انتهاك حرمة الشرع، وانتهاكه من الأسباب التي تجر للقطيعة كما بسط ذلك في وصاياه لأصحابه وأحبابه.

وبعض الفقهاء فرق بين حكم التبغ في التدخين وبين غبارها في الإستنشاق وجعله تحت اللسان أو على لثة الأسنان استياكا، كما يفعله بعض أصحاب التعفين الذي هو أقبح أنواع الإستنشاق والتدخين، وعلى كل حال فإن الذي يتعين عندنا في الطريقة أنها ليست من قواطع المريد عن ورده، ولا يمنع مستعملها من الإذن له إن التزم شروطها المقررة وأركانها المعتبرة، وقد وقع مرارا بين

---

(105) رواه الطبراني في المعجم الكبير ج 1 ص 124، وأورده المتقي الهندي في كنز العمال ج 6 ص 102 وهو الحديث الرابع والثلاثون من كتاب إحياء الميت بفضائل أهل البيت للسيوطي.

(106) عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي، محدث حافظ فقيه أديب مؤرخ مفسر صوفي، ولد بدمشق عام 1050هـ، وبها توفي عام 1143هـ، من مؤلفاته : تعطير الأنام في تعبير المنام، ونفحات الأزهار على نسمات الأسحار، وكشف الستر عن فرضية الوتر، ولمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار، وإيضاح الدلالات في سماع الآلات، وجواهر النصوص وشرح أنوار التنزيل للبيضاوي، ومناجاة الحكيم ومناغاة القديم، وغيرهم.
انظر ترجمته في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 756 رقم الترجمة 415، وفي سلك الدرر للمرادي ج 3 ص 30، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1832، وفي عجائب الآثار للجبرتي ج 1 ص 154، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 32.

فقهاء الطريقة كلام في شأنها، حتى كان بعضهم يخرج من صف الإخوان عند قراءة الوظيفة حاملها(107) مستدلا بما نص عليه الشيخ رضي الله عنه في تقديمه لتلقين الورد الذي كتبه لصاحبه السيد عبد الوهاب بنيس الضرير(108) رحمه الله بأن لا يلقنه إلا لمن التزم أن لا يستعمل شيئا من القاذورات شربا أو طعما أو استنشاقا أو استفافا أو تدخينا، فكان المقدم المذكور واقفا مع ذلك، وينكر بشنيع النكير على مستعمل شيء من ذلك من الأصحاب والإخوان، وعلى من يلقنهم الورد من غير اشتراط ترك ذلك واجتنابه، وكان يقول سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول : من اطلعتم عليه أنه حامل لتابغة بأنواعها وهو في الوظيفة فأخرجوه منها، فكانوا يخرجونهم، وبعضهم يترك الظرف المستعملة فيه مع النعال.

وقد بسطت الكلام على هذا المعنى في ترجمة المقدم المذكور في تأليفي المسمى : رفع النقاب بعد كشف الحجاب(109)، وتعرضت فيه لقول العارف بالله سيدي محمد الناصري الذرعي(110) أن مستعملها إذا لم يتب من تعاطيها فإنه يموت على سوء الخاتمة عياذا بالله، وكان الشيخ رضي الله عنه يصحح ذلك لأنها تورث خبل العقل مع عدم اكتراث مستعملها بها، فهي عنده من المنكرات التي يحرم تعاطيها، ومتعاطي المنكرات إن لم يتب يحل به هذا البلاء الوخيم، وقد جرى ناظم العمل الفاسي على القول بتحريم استعمالها في قوله :

---

(107) ذكر عن العارف با سيدي عبد الوهاب الضرير بأنه قال : قال سيدنا الشيخ رضي ا عنه : من اطلعتم عليه أنه حامل لتابغة بأنواعها وهو في ذكر الوظيفة فأخرجوه منها.

(108) الحاج عبد الوهاب بنيس الفاسي، من خاصة أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه، كان ضريرا، وقال يوما للشيخ : يا سيدي التلاميذ يرونك وأنا لا أراك، فقال له الشيخ رضي ا عنه : إن عبد ا بن أم مكتوم كان من أكابر الصحابة وهو لا يرى النبي (ﷺ)، وذكر بعض الثقاة عن سيدي عبد الوهاب بنيس أنه كان لا يحتاج إلى من يقوده، يذهب وحده إلى أي مسجد أراد مع كثرة ازدحام الناس في الطرق، انظر روض شمائل أهل الحقيقة لأحمد بن محمد العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 18، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 229، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 4 ص 72، وفي نخبة الإتحاف للفقيه الحجوجي رقم الترجمة 27.

(109) أنظر رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 4 ص 72-77.

(110) الشيخ أبو عبد ا محمد بن محمد بن أحمد بن ناصر، شيخ أهل العلم في عصره، له تصانيف متنوعة منها الأجوبة الناصرية، وفتاوي في الفقه، وسيف النصر لكل ذي بغي ومكر، وشرح لامية الأفعال، ومنظومة في فقه مالك، وشرح فرائض خليل وغيرهم. وهو شيخ الطريقة الناصرية، سافر للحج مرتين فكثر الآخذون عنه شرقا وغربا. توفي رحمه ا عام 1089هـ عن 78 سنة. انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف ص 313 رقم الترجمة 1218 وفي النبوغ المغربي لعبد ا كنون ج 1 ص 283 وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 63 وفي خلاصة الأثر للمحبي ج 4 ص 238.

وللإمام العلامة النقاد سيدي محمد بن الحسن بناني(111)، محشي الزرقاني، فيما نقله عنه شيخ جماعة الأعلام بفاس سيدي الحاج محمد كنون(112) في اختصاره لحاشية العلامة الرهوني(113) هذه الأبيات :

الزم طريق الهدى وامش على السنن   وخالف النفس وانقذها من المحن
إياك من بدع تلقيك في عطب   لا سيما ما فشا في الناس من نتن
مفتر الجسم لا نفع به أبدا   بل يورث الضر والأسقام للبدن
أف لشاربه كيف المقام على   ما ريحه يشبه الأزبال في العطن
أفتى بحرمته جمع بلا شطط   فاحذر مقالة من يرديك للوهن
ولا يغرنك من في الناس يشربه   فالناس في غفلة عن واضح السنن
يغمى على المرء في أيام محنته   حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

وقد زاد على هذه الأبيات شيخنا العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس(114)، بعد أن كنت اقترحت عليه نظم قصيدة في ذم هذه العشبة الخبيثة، فرأى رؤيا حملته على الإجابة لذلك الإقتراح، ونسجت على منواله تقريظا عليها لا بأس بنقل ذلك هنا، قال أبقى الله حرمته مذيلا تلك الأبيات بهذه :

صمم على المنع واعتقده معتمدا   دع عنك ذا جدل باغ وذا إحن
أعلن به وأشده في بلاد هدى   فالحق أجدر بالإشهار والعلن
جاء الحديث الصحيح الإحتجاج به   أن المفتر مثل الخمر في الاجن
نهى الرسول النبي عنهما فهما   سيان في حرمة المثمون والثمن
وجاء عن قادة أجلة نبها   ذوي البصائر والفتوى بلا وهن
أن الغبار الذي يحشي أنوفهم   منه مثيل له في الحكم والفتن
أليس في عمل الفاسي حرمته   فعلا وتجرا وتنفيرا لذي الفطن
وأحرقت من ولاة العدل جملتها   بعد اتفاق فتاوي قادة الوطن
أعظم به من دليل لا يعادله   شقاشق من عشيق الخبث والنتن
إذ كيف يحسن إتلاف لمحترم   أو يمنع التجر في ذي النفع أو ثمن
ما ذاك إلا لفقد النفع أجمعه   فيه وإتلاف نقد في أذى بدن

---

(111) أبو عبد الله محمد بن الحسن البناني، من مشاهير فقهاء مدينة فاس، كان إماما وخطيبا بضريح مولانا إدريس الأزهر، وهو من مواليد فاس عام 1133هـ، وبها توفي عام 1194هـ، من مؤلفاته : حاشية استدرك بها على الزرقاني ما ذهل عنه في شرحه على مختصر خليل، وحاشية على مختصر الشيخ السنوسي في المنطق، وشرح على السلم، وحواش على تحفة الحكام لابن عاصم، وغيرهم، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 357 رقم الترجمة 1426، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 347 رقم الترجمة 772، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 161-164، وفي معجم المطبوعات لسركيس 590، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 227 رقم الترجمة 79، وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 91.

(112) سبق التعريف به في ج 1 ص 232 من هذا المجموع.

(113) أبو عبد الله محمد بن أحمد الرهوني، من أكابر فقهاء المغرب في عصره، ولد في شهر ذي القعدة الحرام عام 1159هـ، وتوفي رحمه الله بعد فجر يوم السبت 13 رمضان المعظم عام 1230هـ، وله تآليف كثيرة منها حاشيته على شرح الزرقاني على مختصر خليل، وحاشية على شرح ميارة الكبير على المرشد المعين، انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 378 رقم الترجمة 1512، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 352 رقم الترجمة 783، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 104، وفي النبوغ المغربي لعبد الله كنون ج 1 ص 295.

(114) سبق التعريف به في ج 1 ص 40 من هذا المجموع.

والبهم شرابها المستنشقون لها ... من الولوع بها المشئوم في جنن
لا يستفيق لقبح من يعوم به ... ولا يحس بلدغ الصل ذو كفن
من يضلل الله لا مهدي يرشـــــــده ... وذو الهدى من عطاء الله في منــن

ثم قال :

وخذ إليك أبا العباس قاعدة ... تغنيك عن كثرة الآراء والدمن
إذا تخالف ذو فقه بنازلة ... ووافق البعض ذو فتح وذو يقن
فالحق مع أهل فتح وهو أيدهم ... وصانهم عن هوى النفوس والإحن
أهل القلوب جميعا باتفاقهم ... شرقا وغربا على التنفير من نتن
كما العياشي(115) أبداه برحلته ... موافقا مستفيدا من ذوي اللقن
كذاك الإبريز عن أستاذه وكفى ... به وصرح بالأضرار والمحن
وقال عنه بإيذاه ملائكة ... وأهل دائرة بريحه النتن
ومن مفاسده ونجس شاربه ... أجزاء انفصلت بالحرق والدخن
واستفها بفم والحرق يمنع من ... أكل المباح كخبز كيف بالدرن
وتلك أنبوبة له بداخلها ... نظير ما ابتلع المنهوم من صنن
فاشقق لها تلفي ما حوته من قذر ... به يمر الذي يجر للجرن
وخرقة عدها نشاق منتشق ... تريك ما برفيع الوجه عن علن

ثم قال :

يا أهل ذكر وأوراد وأهل تقى ... ومن عنى بصلاة الهاشمي المدني
تجنبوها وجنبوا أهاليكم ... منها وسدوا أنوفا من شذا العفن
لا سيما من عنى بالطهر كامله ... في نهجه كالتجاني واضح السنن
لا يلتقي نفس بذكر جوهرة ... وفاتح لخبيث الريح في وطن
الله طهركم واختاركم لهدى ... بذكره فأديموا طهرة البدن
ثم الصلاة على الماحي وشيعته ... أهل النزاهة والتقديس والمنن
وآله الغر زكاهم وطهرهم ... وأذهب الرجس عنهم لا إلى زمن
ومن أتى ناصحا لنا يقول هدى ... ألزم طريق الهدى وامش على السنن

ونص ما أنشأته تقريظا عليها :

هذا هو الحق في سر وفي علن ... والحق أبلج لا يخفى على فطن
ومن يخالف هذا فهو متبع ... هواه في باطل من أعظم المحن
والتابعون لنهج الحق ما فتئوا ... مؤيدين برغم أنف ذي إحن
قل للذين بها بين الملا ولعوا ... وقد رأوها مباحا غير ممتهن

---

(115) أبو سالم عبد ا بن محمد بن أبي بكر العياشي، فقيه، أديب، مؤرخ، صوفي، من مواليد عام 1037هـ، وتوفي عام 1090هـ، له مؤلفات منها : ماء الموائد، وهي رحلته الشهيرة المعروفة بالرحلة العياشية، وإظهار المنة على المبشرين بالجنة، وتحفة الأخلاء بأسانيد الأجلاء، وتنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية، واقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر، وغيرهم من التصانيف الأخرى.
انظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 314 رقم الترجمة 1224، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 333 رقم الترجمة 746، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 832 رقم الترجمة 472، وفي صفوة من انتشر للإفراني ص 191، وفي الأعلام للزركلي ج 4 ص 129.

لا خير فيما يباح إن يكن قذرا ... لا سيما إن يكن يبدو على الذقن
والأنف من متعاطيها تلطخ في ... لوث ومنديله في غاية النتن
لا سيما وذووا الكشف الصحيح لهم ... أشد نهي عليها دائم الزمن
والختم صحح قول الناصري ومن ... يقول فاعلها يموت ذا فتن
هب أنها طيب الأشيا أليس على ... ذوي النهى تركها من أجل ذا السنن
ولا يغرنك المستنشقون لها ... ولا الذين أباحوها لممتحن
قالوا مضرة تركها محققة ... وفعلها زائد في قوة الفطن
هذا لعمرك قول لا يميل له ... إلا امرؤ يتبع الأهواء في الوطن
أعماه وهم فظن تركها ضررا ... ولا مضرة إلا الوهم من شجن
وأي نفع يرى فيها لفاعلها ... وفعلها سبب في نزلة البدن
فلتطلب الله عفوا إن بليت بها ... فإنها من عظيم الشر والمحن
ولتقطعنها بتدريج فتحمده ... وأمرها إن تكن تركتها يهن
وإن تواظب عليها غير مكترث ... بالنهي تندم على المثمون والثمن

والحاصل أن تعاطي التدخين بها أو استنشاقها أو استفافها مزر بمروءة ذوي العرض النقي(116)، يتباعد عنه كل متقي، ولكن سهم الشيطان بها مصيب لعقل متعاطيها بأوهام، لا يكاد أن يتركها ما دام يرى غيره يستعملها من غير احتشام، وقلما تركها الشخص المبتلي بها ولم يعد إليها، ولا يبالي بما ينفقه عليها، فعلى العاقل من الإخوان أن يستتر عند تناولها لما ورد في الحديث من قوله (ﷺ) : من ابتلى منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر، ويقلد قول من قال بإباحتها، والأولى والأفضل في حقه هو تركها في السر والعلن طبق ما قررناه، وفيه كفاية،

(116) جاء في كناش العارف با سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي أنه قال : ذكر الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح رضي ا عنه عن سيدي عبد الوهاب بنيس الضرير أنه قال : التقديم الذي عندي من قبل الشيخ رضي ا عنه مشروط عندي فيه أن لا أعطي الورد لمن يستعمل هذه العفونات شما وأكلا وبخارا، وأعطيه لمن كتب ا عليه وابتلي بشرب الخمر.

والحمد لله الذي تمم المحاسن به في البداية والنهاية، ونشكره سبحانه على ما وفقنا إليه برائد الهداية، فكنا بالتوفيق الإلهي من المعتقدين في جانب أهل الولاية، وهو الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

حرر بالجديدة من المغرب بتاريخ متم رجب الفرد الحرام عام 1345 هـ، خديم الحضرة المحمدية عبد ربه أحمد سكيرج غفر الله ذنبه، وستر عيبه، آمين.

محتويات كتاب : طرق المنفعة بالأجوبة
عن الأسئلة الأربعة

خطبة الأجوبة وفيها مقاصد..
المقصد الأول : في التنبيه على أن الشيوخ غير معصومين
وأنه قد ينسب لهم ما هم بريئون منه ....
المقصد الثاني : في التنبيه على أن المريد لا تلزمه متابعة الشيخ في
جميع أفعاله وأقواله وأحواله إلا إذا أمره بذلك..
المقصد الثالث : في كون المريد لا يكون مريدا ولا يعد
في زمرة شيخه إلا بتحقق المحبة الداعية لتصديقه ....
السؤال الأول : ما من أحد يؤخذ عنه ويرد عليه إلا مولانا رسول الله (ﷺ) إلخ ... والجواب عنه
السؤال الثاني : هل تمنع الشريعة المريد أن يقول مثلا : الشيخ رفع فلانا إلخ ... والجواب عنه
السؤال الثالث : قال سيدنا الشيخ رضي الله عنه في الإفادة الأحمدية ما معناه :
عصاة أهل البيت يسلك بهم مسلك أهل بدر إلخ ... والجواب عنه.....................
السؤال الرابع : هل على المريد التجاني من شيء
إذا دخن التبغ الدخان، والجواب عنه ....

الشمائل التجانية

تأليف
العلامة القاضي العارف بالله
سيدي الحاج أحمد سكيرج
رضي الله عنه

دراسة وتحقيق
ذ. محمد الراضي كنون

بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الشمائل التجانية(1)

حمدا لمن توج بتاج القبول أهل الخصوصية من خدام حضرته. وأدخل من باب الوصول من انحاش لجانبه بصدق خدمته.

هم الرجال لهم مجال معرفة — بربهم فحباهم منتهى الأمل

فجلسوا على كراسي العناية، وحفتهم برداء رحمته، ونشرت عليهم ألوية الولاية، بما لهم من كمال محبته.

باعوا نفوسهم لله فانشرحت — صدورهم للذي يرضاه من عمل

فبسطت لهم موائد الإنعام في بساط الأنس به، فتنعموا بملذات الإكرام بتقربه، لكل واحد منهم بما عينه تقر به.

ذاقوا بحضرته طعم الوصول فلم — يسلي امرؤ منهم عن طعم ما ذاقه
قد استلذوا بما قد ذاق في طرب — فجل في حضرة العشاق أطواقه

رفع عنهم الحجاب بعدما سقاهم خمرة الوصول، فأصبحوا في ذلك الجناب ممن يتوسل بهم في نيل كل سول.

ألا إن أهل الله لا شك هم هم — الوسائط في نيل المراد من الله

(1) يبدو جليا لكل باحث أو مهتم أن العلامة سكيرج رحمه ا لم يترك جانبا من جوانب العلم إلا وقد صنف فيه بما فيه الكفاية، وهذه خصوصية فريدة من نوعها قلما توجد عند غيره. وبعبارة أخرى يمكننا أن نقول أننا لم نسمع بها أو نراها منذ زمان بعيد، وخلاصة القول أن مرد تفوقه المعرفي يعود بالدرجة الأولى لاهتماماته المتزايدة بالحث والتنقيب والدراسة والمراجعة المسترسلة، بالإضافة لاقتنائه أمهات المصادر المعتمدة. حيث كان منزله عبارة عن خزانة عامة شاملة تعج بمآت المخطوطات القيمة العديمة النظير.
والواقع أن العلامة سكيرج رحمه ا كان مندفعا للتأليف، قاصدا نفع الناس على اختلاف مراتبهم، وإدخال السرور والسكينة إلى قلوبهم. فقد كانت جعبته ممتلئة بالمعارف الغزيرة المتنوعة، فهو بين الأدباء أديبهم، وبين الفقهاء فقيههم، وبين المؤرخين مؤرخهم، وبين اللغويين لغويهم، وهكذا، وهذه العلة هي من أهم الأسباب التي جعلته يدخل دفعة واحدة وسط جبهات متعددة من تصانيفه التامة وغير التامة، وكتابه هذا المسمى بالشمائل التجانية هو من بين التآليف التي لم يتممها نظرا لسبب أو لآخر، ومهما كانت نوعية السبب فمردها للوقت، وأظن أن العلامة سكيرج رحمه ا لو سمح له الوقت بأقل القليل منه لما ترك كتابا واحدا من كتبه دون إتمام.

وإن أكرم ولي على الله من بين الأصفياء، من خص من الحضرة المحمدية بكمال الظهور في الخلافة الباطنية فكان خاتم الأولياء :

أحمد الختم التجاني المرتقى ... في مراقي المجد في أولي العلا
مركز الفضل الذي قد نال من ... خاتم الرسل مقاما قد علا

فأكرم به من ولي كان ظهوره في آخر الدهر من تمام الرحمة على الأمة من حيث لا يشعرون، وأعظم به من ولي كان وروده وصدوره في أولي القدر من سر الحكمة التي تقدم بها على الأئمة في كل محل يذكرون الله فيه ويشكرون.

نال من خير الورى فوق المنى ... وحباه منه غايات الظفر
توجته يده تاج الرضا ... فغدا ختما بعلياه ظهر

فرضي الله عنه من ولي تولى الله أموره كلها، فربته النظرة المحمدية بكمال الإعتناء به حتى صير في يده من سائر الأمور شدها وحلها.

هو قطب الوجود والجود منه ... غمر الكون بالنوال العميم
قد تجلى بين الورى في مقام ... تحته كل ذي مقام عظيم

قد بلغ الغاية في القطبانية، ووصل لما دون النبوة من المقامات التي لها الهيمنة على المراتب العرفانية، فهو بعد الصحابة الكرام، لا يبلغ سواه أدنى مقام، من مقاماته طول الدوام، فصلى الله وسلم على خير نبي منحه بذلك الإصطفاء، وحباه بما لم تفي بالإفصاح عنه ألسنة الفصحاء، في مدح أكابر الخلفاء، ورضي الله عنه وعلى سائر أهل البيت الطيبين، وصحابة سيد المرسلين أجمعين.

وبعد فقد حداني حادي المحبة في هذا الجناب الأحمدي والمقام المحمدي أن أقيد من شمائله ما تقر به عيون أهل الولاء، وأملي من بعض مناقبه وفضائله ما فيه هدى وشفاء(2).

يحيا به قلب المحب وتنجلي ... عنه به الأكدار والأغيار
وبه ينال من السرور مسرة ... فيها بشرح صدوره أسرار

---

(2) كان العلامة سكيرج رحمه ا ورضي عنه طيلة حياته ميالا للبحث عن مآثر شيخه أبي العباس التجاني رضي ا عنه، مجدا في التنقيب عليها، وفي ذلك يقول رحمه ا :

مآثر الشيخ فيها الخير أجمعـه ... طوبى لمن عينه ترى له أثرا
كفى الذي لم يكن رءاه رؤيتها ... بشرى بنيل الذي له قد ادخرا

وحدث يوما أنه وجد عند بعض أصدقائه العكازة التي كان الشيخ التجاني رضي ا عنه يجعلها في يده حين ذهابه وإيابه، فأخذها بين يديه قصد التبرك بها، وفاضت قريحته الشعرية حينا فقال وهو ماسك لها :

بشراي قد جاد لي دهري بأمنيتـي ... وحاز كفي سرا لم يكن حـ ـازه
إن فاتني من يدي شيخي مصافحة ... فاليوم ها أنا ذا صافحت عكازه

والباعث على جمعها في هذه العجالة ما اختلج في الصدر من القيام بهذا الصدد، لكونه مما ينفع ذوي الصدور السليمة لا محالة، فهو دليل بحول الله على البلوغ للسول، وبه يتوصل للحصول على ثمرة الوصول، بما اشتمل عليه من شمائل سيدنا رضي الله عنه وأرضاه وعنا به، وبما انطوى فيه من المكارم التي ستذكر بحول الله في أبوابه(3)،

فإن في كل باب من مناقبه ... ما فيه باهر أسرار وأنوار
تشفي قلوب المحبين الذين لهم ... فيه جميل اعتقاد دون الأشرار

وسميته بالشمائل التجانية، والله أسأل أن ينفع به سائر الإخوان، وأن تكون سببا في إقناع أهل النكران، بقطع لسان إنكارهم على أهل الله.

(3) كان العلامة سكيرج رحمه ا يرى أن ذكر شمائل ومآثر الشيخ رضي ا عنه دافع من أهم الدوافع التي تساعد على تعميق روابط المحبة لدا المريدين، كما له تأثير بالغ في تربية الطالب المحب والسمو به للمنزلة الراقية الحميدة، وانطلاقا من هذا كان رضي ا عنه مغرما بمحبة شيخه لدرجة لا يستطيع أن يصل إليها إلا أمثاله من أكابر الأولياء والصديقين، وحدث يوما أنه اطلع عند بعض أصدقائه على نظارتين من مآثر سيدنا الشيخ رضي ا عنه، وهما من النوع القديم، كان ينظر بهما ما رقت خطوطه من الرسائل والأجوبة، فوضعها على أنفه تبركا، ثم قال من فرط سروره بذلك قصيدة نونية طويلة قال في مطلعها :

بحبي فيك صرت قرير عيني ... وعن قلبي بودك زال غيني

إلى أن قال :

وساعدني الزمان فنلت فـيه ... مآثر قد أزالت حجب عيني
نظرت بناظري آيات حـ ـق ... بدت لي منه بين الخافقيـ ـن
ولم أرى مثل وقت طاب عندي ... بسر نلت من نظارتـيـ ـن
فإني مذ وضعتهما بأنفـ ـ ـي ... نظرت بعينه إنسان عينـ ـي

ثم أطلعه نفس الصديق وهو (العلامة الأمين الحاج محمد بن سيدي أحمد بناني كلا) على لوح كتب فيه سيدنا الشيخ رضي ا عنه سورة الرحمان بخط يمينه المباركة، فتبرك به العلامة سكيرج كثيرا، ثم جادت قريحته الشعرية فيه بقصيدة قال في مطلعها :

لوح فيه نـيـل أمـانـي ... وكبير سر ظاهر لعيـ ـان
تتشعشع الأنوار منه لنـاظـ ـر ... ويزيح كل عنى عن الأعيان
كملت محاسنه بخط الشيخ إذ ... رسمت به آي مـ ـن القرآن
قد أقبل الفتح المبين لمن لـ ـه ... قد خط فيه سورة الرحـ ـمان
ولمن رآه بـ ـشارة بـ ـمفـ ـازة ... وافت له بعناية الـ ـمنـ ـان
ما هو إلا الكنز فيه من المنى ... للنفس ما يشفي من الأحزان
فهو الذخيرة عند من ظفرت به ... يده ومفتاح لنيل أمـ ـ ـان
در يد مباركة بـ ـ ـ ـ ـه ... رسمت حروفا مثل عقد جمان

إلى آخر القصيدة وهي طويلة.

فإن من كان بالإنكار مشتغلا ولم يتب سلب الإيمان والدينا
فكم أناس بإنكار لهم أخذوا بالخسر فيما يحاولونه حينا

ولذلك ينبغي الإهتمام ببعض المسلمين الذين لم يذوقوا من طعم التصديق لأهل الله، بالتمني لهم بالتوفيق للتوبة عما اقترفوا من غير شعور منهم. فيما آذوا به من يحارب عنه مولاه، وقليل من اهتم بمثل هذا القصد الأحمدي، بالتمني للمسلمين ما لهم يحمد، فنسأل المولى أن يسلك بنا مسالك النجاة دنيا وأخرى، ويجعل السعي من العمل المشكور، ويعظم للجميع به أجرا آمين.

سابقة في المقصود من هذا التأليف

اعلم أن المقصود من هذا التأليف هو ذكر أحوال سيدنا رضي الله عنه من ابتداء نشأته إلى منتهاها، مع ما هي عليه ذاته الأحمدية وشمائله المحمدية، والتعرض لبعض فضائل طريقه وأذكاره، والتنبيه على جملة من مناقبه وأسراره(4).

فإن قلبي به بين الورى كلف مستغرق الوقت في التقاط أنوراه
أعد ما قد ظفرت من محاسنه نزرا ومن بعدها كمال أنواره

غير أن ما أذكره وإن كنت لم أجتمع به رضي الله عنه، فإني قد تلقيت ذلك عمن تلقوا ذلك عمن تلاقوا به وصحبوه، وحباهم من قربه ما زادهم ودا فيه وأحبوه، وأعتمد في غالب ذلك على ما استفدته من شيخنا العارف بالله، الدال عليه في سره ونجواه، والد روحنا، ومربينا بنظرته وكمال همته، سيدي ومولاي أحمد العبدلاوي رضي الله عنه وأرضاه وعنا به، مع ما تفرق في كتب الطريقة ووقفت عليه في مجامع الخاصة من المقدمين ورسائله ورسائلهم، فقد ظفرت بحمد الله بجملة وافرة من أسراره وأسرار خاصة أصحابه الموقوف عليها في كنانيشهم وتقاييدهم بخط يدهم أو بخط من نقلها من خطهم.

وقد أشرت إلى جملة من مناقب خاصتهم على سبيل الإختصار هنا، ليكون هذا التويلف جامعا لمحاسن غيره من التآليف الجمة، ولعل بعض من اطلع على ما سيذكر من أحوال سيدنا رضي الله عنه

(4) لو كتب لهذا التقييد أن يتم لكان بدون منازع واحدا من بين أعظم الكتب المؤلفة في الطريقة الأحمدية التجانية، وليس في هذا القول مجاملة، بل هي الحقيقة بعينها، ويرجع هذا بالأساس لعدم وجود تأليف آخر تناول هذا الموضوع باستقلالية عن غيره. واختيار العلامة سكيرج رحمه ا لهذا الموضوع نابع عن علمه بحاجة الناس إليه، انطلاقا من كون معرفة الشيخ واجبة على كافة أتباعه ومريديه عند جميع أهل التصوف، وهذا بطبيعة الحال مع خبرته الواسعة الصحيحة بهذا الموضوع الشيق، حيث كانت معلوماته فيه كثيرة ودقيقة. وقد ساعده على اكتساب هذه المعلومات جماعة ممن التقى بهم من أفاضل علماء الطريقة التجانية، المعروفين بالولاية والإستقامة والعدل والنزاهة، وفي مقدمتهم العارف با المقدم الشريف البركة مولاي أحمد العبدلاوي، وذلك لكونه من أهم الأشخاص الذين أخذ عنهم العلامة سكيرج واستفاد منهم في الظاهر والباطن.

يتعرض إلى ما يراه بمعراض الإعتراض علي، وأقل ما يقول كيف يذكر صفة هذا الشيخ مع ما له من الأحوال وهو لم يجتمع به ؟ ومن أين له مما جاء به ؟ فأقول حينئذ :

إني أشرت لما اعتمدت في عملي	ولي بذلك علم واضح السبل
من شاء فليعترف بما اعترفت به	وما علي إذن في كل منخذل

ورتبته على أبواب تنشرح بها صدور الأحباب، وتنقبض عنها نفوس الحسدة الذين ينسبون للخطأ ما هو عين الصواب(5).

باب في شيبه رضي الله عنه

كان سيدنا رضي الله عنه منور الوجه بالشيب، غاب اسوداده في بياضه، بل عمه الشيب، وهو في فرح تام من ذلك الوقار الإبراهيمي الذي طالما تمنى أن يناله قبل الوفاة، لما تحققه في عالم سره بما للشيب من كبير الحرمة عند الله، ويعجبه سماع قول القائل في خضاب مولاه :

إن الملوك إذا شابت عبيدهم	في رقهم عتقوها عتق أبرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرما	قد شبت في الرق أعتقني من النار

ومثل هذا من المواعظ الحسنة، والتخلق بمكارم الأخلاق لا يشوش فكر المحب الصادق في الضمان المحمدي لسيدنا رضي الله عنه في بلوغ مطالبه، وفوق ما طلب لنفسه ولمن أحب، ولكن كان رضي الله عنه كثيرا ما يحذر من الأمن من مكر الله، فتدعوه رقة القلب إلى إعطاء التجلي حقه أدبا من نفسه، وتأديبا لأبناء جنسه، على ما هو متحقق به في سره من الضمان الذي لا ينقطع استمداده دنيا وأخرى، ومع ذلك فيتأثر للموعظة ويحب سماعها، ويذكر بما ينفع المؤمنين.

فكان ينوه في مجالسه بما يتعين من آداب المريد مع ذوي الشيبة والنظر إليهم بعين الإعتبار والإحترام، ولا شك أن الصغير إذا احترم الكبير فإنه يظفر بما لم يظفر به المنتهك لحرمته، حتى أن

---

(5) لا يختلف اثنان على صعوبة التأليف في هذا الموضوع الدقيق، وذلك لأسباب كثيرة ومتعددة. لكن ما لا يأخذ كله لا يترك كله، ولهذا أقدم العلامة سكيرج على جمع ما تبث عنده من شمائل شيخه أبي العباس التجاني رضي ا عنه هادفا بذلك إلى خدمة الإخوان الفقراء، وتعريفهم بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة التي كان يتمتع بها شيخهم المذكور، ولا تفوتني هنا الإشارة لصاحب جواهر المعاني العارف بربه سيدي الحاج علي حرازم. فقد تطرق لهذا الموضوع بتلخيص في الجزء الأول من كتابه، لكن وفاته المبكرة بالمدينة المنورة عام 1218هـ تركت فترة مهمة من حياة الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه دون تدوين، خاصة فيما يتعلق بشمائله المباركة. وكان هذا السبب دافعا قويا للعلامة سكيرج للقيام بهذا العمل النبيل، مع أسفنا الشديد على عدم تمكنه من إتمامه. وقد بذلنا جهد المستطاع محاولة منا لإتمامه. وذلك في محل آخر غير هذا البحث. لكن هناك بونا شاسعا بين المنهلين، إذ لا يستطيع ركوب البحر إلا أهله من العارفين بأحواله وتقلبات أمواجه.

الحق تعالى يبارك له في عمره فيطول، وقد قيل : حقا على الحق أن لا يتوفى الموقر للشيب حتى يذكره، وورد في بعض الآثار : ليس منا من لم يوقر كبيرنا(6).

وقيل أنه وجد على عرش بلقيس منقوشا ما معربه :

ستأتي سنون هي المعضلات يراع من الهرعة الأجدل
وفيها يهين الصغير الكبير وذو العلم يسكته الأجهل

فعلى الإخوان التجانيين من واجب أدب الشيخ رضي الله عنه أن يلاحظوا هذا بين العين، ويلحظوا كل كبير بلحظ الإحترام، سواء كان متمسكا بحبل هذه الطريقة أو غير آخذ لعهدها، فتعظيم ذي الشيبة متأكد مراعاته شرعا وطبعا.

وقد كان سادتنا أصحاب الشيخ الذين ظفروا بملاقاته، وتنعموا بمشاهدة طلعة نوره وبهجته، يتنافسون في اقتناء شعره الكريم عندما يحلق رأسه الشريف، ويحسن لحيته المشرفة، ويقدمون الإكرام للحجام الذي يتناول تحسين هيئة سيدنا رضي الله عنه ليكرمهم بشيء من ذلك الشعر الشريف، فهو عندهم من الغنائم التي يحصلون عليها، ويتبركون به ويجعلونه في أعز الأمكنة لينالوا بركته، فمنهم من أوصى بدفنه معه، ومنهم من يجعل الشعرة في فم ولده ليمتص ما بها من السر، ومنهم ومنهم، وكل على نيته يجازى، فيجدون بركة ذلك في العاجل، ويأملون حصول المطلوب لهم به في الآجل.

وإلى الآن لا زال يتوارث الإخوان شيئا من الشعر الشريف بقصد التبرك به، وعندنا بحمد الله شعرات منه، نسأل الله النفع بها، غير أنه يتعين الإحتراز من الدجاجلة الكذابين على الإخوان، ممن يذخر بعض الشعرات وينسبها للشيخ وهي ليست له، فليحذر الصادق من المدعين.

باب في خضابه رضي الله عنه

كان سيدنا رضي الله عنه يتعاهد خضاب شعره المرة بعد الأخرى. إقتداء بسنة جده (ﷺ)، وكان يقتدي به في ذلك ذوو الشيبة المنورة من الآخذين عنه مباشرة، وكان رضي الله عنه يحبب لهم أعمال السنة بالترغيب، ويباشر جل السنن بحضورهم تحريضا لهم على العمل بها، ليتم الإقتداء لهم به في الإقتداء بالسنة.

وإلى الآن لا زال أثر صبغ الخضاب لائحا على نور بعض الشعرات المذخرة عند الذين يحافظون عليها من خاصة الإخوان.

(6) ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الصغير وعزاه فيه لأحمد في المسند وللترمذي عن ابن عباس رضي ا عنهما أنظر الجامع الصغير ج 2 ص 138.

باب في كحله واكتحاله(7) :

كان سيدنا رضي الله عنه محافظا على العمل بالسنة المحمدية، والتخلق بالأخلاق الكريمة السنية، والشمائل السنية، ويرغب أحبابه وأصحابه بالعمل بذلك بقدر الإمكان، ويباشر جل السنن بحضورهم، تحريضا لهم على العمل بها، ليتم الإقتداء لهم به باستنهاض هممهم في رؤيتهم لقيامه بنفسه، فيجدون بذلك تنافسا بالإقبال على ذلك، غير أنه كان رضي الله عنه يعمل في بعض الأحيان ببعض السنن ولا يتظاهر بها بين العامة، حتى لا يوسم بما اتسم به بعض أهل الدعوى الذي تشرأب أنفسهم للظهور والشهرة بمخالفة الناس، فترك بعض السنن التي صارت زيا لهم بنية مخالفتهم، سيما عندما يحصل بها كف ألسنة أهل الوقت في عرضهم بالتجاهر بها، فربما يعد هذا العمل من الأمر المحمود، ولذلك قال الشيخ زروق في مثل هذا ما نصه : ثلاث من السنة ينبغي تركها في هذه الأزمنة، ركوب الحمار، واتخاذ الوفرة، واستعمال الخاتم إلخ ...

ومن ذلك الخضاب والإكتحال، حيث كان العامة يلمزون من عملها، ويشار إليه بأصابع الغيبة والنميمة، فيكون معينا لهم على هلاكهم، ولذاك ترك الخاصة من أصحاب الشيخ رضي الله عنه وأحبابه العمل بهذه الشعائر التي صارت شعار أصحاب الدعاوي، وإن كانت في الصدر الأول لا يعمل بها إلا أولو الفتوة.

ولا شك أن ذلك وإن تقرر من السنة فإنه لا زال على ما هو عليه سنة محترمة عندهم يعملون بها عند ارتفاع المانع، فلا وجه للإعتراض في هذا المقام بأن ذلك موجب لترك هذه السنن. والسنة لا ينبغي تركها. ومن أحيا سنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. لما قلناه من أنهم يعملون ذلك في محل غير الشهرة، مع أنهم لا زالوا يحترمونها لسنيتها، وإنما تركها عارض بما أشرنا له، والله الموفق ...

باب في لباسه رضي الله عنه

كان الشيخ رضي الله عنه يلبس سلهاما من الوبر في بعض الأحيان، وفي بعض الأوقات يلبسه من الصوف، يدخله في عنقه، ولا يجعله على عاتقه من غير أن يدخله في عنقه، ويضرب

(7) جاء في كتاب الجواهر الغالية للعلامة سكيرج ص 22 : صفة كحل سيدنا الشيخ رضي ا عنه. نقلتها عن خط سيدي العربي بن السائح، وهو عن سيدي الحاج عبد الوهاب بن التاودي المعروف بابن الأحمر، وهو عن سيدنا رضي ا عنه، وهو كالتالي :
أبيضان : الشب والنشادر
أسودان : الفلفل والقرنفل
أحمران : الحديدة والزعفران
أزرقان : الحديدة والزنجار
تؤخذ أجزاء متساوية، وتدق ناعما، وتوزن مع الإثمد، وتستعمل للحاجة، فإنه جيد في جلاء العيون.

بطرفه على رأسه لتغطية وجهه عندما يريد أن لا يرى أحد وجهه، وبالأخص عند مروره بين النسوان وقت زيارته ووعظه لهن(8).

ولون برنسه البياض، وكان يتخيل لي أنه أسود، ولا يبعد أن يكون عنده، وله برنس كذلك من صبغة الرحمان، وأما لون الوبر فهو معروف، وكان يلبسه سفرا وحضرا، ولباس البرنس من لباس السلف الصالح، ففي العتبية قال مالك : سمعت عبد الله بن أبي بكر وكان من العباد وأهل الفضل يقول: ما أدركت الناس إلا ولهم ثوبان، برنس يغدو به، وخميصة يروح بها، قال القاضي أبو الوليد ابن رشد : البرانس ثياب في شكل الغفائر عندنا، مفتوحة من أمام، تلبس على الثياب في البرد والمطر، وأما الخمائص فهي أكسية من صوف رقاق معلمة وغير معلمة يلتحف بها، كانت من لباس الأشراف في أرض العرب الخ ... كما كان له رضي الله عنه كساء يلتحف بها، وكان يعقد طرفها بحزامه حتى لا تنحل عن كتفه، وكانت من النوع الرفيع والسدي الرقيق المتنافس في عمله للأكابر.

وكان سيدنا رضي الله عنه كثيرا ما يلبس الصوف، وكان يقول ما معناه : كل من لم يمتع جسده بلباس الصوف فقد ضيع نفسه، وكان رضي الله عنه يلبس الملف(9) كذلك.

باب في عمامته رضي الله عنه

كانت عمامته قدس سره على ما بلغنا على لسان الثقة من الثوب المعروف بالمطيب، وهذا الثوب كاد أن ينقطع، وهو من الكتان الغليظ، ذات عشرة أدرع، ويكورها على قلنسوة حمراء من تحتها قلنسوة بيضاء، ويغرز طرفها بإبرة حتى لا تنحل، ويلف عليها حبلا رقيقا من الوبر على عادة أهل الشرف الوطني(10)، وقد تبركت بحبل من الحبال التي كان يلف بها

(8) حول هذا الموضوع ذكر العلامة سكيرج في كتابه كشف الحجاب ما نصه : وكثيرا ما كان سيدنا رضي ا عنه يدخل لدار صاحب الترجمة (عم العباس بن الغازي) فيجتمع عليه أهله للزيارة، فيضع سيدنا رضي ا عنه طرف سلهامه على وجهه لئلا يرى أجنبية، فإذا أكثرن عليه من طلب الدعاء وتقبيل يديه يقول لهن : بركه بركه، بمعنى يكفي يكفي، يأمرهن بالكف عنه، وكذلك كان رضي ا عنه يفعل في عشية الجمعة بالزاوية المباركة إذا كان خارجا منها، فإنه يذهب وحده للموضع الذي كان جعله لهن، لئلا يزدحمن بباب الزاوية فيحصل بذلك الضرر الديني من ازدحام النساء والرجال في الدخول والخروج، فإذا ذهب لناحيتهن يجعل على وجهه طرف سلهامه، فيزدحمن عليه للزيارة، فيدعو لهن بصلاح الأحوال دنيا وآخرى ويعظهن ويذكرهن إلخ ... أنظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 311.

(9) في كناش العارف بربه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي، قال الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح في معرض كلامه على ثياب سيدنا رضي ا عنه ما نصه : وكانت ثيابه في الغالب من أوسطها، ومن أفخرها في غيره، وربما كانت ثياب عبيده أحسن مما كان يلبسه هو رضي ا عنه، حتى أنك إذا رأيت عبيده حسبتهم غلمان الملوك.

(10) في كناش العارف بربه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي، قال الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح : كان سيدنا الشيخ رضي ا عنه يخيط عمامته من وراء لئلا تشغله في الصلاة إذا انفكت. وهي شقة كاملة من الثوب الرفيع. قال العلامة سكيرج : وهي عند المقدم الآن من النوع المسمى بالمطيب، ومقدار طولها عشرون ذراعا.

عمامته(11)، وجعلته على رأسي، ولويته على عنقي في وسط جماعة من الإخوان، من جملتهم محبنا الأعز المرحوم السيد الحاج محمد فتحا بن المدني القباج(12)، وهذا الحبل كان على ملكه، وقد أدرجه في عنقي وعنقه، وهذا الرجل من الفانين في محبة الشيخ رضي الله عنه، وقد أفضى به الإستغراق في المحبة إلى الجذب الذي اتصف به آخر عمره بنحو أربع سنين، وقد توفي رحمه الله عام 1333هـ، وحول هذا المقام أنشدت مخاطبا لسيدنا رضي الله عنه وأرضاه وعنا به(13) :

حبلي بحبلك لا يزال منبرما ... رغما على أنف من يراه منصرما
ومنك أسديت لي أجل مكرمة ... بها أعز كرامة لدا الكرما
أدنيتني منك في سر وفي علن ... فنلت أقصى المرام منك والنعما
مولاي يا أحمد بن سالم سندي ... يا سيدا كل من به احتمى سلما
ربطت رأسي بحبل كنت تربطه ... من فوق هامة فضل قد علت همما
وقد تيقنت أن السعد ساعدني ... بنيل سر بذاك أمره عظما
وذاك طبق اعتقادي فيك يا أملي ... حبلي توثق في حبل بك انبرما
بالله لا تقطع الحبل الذي اتصلت ... به حبالي وكن لي راعيا ذمما
فقد بلغت مقاما ليس يدركه ... سواك دنيا ولا أخرى لدا العلما
ألست أنت إمام الأوليا وبك المولى ... الولاية في الدارين قد ختما
وقد رجوتك في دنيا وآخرة ... لكل أمر مهم كلما دهما
وحاش أن لا أنال فوق أمنيتي ... من بحر جودك وهو يكشف الغمما
والمصطفى لك قد أدى ضمانته ... بنيلك المبتغى طبق الذي علما
صلى عليه الإله دائما وعلى ... آل وصحب ومن به قد احترما

---

(11) قال العلامة سكيرج : كان سيدنا رضي ا عنه يجعل على عمامته طيلسانا شالا، يسدله على رأسه ويمر به تحت حنكيه وعنقه الشريف، وربما اف عليه حبله الوبري، وربما اف الحبل فوق لية حائكه. وكان رضي ا عنه يجعل في بعض الأحيان حرزا بين ليات عمامته لسر باطني يقصده بذلك.

(12) ترجم له العلامة سكيرج في كتابه الرحلة الحبيبية الوهرانية، وقال فيه بعد كلام : ويكفيك فيه أنه من أبناء خدام الحضرة التجانية من السادة أولاد القباج. ودارهم دار الشيخ رضي ا عنه في الحضرة الفاسية، ينسبون إلى الشيخ رضي ا عنه بجميع ما لهم من أولاد وأهل وفرع وأصل، قد لحظتهم عين العناية فكانوا من خاصة المنتسبين لهذه الحضرة التجانية، حيث استغرقوا أعمارهم في حب الشيخ رضي ا عنه وحب من انتسب إليه الخ ... انظر الرحلة الوهرانية للعلامة سكيرج ص 19.

(13) قال العلامة سكيرج : ومما وقع لسيدي الحاج علي أملاس مع سيدنا رضي ا عنه ما حدثني به بعض أحفاده أنه دخل على سيدنا رضي ا عنه والحجام يحسن له، ورأى عمامة سيدنا رضي ا عنه فوق الأرض منزلة، فأخذها وجعلها فوق رأسه ليتبرك بها، فبمجرد جعلها عليه أحس بخروج عينيه من موضعها من فرط ما حملته من السر، لمسها لرأس سيدنا رضي ا عنه، ثم إنه جعل يديه عليها وصار يصيح، فرآه سيدنا رضي ا عنه، فقال له : ما حملك على هذا þ ونزعها من رأسه، وصار يطلب له من ا اللطف لئلا تتلف عيناه من فرط التجلي الذي حصل له بسبب ذلك، وبقي مريضا مدة إلى أن شفاه ا تعالى. انظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 272.

باب في نعال سيدنا الشيخ رضي الله عنه

كانت نعل سيدنا رضي الله عنه من النعال المعروفة عندنا بفاس بالنعال المشيطة، وهي الجنس الرفيع من النعال في وقته، وهي تشابه النعل الشريف في الهيئة، فكان رضي الله عنه يلبسها مدة قليلة ثم يلتمس الأصحاب منه أن يتحفهم بها فيلبس بدلها جديدا، وما شوهدت في رجله الشريفة نعل بالية، وذلك حالة ركوبه ومشيه راجلا، مما ازداد به حساده عجبا من الترفه الذي لم يظفروا منه بأقل قليل، وقد تشرفت بالتبرك بنعله اليسرى عند محبنا الأعز السيد أحمد بن الحاج محمد بن المدني القباج(14). وباليمنى عند عمه المحب الصادق السيد محمد فتحا القباج، وتشرفت كذلك بالنعل الشريف التي هي عند الشريف الجليل سيدي إبراهيم بوطالب، وكنت عملت في ذلك أبياتا ذكرتها في الرحلة الوهرانية(15)، وتبركت بها عند أولاد السيد ابن التاج بوجدة حيث كنت بها قاضيا، وتبركت بها عند الأمين الكاتب بدار المخزن السيد علال بن حيون(16)، ولم أعرفها عند غير هؤلاء.

---

(14) أحمد بن الحاج محمد بن المدني القباج، فقيه جليل، من مواليد مدينة فاس عام 1290هـ، وبها أخذ العلم والمعرفة، ثم انتقل لمدينة وهران عام 1320هـ، وذلك بقصد مزاولة التجارة بها، وقد توسع العلامة سكيرج في ترجمته في كتابه الرحلة الحبيبية الوهرانية ص 21-32. وكذلك في كتابه رياض السلوان ص 21.

(15) انظر الرحلة الحبيبية الوهرانية للعلامة سكيرج ص 31. وقد قال في آخر هذه القصيدة :

لله من شيخ يفوز مريده	بمناه مهما حل رحب مناره
إني لأحمد خدمتي لجنابه	بمدائح نظمت بسلك نظاره
إن كان يوما فاتني منه اللقا	ما فاتني الآيات من آثاره
فأنا الذي في حبه أصبحت لا	أبغي سوى التعطير من أخباره
إن لم أكن قبلت أخمص رجله	فلقد ظفرت بلثم نعل يساره
وبموطئ القدم الشريفة كحلت	عيناي منه تبركا بغباره
وبذاك آمل أن أفوز بمطلبي	دنيا وأخرى كي أرى بجواره
وأكون ملحوظا بعين عناية	في الدهر لا أخشى جميع شراره
متوسلا في ذا بشيخي المرتضى	وبجاه ما قد نال من أذكاره
وبجاه ما قد نال من خير الورى	من فيض عرفان ومن أسراره
فعليه خير تحية لا تنقضي	تغشى جميع الآل مع أنصاره

(16) الكاتب الفقيه السيد علال بن عبد الرحمان بن حيون الفاسي، من مواليد مدينة فاس عام 1284هـ، تقلب في مناصب مخزنية بارزة منها أمين للأملاك والمستفادات المخزنية برباط الفتح. وبعدها عين كاتبا بوزارة المالية بالأعتاب الشريفة. وهو حفيد السيد الحاج محمد بن حيون أحد أصحاب وأحباب الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه، انظر ترجمته في رياض السلوان للعلامة سكيرج ص 105 .

باب في سبحته رضي الله عنه

كانت لسيدنا رضي الله عنه سبحة يذكر بها أذكاره اللازمة وغيرها(17)، وكانت من النوع المسمى باليسر(18)، ولم يكن فيها ترصيع بفضة ولا غيرها كما يستعمله من دأبه الفخر، وإنما اختار هذا النوع لسبحته والله أعلم لأمرين، أحدهما أن هذا النوع طيب كما أن الذكر طيب، فاختار الطيب للطيب، ثانيهما أن هذا اليسر فيه فأل حسن، والنبي (ﷺ) كان يحب الفأل الحسن، وكان عدد حبات سبحته مائة بلا زيادة ولا نقصان. وعلى هذا العدد تعقد كل سبحة تجانية اقتداء بشيخنا رضي الله عنه.

وعند السادة الإخوان التونسيين أخذ السبحة من نوع العناب(19) ويقولون : من لم تكن عنده منه سبحة فليس بشيء في الطريق.

باب في مأكوله رضي الله عنه

كان سيدنا رضي الله عنه يقول : لا يكمل نفع الأشياء إلا بعد بلوغها من الثمار واللحم وغيرهما. وكان يأمر المتكلف بنفقته أن لا يشتري من ذلك إلا الحسن الجيد. وأما ما كان غير كامل الحسن فإنه يرده ولا يقبله(20)، وكان رضي الله تعالى عنه لا يأكل في اليوم إلا مرة واحدة، وذلك في الساعة العاشرة من النهار. وكان كثيرا ما يأكل الكسكس على نوع مخصوص من الطبخ، وكيفية ذلك أنه يأخذ المسخنات المعروفة عندنا برأس الحانوت، ويطبخها مع التمر المجهول، ويجعل ذلك خضرة

---

(17) قال العارف با سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي : قال الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، كان سيدنا الشيخ رضي ا عنه يحب أن تجعل السبحة مربوطة في الحزام، ولا يخرجها صاحبها من حزامه إلا عند الذكر بها فقط.

(18) اليسر : شجر له حب شديد السواد طيب الرائحة، وفيه يقول بعضهم :

هو اليسر إن أردت عزا وراحة	وكنزا من الخيرات لا يتبدد
جليل محبب لدا الناس كلهم	ولونه صاف ذو نظارة أسود
يفوح بعطر المسك في كل ساعة	لتعلم باليقين أنه الأجود
ويكفي افتخارا أنها السبحة التي	بها يذكر الشيخ التجاني أحمد

(19) العناب : شجر حبه كحب الزيتون، أحمر حلو، والواحدة منه عنابة.

(20) كانت المؤونة اليومية لدار سيدنا الشيخ رضي ا عنه كبيرة وعظيمة، بحيث يحسب من لا يعرفها بأنها مؤونة لديار كثيرة متعددة، ولتقريب القارئ من وفرة هذه المؤونة وعظمها نشير إلى ما ذكره العلامة سكيرج في كتابه كشف الحجاب، عند ترجمته للعارف بربه البركة سيدي العربي الأشهب، حيث قال : وبلغني أن صاحب الترجمة كان مارا في بعض طرق فاس، صاعدا إلى دار سيدنا رضي ا عنه، ومعه ثمانية أحمال من الفحم، اشتراها لآجل طبخ المؤونة لدار سيدنا رضي ا عنه، فصار كلما مر بطريق يقول له بعض الفضوليين من أهل فاس : هذا الفحم به يستعمل سيدي أحمد التجاني الكيمياء والإكسير، قاصدين بذلك تنقيص الشيخ رضي ا عنه، وصاحب الترجمة لا يجيبهم إلى أن وصل لدار سيدنا رضي ا عنه، فوجد الشيخ رضي ا عنه مع جماعة من أصحابه هناك، فقال له الشيخ رضي ا عنه : يا سيدي العربي ماذا سمعت الناس يقولون لك þ فأخبره بقولهم، فقال له الشيخ : نطلب من ا أن يسامحهم فيما يقولون.

على الكسكس ويأكل منه لقيمات، ثم يأخذه الإخوان فيأكلوه تبركا، وكان يطبخ أيضا اللحم على هذه الكيفية، وهذا النوع كالنوع المعروف عندنا بالمروزية، إلا أنه يجعل التمر عوضا عن الزبيب، ويشرب على ذلك شراب الزبيب.

وحدثني البركة الأجل المقدم سيدي الطيب السفياني(21) سقاني الله وإياه من كأس شيخنا الرباني أن المقدم سيدي موسى بن معزوز(22) شكا إلى سيدنا رضي الله عنه كثرة النوم وعدم القدرة على قيام الليل، فأمره بتقليل الأكل. فقال له : لا أقدر على ذلك، فأمره بأن يأكل في كل يوم مرة من النوع الذي يشتهيه ما يقدر عليه، ثم كذلك في كل يوم، فاستعمل ذلك فوجد في اليوم الأول بعض المشقة في احتمال ذلك، وفي اليوم الثاني انتقص من أكله قدر يسير، وخف عنه بعض الضرر، ثم كذلك حتى تعودت نفسه الأكل اليسير في وقت واحد من مجموع الليل والنهار، وصار يقدر على القيام بنشاط نفس.

اللـحــم :

كان سيدنا رضي الله عنه لا يأكل من اللحم إلا ما كان سمينا، وأما الهزيل فإنه لا يأكله ولا يأمر بشرائه. وكان صاحبه وخادمه سيدي العربي الأشهب الفاسي(23) مكلفا باشتراء المئونة اليومية لدار سيدنا رضي الله عنه. وقد اتفق يوما أنه اشترى لدار سيدنا رضي الله عنه سبعة عشرة قصبة من اللحم هزيلة في زمن الشتاء، فلما رآها سيدنا رضي الله عنه أمر بإخراج ذلك اللحم من داره، وقال لأهله : لا تأكلوها، وأمر بإعطائها لمن اشترها، وقال : خذها أنت لا يدخل لداري هزيل، وكان يقول لمن يتولى نفقته : لا تشتري الهزيل ولا الصغير واشتري العظم الغليظ.

---

(21) سبق التعريف به في ج 1 ص 42 من هذا المجموع.

(22) العارف با الشريف الجليل البركة سيدي موسى بن سيدي الكبير بن محمد بن معزوز الحسني. من خاصة أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه، توفي عام 1257هـ. انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 261. وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 293. وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للفقيه الحجوجي ج 1. وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 19.

(23) سيدي العربي الأشهب. صاحب الشيخ أبي العباس التجاني وخديمه الخاص. قال فيه مرة منوها بشأنه : نعم الصاحب. نعم الحامل. نعم الرفيق. توفي رحمه ا في حياة سيدنا الشيخ رضي ا عنه. ودفن خارج باب الفتوح بفاس. ولما أتى بعض الأصحاب لتعزية الشيخ رضي ا عنه فيه قال بعضهم له : يا سيدي إن مات سيدي العربي فكلنا مثله. فقال الشيخ رضي ا عنه : ما كان مثله ولا يكون. انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 474-486. وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 4 ص 81-94. وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للفقيه الحجوجي ج 1. وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 50.

اللــفـــت :

كان سيدنا رضي الله عنه يعجبه من أنواع اللفت نوع المحفور، وأما نوع البلدي فكان لا يحبه، وكان يذمه غاية الذم لبرودته وضرره بالنبولة، وقد بلغنا عنه رضي الله عنه أنه دخل يوما عليه أحد أصحابه وهو سيدي أحمد الفيلالي(24)، وقال له : يا سيدي إني اليوم تغذيت مع سيدي فلان. وهو صاحبه سيدي الحاج الكبير لحلو(25) غداء جيدا. فقال له : ما هو ؟ فقال يا سيدي : الدوارة باللفت البلدي، فقال له سيدنا رضي الله عنه : الله يلعنها ويلعن شاكرها. هذا لفظ سيدنا رضي الله عنه. ومراده بلعن شاكرها أي من يشكرها إلى الناس ليقبلوا على أكلها فيحصل لهم ضرر. وكان المقدم البركة سيدي الطيب السفياني لا يأكلها من ذلك الوقت إلى أن توفي رحمه الله اتباعا لسيدنا رضي الله عنه، وقد كان يسميها بالملعونة، وفي اللفت ألغز بعضهم بقوله :

ما أبيض في خده حمرة — عليه أثواب من السندس
اللفت في أوصافه جملة — بينتها للحاذق الكيس

(24) أبو العباس سيدي أحمد بن عبد السلام الفيلالي الودغيري السجلماسي أصلا، الفاسي دارا وقرارا وموتا. من خيرة أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه. توفي عام 1285هـ. ودفن خارج باب الفتوح بالقرب من ضريح أبي ميمونة سيدي الدارس بن إسماعيل رضي ا عنه. وهذا على حد قول العلامة الحجوجي، وذكر العلامة سكيرج أنه قد توفي بتونس وقبره بها مشهور مقصود من طرف الإخوان. انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 369-376. وفي رفع النقاب لنفس العلامة ج 1 ص 170-177. وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 10. وفي نخبة الإتحاف لنفس العلامة رقم الترجمة 16. وقد مدحه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

يا سيدي يا أحمد الـودغـيـــــري — يا مطلع الأسرار في تنوير
لك في التجاني الختم حسن عقيدة — قد أبرمت باليسر والتيسيـر
وربطت نفسك منه بالحبل الـذي — ما زال منبرما بلا تغييـــر

(25) أبو عبد ا سيدي الحاج الكبير محمد بن عيسى لحلو. من أفاضل أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا تعالى عنه. توفي في 17 شعبان الأبرك عام 1277هـ. انظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 507. وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 2 ص 275. وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للفقيه الحجوجي ج 1. وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 40. وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 20. وفي حقه قال العلامة سكيرج في منظومته المسماة بجنة الجاني :

ومنهم الكبير لحلو مـن حـــلا — مشربـــه وقـد غـدا مـبـجـــلا
وقال فيه أنه مـن صـحـبـي — وخـصـه فـي صحبـه بالقـرب
قدمه الشيخ إلى الصـلاة بـــه — وقت اجتماعه به مع صـــاحـبـه
وكان ذا ذكر خصوصي لم يقـــم — بـه سـواه وله خيـر يـعـــم
ولم ينيب سواه في أذكـــاره — لـنـكـته تـقـدمـن أســـراره
قال إذا مات المحافظ عـلـــى — خير فـإن فعلـه لـن يـبـطـــلا
لأنه ينب عـنـــه مـلكـــا — لفعل خيره الذي قـد تـــركـــا
وإن فـعـــل الـملك المكـرم — أفضل من نيابة الـغـيـــر السـمـي

فأجبته بقولي :

اللفت في لغزك لما بدا	قولا لطيفا لذوي الأنفس
فإن إلى اللفت في شرحه	قولي فقد اللفت في الأنفس

الخرشـف :

كان سيدنا رضي الله عنه يعجبه الخرشف ولا يقول بالقناريه. وهي نوع منه معروف عندنا بفاس بهذا الإسم. وكان يفضل الخرشف على أنواع أخرى.

المكـور :

كان سيدنا رضي الله عنه يحب الأكرنب المعروف بالمكور ويعجبه غاية.

القـرعة :

كان سيدنا رضي الله عنه يعجبه من نوع القرع النوع المعروف عندنا بالسلاوية. ويقول إنها تبرد الحرارة ولا تضر بالذات. وهي تنفع المحمومين. ونقل لنا عن الولي الصالح سيدي العربي بن السائح كيفية في استعمالها، وذلك أن تؤخذ وتقشر ظاهرا وباطنا، وتبخر أو تطبخ بماء قليل في إناء، وهذا أحسن، ثم تؤخذ عصارتها مع شيء من المسك، ويشربها المحموم يشفى سريعا بإذن الله تعالى، وأما أكلها مع اللحم فهو جيد نافع معتبر لكل من اختبر، وكذلك أكلها على هذه الكيفية فهو جيد للغاية، وذلك أن تؤخذ وتنقى وتطبخ بزيت وشيء قليل من البصل والمعدنوس، فإذا غلت يلقى عليها شيء من الكمون، فإنها تأتي بديعة الأكل مبردة للحرارة.

الخدنجال :

كان سيدنا رضي الله عنه ينهي عن استعمال الخدنجال لزوال حصر البول وحرقته شربا، ويأمر بأن يستعمل عوضه البسيبيسة، وهي معروفة عند أهل فاس تغلى في الماء ويبرد ويشرب لذلك، فإنها أنفع، ولأنها لا يخشى معها توريث حرق النبولة ونحوه من الضرر الذي يحدث عن الخدنجال.

القطران :

كان سيدنا رضي الله عنه يحب رائحته ويستعمله في آنية شربه ويمدحه لأصحابه لشدة نفعه، وكان يقول : لولا أن أهل فاس لم يكن عندهم القطران ويشمون رائحته لما تواكلهم بالتخم.

ومما شوهد من كرامات سيدنا رضي الله عنه أنه جيء له بإنسان قد شرب السم وأضر به ضررا عظيما، ولم يجد له دواء، فقال لهم سيدنا رضي الله عنه لو أخذتم القطران وفعلتم هكذا وهكذا وأشار بيده إلى صدر المصاب لبرئ بإذن الله، فحصل الشفاء لذلك المريض بإشارته رضي الله عنه،

وهي كرامة له، ومن فعل مثل سيدنا رضي الله عنه لمصاب واستحضر همته في ذلك فلا شك عندي أنه ينفعه إن شاء الله، وقد فعلت ذلك بمصاب به فوجد الراحة من ضرره والحمد لله.

الـمــــاء :

كان سيدنا رضي الله عنه يفضل ماء العين على ماء الأودية، وذلك لصفائه من الكدر والخبث الواقع في ماء الواد، سيما إذا كانت الشمس تشرق فيه طوال النهار، فإنه تجتمع فيه الأضرار، ولذلك كان رضي الله عنه لا يشرب غالبا إلا منه، ويمدح استعماله لأصحابه عن استعمال غيره، فإن قلت ماء العين ثقيل واستعمال الخفيف أولى ؟ فالجواب أن ماء الوادي أعظم ضررا بسبب العفونات والكدورات الواقعة فيه، ولهذا فاتقاؤها أسلم لمضرته بنبولة الإنسان.

ضــرر الـحـمـــى :

كان سيدنا رضي الله عنه يقول : الحمى كلها حارة، وإنما تكون داخل الجسم فيبرد ظاهر الجسد من قبل شدتها، فلذلك إذا انفتحت في الذات انفتحت بالحرارة.

قال الولي الصالح سيدي العربي بن السائح رضي الله عنه : مما جرب لشفاء المحموم أن يؤخذ عود الكنا ويبرد بنحو سكين، ويجعل ما ينزل منه في قطيع فيه ماء سخون، ثم يحرك فيه حتى تظهر رغوته من القطيع، ثم يصب منه نحو كأس في ماء، ويشربه المحموم، يشفى سريعا بحول الله وقوته(26)، ثم قال هذا هو الذي نعرفه وجربناه فوجدناه صحيحا، وأما ما يجئ من الروم الذي يسمونه روح الكنا فإنه لا علم لنا به ولا معرفة لنا به، ولا نتداوى به أصلا، لأنه لما صنع صار سما خارقا بسبب التصعيد، فهو قاتل، وقد شوهد ذلك في بعض الناس، والله يتولى هدانا جميعا بمنه.

الموسيقى :

لا خفاء على من له ذوق سليم أن النفس تنفعل بآلة الموسيقى، حتى أن من زال عقله وصارت تعزف وهو يستمع لها أحيانا فإنه يرد له عقله. وسماعها كالسماع بحسب السامعين في كلام عند علماء الشريعة بالتحريم والتحليل، ولسنا نتعرض لهذا المبحث هنا، وإنما نتكلم هنا على ما كان يستعمله

---

(26) جاء في كناش الفقيه سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي قال : قال العارف با سيدي محمد العربي بن السائح رضي ا عنه : مرضت بالحمى مرضا شديدا فزارني مولانا محمد بن أبي النصر، فرأى عندي برادة فيها الرند الصيني، فقام وأهرقها، وأهرق الشرابة كذلك، وأمر بغسلها من أثر الرند. ثم قال للخادم انظر من الباب þ فإذا به عبد لمولاي محمد. وبيده سطل فيه لبن منزوع، فدخل علي فأمرني بالشرب، فشربت، فطلب مني زيادة الشرب، فشربت، ثم طلب مني الزيادة فشربت، حتى لم أقدر على الزيادة، ثم قال لي هذا دواؤك ودواء الحمى، ثم خرج وجلس بالسطوان وشرب ما بقي، ثم جعلت أشرب اللبن حتى شفاني ا عن قريب، ثم قال رضي ا عنه : قال لي مولاي محمد بن أبي النصر : ولو كان هذا اللبن لبن عنز لا أخرج من عندك حتى تعافى. وإن سيدنا الشيخ رضي ا عنه قال : دواء الحمى والصفراء اللبن المنزوع.

وفي نفس الكناش قال العارف با سيدي محمد العربي بن السائح : كان سيدنا الشيخ رضي ا عنه مما يداوي به الحمى اللبن، وخصوصا لبن المعز، أي الممخوض، ويداويها كذلك بالجوع وبشرب فطور الشعير.

سيدنا رضي الله عنه، فقد بلغنا عنه رضي الله عنه أنه أنشدت ليلة بين يديه قصيدة فتواجد فقال رضي الله عنه لأصحابه : أهنا من يعرف الموسيقى ؟ فقيل له كائن، فسأل منه إحضار أهلها في تلك الليلة، فأسعف السائل لذلك ليالي تسعا، وكان إذ ذاك رمضان، واستعملوا في الليلة الأولى كلام ابن الفارض وغيره من القوم(27).

تعظيم الأسماء والآيات :

لا يخفى أن تعظيم أسماء الله والقرآن من شعائر الإيمان، ومن أهان إسما من أسماء الله تعالى أو آية من آيات القرآن الكريم فقد ضل عن سوء السبيل بالخذلان، وإهانة ذلك يكون بعدم المحافظة عليه من القاذورات ونحوها، ولذلك حرم بعضهم تصفيح أوراق المصحف مع بل الأنامل بالريق الذي هو طاهر خوفا من تلطخه مما يستقذر.

وقد كان سيدنا رضي الله عنه يقول : من ألقى أسماءه تعالى أو كلامه في نجاسة يكفر، ولهذا ينبغي لمن كتب اسما من أسماءه تعالى أو آية لإنسان أن يأخذ على مريدها العهد بالمحافظة عليها أتم الحفظ، بحيث لا توضع إلا في المواضيع الطاهرة الطيبة، وأن يشمعها ويغلفها إذا أراد أن يعلقها على من لا معرفة له من الصبيان والنسوان، خوفا عليهم أن يصاب مستعملها بما يؤدي إلى الخسران.

ومما ينبغي أن يتفطن له أن لا يدفن مع ميت اسم أو آية ونحو ذلك، وإن أوصى بأن يدفن معه ذلك لما يرى فيه من الثواب، فإن ذلك من الضلال، ولذلك كان سيدنا رضي الله عنه يقول : من يدفن مع الميت اسما من أسماءه تعالى أو قرآنا يكفر، لأن الميت لا محالة يرجع دما وصديدا(28).

---

(27) انظر الإفادة الأحمدية للبركة سيدي الطيب السفياني. باب حرف الألف، وعن سببه قال رحمه ا : سببه أنه كان رضي ا عنه أنشدت بين يديه قصيدة فتواجد وقال : أهنا من يعرف الموسيقى þ فقيل له كائن، فسأل منه إحضار أهلها في تلك الليلة، فأسعف السائل لذلك ليالي تسعا، وكان إذاك رمضان، واستعملوا في الليلة الأولى كلام ابن الفارض وغيره من القوم، فسألهم في الغد لماذا لم تستعملوا طبوع الموسيقيين þ فأخبروا أنهم استعملوا ذلك قصدا وأدبا منهم معه على قدر جمعهم، فأمرهم باستعمال ما يعرفون منها، وكان يأمرهم بالمبيت معه ليلة ويتركهم أخرى، وكان لا يحضرهم بعد النصف الأول من الليل، وسأل يوما عن أجرتهم þ فلما أخبر بما يعطونه إستقل ذلك، وقال : لا يكفينا فزيدوا على ذلك، وطلبوا منه مرة أخرى في عرس أولاده فأسعف لذلك وأحضرهم بالنهار. وكان رضي ا عنه لا يحضرهم بعد الزوال ولا يقرب ساحتهم فيه، وكان رضي ا عنه إذا جلس للسماع يعطيه كليته. ولا يشتغل عنه بكلام إلا لإصلاح تصحيف أو تحريف في كلامهم، فيكلم الذي يليه في ذلك ويصلحه ولا يغفل عنه، ولا يحضر بحضرته من آلات السماع إلا العود والرباب والكمانجة فقط بأمر منه.
ومن العجائب أن المعلم عبد الحق الجابري الربائبي لم يحضر ليلة، فسأل عنه، فأخبر أنه لم يتيسر له المجيء، فأمر رضي ا عنه بتعطيل ذلك، مع أننا أتينا بمعلم مكانه، ومن الغرائب أن اليوم الأخير من العرس اجتمعنا عليه رضي ا عنه وطلبنا منه الفاتحة، فلما فرغ منها سقطت خصة عن مكانها حتى ذاع ماؤها، فكان ذلك الجمع آخر عهد بيننا وبينهم، انظر كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 275.

(28) انظر الإفادة الأحمدية للبركة سيدي الطيب السفياني، باب حرف الميم، وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 182.

نسبه رضي الله عنه

قال العلامة سيدي محمد بن المشري في كتابه روض المحب الفاني ما نصه :

أما نسبه رضي الله عنه فهو ينتمي إلى مولانا الحسن بن علي رضي الله عنهما، وتحقيق نسبه رضي الله عنه محقق عندي، ولم يعول الشيخ رضي الله عنه على ما هو مسموع عند الناس، وما هو مكتوب في العقود، حتى سأل النبي (ﷺ) عن نسبه وحققه له، سمعته يقول رضي الله عنه : سألت سيد الوجود (ﷺ) على نسبي هل شريف أم لا ؟ وعلى أهل القرية التي ولد فيها فإنهم ينتسبون إلى الشرف ؟ فأجابه (ﷺ) : أنت ولدي أنت ولدي وكررها ثلاث مرات، وأما أهل القرية فقال لي الشيخ رضي الله عنه : سكت عني (ﷺ) ولم يجبني بشيء في تحقيق نسبتهم، والشيخ لم يكن نسبه منهم، بل جده النازل فيها طارئ عليهم(29)، وليس بينهم نسب إلا من النساء، وإنما نسب إليها لتوطن أجداده بها، هكذا أخبرني رضي الله عنه، فمن حين سمع تحقيق نسبه من سيد الوجود (ﷺ) صرح بالشرف وجزم به للخاص والعام، وذلك لتحقيق نسبه في نفس الأمر، لأن سيد الوجود (ﷺ) أخبره يقظة لا مناما، وسأله عن أمور كثيرة ظاهرة وباطنة وأخبره بها (ﷺ)(30).

وعمود نسبه رضي الله عنه كالتالي :

هو العارف بربه القطب الرباني والغوث الصمداني أبو العباس مولانا أحمد بن محمد فتحا بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم بن أبي العيد بن أحمد بن أحمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد الجبار بن إدريس(31) بن إدريس بن إسحاق بن زين العابدين بن العارف بالله سيدي أحمد بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه من مولاتنا فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله (ﷺ).

---

(29) ذكر العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج في العديد من أجوبته أن أجداد الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا تعالى عنه كانوا بمنطقة عبدة بإقليم بمدينة آسفي بالمغرب، والذي انتقل منهم إلى الصحراء الشرقية هو جده الرابع مولانا محمد فتحا بن سالم، وفد على قرية عين ماضي فاستوطنها وتزوج منها، وبها بقي أولاده إلى حين ازدياد سيدنا الشيخ رضي ا عنه، وبهذا القول قال جماعة من أكابر أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، منهم الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، والمقدم الجليل سيدي محمد بلقاسم بصري المكناسي، والعلامة الفقيه سيدي محمد فتحا كنون، والفقيه سيدي محمد الحجوجي وغيرهم.

(30) أنظر روض المحب الفاني للعلامة العارف با سيدي محمد بن مشري ص 2.

(31) يخطئ بعض الجاهلين بعلم الأنساب فينسبون الشيخ أبا العباس التجاني للشرفاء الأدارسة، بدعوى ضم شجرته المباركة لشخصين وهما إدريس بن إدريس، وهذا خطأ كبير، لكون هذين الرجلين من أحفاد سيدي محمد النفس الزكية كما هو مرسوم في عمود نسبه، وبالتالي فهو قول باطل لا أساس له من الصحة، وذلك لأن المولى إدريس الأكبر الذي وفد على المغرب عام 172هـ هو واحد من إخوة سيدي محمد النفس الزكية وليس من أبنائه أو أبناء أبنائه، والنصوص التاريخية شاهدة بذلك.
والصحيح أن إدريس بن إدريس الواردين في نسب الشيخ التجاني رضي ا عنه هما من الأشراف الوافدين على المغرب في عهد الدولة الإدريسية، أما سبب تسميتهما معا بهذا الإسم الموافق لاسم باني مدينة فاس مولانا إدريس بن إدريس فإنه يعود لسبب واحد وهو أن الكثير من الشرفاء الحسنيين وفدوا على المغرب في هذه الفترة فارين من الاضطهاد الذي مارسته عليهم الخلافة العباسية بالمشرق، وكان المغرب بالنسبة لهم دار سلم وأمان، وهذا نظرا لوجود دولة عربية إسلامية حسنية على رأس الحكم به، ولهذا السبب كان الكثير من الشرفاء الوافدين على المغرب وقتذاك يسمون أبناءهم باسم مؤسس الدولة الإدريسية مولانا إدريس تيمنا باسمه ومحبة وتعظيما لقدره الجليل، بالإضافة لتمكنه من تأسيس دولة مستقلة ساعدت في استقطاب أهل البيت من جميع الجهات.

ذكـر أولاده رضـي اللـه عنـه

كان لسيدنا الشيخ رضي الله عنه في حياته عشرة أولاد ستة منهم من الذكور وأربعة من الإناث، أما الذكور فهم سيدي محمد الحبيب الأول وسيدي المختار وسيدي خليفة وقد توفي صغيرا بفاس، وسيدي إسماعيل وتوفي صغيرا هو الآخر بأبي سمغون، وسيدي محمد الكبير(32) وسيدي

(32) سيدي محمد الكبير بن الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه، ازداد بقرية أبي سمغون بالصحراء الشرقية، وأمه هي السيدة الفاضلة (مبروكة)، وقد توفي رحمه ا شهيدا قرب مدينة أم عسكر من القطر الجزائري، وذلك بعد معركة طاحنة بين جموعه من جهة وجيش الباي التركي من جهة ثانية، وقد استشهد معه في هذه الواقعة أكثر من ثلاثمائة من أحبابه من رجال منطقة أبي سمغون، وكان تاريخ هذه المعركة عام 1238هـ، وفي هذا الصدد قال العلامة ابن محم العلوي الشنجيطي في مقدمة كتابه روض شمائل أهل الحقيقة ما نصه : ثم غزا سيدنا محمد الكبير الأتراك الساكنين بأم عسكر والجزائر، فهزم جيشه، وثبت هو ومن كان معه إلى أن استشهدوا كلهم، وبلغني أن إخواننا السمغونيين استشهدوا كلهم جميعا في تلك الواقعة، وبقيت نساؤهم بلا رجال إلى أن كبر لهن الصبيان، وقطع الأتراك رأسه رضي ا عنه، وبقي معلقا عندهم مدة، فسلط ا عليهم النصارى فأخرجوهم من الجزائر.
وكان الشيخ رضي ا عنه كوشف بقتلهم لواده فدعا عليهم بقوله : ا يسدها في وجوههم كما سدت جزيرة الأندلس، وضمير يسدها للجزائر، فأجاب ا دعوته، فما سكنها تركي بعد ذلك إلى يومنا هذا إلخ ...
وذكر العلامة سكيرج في كتابه رفع النقاب ج 1 ص 239 ما نصه : وقد بلغني على لسان الثقة بأن سيدي محمد الكبير بن الشيخ رضي ا عنه لما دخل للخلوة التي بأبي سمغون وسمع الهاتف بالنهضة لما طلب منه بالإنتصار للدين ومدافعة المعتدين على القطر الجزائري استشار العارف با سيدي بلقاسم العنابي التونسي مع أخيه سيدنا محمد الحبيب في شأن ما أمر به، فأجاباه بأن الأمر إذا كان من الحق يمضيه، ولكن أشار عليه سيدي بلقاسم العنابي بإبقاء نصف القوم مع سيدنا محمد الحبيب بقرية أبي سمغون، فلما خرج القوم من أبي سمغون معاهدين ا تعالى على نصرته ولو أتى الموت عن آخرهم قسمهم رضي ا عنه عندئذ إلى نصفين، نصفهم بقي مع سيدنا محمد الحبيب، والنصف الآخر أصحبه معه، وعند ذلك بث العارف بربه سيدي بلقاسم العنابي لسيدنا محمد الحبيب لكي يودع أخاه والقوم الذين معه توديع فراق ما بعده في هذه الدنيا تلاق، وقال : هذا أمر محتوم، ونحن جميعا مقهورون للتجلي، فما علينا إلا الإمتثال ليقضي ا أمرا كان مفعولا، وإن هؤلاء القوم الذين ترى لا يرجع منهم سوى أربعة إلخ ...
وذكر العلامة سكيرج في كتابه رفع النقاب ج 3 ص 34 ما نصه : ولما بلغ الخبر للقطب سيدي الحاج علي التماسيني رضي ا عنه وبخ أصحاب الشيخ الذين تخلفوا عن الواقعة وقال لهم : كان من حقكم أن لا تدعوه يذهب ولو قطعتم سرج فرسه، فقالوا له : لو أراد أخوه محمد الحبيب القيام بأخذ الثأر لقمنا معه ولا نبالي بما يقع لنا امتثالا لأمره، فصار يدعو لهم لصدق محبتهم، ثم قال لهم سيدي الحاج علي : إن من الرجال من يكلمه الحق في أمر ثم ينبرم عليه الأمر، وكان أمر ا قدرا مقدورا.
وقد رثاه العلامة سكيرج بقصيدة ميمية قال في مطلعها :

على م تبكي وتستبكي دموع دم   والصبر أجمل عند كل مصطدم

إلى أن قال :

تبكيك يا ابن التجاني أعين همات   بأدمع ذرفت من كل مـحـتـرم
تبكيك أعين أحباب رأوك وقــد   كادت صدورهم تنشق من ضرم

محمد الحبيب(33) أما الإناث فهم للا السعدية وللا زينب وللا فاطمة وللا عائشة. ولم يخلف رضي الله تعالى عنه بعد وفاته سوى اثنين من أبنائه وهم سيدي محمد الكبير(34) وسيدي محمد الحبيب(35) أما الباقي فكلهم ماتوا قيد حياته.

ذكر عبيده وخدامه

كانت لسيدنا رضي الله عنه مجموعة من العبيد والإماء، وكان يحسن إليهم غاية الإحسان، كما كان كثيرا ما يشتري العبيد ويعتقهم في سبيل الله، حتى إنه اشترى يوما نحو الخمسة والعشرين نفسا وأعتقهم كلهم، وقد وقفت على تقييد للولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح

---

(33) سيدي محمد الحبيب بن الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه، ازداد بمدينة فاس عام 1215 هـ، وأمه هي السيدة الفاضلة (امبريكة)، وكان عمره عند وفاة والده 15 سنة، ولم تزد مدة مكوثه بفاس بعد وفاة والده رضي ا عنه على تسعة أشهر، حيث هاجر إلى قرية عين ماضي بالصحراء الشرقية صحبة أخيه سيدي محمد الكبير والخليفة القطب سيدي الحاج علي التماسيني.
وقبل وفاته بأربع سنوات أدى رضي ا عنه فريضة الحج مع الركب الطرابلسي برا، وكان ذلك عام 1265هـ، وحج رفقته في ذلك الموسم جماعة من الأخيار من أهل الطريقة الأحمدية التجانية، ولما حل ببلاد مصر قدم العلماء والأفاضل لزيارته، فلم يكلم واحدا منهم، وذلك لاشتغاله بنفسه وأذكاره، كما أنه خاف عليهم من تضررهم بمذاكرته، نظر لعدم معرفته بقواعد اللغة العربية التي تخول للمطلع عليها تبادل أطراف الحديث بطلاقة، وبعد رجوعه لعين ماضي انكب على قراءة النحو والصرف وما إلى ذلك، فبرع فيه خلال وقت وجيز، وكانت وفاته رحمه ا بتاريخ يوم السبت فاتح جمادى الثانية عام 1267هـ، وعمره وقتئذ 52 سنة، ودفن مع ابنه سيدي أحمد المتوفي في حياته في قبة واحدة، وقد مدحه العلامة سكيرج بعدة قصائد منها نونية قال في مطلعها :

فؤادي بالصبابة فيك عـاني   فداركني فإني فيك فانـي
وقصر من جفاك ولا تزدني   عذابا ليس يحمله جناني

(34) لم يخلف سيدي محمد الكبير بعده ذكورا، لكنه ترك ابنتين الأولى للا رقية، وقد تزوجت بابن عمها سيدي أحمد بن سيدي محمد الحبيب المعروف بابن السيدة زهراء الحبشية، وبعد وفاته تزوجت عند انقضاء عدتها من أخيه سيدي أحمد عمار، فولدت له بنتا وهي للا فاطمة، ولدا حفل عقد قرانها قال بعض الأدباء :

بشرى لنا زمن الأفراح عوضنا   دهر الشوائب والأحزان والدنـف
وذاك إذ نكح الإبريـز فضتـه   والجوهر اللؤلؤ المكنون في صـدف
زفت له وسواها ليس يـكفـؤه   فهل يباع ثمين الـدر بالخـزف

وتوفيت للا رقية المذكورة في شهر رجب عام 1309هـ، أما البنت الثانية لسيدي محمد الكبير فهي للا فاطمة وقد تزوجت بالمقدم الفاضل البركة سيدي محمد نجل القطب الشهير سيدي الحاج علي التماسيني.

(35) خلف سيدي محمد الحبيب ولدين، وهما سيدي أحمد عمار المتوفي في 18 ذي القعدة الحرام عام 1314هـ، ودفن بقبته بكردان على مقربة من عين ماضي، ثم سيدي محمد البشير المولود عام 1266هـ، والمتوفي في الساعة الحادية عشرة من ليلة السبت 12 جمادى الثانية عام 1329هـ بكردان، ثم نقل لعين ماضي ودفن ضجيعا لوالده سيدي محمد الحبيب في قبة واحدة.
أما من الإناث فقد خلف سيدي محمد الحبيب رضي ا عنه 14 بنتا، منهم للا عائشة، وللا حليمة، وللا ماما، وللا مباركة، وللا خديجة كاينة، وللا خديجة الكبيرة، وللا بيرى، وللا أم كلثوم، وللا حفصة، وللا يامنة، ومعظم هؤلاء الشريفات تزوجن بأولاد القطب الشهير سيدي الحاج علي التماسيني.

رضي الله عنه قال فيه ما نصه : كان مولانا الشيخ رضي الله عنه يملك الرقيق كثيرا ويحسن إليهم كثيرا، حتى كانت مماليكه أحسن من مماليك الملوك، بحيث إذا مر مملوك ذو هيئة يقول الناس : هذا مملوك سيدي أحمد التجاني رضي الله عنه، وكان لا يعتق من الرقيق الذي في داره ولا يبيع منه، ويقول : إذا انتقل من عندنا وفقد النعمة التي كان فيها عندنا نكون تسببنا له في شر(36).

وإذا أراد أن يعتق اشترى وأعتق فورا من غير أن يدخلوا داره، بحيث أن العدل الذي يكتب رسم الشراء هو الذي يكتب رسم العتق، قال : وكان يعطي لمن يعتقه من العبيد عشرة مثاقيل، قال : واتفق أنه أعتق في يوم واحد على هذه الكيفية سبعة عشر رقيقا، قال : فقال أحدهم : أروني سيدي هذا الذي اشتراني وأعتقني، فأخبر الشيخ بذلك، فقال : ايتوني به، قال له : يا سيدي أنت الذي أعتقتني ؟ فقال له نعم، قال : قد وهبت نفسي لك، فقبله، وجعل يخدمه حتى كان من أمره ما كان، بحيث كان يرى النبي (ﷺ) ولا يتبجح بذلك، حتى يقول له : أنا محمد بن عبد الله رسول الله، ومن لم تحصل له هذه المقالة لا يسلم له في الرؤية.

وهذا العبد هو سيدي بوجمعة المشهور بين الأصحاب، قال : وكانت مماليكه رضي الله عنه كلهم آخذين لورده المحمدي، وكان يزوج عبيده بالإماء، حتى أنه لا يترك من الحيوانات الصامتة أنثى إلا أمر بتزويجها بذكر والعكس كذلك(37).

وكان عند النوم يقف عند الباب حتى يدخل كل عبد وزوجته إلى محلهما، ويسد عليهم الأبواب بأقفال، ويجعل المفاتيح في صندوقه، وقبل الصبح بنحو ساعة يوقظهم ليغتسل مريد الغسل، ويتوضأ مريد الوضوء، ويصلون جماعة إهـ... ومن جملة عبيده رضي الله عنه سيدي الحاج

---

(36) ذكر العلامة سكيرج في كتابه كشف الحجاب ص 15 قال : رأى سيدنا رضي ا عنه بعض خدم بعض الناس مفرطين في كسوتهم، ضائعين في أبدانهم، مشوهين في لباسهم في زمن الشتاء، فقال لأصحابه : حاشا ا أرباب هؤلاء المماليك أن يشموا رائحة الإسلام.

(37) حول هذا الصدد ذكر العلامة سكيرج في كتابه كشف الحجاب ص 15 قال : وكان سيدنا رضي ا عنه لا يحب أن يترك تحت يده أو يد غيره من الناس خدما بلا تزويج، ويقول لأصحابه : من يملك الأمة من غير أن يتسرى بها أو يزوجها لغيره أو يبيعها بهذا الشرط فليحط سبحتي ما بيني وبينه شيء.

بوجمعة(38) المذكور سابقا، وسيدي مسعود(39) وسيدي بلال(40) وسيدي بركة(41) وسيدي مهدي(42) وسيدي سالم الصغير(43) وغيرهم.

ذكـــر وفـاتـــه

كانت وفاة سيدنا رضي الله عنه صبيحة يوم الخميس 17 من شهر شوال عام 1230هـ، وذلك بعد أن صلى الصبح، ثم اضطجع على جنبه الأيمن رضي الله عنه، ثم دعا بماء فشرب منه،

---

(38) الولي الصالح الفاضل سيدي الحاج بوجمعة السوداني، من أهل الفتح الكبير، كان رحمه ا كثيرا ما يرى النبي (ﷺ)، وكان غالبا ما يستعمل لهذه الغاية الصلاة المسماة بالجامعة، وهي التي كان يستعملها الواسطة المعظم سيدي محمد بن العربي الدمراوي عند إرادته الإجتماع بالنبي (ﷺ) يقظة، وقد ترجم له الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح في كتابه بغية المستفيد عند قول ناظم المنية :

ومن يكن لازمها سبعا لدا منامه يرى النبي أحمـ ـ ـدا
صلى وسلم عليـه الا ـه ما اشتاق مومن إلى لقيـ ـاه

وقد زوجه سيدنا رضي ا عنه بأمته فاطمة عام 1226هـ، وتأخرت وفاته بعد وفاة الشيخ رضي ا عنه بعشرين سنة، أنظر ترجمته كذلك في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 216، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 1 ص 219، وفي نخبة الإتحاف للفقيه الحجوجي رقم الترجمة 126.

(39) سيدي مسعود، رجل فاضل صالح، اتخذه سيدنا رضي ا عنه بوابا بباب داره، فكان لا يدخل أحدا إلا بعد أن يستأذن عليه، ومما حدث لهذا الفاضل أنه كان ذاهبا مرة مع سيدنا رضي ا عنه، فسمع الشيخ هرة صغيرة تصيح، فقال له : يا أبا السعود ارفعها معك، فرفعها، ولما وصل لداره رضي ا عنه أرسل له عشاءها، وكانت عادته رضي ا عنه في وقت الأكل يأمر بقصعة من الطعام للقطاط التي بداره، وبعد وفاة سيدنا رضي ا عنه رافق سيدي مسعود الشرفاء إلى عين ماضي، وبها توفي رحمه ا ، أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 215، وفي نخبة الإتحاف للفقيه الحجوجي رقم الترجمة 125.

(40) سيدي بلال، من خيرة خدام سيدنا رضي ا عنه، كان لا يقدر على مفارقة الشيخ رضي ا عنه، بل كان ملازما له في الذهاب معه إلى أي موضع أراده، قال العلامة سكيرج : وقد بلغني على لسان الثقة أن سيدنا رضي ا عنه كان نازلا من ملاقاة سلطان الوقت مولانا سليمان قدس ا سره، وهو مار بأعلى زقاق الحجر من مدينة فاس، وكان بعض أكابر الشرفاء جالسا بدار مولانا سليمان المعروفة هناك، فلما رأوا سيدنا رضي ا عنه نازلا من أعلى الطريق، وهو راكب، وخديمه سيدي بلال عن يمينه، وخديم آخر عن يساره، قال بعضهم لبعض سرا : وا إن هذا التجاني لآية من آيات ا ، وسكتوا، فلما وصل إليهم سيدنا رضي ا عنه وقاموا ليسلموا عليه، قال لهم رضي ا عنه مكاشفا لهم : قولوا وا إن التجاني لآية من آيات ا العظام، وكررها عليهم رضي ا عنه، فتعجبوا من ذلك، وحصل لهم في جناب سيدنا رضي ا عنه زيادة اعتقاد في رسوخ قدمه في الولاية، وتلقوا عنه طريقته المحمدية بعد ذلك، ودارهم إلى الآن لا زالت معمورة بالإخوان إلخ ... أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 215، وفي نخبة الإتحاف للفقيه الحجوجي رقم الترجمة 127.

(41) سيدي بركة، رجل فاضل موصوف بالصلاح والإستقامة، أنظر ترجمته في نخبة الإتحاف للفقيه الحجوجي رقم الترجمة 128.

(42) سيدي مهدي، رجل تقي عابد، معظم لدا الخاص والعام، وكان ممن وضع له القبول في الأرض، تلتمس منه البركات، وتطلب منه صالح الدعوات، في سائر الأوقات، أنظر ترجمته في نخبة الإتحاف للفقيه الحجوجي رقم الترجمة 129.

(43) سيدي سالم الصغير، من الموصوفين بكمال الولاية، وصفاء السريرة، أنظر ترجمته في نخبة الإتحاف للفقيه الحجوجي رقم الترجمة 130.

ثم عاد إلى اضطجاعه على حالته، فطلعت روحه الكريمة من ساعته، وصعدت إلى مقرها الأقدس(44).

ثم غسل رضي الله عنه بمقر منزله المعروف بدار المراية، وحضر جنازته المباركة ما لا يكاد يحصى من علماء فاس وصلحائها وفضلائها وأمرائها، وتولى الصلاة عليه بمسجد القرويين العلامة الأوحد، والمفتي الماهر الأمجد، أبو عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم الدكالي(45)، وازدحم الناس على حمل نعشه المبارك الميمون، وكسروه بأثر دفنه أعوادا صغارا ادخروها بما حمل فيه من السر المصون، ثم وضع في ضريحه والقلوب منفطرة لفقده، وكل حاضر دموعه جارية على خده، وذلك بموضعه المعلوم بزاويته المباركة(46).

---

(44) جاء في كناش الفقيه المقدم سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي قال : قال العارف با سيدي محمد العربي بن السائح : إن الشيخ رضي ا عنه في مرضه الذي توفي فيه أمر بإحضار دالية البوصيري، فلم توجد بفاس، فأرسل إليها بعض الخاصة من أصحابه لمكناسة الزيتون، فلما جاءت أمر بقراءتها، فلما أتموا قراءتها لم يتكلم معهم بعد ذاك أصلا، وا أعلم بمراد الشيخ، وكذاك أمر بإحضار نونية الإمام الغزالي، فوضعها تحت وسادته، إلخ ... ومطلع دالية البوصيري :

كتب المشيب بأبيض في أسـ ـود بغضاء ما بيني وبين الـ خـ رد
خجلت عيون الحور حين وصفتها وصف المشيب وقلن لي لا تبعد

ومطلع نونية الإمام الغزالي :

قل لإخوان رأوني ميتا فبكوني إذ رأوني حزنـ ا
أتظنون بأني ميتكـ ـ ـم لست ذاك الميت وا أنا

أنظر القصيدتين معا في رفع النقاب للعلامة سكيرج، الأولى في ج 3 ص 152، والثانية في ج 3 ص 146.

(45) أبو عبد ا سيدي محمد فتحا بن الفقيه سيدي إبراهيم بن عبد العزيز بن الشيخ أبي الحسن سيدي علي الخياط بن إبراهيم بن القطب الرباني أبي محمد سيدي عبد ا الخياط الحسيني الرفاعي، عالم جليل، من حفظة المذهب المالكي في وقته، وهو شيخ الإفتاء بالمغرب، وقد تولى القضاء بمدينة فاس فحمدت فيه سيرته، وهو معروف مشهور بابن إبراهيم، وكان له اتصال وثيق بالزاوية الناصرية، حيث أنه من خيرة المقدمين المرشحين لتلقينها بمدينة فاس، وكانت وفاته رحمه ا ليلة الجمعة 10 رجب عام 1241هـ، ودفن بزاويته المشهورة به بدرب الحرة من طالعة فاس، وضريحه بها على يمين المحراب، وعليه دربوز، وهو معروف متبرك به إلى الآن، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف ص 381 رقم الترجمة 1526، وفي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 355 رقم الترجمة 789، وفي سلوة الأنفاس لابن جعفر الكتاني ج 1 ص 254، وتوسع في ترجمته كثيرا العلامة أبو عبد ا سيدي محمد المسناوي الدلائي في كتابه جواهر السماط في مناقب سيدي عبد ا الخياط.

(46) وبعد وفاته رضي ا عنه بمدة أربعة أشهر، عقد أبنائه العزم على السفر للصحراء والإستقرار بها، فقاموا لأجل الغاية المذكورة بإخراج جثة والدهم من قبره، فجعلوها في صندوق وحولوه ليلا إلى دار سكناهم، وهي دار المراية، وذلك حتى يتهيأوا للسفر المذكور، ووقع هذا بتاريخ 21 صفر الخير عام 1231هـ، ولم يعلم أهل فاس بذلك إلا بعد يوم أو يومين، فقاموا على ساق الجد وردوه رضي ا عنه إلى قبره بالزاوية المباركة، وهو في حالته المعهودة كأنه نائم، وبنى أهل فاس على قبره بناء وثيقا أغمقوا في جوانبه جزاهم ا خيرا.

خـاتـمــــــــة

لم يكن العلامة سكيرج فيما صنف جامعا شارحا مختصرا فحسب، ففي هذا القول غمط لمكانة الرجل العلمية، بل توافرت لديه كل الأسباب التي أهلته للتفوق والريادة، فهو حافظ مفسر دارس للقرآن وعلومه، وهو أيضا دارس حافظ شارح للسنة ومجاميعها، وهو من حيث تمكنه من العربية يعد مجددا فيما كتب عن أصولها وقواعدها والأشباه والنظائر فيها، وهو من حيث اطلاعه على التراث الفقهي والأصولي الذي سبق عصره قد درس كل مصادر هذا التراث دراسة مستوعبة لأدق خصائصه، ووقف على مناهج الأئمة في الإجتهاد، وعوامل الاختلاف بينهم في الآراء، وقد منحه الله عقلية تحررت من الجمود والتقليد، وتمتعت بالنظر العلمي المستقل، فجزاه الله خيرا على ما أسداه لهذه الأمة من خدمات جليلة، حيث ستبقى هذه الخدمات حية في ذاكرة التاريخ، ولا محالة أنها ستنبئ الأجيال القادمة بما لهذا الرجل الفاضل من آياد جلية سامية في نطاق العلم والمعرفة الصحيحة.

وبما أن هذين الجزءين لم يسعا ما كنت أريد إدخالها ضمنهما من تقاييد ورسائل العلامة سكيرج، ارتأيت أن يكون لهذا البحث المتواضع جزآن آخران، وهما الثالث والرابع، حيث سيمكنني من إضافة مقتطفات أخرى من أجوبة وتصانيف هذا العالم الجليل.

وبهذا ينتهي الجزء الثاني من هذا البحث، ويليه الجزء
الثالث، وبعده الرابع.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما
سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك
المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون،
وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

فهـرس الأعـــلام

أ

- إبراهيم الرياحي التونسي 115
- إبراهيم النخعي 14
- إبراهيم بن عمر الشرادي 165-166-175
- إبراهيم الشبراخيتي 273
- إبراهيم المتبولي 287
- إبراهيم بوطالب 307
- أحمد بن موسى الجزولي السملالي 6
- أحمد بن يونس القشاشي 18
- أحمد العبدلاوي 44-175-214-226-230-232-243-301
- أحمد بن العياشي السلامي 51
- أحمد الوزاني 67
- أحمد بن خالد الناصري 97
- أحمد الدغوغي 123
- أحمد بن علي العلوي 126
- أحمد بن الطيب السفياني 138-157
- أحمد محمود (دفين قبيلة الرحامنة) 165
- أحمد بن قاسم جسوس 182
- أحمد بن الحسين الدويراني 201
- أحمد بناني كلا 236
- أحمد (أبو العباس المرسي) 252-254
- أحمد (أبو العباس الحريثي) 259
- أحمد بن حنبل 265
- أحمد (أبو العباس السبتي) 266
- أحمد المقري 271
- أحمد بن حماد بن زغبة المصري 281
- أحمد بن محمد بن المدني القباج 307
- أحمد بن عبد السلام الفيلالي 310
- أحمد عمار بن سيدي محمد الحبيب التجاني 316
- أحمد بن سيدي محمد الحبيب التجاني (ابن الحبشية) 316
- إدريس بن عبد الله الكامل 124-136-138-154-160-173
- إدريس بن إدريس (مؤسس مدينة فاس) 265-287
- إدريس بن بوشتة 67
- إدريس بن الطاهر الشباني 166
- إدريس بن محمد الحسناوي التجيني 171-178
- إسماعيل بن علي العلوي (السلطان) 58-59-60-63-109
- إسماعيل بن عبد الرحمان السدي 16
- إسماعيل (نجل الشيخ التجاني) 315
- الأبي محمد بن خلفة 154
- أنس بن مالك (الصحابي) 11-12-13-15-19
- آصف بن برخيا 269-270
- أمين محمود الشريف المصري 228-230
- أم حفيدة (أخت أم المومنين مولاتنا ميمونة) 152
- ابن أجروم (محمد) 1
- ابن دريد (محمد بن الحسن) 1-274
- ابن مالك 2-129-148-164
- ابن خلكان (أحمد بن محمد) 5
- ابن عربي الحاتمي 8-18-201-202-203-205-209-211-213-216-217-218-219-220-221-224-238-242-243-254-255-263-268-271-286
- ابن الفارض (عمر بن علي) 8-285-313
- ابن سيده (علي بن إسماعيل) 9
- ابن جماعة (عبد العزيز بن محمد) 10
- ابن رشد (الجد) 10-15-265-305
- ابن أبي ليلى (محمد بن عبد الرحمان) 13
- ابن حجر العسقلاني 16
- ابن حجر الهيتمي 231

- ابن غازي المكناسي 57-58-61
- ابن الحاجب (عثمان بن عمر) 129
- ابن عساكر (علي بن الحسن) 151-289
- ابن عدي (عبد الله الجرجاني) 151
- ابن دحية (عمر بن الحسن) 152
- ابن ماجة (الحافظ) 152
- ابن بابا (أحمد العلوي الشنجيطي) 175
- ابن الجوزي (عبد الرحمان) 262
- ابن باديس 272
- ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) 275-282
- ابن لهيعة (عبد الله) 281-282
- ابن التاج 307
- أبو هريرة (الصحابي) 3-20
- أبو بكر الشبلي 262
- أبو بكر بن مجاهد المقري 5
- أبو بكر بن العربي المعافري 10-12-130-131
- أبو بكر الصديق 13-261-281-282
- أبو بكر بن العربي بناني 46
- أبو داود (سليمان السجستاني) 10-152
- أبو السعود الجارحي 6-7
- أبو عبيدة بن الجراح 14
- أبو حنيفة 13-262-265
- أبو جعفر الباقر 14
- أبو يزيد البسطامي 68-222-224-262
- أبو مدين (شعيب التلمساني) 69
- أبو البقاء (أيوب الحسيني) 142

ب

- البخاري (الحافظ) 4-12-13-20-91-152
- البيهقي (سليمان بن أحمد) 4-12-151
- البوصيري (محمد) 76-98-114-134-135-140
319-224-149-141
- البغوي (الحسين بن السعود) 143
- البحتري (الشاعر) 153
- بدر الدين بن مالك 153
- بوعزة بن لحسن 177-179
- بلامينو (محمد الأمين بن يحي) 183-234-287-294-
319-312-308-305
- البوني (أحمد بن علي) 233-235
- بلقيس (ملكة سبأ) 269-272-303
- بخيث (محمد المطيعي) 279
- بوجمعة (خادم الشيخ التجاني) 317-318
- بلال (خادم الشيخ التجاني) 318
- بركة (خادم الشيخ التجاني) 318
- البخاري (الولي الصالح) 179

ت

- التجاني (الشيخ سيدي أحمد) 18-24-30-32-33-34
50-49-48-46-45-44-43-41-40-37-36-35
95-93-86-85-83-81-76-73-69-68-55-51
114-113-112-111-110-103-101-99-96
157-156-146-145-126-121-117-116-115
178-176-175-174-173-172-166-165-159
217-216-215-214-213-212-211-181-180
229-228-227-226-225-221-220-219-218
238-237-236-235-234-233-232-231-230
254-253-252-251-249-248-244-243-242
289-288-287-286-285-284-283-261-257
305-304-303-302-301-300-299-293-291
314-313-312-311-310-309-308-307-306
319-318-317-316-315
- الترمذي (الحافظ) 12-22
- التهامي بن محمد المدني الكلاوي 53
- تعلب (أحمد بن يحي) 5

ج

- جعفر بن أبي طالب 97

- الجيلالي بن التهامي الشرادي 164
- الجبائي (محمد بن عبد الوهاب) 207
- الجنيد 254-259-262-263-265
- الجزولي (محمد بن سليمان) 266

ح

- الحسن بن علي (رضي الله عنهما) 13-314
- الحسن بن سمعون 7
- الحسن بنونة 35
-الحسن مزور 36
- الحسن اليوسي 97
- الحسن بن محمد العلوي (السلطان) 109-127-172
- الحسن البصري 263
- حسان بن ثابت 15-53
- حسون (الولي الصالح) 173
- الحاكم النيسابوري 16-151
- الحلاج (الحسين بن منصور) 269
- الحارث بن يزيد 281

خ

- خليل ابن إسحاق المالكي 10-15-130-131
- الخازن (علي بن محمد) 143
- خالد بن الوليد 151-152
- الخضر (صاحب موسى) 257
- خليفة (نجل الشيخ التجاني) 315

د

- الدارقطني (الحافظ) 151
- الدميري (محمد بن موسى) 2

ر

- الرازي (محمد بن عمر) 12-144
- الرضي (نجم الدين محمد بن الحسن) 129
- الرهوني (محمد بن أحمد) 132-292
- راشد بن منصة الأوربي 138
- رويم (أبو محمد بن أحمد) 217

ز

- الزجاج (إبراهيم بن السري) 144
- زروق (أحمد) 266-304
- زكرياء الأنصاري 209-257
- زهوة (أمة محمد دادي) 128-167-168-169-170
- زينب (بنت الشيخ التجاني) 316

س

- سكيرج (محمد بن الطيب) 246
- سكيرج (محمد أخو العلامة سكيرج) 26
- سيبويه (عمرو بن عثمان) 6
- سلمان الفارسي 53
- سليمان العلوي (السلطان) 213-287-318
- سهل بن عبد الله التستري 262
- سعيد بن أبي بكر المشنزائي 62-70
- السعدية (بنت الشيخ التجاني) 316
- السنوسي (محمد الجغيوبي) 236-238
- سواد بن قارب 276
- سعيد بن عفير 281
- سالم الصغير (خادم الشيخ التجاني) 318

ش

- الشافعي (محمد بن إدريس) 14-244-263-265-288
- الشريشي (أحمد الصديقي) 20
- الشامي (الولي الصالح) 179
- شحواطة (الولية الصالحة) 177

ص

- الصبان (محمد بن علي) 129

ط

- الطبراني (أحمد بن الحسين) 14-151-268-281-289
- الطيب السفياني (الجد) 287-310-313
- الطيب بن أحمد السفياني 37-52 309
- الطيب عمور 53
- الطيب بن علال بن العربي برادة 146
- الطيب بن عبد الله العلوي 106
- الطاهر دادي 53

ع

- عبد الباقي المرشدي 253
- عبد الباقي الزرقاني 292
- عبد الرحمان بن القاسم 265
- عبد الرحمان المكودي 1-229
- عبد الرحمان بن عمر العلوي 158
- عبد الرحمان السيوطي 67-289
- عبد الرحمان بن هشام العلوي (السلطان) 172
- عبد الرحمان بن زيدان 55-56-57-58-59-61-62
63-64-68-69-71-72-74-75-81-86-91-97
98-102-104-120-122-123-126-127-128
129-132-133-134-135-137-140-141-142
143-149-153-159-161-163-164-170-171
- عبد الرحيم العراقي (الحافظ) 9-12
- عبد الرؤوف المناوي 14
- عبد السلام المحب العلوي 156
- عبد السلام بن عمر العلوي 158
- عبد السلام بن محمد العمراني 161
- عبد السلام بن مشيش 266
- عبد العزيز العلوي (السلطان) 133
- عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمان العلوي 91
- عبد العزيز الديريني 264
- عبد القادر بن أحمد العرائشي 99-120
- عبد القادر الجيلاني 251-265-266
- عبد القادر بن علي الفاسي 266
- عبد الغني حمادة 281
- عبد الغني النابلسي 13-290
- عبد الكريم بنيس 45-73-91-130-132-245
- عبد الله بن عمر (الصحابي) 13-14-151-289
- عبد الله بن مسعود (الصحابي) 20-144-289
- عبد الله بن سلام (الصحابي) 265
- عبد الله بن عباس (الصحابي) 275-289
- عبد الله بن أبي بكر 305
- عبد الله (أبو القاسم العياشي) 293
- عبد الله التادلي الرباطي 182
- عبد الله بن إسماعيل العلوي (السلطان) 108
- عبد الله بن محمد العلوي 107
- عبيدة العلوي الشنجيطي 202-210-211
- عبد المالك الضرير العلوي 236-239
- عبد المالك الأصمعي 2-4-19
- عبد المالك بوطيبة التلمساني 253
- عبد الوهاب الشعراني 219-221-224-233-234
252-254-259-261-268
- عبد الوهاب السبكي 280-282
- عبد الوهاب السراج 47
- عبد الوهاب بن الأحمر 110-113-304
- عبد الوهاب بنيس الضرير 291-294
- العباس بن عبد المطلب 276
- العباس بن الغازي 305
- العباس بن مرداس 17
- عائشة الصديقية (أم المؤمنين) 206
- عائشة (بنت الشيخ التجاني) 316
- العربي المحب العلوي 47
- العربي بن محمد برادة 52
- العربي بن هاشم العلوي 123-159
- العربي العجلي 164
- العربي بن السائح الشرقاوي العمري 71-145-158-
175-180-202-230-234-242-243-287-
288-294-304-305-308-311-312-314-
316-318-319
- العربي العلمي اللحياني 71-165
- العربي بن علي الكايسي 165-166-174
- العربي الأشهب 308-309
- العربي بن عبد العالي الثوري 176
- العربي الصحراوي (الولي الصالح) 177
- علال بن حيون 307

- علال المنصوري 32-53
- علوي المالكي المكي 278-280
- عثمان بن عفان 14-15
- علي بن أبي طالب 2-3-4-11-14-17-22-274-282
- علي حرازم برادة 44-113-114-227-253-
- علي التماسيني 110-112-315-316
- علي بن بشار 3
- علي الكسائي 4
- علي بن زيد 12
- علي بن وفا 18-268
- علي بن حمدوش (الولي الصالح) 123
- علي بن محمد بن المامون الإسماعيلي 127
- علي الماوردي 151
- علي أملاس 306
- علي الأشعري 207
- علي الخواص 220-255-260
- علي المرصفي 259
- علي (أبو الحسن الشاذلي) 263-266
- علي بن رباح 281
- عمر بن الخطاب 3-14-17-151-261-289
- عمر بن سعد الريعي الواسطي 48-80-93-159
- عمر الحراق 60
- عمر بن عبد العزيز 265-266
- عمرو بن العاص 15
- عمرو الحصيني 64
- عياش (الولي الصالح) 177
- عياض اليحصبي 151-154
- عيسى (بحر العلوم) 177

غ

- الغزالي محمد (حجة الإسلام) 14-259-262-263-266-319

ف

- فاطمة الزهراء بنت مولانا رسول الله (ﷺ) 83-286
- فاطمة (بنت الشيخ التجاني) 316
- فتح الله بن أبي بكر بناني الرباطي 23-24-25-26-27-28

ق

- القيجاطي (علي بن عمر) 106
- القسطلاني (أحمد بن محمد) 151
- القرطبي (المفسر) 12-16-154
- القشيري (عبد الكريم) 201-205-209-211
- قاسم أبو عسرية (الولي الصالح) 167-170
- قاسم بن القائد محمد الكداري 173

ك

- كنون (محمد بن المدني) 132-292
- كنون (محمد فتحا بن محمد بن عبد السلام) 176-232-240-314
- كدار (الولي الصالح) 170
- الكامل الأمراني 126
- الكبير لحلو 310
- الكتاني (محمد بن جعفر) 277

ل

- لبيد بن الأعصم 206

م

- ماء العينين (محمد مصطفى) 236-240
- مالك بن أنس 4-8-10-11-12-229-265-266-288-305
- محمد الحبيب (نجل الشيخ التجاني) 40-41-43-68-93-253-316
- محمد البشير (حفيد الشيخ التجاني) 37-39-40-41-43-50-51-68-93-139-169-253-316
- محمد الحبيب الأول (نجل الشيخ التجاني) 315
- محمد الكبير (نجل الشيخ التجاني) 315-316
- محمد بن المشري 212-314

- محمد بن أبي النصر العلوي 312
- محمد دادي 32-36-38-46-53-54-56-65-71-93-127-128-139-140-167-169-171
- محمد فتحا دادي 73-168
- محمد الفاطمي الشرادي 45-126
- محمد بن أحمد بن سلطان الشركي 51-70
- محمد الزيزي 52
- محمد بن عيسى الفهدي 62
- محمد بن محمد بن محمد بلقاسم بصري 67-68-74-110-114
- محمد بلقاسم بصري المكناسي 67-111-112-113-114-314
- محمد بن محمد بلقاسم بصري المكناسي 114
- محمد بن يوسف بن حيان النفزي 4
- محمد بن الحسن الشيباني 14
- محمد وفا 18
- محمد بن عرفة 2-14
- محمد المهدي الوزاني 25-28-129
- محمد بن الموقت المراكشي 25
- محمد بن سعد بن مسعود الريعي 67
- محمد بن المكي بن القاضي 69
- محمد بن أحمد أكنسوس 70-233-234-242
- محمد الغالي السنتيسي 72-80-91-122
- محمد بن عبد الرحمان الإسماعيلي 74
- محمد بن إدريس الشبيهي 74-102-120
- محمد بن أحمد العلوي 80-129-134-135-140-141-142-144-147-149
- محمد بن الحسين العرائشي 97-120
- محمد بن أحمد السوسي 104
- محمد الغالي أبو طالب 111
- محمد بن عبد الوهاب بن حمدوش المكناسي 116
- محمد بن حبيبي بصري 122
- محمد بن العربي العلوي الزرهوني 127-129-145-171
- محمد بن هاشم البلغيثي 135
- محمد بن أحمد بنيس 150-152-153
- محمد بن عبد الهادي العلوي 154
- محمد بن الوافي الزعيمي 156
- محمد بن المعطي المسطاري 158
- محمد بن المامون العلوي 159
- محمد بن أحمد (الولي الصالح) 164
- محمد بن عبد الله البوكيلي 164-166-174
- محمد بن القائد محمد الكداري 173
- محمد الكداري (القائد) 173-176
- محمد بن الفاطمي (الولي الصالح) 179
- محمد بن المقدم سيدي المكي الزواوي 180
- محمد بن المدني الحسني 184
- محمد بن العربي الدمراوي 215-229
- محمد الحافظ التجاني المصري 230
- محمد سعيد علي أفندي 248
- محمد القرشي 252
- محمد الحجوي 252
- محمد الحجوجي 282-288-314
- محمد بن ناصر الدرعي 291-294
- محمد بن الحسن البناني 292
- محمد بن المدني القباج 306-307
- محمد بن إبراهيم الدكالي 319
- محمد عبده المصري 130
- المختار (نجل الشيخ التجاني) 315
- المختار بن علي الدليمي 160-161-164
- محي الدين اللقاني 6-7
- مسلم (صاحب الصحيح) 12-20-152
- مسروق 14
- مسعود (خادم الشيخ التجاني) 318
- مصطفى العروسي 209
- معاوية بن أبي سفيان 13-15

- المعطي بن المدني السرغيني 179
- محمود (حفيد الشيخ التجاني) 30-31-32-33-34-35
36-38-40-42 43-44-45-46-48-49-50-52
53-54-55-56-65-66-67-68-69-70-71-72
73-74-75-77-78-80-81-82-85-86-93
101-102-103-105-107-115-123-126-127
129-135-145-146-156-159-160-161-163
164-165-166-167-168-169-170-171-172
173-174-176-177-178-179-181-183
- المكي بن مبارك الشرادي 161-163-164
- المكي التراب 67
- معروف الكرخي 262
- منصور بن البشير الشرادي الدليمي 161-163
- منصور (من المجاذيب) 70
- المهدي المنتظر 19
- مهدي (خادم الشيخ التجاني) 318
- موسى بن معزوز 309

هـ

هارون الرشيد 2

و

- وهب بن منبه 16
- وهب بن الورد 269
- ورش (عثمان بن سعيد) 138

ي

- يحي النووي 10-12-262
- يلنور (أبو يعزى) 266
- يشو (الولي الصالح) 177
- يطو (الولية الصالحة) 176
- يعقوب بن إبراهيم (أبو يوسف) 13

فهرس المدن والأمكنة

أ

- الإسكندرية 108-248-254-259
- أكدال 64-72
- أحد 152
- اروى مزين 61
- أولاد عيسى 71
- أولاد دليم 161
- أولاد شاكر 161
- أولاد فضيلة 161
- أولاد المرابط 161
- أولاد ذراع 161
- أولاد عمر 161
- أولاد جبارة 161
- أولاد بوكير 161
- أولاد يخلف 161
- أولاد زيان 161
- أولاد مريم 161
- أولاد عمار 161
- أولاد بوغدو 165
- أزغار 166
- أولاد حميد 173
- أولاد حساين 173
- أولاد غياث 173
- أولاد موسى حساين 173
- أولاد بن حمادي 173
- الأعشاش 173
- أولاد بورحمة 177
- الأقواس 181
- أبو سمغون 315
- أكرام 173

ب

- باب تيزيمي 61-72-122
- باب أبي العمائر 56-61-65-69-72
- باب البراذعيين 61-122
- باب السيبة 61
- باب سيدي سعيد 62
- باب زين العابدين 62
- باب منصور العلج 63-108
- باب البوصلي 63
- باب ابن القاري 63
- باب مراح 64
- باب البطيوي 64
- باب كبيش 64
- باب الناعورة 64
- باب المرس 64
- باب القرمود 72
- باب الخميس 109
- باب المحنشة 109
- باب الفرجات 125-128
- باب الحجر 125-126-159
- باب الجديد 135
- باب الحفاء 136
- باب المعراض 137
- باب دار المخزن 137
- باب دار الأضياف 137
- باب دار الوضوء 137-138
- باب المنار 138
- باب التيوكة 164

- بنو سليم 151
- بني مطير 51-56
- بني موسى 62
- بني حسن 170-172-177
- بئر الرامي 179
- بئر أريس 14
- باريس 259
- برلين 259
- بسكرة 60
- بنو وراد 123
- بن جناد 223
- بن راشد 123
- بين العراسي 67
- بحيرة سارة 69

ت

- تاورا 57-61
- ترزجين 58
- تكرارت 58
- تلمسان 60
- تماسين 112
- تهامة 152
- تكنة 164
- تجينة 170-171-172
- تطوان 165-288
- تونس 48

ج

- جبل أبي قبيس 21
- جبل قربوس 125-128
- جبل تومرات 125
- الجزائر 40-252
- الجريد 60-112
- الجديدة 259-295
- الجوطة 173
- جنان بن حليمة 64
- جنان كيتان 64

ح

- الحبشة 12
- الحاجب 54
- الحبول 61
- الحيانية 71
- الحجاز 139-152
- حمرية 56-61
- حمراوة 123
- حومة الجبابرة 64
- حومة المعاركة 64
- حومة زعير 64
- حومة الشاوية 64
- حومة الزيتون 64
- حومة المريح 126-137
- حومة الحفرة 134

خ

- خيبر (منطقة زرهون) 57-125-133

د

- دار دبيبغ 55-65
- دار سيدي لحسن 145
- درب أمجوط 127
- دوار القائد بوعزة 177
- الدهس 173
- دمشق 108

ر

- الرباط 28-71-164-174-179-180-181-182-183
- رأس الماء 53

ز

- زرهون 57-122-123-124-125-126-127-137-138-139-145-146-147-154-158-159-161-164-165-245
- زرارة 164
- زمو 177
- زاوية المخاشيم 173

س

- سايس 56
- السودان 60
- السريج 134
- السكارنة 161
- سحيم 173
- سلا 177-179-180-181-183
- سبأ 269

ش

- شراكة 51-70-71
- الشاوية 65
- الشراردة 139-159-160-161-164-170-171
- الشناكلة 161
- الشبانات 165-166
- شالة 181

ص

- صنهاجة 1
- الصاكة 62
- الصف 164
- صهريج السواني 59-64-69
- صنعاء 108
- الصين 19

ط

- طنجة 26-39-44

ع

- العواج 65
- العناترة 161
- العثامنة 173
- العطاطفة 161
- العراق 152
- عامر 179
- عوينة منصور 128
- عين الشكور 160
- عين الصلاة 160
- عين سند 163
- عين ماضي 40-44-48-93-94-96-314-316
- عين بوعسل 124
- عين جمجمة 124
- عين وليلي 125-128-134
- عين مولاي إدريس 125
- عين القصر 125
- عين شانش 127-133
- عين خيبر 133
- عين الحامة 134
- عين الرجال 135
- عين الشكر 139
- عين تاسلالت 146-160

غ

- غرسة القوس 126

ف

- فاس 2-25-28-30-32-34-37-44-45-51-53-54-55-58-61-65-68-73-79-80-96-99-117-123-125-129-135-137-146-158-159-160-167-168-169-175-183-239-265-307-311-315-319

ق

- القدس 269
- قاع وردة 61
- قبيلة مختار 173
- قصر فرعون 124-127-128-159
- قنطرة علي وعدي 177
- قصبة علي وعدي 179
- قصبة سيدي قاسم 167-170
- قصبة الشرفاء البلغيثيين 133-135
- قصبة سيدي عمرو الحصيني 64
- قصبة تيزيمي 61
- قصبة حرطان 61
- قصبة بريمة 62
- قصبة سيدي سعيد 62
- قصبة تولال 62
- قصبة بني محمد 63
- قصبة توراكة 63
- قصبة سيدي عياد 64
- قصبة الوصفان 64
- قصبة الكدارة 64
- قصبة هدراش 64
- القصبة القديمة (مكناس) 58-59

كـ

- كردان 40-316
- كراوة 64
- كرمت 164
- كدارة 173
- كروان 177
- كدية الرمل 177
- كهف الحمام 128
- كيفان الغنم 128
- الكبارثة 173

ل

- لندن 259

م

- مكة المكرمة 28-141-142-149-150-153-154-236
- المدينة المنورة 113-154
- مكناس 51-55-56-57-58-59-60-61-65-66-67-70-72-73-78-79-80-85-99-104-107-108-113-120-122-124-146-148-158-159-162-163-164-167
- المهدومة 55-169
- مهدية 178
- مشرع الرملة 177
- المنصورية 64
- مرس جناح الأمان 61
- ملاح اليهود (مكناس) 62
- موساوة 123
- مرجة بني حسن 171
- المريفق 172
- مصر 129-130

ن

- نجد 150-152
- نهر النيل 60

هـ

- الهديم 62
- الهاروشي 123

و

- وليلي 57-124-127
- وهران 44
- ورزيغة 57-61-72
- وجه العروس 62
- وادي الجواهر 48-52-54
- وادي النجاة 53-54-55
- وادي بوروح 124
- وادي الشجر 124
- وادي خومان 128
- وادي رضم 164-165-166-171-172
- وادي بهت 172-177-178
- وادي سبو 173-177
- وادي تيفلت 177
- وادي أسمنطو 177

فـهـرس الكتب

أ

- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لعبد الرحمان بن زيدان 56-57-58-59-61-62-63-64
- إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، لسيدي محمد الحجوجي 284
- الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، لمحمد بن جعفر الكتاني 265
- إحياء علوم الدين، للغزالي 263
- الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، لابن مبارك 277-293
- الأنموذج، للرازي 143
- إحياء الميت بفضائل أهل البيت، للسيوطي 289
- الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفياني 221-283-313
- ألفية ابن مالك 6-49-98-105
- أوضح المسالك وأسهل المراقي، للرهوني 132
- اختصار العلامة كنون لحاشية الرهوني 132-292
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني 152
- أعلام النبوة، للماوردي 151
- إضاءة الدجنة في اعتقاد أهل السنة، لأحمد المقري 264

ب

- البحر المورود في المواثيق والعهود، للشعراني 268
- بغية المستهام في مدح خير الأنام، لعبد الرحمان بن زيدان 147
- بردة المديح، للبوصيري 114-141-224

ت

- تيجان الغواني في شرح جواهر المعاني، للعلامة سكيرج 44-241
- تنبيه الإخوان على أن الطريقة التجانية لا يلقنها إلا من له إذن صحيح طول الزمان ولا يصح تلقينها عمن يلقن غيرها من الطرق كيفما كان، للعلامة سكيرج 236-237
- تحفة الأنام بتراجم من خمس أبياتا حفظتها في المنام، للعلامة سكيرج 284
- التعاديل الإسلامية في تخطئة حزب الفتاوي الترنسفالية 130
- تغيير الأسعار على من عاب الأشعار، لعبد الرحمان بن زيدان 80-92
- تلبيس إبليس، لابن الجوزي 262
- تطهير الفؤاد من دنس الإعتقاد، لبخيث المطيعي 279
- تكميل المرام في شرح بغية المستهام، لمحمد بن أحمد العلوي 80-147
- تمهيد الحجة إلى تنظيف المحجة من دنس تمويه معتصبة الأفرنجة، لمحمد بن أحمد العلوي 147

ج

- جناية المنتسب العاني فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني للعلامة سكيرج 228-234-251
- الجوهر المنظوم في ختم مقدمة ابن أجروم، للعلامة سكيرج 1
- الجواهر المنتشرة في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة، للعلامة سكيرج 200-201
- الجواهر الغالية المهداة لذوي الهمم العالية، للعلامة سكيرج 304
- جواهر المعاني وبلوغ الأماني من فيض سيدي أبي العباس التجاني، للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم 44

45-50-113-114-121-174-227-229-240-241

- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، للحافظ السيوطي 14-67
- الجلالين (تفسير) للحافظ السيوطي وجلال الدين المحلي 143
- الجامع من نوازل ابن رشد 10

ح

- الحديقة الندية، لعبد الغني النابلسي 10-13
- الحكم العطائية 275

د

- درة التاج وعجالة المحتاج، لعبد الكريم بنيس 91

ر

- الرحلة الزيدانية، للعلامة سكيرج 55-80
- الرحلة الحبيبية الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية، للعلامة سكيرج 307
- رسالة الثناء الأحمدي التجاني على مظهر الفتح مولانا الشيخ فتح الله البناني، للعلامة سكيرج 23
- رفع النقاب بعد كشف الحجاب، للعلامة سكيرج 202-210-225-233-234-236-238-242-244-291
- الروض المنيف في الجواب عن أسئلة أمين محمود الشريف، للعلامة سكيرج 228-230
- الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، لابن غازي 57-58-61
- الرسالة القشيرية 205-209
- روض المحب الفاني في مناقب القطب الرباني والعارف الصمداني سيدنا ومولانا أحمد التجاني، للعلامة سيدي محمد بن مشري 314
- الرد الوفي الوافر على من أباح منخنقة الكتابي الكافر، لعبد الكريم بنيس 130-132

س

- سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني 277

ش

- الشمائل التجانية، للعلامة سكيرج 297-298-300
- شرب المدام بتخميس أبيات حفظتها في المنام، للعلامة سكيرج 284
- شفاء السقام، لعبد الوهاب السبكي 279-281
- الشفا في التعريف بحقوق المصطفى، لعياض 151
- الشافية في علم الصرف، لابن الحاجب 129

ص

- صحيح الإمام البخاري 91

ط

- طرب الحي بكون الأخذ عن الشيخ المنتقل إلى دار البقاء أفضل من الأخذ عن الحي، للعلامة سكيرج 279
- طلعة المشتري في النسب الجعفري، للناصري 97

ع

- العقد المنظم فيما يتعلق من جواهر المعاني بالفاتح لما أغلق والفاتحة والإسم الأعظم، للعلامة سكيرج 241
- العهود المحمدية، للشعراني 260
- العلوم الفاخرة، لعبد الرحمان الثعالبي 158

غ

- غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود، للعلامة سكيرج 29-184-185

ف

- الفتوحات المكية، لابن عربي الحاتمي 202-217-254
- فصوص الحكم، لابن عربي الحاتمي 218
- الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية، للشبرخيتي 273
- فضل الذاكرين والرد على المنكرين، لعبد الغني حمادة 281

ق

- القواعد، لأحمد زروق 266

كـ

- كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج 42-110-236
- الكافي في علم العروض والقوافي، لأحمد بن عباد 49
- الكنز المطلسم في حقيقة سر اسمه الأعظم، للعارف بربه سيدي الحاج علي حرازم 253
- الكنز المدفون 252
- كنز الراغبين في شرح منهاج العابدين، لجلال الدين المحلي 262
- الكبريث الأحمر، لابن عربي الحاتمي 271
- كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج، لعبد الرحمان بن زيدان 98

ل

- لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن 143

م

- منهل الورود الصافي والهدى من فتح الكافي في شرح الشافي في علمي العروض والقوافي، للعلامة سكيرج 246
- معجم الطبراني الكبير 14-281
- معجم الطبراني الأوسط 289
- مستدرك الحاكم 16
- المعيار الجديد، لمحمد المهدي الوزاني 25-28-129-132
- مختصر خليل 98-105-130-131-164-265
- منية المريد، لابن بابا العلوي 45
- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، للشعراني 252-254-268
- المواهب اللدنية، للقسطلاني 151-152
- مدخل الشرع الشريف، لابن الحاج 277
- المصباح، لبدر الدين ابن مالك 148-153
- ماء الموائد (الرحلة العياشية) 293
- مفاهيم يجب أن تصحح، لعلوي المالكي المكي 278-280
- المدد الباهر في التمييز بين الخواطر، لسيدي عبيدة الشنجيطي 202-210
- مطية الأبطال إلى صواب الصواب في مسألة السروال، لمحمد بن أحمد العلوي 148
- معالم التنزيل (تفسير البغوي) 143

ن

- نور السراج في شرح إضاءة الداج، للعلامة سكيرج 91
  نهج الهداية في ختم الولاية، للعلامة سكيرج 218
- النكاث الجلية والمخفية في أبيات من الكافية أحسن من أبيات في الألفية، للعلامة سكيرج 106
- نوازل سيدي عبد القادر الفاسي 266
- نوادر الأصول، للترمذي 14
- نتائج الأفكار القدسية، لمصطفى العروسي 209
- نظم العمل الفاسي 291
- نفحات القرب والإتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الإنتقال، لشهاب الدين الحموي 280

هـ

- الهمزية (نظم) للبوصيري 271
- هداية المنهاج في شرح كفاية المحتاج في مدح صاحب اللواء والتاج، للعلامة الغالي السنتيسي 80-92

ي

- يعسوب السر الرباني في مناقب التجاني 253

المصادر المعتمدة في التحقيق

1- القرآن الكريم

2- صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني (فتح الباري)

3- صحيح مسلم بشرح النووي

4- قدم الرسوخ، فيما لمؤلفه من الشيوخ، للعلامة سكيرج (مخطوط)

5- رياض السلوان، فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للعلامة سكيرج (مخطوط)

6- كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب، للعلامة سكيرج - ط. بيروت 1988م

7- رفع النقاب بعد كشف الحجاب (الأجزاء الأربعة) للعلامة سكيرج

8- اليواقيت الأحمدية العرفانية، للعلامة سكيرج - ط. فاس 1333 هـ

9- الرحلة الحبيبية الوهرانية، للعلامة سكيرج - ط. فاس 1329 هـ

10- الرحلة الزيدانية، للعلامة سكيرج (مخطوط)

11- جناية المنتسب العاني، فيما نسبه بالكذب للشيخ التجاني، للعلامة سكيرج ـط. القاهرة 1389هـ

12- تاج الرؤوس، بالتفسح في نواحي سوس، للعلامة سكيرج - ط. فاس

13- الظل الوريف، في محاربة الريف، للعلامة سكيرج (مخطوط)

14- الغنيمة الباردة، بترجمة سيدنا الوالد مع سيدتنا الوالدة، للعلامة سكيرج (مخطوط)

15- إتحاف أهل المراتب العرفانية، بتراجم بعض رجال الطريقة التجانية، للعلامة الفقيه الحجوجي، ثمان مجلدات (مخطوط)

16- نخبة الإتحاف في ذكر بعض من منحوا من الشيخ التجاني بجميل الأوصاف، للعلامة الحجوجي، في مجلدين (مخطوط)

17- فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، للفقيه الحجوجي (مخطوط)

18- لوامع أنوار وفيوض أسرار، وسطوع شموس وأقمار، وعبير أفنان وأزهار، للعلامة الحجوجي (مخطوط)

19- نسمات القرب والإفضال، المبعوثة لسيدي أحمد بن الحسن من فضل الكبير المتعال، للعلامة الحجوجي (مخطوط)

20- التعريف بالبلدة التتانية ذات المواهب الربانية، للعلامة أحمد الكشطي (مخطوط)

21- الإغتباط، بتراجم أعلام الرباط، لبوحندار - ط. الرباط 1407-1987

22- شجرة النور الزكية، في طبقات المالكية، لمحمد مخلوف - ط. بيروت

23- النبوغ المغربي، في الأدب العربي، للعلامة عبد الله كنون - ط. بيروت 1961م

24- الروض الهتون، في أخبار مكناسة الزيتون، لابن غازي - ط. فاس 1331هـ
25- إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، للعلامة عبد الرحمان بن زيدان - ط. الرباط 1352هـ
26- الدرر الفاخرة، بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، للعلامة عبد الرحمان بن زيدان - ط. الرباط 1937م
27- الفكر السامي، في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن الحجوي - ط. بيروت 1416هـ-1995م
28- الإعلام، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، لعباس بن إبراهيم المراكشي - ط. فاس 1358م
29- المعسول، للعلامة محمد المختار السوسي - ط. فضالة 1380هـ
30- سوس العالمة، لمحمد المختار السوسي
31- رجالات العلم العربي في سوس، لمحمد المختار السوسي - ط. طنجة 1409هـ
32- فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، للعلامة محمد عبد الحي الكتاني - الطبعة الثانية 1402هـ - 1982 م
33- معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف إليان سركيس - ط. مصر 1346 هـ
34- جواهر المعاني، وبلوغ الأماني، من فيض أبي العباس التجاني، للعلامة سيدي الحاج علي حرازم برادة - ط. بيروت 1383 هـ
35- الجامع لما افترق من درر العلوم، الفائضة من بحار القطب المكتوم، للعلامة سيدي محمد بن مشري (مخطوط)
36- روض المحب الفاني، في مناقب القطب الرباني، سيدنا ومولانا أحمد التجاني، للعلامة سيدي محمد بن مشري (مخطوط)
37- بغية المستفيد لشرح منية المريد، للعلامة سيدي محمد العربي بن السائح - ط. بيروت
38- روض شمائل أهل الحقيقة، في التعريف بأكابر أهل الطريقة، لابن محم العلوي الشنجيطي (مخطوط)
39- الأعلام، للأستاذ خير الدين الزركلي - الطبعة الجديدة في عشرة أجزاء
40- الوسيط، في تراجم أدباء شنجيط، لأحمد بن الأمين الشنقيطي - الطبعة الثالثة 1409هـ-1989م
41- الاستقصا، في أخبار المغرب الأقصى، للناصري - دار الكتب الدار البيضاء
42- طلعة المشتري، في النسب الجعفري، للناصري - ط. فاس بدون تاريخ
43- وفيات الأعيان لابن خلكان - ط. مصر 1310 هـ
44- نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، للمقري - ط. مصر 1302 هـ
45- نزهة الحادي، بأخبار ملوك القرن الحادي، لمحمد الصغير الإفراني
46- النجوم الزاهرة، في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردي
47- تذكرة الحفاظ، للذهبي - ط. حيدر أباد 1375 هـ
48- ميزان الإعتدال، في نقد الرجال للذهبي - ط. 1325 هـ

49- نيل الإبتهاج، بتكميل الديباج، للتنبكتي - ط. مصر 1351 هـ
50- تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني - ط. حيدر أباد 1327 هـ
51- غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري - ط. الأستانة 1935 م
52- معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ الفاسي
53- مرآة العصر، في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر، لجمعه إلياس زخوره
54- فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي - ط. مصر 1299 هـ
55- طبقات الشافعية، لتاج الدين السبكي - ط. 1324 هـ
56- الطبقات الكبرى، لعبد الوهاب الشعراني - ط. مصر 1374هـ - 1954م
57- الضوء اللامع، لأهل القرن التاسع، للسخاوي
58- صفوة من انتشر، من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، لمحمد الصغير الإفراني المراكشي - ط. فاس (بدون تاريخ)
59- سلوة الأنفاس، ومحادثة الأكياس، فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لمحمد بن جعفر الكتاني - ط. فاس 1316 هـ
60- الأزهار العاطرة الأنفاس، بذكر بعض محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس، لمحمد بن جعفر الكتاني - ط. فاس 1307 هـ
61- الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه كتاب السيرة النبوية لابن هاشم، لعبد الرحمان السهيلي
62- الرحلة العياشية، لأبي سالم عبد الله بن محمد العياشي - ط. فاس
63- درة الحجال، في أسماء الرجال، لابن القاضي - ط. الرباط 1934 م
64- جذوة الإقتباس، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، لابن القاضي - ط. الرباط 1974 م
65- جامع كرامات الأولياء، ليوسف النبهاني
66- بعية الوعاة، في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي - ط. مصر 1326 هـ
67- البداية والنهاية في التاريخ، لابن كثير
68- الإصابة في تمييز أسماء الصحابة، لابن حجر العسقلاني - ط. مصر 1358 هـ
69- الأدب العربي في المغرب الأقصى، لمحمد بن العباس القباج
70- الإفادة الأحمدية، لمريد السعادة الأبدية، لسيدي الطيب السفياني
71- مختصر الشيخ خليل - ط. مصر 1401هـ - 1981 م
72- شرح ميارة على تحفة الحكام
73- لسان العرب، لابن منظور
74- القاموس المحيط، للفيروزأبادي - ط. بيروت 1415هـ - 1995 م
75- الفتوحات المكية، لابن عربي الحاتمي ط- دار صادر. بيروت
76- لطائف المنن والأخلاق، في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق، لعبد الوهاب الشعراني - ط. مصر 1357 هـ
77- لطائف المنن، في مناقب أبي العباس المرسي وشيخه أبي الحسن، لعبد الوهاب الشعراني - ط. مصر 1357 هـ

78- الذهب الإبريز، من كلام سيدي عبد العزيز، لأحمد بن المبارك - ط. بيروت
79- التشوف، إلى رجال التصوف، لابن الزيات - ط. الرباط 1404 هـ - 1984 م
80- دوحة الناشر، لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، لمحمد بن أبي عسكر الشفشاوني - ط. الرباط 1396 هـ-1976م
81- الخطط التوفيقية لعلي مبارك باشا
82- خلاصة الأثر، للمحبي - ط. مصر 1284 هـ
83- الديباج المذهب، لابن فرحون - ط. مصر 1351 هـ
84- البدر الطالع، للشوكاني
85- النور السافر، في أهل القرن العاشر، لعبد القادر العيدروس
86- الكواكب السائرة، في أهل المائة العاشرة، لنجم الدين الغزي
87- لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني - ط. حيدر أباد 1331 هـ
88- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي - ط. 1350 هـ
89- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي - ط. مصر 1349هـ -1931م
90- الوافي بالوفيات، للصفدي - ط. استنبول 1931 م
91- كشف الظنون، لحاجي خليفة - ط. استنبول 1360 هـ
92- ممتع الأسماع، في ذكر الجزولي والتباع، وما لهما من الأتباع لمحمد المهدي الفاسي - الطبعة الأولى 1415هـ - 1994 م
93- الجيش العرمرم الخماسي، في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، لأكنسوس - ط. فاس 1336 هـ
94- البستان، في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لابن أبي مريم - ط. الجزائر 1326 هـ
95- سلك الدرر، في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي - ط. مصر 1291 هـ
96- الإتحاف الوجيز في تاريخ العدوتين، لمحمد بن علي الدكالي - ط. الرباط 1406 هـ -1986 م
97- دائرة معارف القرن العشرين، لفريد وجدي
98- فواصل الجمان، في أنباء ووزراء وكتاب الزمان، لمحمد غريط - ط. فاس 1347 هـ
99- الدرر الكامنة، في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني - ط. حيدر أباد 1348 هـ
100- الرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن - ط. مصر 1318 هـ
101- النشر، في القراءات العشر، لابن الجزري - ط. دمشق 1345 هـ
102- صفة الصفوة، لابن الجوزي - ط. حيدر أباد 1355 هـ
103- حلية الأولياء، لأبي نعيم - ط. القاهرة 1938
104- إحياء الميت بفضائل أهل البيت، للسيوطي - ط. بيروت 1415هـ - 1995م
105- السعادة الأبدية بمشاهير الحضرة المراكشية، لابن الموقت المراكشي - ط. الدار البيضاء

106- إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علماء المغرب المعاصرين، للفاطمي ابن الحاج
- ط. الدار البيضاء 1412هـ - 1992م
107- مدخل الشرع الشريف، لابن الحاج - طبع عام 1401هـ - 1981م
108- جامع القرويين، لعبد الهادي التازي - ط. بيروت 1972م
109- أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا، للجراري - ط. الرباط 1391هـ - 1971م
110- مواكب النصر وكواكب العصر، لمحمد بن عبد الصمد كنون - ط. طنجة 1400
111- ترجمة معلمة المعالم سوس أبي عبد الله سيدي محمد أكنسوس للمؤلف محمد الراضي كنون
112- خلاصة المسك العبق الفائح في ترجمة سيدي محمد العربي بن السائح للمؤلف محمد الراضي كنون
113- رسائل العلامة سيدي محمد الحجوجي للمؤلف محمد الراضي كنون
114- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير للسيوطي - ط. بيروت 1373هـ - 1954م.

محتويات الجزء الثاني من الكتاب

- الجوهر المنظوم في ختم مقدمة ابن أجروم	1
- رسالة الثناء الأحمدي التجاني على مظهر الفتح مولانا الشيخ فتح الله البناني	23
- غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود	29
- العبرة بطول العبرة	187
- الجواهر المنتشرة في الجواب عن الأسئلة الإحدى عشرة	200
- طرق المنفعة بالأجوبة عن الأسئلة الأربعة	247
- الشمائل التجانية	297
- فهرس الأعلام	321
- فهرس المدن والأماكن	328
- فهرس الكتب	333
- المصادر المعتمدة في التحقيق	336
- محتويات الجزء الثاني	341